

المعاشرة

مجالس وعظية تستعمل على الترهيب والترغيب
وخواطر النفس وأسرارها وخبائرها
ودوافع الفعلة وحب الدنيا والافصاف عن الله تعالى

تأليف

أبي الفرج جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى ٥٩٢ هـ

ضبطه وصححه وعلوه عليه

الدكتور مروان قبايخ



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

الملاهي

مجالس وعظية تشمل على الترتيب والترتيب
وخواطر النفس وأسرارها وخبائرها
ودوافع الفعلة وحب الدنيا والازصران مع الله تعالى

تأليف

أبي الفرج جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى ٥٩٢ هـ

ضبطه وصححه وعلقه عليه

الدكتور مروان قبايق



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: AL-MUDHĪS
(A BOOK IN SERMONIZING)

Author: Abu Al-Faraj Ibn Al-Jawzi

Editor: Dr. Marwān Qabbāni

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 560

Year: 2005

Printed in: Lebanon

Edition: 2nd

الكتاب: المدهش

المؤلف: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المحقق: الدكتور مروان قبياني

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

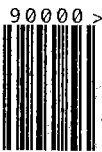
عدد الصفحات: 560

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الثانية

ISBN 2-7451-5059-6



9 782745 150592

مَشْرِوَاتِ مُحَمَّدِ كَلْبُوتِ بَيْرُوتِ



بيروت - لبنان
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الثانية

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

مَشْرِوَاتِ مُحَمَّدِ كَلْبُوتِ بَيْرُوتِ

بيروت - لبنان
دار الكتب العلمية

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رومل الظريفه، شارع البحري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٤٣٩٨ - ٣٦١٣٥ (١١ ١)

فروع عرمون، القبية، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ١١ / ٨٠٤٨١٠ / ٩٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ / ٩٢١ - رياض الصلاح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

املا مشرق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصنّف والمصنّف

المؤلف : الامام « ابن الجوزي » (★)

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

١ - نسبه : هو الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبدالله بن هادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي وقد لقب جعفر بالجوزي نسبة إلى مشرعة الجوز على نهر البصرة أو إلى جوزة كانت في داره .

وهو عربي قرشي تيمي بكري يتصل نسبه بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وعرف بالبغدادي مولداً وإقامة وبالحنبلي مذهباً .

٢ - درس العلم وهو صغير ، فسمع الحديث وحفظ القرآن على الحافظ محمد بن ناصر الحنبلي ، ثم درس الوعظ على أبي القاسم الهروي وبعده صاحب الفقيه ابن الزاغوني الحنبلي (ت ٥٢٨) فأخذ عنه من فنون العلم حظاً وافراً وخصوصاً الحديث والفقه والوعظ الذي أصبح في عصر ابن الجوزي فناً له أصوله وقواعده .

(*) راجع ترجمته في :

الكامل لابن الأثير ١٠ - ٢٢٨	وفيات الأعيان ١ - ٢٧٩
اليافعي ٣ - ٤٨٩ - ٤٩٢	البداية والنهاية ١٣ - ٢٨ - ٣٠
مختصر دول الإسلام ٩ - ٢ - ٧٩	مفتاح السعادة ١ - ٢٠٧
النجوم الزاهرة ٦ - ١٧٤ - ١٧٦	ذيل الروضتين ٢١ - ٢٨
تذكرة الحفاظ ٤ - ١٣١	إبن الوردي ٢ - ١١٨
الأعلام ٢ - ٣١٦	آداب اللغة ٣ - ٩١
	دائرة المعارف ١ - ١٢٥

ثم قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري والقاضي أبي يعلى وغيرهم كثير كابن منده الذين تلقى منهم علوم عصره. ومن شدة انصرافه لطاب العلم لم يكن في صغره على ما كان عليه أترابه من حب اللهو واللعب بل انشغل في العلم وحفظه وكتابته ، وهذا لما له من نضوج عقلي إلى جانب حافظة واعية وقد قال عن نفسه (قد رزقت عقلاً وافرأ في الصغر يزيد على عقل الشيوخ) .

٣ - قال عنه ابن خلكان (١ / ٢٧٩)

« كان علامة عصره وامام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، صنف في فنون كثيرة ، منها « زاد المسير في علم التفسير » أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة ، وله في الحديث تصانيف كثيرة وله « المنتظم » في التاريخ وهو كبير وله « الموضوعات » في أربعة أجزاء ... وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد ، وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا أنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس (١) وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله عقل . »

ويقال : جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك فكفت وفضل منها «

« له أشعار لطيفة (٢) منها قوله يخاطب أهل بغداد :

عذيري من فنية بالعراق	قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام الغريب	وقول الغريب فلا يعجب
ميازيبهم إن تندت بنجير	إلى غير جيرانهم تطلب
وعذرهم عند توبيخهم	مغنية الحي لا تطرب «

١ - إشتهر هذا الأسلوب في مدح العلماء الذين عرفوا بكثرة التأليف كالطبري مثلاً ...

٢ - كتب الكثير من الشعر ، أنظر كتابه هذا (باب الوعظ) وسائر كتبه ...

٤ - وعرف ابن الجوزي بحضور الذهن وسرعة البديهة وحسن التصرف والإجابات اللبقة تجاه الاسئلة المحرجة .

نقل ابن خلكان أن نزاعاً في المفاضلة بين أبي بكر وعلي قد وقع بين أهل السنة والشيعة في عهد ابن الجوزي « فرضي الكل بما يجيب به الشيخ فأقاموا شخصاً يسأله عن ذلك وسط مجلس وعظه فقال :

« أفضلهما من كانت ابنته تحتها »

ونزل في الحال حتى لا يراجع في السؤال ، فقال السنية : أراد أبا بكر لأن ابنته عائشة تحت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الشيعة : أراد علياً لأن ابنة النبي فاطمة كانت تحت علي . وعلق ابن خلكان على ذلك « وهذا من لطائف الأجرية ولو حصل بعد الفكر التام وامعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة » .

٥ - قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية :

« أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد » .

« وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو » .

« وله من المصنفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها منها كتابه في التفسير المشهور «بزاد المسير» وله تفسير أسط منه لكنه ليس بمشهور. وله جامع المسانيد استوعب غالب مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي » .

« وله كتاب « المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم » في عشرين مجلداً .

« وقد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً من حوادثه وتراجمه ، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخاً » .

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التساريخ مكتوباً
٦- قال الحافظ الذهبي :

« ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل » .
وقال ابن تيمية « ذيل الروضتين لابن رجب » .
« عدت له أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك ما لم أراه » .

٧- وكما شارك ابن الجوزي في علوم عصره وبرز بها ، فقد كانت له
المنزلة التي لا تُداني في الوعظ ، فاشتهر بمجالس وعظه التي كان
يحضرها أهل الحكم ويقصدها الناس من كل حدب وصوب يجتمعون
لها بأعداد كبيرة وبزحام قل نظيره^(١) .

وقد كان له اتصال بالخليفة العباسي الرابع والعشرين «المستضيء»
(حكم ٥٦٦ - ٥٧٥) فألف له كتاب «المصباح المضيء في دولة
المستضيء» ، كما أذن له الخليفة أن يجلس للوعظ في باب بدر في
قصره الذي كان يُفتح للعامة ليسمعوا ابن الجوزي .

٨- وقد وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير مجلساً من مجالس وعظه عام
٥٨٠ هـ بعد أن ذكر له مجلساً حضره أولاً :

« ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة الخميس يباب بدر في ساحة قصر
الخليفة^(٢) ومناظره مشرفة عليه ، وهذا الموضع من حرم الخليفة قد
خُصَّ ابن الجوزي بالوصول إليه والتكلم فيه لیسعه من تلك
المناظر الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر من الحرم ، ثم يفتح الباب
للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر ، وجلس ابن
الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس » .

« فبكرنا لمشاهدته وقعدنا إلى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد
المنبر وأزاح طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطر

١ - بعض الروايات تتألف في عدد من كان يحضر مجالسه

٢ - الخليفة وقتها كان الناصر ٥٧٥ - ٦٢٢

قرأ القرآن أمامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، فشوفوا ما شأوا وأطربوا ما أرادوا وبادرت العيون بارسال الدموع .»

« فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع ابن الجوزي بخطبته الزهراء ، وأتى بأوائل الآيات في أثناءها منتظماً ، ومشى في الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها . وكانت الآية (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، ان الله لذو فضل على الناس^(١)) .»

« فتمادى على هذا السين ، وحسن أي تحسين ، فكان يومه هذا أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكن بها «الستر الأشرف والجناب الأرف^(٢)» .»

« ثم سلك سبيله في الوعظ ، كل ذلك بديهة لا روية ويصل كلامه في ذلك بالآيات التي قرأها القراء من قبل في المجلس ، فأرسلت وابلها العيون ، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين وبالتوبة معلنين ، وطاشت الأبواب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت الناس لا تملك تحصيلاً ولا تميز معقولاً ولا تجد للبصر سبيلاً .»

« ثم في أثناء مجلسه كان ينشد اشعاراً في النسيب مبرحة التشويق بديعة الرقيق ، تشعل القلوب وجداً ويعود موضعها الغزلي وجداً^(٣) ، فمن ذلك ما أنشده :

أين فؤادي ؟ أذابه الوجد وأين قلبي ؟ فما صنحا بعد
يا سعد زدني جوى بذكرهم بالله زدني - فديت - يا سعد

١ - غافر ٦١ .
٢ - كثر في العصر العباسي الثاني تدخل نساء الخلفاء في الحكم وخصوصاً الامهات اللواتي كان لهن الأثر الكبير في سير الأحداث في بغداد ، فلا بد إذن والحالة هذه ان تذكر النساء في الخطب وتمدح مع المدوحين .
٣ - تطالع في هذا الكتاب استشهاداته في شعر الغزل والمديح التي يحول معناها إلى حب في الله .

ولم يزل يردد هذه الأبيات والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع
تكاد تمتع خروج الكلام من فيه ، إلى أن خاف الإفحام فابتدر القيام
ونزل عن المنبر عجلًا ، وقد أطار القلوب وجلًا ، وترك الناس
على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب
ومن متعفر بالتراب ، فإيا له من مشهد ما أهول مرآه وما أسعد
من رآه .

« وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطي من امتلاك النفوس
والتلاعب فيها ما أعطى هذا الرجل ، فسبحان من يخص بالكلام من
يشاء من عباده » . ا . هـ .

٩ - قال ابن عباد :

« كان براعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله
قوة وذهنه حدة » .

وقال ابن كثير :

« وكان فيه بهاء وترفع واعجاب بنفسه وسمو بها أكثر من
مقامها وذلك ظاهر في كلامه ونثره ونظمه فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا وأكابد النهج العسير الأطولاً
تجري بي الآمال في حليباته جرى السعيد الى مدى ما أملاً
أفصي من التوفيق فيه إلى الذي أعيا سواي توصلًا وتغلغلاً
لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا!

ولا شك لدينا أن العلوية النفسانية التي تضيفها أجواء مجالس
الوعظ ومن ثم رؤية انبهار وتأثر عوام الناس بالموعظة وخصوصاً
المتعلقة بقضايا الموت والبعث والحساب وما شاكلها ، كل هذا
يولد لدى القائل اعجاباً بنفسه ، وهذا ما يؤثر بالتالي على أسلوب
كتابته وانشائه ووعظه ، فيجعله يحرص على الاستمرار في استعمال
وايراد غريب القول والأثر رغبة في اظهار التفوق العلمي وفي
المحافظة على مستواه المعتاد من التأثير ، كما سيأتي في كلامنا على
الكتاب . ولسنا نريد بهذا ، الغرض من مترلة ابن الجوزي في وعظه

فمثلنا يقصر عن نقد الاعلام الكبار ، ولكن قصدنا التعليق على أسلوب الوعظ سواء ما كان في عصر ابن الجوزي أم في عصرنا الحاضر .

١٠- توفي أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - ليلة الجمعة ١٢ رمضان عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م وعمره نحو التسعين ، ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن الامام أحمد بن حنبل ، وأوصى بأن يكتب على قبره هذه الأبيات :

يا كثير العفو عمن	كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو	الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء	الضيف إحسان إليه

الكتاب

١ - لقد أسمى الامام أبو الفرج كتابه هذا « بالمدهش » ، وله في تسمية مؤلفاته توفيق يعبر عن ألعية وإدراك عميق للأثر الذي تركه كتابته .

وفعلًا فقد أصاب في تسمية كتابه هذا ، فالكتاب مدهش وأنت لا تملك عند قراءته إلا أن تدهش ، لأسباب منها :

- لما تعرف عليه من معلومات يندر أن تعثر عليها بمجموعها في كتب متخصصة .

- سعة علم الامام ابن الجوزي فيما تناوله من مواضيع في كتابه .

٢- الكتاب يحوي أبواباً خمسة . الأربعة الأولى منها تتناول فنوناً هي كعدة الوعظ ، لا غنى للواعظ عنها في كلامه ، ففيها كل غريب من قول وحادثة وما يحتاج المرء في مراجعته إلى وقت طويل وجهد كبير . فتطالع مواضيع اللغة ، علومها ومتشابهاتها ، وعلوم القرآن ودقائقه علم الرجال وتفصيله والتاريخ حوادثه وعجائبه .

وهذا يؤيد قولنا أن الوعظ انما يعتمد بشكل رئيسي على اظهار هذا الطرائف التي تعني لدى الكثيرين التفوق العلمي والذي يترك

لدى نفس السامع تأكيداً على سعة علم المتكلم وإلمامه بالعديد من العلوم .

ويُذكر المؤلف على عمله هذا بالخير فقد وفر على الوعاظ جهوداً عظيمة .

أما الباب الخامس ففيه مائة فصل ، كل فصل فيه ذكر موعظة ، وهي بمجموعها تعتبر ككتاب تعليم الوعظ .

٣- ومواعظه هذه فيها ما يخاطب العقل بالدليل وما يخاطب القلب بالعاطفة وفيها تظهر قدرة « الامام » الوعظية التي سمعنا عنها في الروايات المذكورة آنفاً بتناوله لفنون الوعظ العديدة ، فتتعرف فيها على معاني وأسرار الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مما يغوص في قرارة النفس ، وترى التطبيق العملي لها في قصص الصالحين والزهاد وأخبارهم وأقوالهم .

أما استشهاده بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثال فقد بلغ بها منزلة ، تظهر منها كأنما جعلت ليستشهد بها لمناسبتها للمعاني المرادة في الكلام .

٤- ومما يلفت النظر في مواعظه معرفته العميقة بخواطر النفس ، فهو يقوم بعملية تحليلية للنفس البشرية ، فيستخرج أسرارها ويكشف خباياها ، فتتعرف مثلاً إلى دوافع الغفلة وحب الدنيا والانصراف عن الله ، وإلى الأسلوب المناسب للمعالجة والطريقة المثلى للتخلص من أمراض النفس .

٥- كما ندرك من خلال استشهاده بحياة النبات والحيوان اطلاعه الواسع على خواص النباتات باختلاف أنواعها وأشكالها وأحوال انباتها بالأجواء العادية والصعبة ، وكذلك معرفته بطبائع الحيوان باختلاف فصائله وملاحظاته الدقيقة عليها مما لا يدركه إلا المختص بتلك العلوم .

٦- فمن الواضح إذن ان الكتاب لا يعالج موضوعاً واحداً في علم واحد

بل هو مجموعة مواضع أراد منها الامام ابن الجوزي أيضاً أن يعبر فيها عن عبقريته الفذة في تناوله لعلوم عصره وابرار تفوقه فيها - وعبقريته هذه مما لا شك فيها عند أحد - وهو الذي عرف عنه حبه لتسجيل مكانته العلمية والوعظية وذلك حتى فيما كتبه هو عن نفسه .

٧- ويظهر لنا أن فصول الباب المتعلق بالوعظ هي تسجيل حيّ لمجالس وعظ عامة جلسها ابن الجوزي جمعها بعد في هذا « المدهش » وليست تأليفاً مقصوداً لهذا الكتاب فلغة الخطاب تنبئ أنه كان يتوجه بكلماته إلى من كان يجلس أمامه ، يذكره ويؤنبه ويرغبه ويرهبه . ان مواعظه في هذا الكتاب فيها كثير من جو هذا اللقاء .

٨- وغير هذا ، فان أسلوب المؤلف في الكتاب سهل مرسل حيناً وضعب أحياناً . فترى في عباراته ، سواء القصيرة أو الطويلة ، السجع المتكلف مع الألفاظ الغريبة ، حتى بالنسبة إلى أبناء وقته ، إضافة إلى الحشو المتعمد ، إلا ان هذا لا يمنع كون العبارة متينة الأجزاء رصينة المعاني .

ولا يسعنا إلا أن نسجل ، أنه بالرغم الكثير من الافتعال اللغوي الواضح في العبارات ، إلا أن الحماس الديني وحرارة الوعظ تغلبا على المظهر اللغوي وكان لهما أثرهما الروحي والنفسي الواضح، وهذا لا يستطيعه سوى من كان بمنزلة المدهش « الامام ابن الجوزي » .

د . مروان قباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وب عونك

قال شيخ الأمة وعلم الأئمة ، ناصر السنة ، نجم الاسلام جمال الدين زين الانام ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن حمادي ابن الجوزي رحمه الله تعالى :

الحمد لله الذي لا منتهى لعطاياه ومنحه ، حمداً يقوم بالواجب من شكره ومدحه ، وصلى الله على أشرف نبي وأنصحه ، وعلى أصحابه وأزواجه ما استن^(١) طرف^(٢) في مرجه^(٣) .

أما بعد فاني قمت بحمد الله في علم الوعظ بأصحه وأملحه ، وآثرت أن أنتقي في هذا الكتاب من ما جاء^(٤) ، والله الموفق في كل عمل لأصلحه ، وقد قسمته خمسة أبواب :

- الباب الأول : في ذكر علوم القرآن العزيز .
- الباب الثاني : في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها .
- الباب الثالث : في علوم الحديث .
- الباب الرابع : في عيون التواريخ .
- الباب الخامس : في ذكر الوعظ . وهذا الباب مقسم ، قسم يذكر فيه القصص ، وقسم يذكر فيه المواعظ مطلقاً والله الموفق .

١ - عدا

٢ - بكسر الطاء وسكون الراء : الفرس الكريم الأبوين

٣ - كفتح النشاط

٤ - جمع ملحة كسبعة : الأحاديث الحسنة

الباب الاول - في علوم القرآن

فصل

في ذكر الخطاب بالقرآن

الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً :

- ١ - خطاب عام (خلقكم) .
- ٢ - وخطاب خاص (أكفرتم) .
- ٣ - وخطاب الجنس (يا أيها الناس) .
- ٤ - وخطاب النوع (يا بني آدم) .
- ٥ - وخطاب العين (يا آدم) .
- ٦ - وخطاب المدح (يا أيها الذين آمنوا) .
- ٧ - وخطاب الذم (يا أيها الذين كفروا) .
- ٨ - وخطاب الكرامة (يا أيها النبي) .
- ٩ - وخطاب التودد (يا بن أم ان القوم) .
- ١٠ - وخطاب الجمع بلفظ الواحد (يا أيها الانسان ما غرك) .
- ١١ - وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وان عاقبتهم) .
- ١٢ - وخطاب الواحد بلفظ الاثنين (ألقيا في جهنم) .
- ١٣ - وخطاب الاثنين بلفظ الواحد (فمن ربكُما يا موسى) .
- ١٤ - وخطاب العين والمراد به الغير (فان كنت في شك) .
- ١٥ - وخطاب التلو وهو ثلاثة أوجه : أحدها أن يخاطب ثم يخبر (حتى إذا كنتم في الفلك وجرّين بهم) ^(١) (وما أوتيتهم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) ^(٢) (وكرهه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) ^(٣) .
والثاني : أن يخبر ثم يخاطب (فاما الذين أسودت وجوههم أكفرتم) ^(٤) (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم

(١) سورة يونس ، آية ٢٢ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٦ .
(٣) سورة الحجرات ، آية ٧ .
(٤) سورة الروم ، آية ٣٩ .

جزاء وكان سعيكم مشكوراً) (١) .

والثالث : أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير (إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ليؤمنوا بالله ورسوله) (٢) . وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو فانهما قرءا بالياء .

فصل

في ذكر امثال القرآن

في القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً : (٣)

(في البقرة) كمثل الذي استوقد ناراً * أو كصيب ، أن يضرب مثلاً ما بعوضة * ومثل الذين كفروا * مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله * فمثلته كمثل صفوان * ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله * أيود أحدكم * كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان . (وفي آل عمران) وكنتم على شفا حفرة من النار * مثل ما ينفقون . (وفي الانعام) كالذي استهوته الشياطين . (وفي الاعراف) فمثلته كمثل الكلب . (وفي يونس) انما مثل الحيوة الدنيا . (وفي هود) مثل الفريقين . (وفي الرعد) الا كباسط كفيه إلى الماء * انزل من السماء ماء فمالت أودية بقدرها * مثل الجنة . (وفي ابراهيم) مثل الذين كفروا بربهم * كيف ضرب الله مثلاً ومثل كلمة خبيثة . (وفي النحل) ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً * وضرب الله مثلاً رجلين * وضرب الله مثلاً قرية . (وفي الكهف) واضرب لهم مثلاً رجلين * واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا . (وفي الحج) فكأنما خرّ من السماء * ضرب مثل . (وفي الزور) مثل نوره * أعمامهم كسراب بقيعة . (وفي العنكبوت) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت . (وفي الروم) ضرب لكم مثلاً من أنفسكم . (وفي

(١) سورة الإنسان ، آية ٢١ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ .

(٣) من الكتب الجامعة في هذا الموضوع = الدرر واللال في بدائع الأمثال لمحمد علي الأنسي

فقد جمع فيه أمثال القرآن والسنة والكتب السماوية .

يس) وضرب لنا مثلاً . (وفي الزمر) ضرب الله مثلاً رجلاً ، (وفي سورة محمد - صلى الله عليه وسلم) نظر المغشي عليه من الموت * مثل الجنة . (وفي الفتح) ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل . (وفي الحشر) كمثل الذين من قبلهم * كمثل الشيطان . (وفي الجمعة) مثل الذين حملوا التوراة . (وفي التحريم) ضرب الله مثلاً للذين كفروا * وضرب الله مثلاً للذين آمنوا .

وكم من كلمة تدور على الألسن مثلاً . جاء القرآن بألخص منها وأحسن (فمن ذلك قولهم) القتل أنفى للقتل * مذكور في قوله : ولكم في القصاص حياة (١) .

(وقولهم) ليس المخير كالمعابن * مذكور في قوله تعالى : ولكن ليطمئن قلبي (٢) .

(وقولهم) ما تزرع تحصد مذكور في قوله تعالى : من يعمل سوءاً يُجزيه (٣) .

(وقولهم) للحيطان آذان * مذكور في قوله تعالى : وفيكم سماعون لهم (٤) .

(وقولهم) الحمية رأس الدواء * مذكور في قوله تعالى : وكلوا واشربوا ولا تسرفوا (٥) .

(وقولهم) احذر شر من أحسنت إليه * مذكور في قوله تعالى : وما نَقَمُوا إلا أن أغناهمُ اللهُ ورسولُهُ من فضله (٦) .

(وقولهم) من جهل شيئاً عاداه * مذكور في قوله تعالى : بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هـذا إفكٌ قديمٌ (٧) .

(٥) سورة الأعراف ، آية ٣١ .

(٦) سورة التوبة ، آية ٧٤ .

(٧) سورة الأحقاف ، آية ١١ .

(١) سورة البقرة ، آية ١٧٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٠ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٢٣ .

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٧ .

(وقولهم) خير الأمور أوسطها مذكور في قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط^(١) .

(وقولهم) من اعان ظالماً سلطه الله عليه : مذكور في قوله تعالى : كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَانَّهُ يُضِلُّهُ^(٢) .

(وقولهم) لما انضج رمد^(٣) مذكور في قوله تعالى : واعطى قليلاً وأكدى^(٤) .

(وقولهم) لا تلد الحية الاحية : مذكور في قوله تعالى : ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً^(٥) .

فصول في عيون المتشابه

فصل في الحروف المبدلات

(في البقرة) فسواهن سبع سموات . (وفي حم السجدة) فقضاهن .
(في البقرة) وقلنا يا آدم اسكن . (وفي الاعراف) يا آدم اسكن .
(في البقرة) وظللنا عليكم الغمام . (وفي الاعراف) وظللنا عليهم الغمام .

(في البقرة) فانفجرت منه . (وفي الاعراف) فانبجست .
(في البقرة) بعد الذي جاءك من العلم . (وفي الرعد) بعدما جاءك من العلم .

(في البقرة) للطائفين والعاكفين . (وفي الحجر) والقائمين .
(في البقرة) وما أنزل إلينا . (وفي آل عمران) علينا .
(في البقرة) أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً . (وفي المائدة) لا يعلمون .

(١) سورة الأسراء ، آية ٢٩ . (٤) سورة النجم ، آية ٣٤ .
(٢) سورة الحج ، آية ٤ . (٥) سورة نوح ، آية ٢٧ .
(٣) ذكر ابن الأثير في النهاية : شوي أخوك حتى إذا أنضج رمد ، مثل يضرب لمن يصنع المعروف ثم يفسده .

- (في آل عمران) لكيلا تحزنوا . (وفي الحديد) لكيلا تأسوا .
- (في سورة النساء) وخلق منها زوجها . (وفي الاعراف) وجعل .
- (في سورة النساء) ان تبدوا خيراً . (وفي الاحزاب) شيئاً .
- (في الانعام) من إملاق ، (وفي بني اسرائيل) خشية املاق .
- (في الاعراف) فارسل معي بني اسرائيل ، (وفي طه) معنا .
- (في الاعراف) وارسل في المدائن حاشرين ، (وفي الشعراء) وابعث .
- (في الاعراف) ثم لاصليبنكم ، (وفي طه) ولاصليبنكم .
- (في التوبة) يريدون أن يطفثوا ، (وفي الصف) ليطفثوا .
- (في يونس) فاتبعهم فرعون وجنوده (وفي طه) بجنوده .
- (في هود) وامطرنا عليها ، (وفي الحجر) عليهم .
- (في الحجر) وما يأتيهم من رسول ، (وفي الزخرف) من نبي .
- (في الحجر) كذلك نسلكه ، (وفي الشعراء) سلكناه .
- (في الكهف) ولئن رددت ، (وفي حم السجدة) ولئن رجعت .
- (في الكهف) فاعرض عنها ، (وفي السجدة) ثم اعرض عنها .
- (في طه) وسلك لكم فيها سبلاً ، (وفي الزخرف) وجعل .
- (في الأنبياء) وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين ، (وفي الصافات) فاردوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين .
- (في الأنبياء) وتقطعوا أمرهم بينهم ، (وفي المؤمنون) فتقطعوا .
- (في النمل) ففزع من في السموات ، (وفي الزمر) فصعق .
- (في القصص) وما أوتيتم ، (وفي عسق) فما أوتيتم .
- (في العنكبوت) ولقد تركنا منها آية ، (وفي القمر) وقد تركناها آية .
- (في حم السجدة) ثم كفرتم به (وفي الاحقاف) وكفرتم به .
- (في المدثر) كلا انه تذكرة . (وفي عبس) كلا انها تذكرة .

فصل

في الحروف الزوائد والنواقص

- (في البقرة) فأتوا بسورة من مثله ، (وفي يونس) بسورة مثله .
(في البقرة) الا ابليس ابى واستكبر ، (وفي ص) الا ابليس استكبر
(في البقرة) فمن تبع هداي ، (وفي طه) فمن اتبع .
(في البقرة) واذ نجيناكم ، (وفي الاعراف) واذا أنجيناكم .
(في البقرة) يذبحون أبناءكم ، (وفي ابراهيم) ويذبحون .
(في البقرة) حيث شتم رعداً ، (وفي الاعراف) حيث شتم .
(في البقرة) وسنزيد المحسنين ، (وفي الاعراف) سنزيد .
(في البقرة) فبدل الذين ظلموا قولاً ، (وفي الاعراف) منهم قولاً
(في البقرة) وذى القربى ، (وفي النساء) وبذى القربى .
(في البقرة) وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون ، (وفي
آل عمران) والنبيون .
(في البقرة) ويكون الدين لله ، (وفي الأنفال) كله لله .
(في آل عمران) من آمن تبغونها عوجاً ، (وفي الاعراف) من
آمن به وتبغونها .
(في آل عمران) الا بشرى لكم ولتطمئن ، (وفي الأنفال) الا
بشرى ولتطمئن به .
(في سورة النساء) فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، (وفي بني اسرائيل)
فاحشة وساء سبيلاً .
(في الانعام) ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، (وفي باقي القرآن) ما لم
ينزل به سلطاناً .
(في الانعام) ولا أقول لكم اني ملك ، (وفي هود) ولا أقول
اني ملك .

(في الاحزاب) يريد أن يخرجكم من أرضكم ، (وفي الشعراء)
بسحره :

- (في الاعراف) وانكم لمن المقربين ، (وفي الشعراء) وانكم اذا .
- (في الاعراف) قال القوا ، (وفي طه) قال بل القوا .
- (في الاعراف) قال ابن ام ، (وفي طه) قال يا ابن ام .
- (في التوبة) ولا تضروه ، (وفي هود) ولا تضرونه .
- (في هود) ولما جاءت رسلنا ، (وفي العنكبوت) ولما ان جاءت .
- (في يوسف) ولما بلغ أشده آتيناه حكماً ، (وفي القصص) واستوى
- (في النحل) لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ، (وفي الحج) من بعد علم .
- (في النحل) وبنعمة الله هم يكفرون ، (وفي العنكبوت) وبنعمة
الله يكفرون .
- (في النحل) ولا تك في ضيق مما يمكرون ، (وفي النمل) ولا تكن .
- (في الحج) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ، (وفي
الم سجدة) أن يخرجوا منها اعيدوا فيها .
- (في الحج) وانما يدعون من دونه هو الباطل . وفي (لقمان) من دونه الباطل .
- (في الشعراء) ما تعبدون ، (وفي الصفات) ماذا تعبدون .
- (في النمل) ومن شكر ، (وفي لقمان) ومن يشكر .
- (في القصص) ويقدر ، (وفي العنكبوت) ويقدر له .
- (في النازعات) يوم يتذكر الانسان ، (وفي الفجر) يومئذ يتذكر .

فصل

في المقدم والمؤخر

- (في البقرة) وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، (وفي الاعراف)
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً .
- (في البقرة) والنصارى والصابئين ، (وفي الحج) والصابئين
والنصارى .

(في البقرة والانعام) قل ان هدى الله هو الهدى ، (وفي آل عمران)
قل ان الهدى هدى الله .

(في البقرة) ويكون الرسول عليكم شهيداً ، (وفي الحج) شهيداً
عليكم .

(في البقرة) وما أهلّ به لغير الله ، (وفي باقي القرآن) لغير الله به :

(في البقرة) لا يقدرّون على شيء مما كسبوا ، (وفي ابراهيم) مما
كسبوا على شيء .

(في آل عمران) ولتطمئن قلوبكم به ، (وفي الانفال) به قلوبكم .

(في سورة النساء) كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، (وفي المائدة)
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط .

(في الانعام) لا إله إلا هو خالق كل شيء ، (وفي حم المؤمن)
خالق كل شيء لا إله إلا هو .

(في الانعام) نحن نرزقكم وإياهم ، (وفي بني اسرائيل) نحن
نرزقهم وإياكم .

(في النحل) وترى الفلك مواخر فيه ، (وفي فاطر) فيه مواخر .

(في بني اسرائيل) ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن ، (وفي
الكهف) في هذا القرآن للناس .

(في بني اسرائيل) قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، (وفي
العنكبوت) بيني وبينكم شهيداً .

(في المؤمنون) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، (وفي النمل)
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا .

(في القصص) وجاء رجل من أقصى المدينة ، (وفي يس) وجاء
من أقصى المدينة رجل .

أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر

باب او

تكون بمعنى التخييرة: ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة .

وتكون بمعنى الواو : أو الخوايا أو ما اختلط بعظم ، ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً .

وتكون بمعنى بل : لبث يوماً أو بعض يوم ، الا كالمح البصر أو هو أقرب ، فكان قاب قوسين أو أدنى .
وتكون للابهام : أو كصيب ، أو يزيدون .

باب ادنى

تكون بمعنى اجدر : وادنى ألا ترتابوا ، ذلك أدنى ألا تعولوا ، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة .

وتكون بمعنى أقرب : من العذاب الأدنى ، قاب قوسين أو أدنى .
وتكون بمعنى أقل : ولا أدنى من ذلك ولا أكثر .
وتكون بمعنى ادون : استبدلون الذي هو أدنى .

باب الانزال

تكون بمعنى الحط من علو : ينزل الغيث .
وبمعنى الخلق : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ، وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ، وأنزلنا الحديد .
وتكون بمعنى القول : سأنزل مثل ما أنزل الله .
وبمعنى البسط : ولكن ينزل بقدر ما يشاء .

باب الارض

الأرض تذكر ويراد بها أرض الأردن : ولا تعثوا في الأرض مفسدين .

- ويراد بها القبر : لو تسوى بهم الأرض .
- ويراد بها أرض مكة : كنا مستضعفين في الأرض .
- ويراد بها أرض المدينة : ألم تكن أرض الله واسعة .
- ويراد بها أرض الاسلام : ويسعون في الأرض فساداً .
- ويراد بها أرض التيه : يتيهون في الأرض ،
- ويراد بها الأرضون السبع : وما من دابة في الأرض .
- ويراد بها أرض مصر : اجعلني على خزائن الأرض .
- ويراد بها أرض الحجر : فذروها تأكل في أرض الله .
- ويراد بها القلب : فيمكث في الأرض .
- ويراد بها أرض الغرب : مفسدين في الأرض .
- ويراد بها الجنة : ان الأرض يرثها .
- ويراد بها أرض الروم : في أدنى الأرض .
- ويراد بها أرض بني قريظة : وأورثكم أرضهم .
- ويراد بها أرض فارس : وارضاً لم تطئوها .
- ويراد بها أرض القيامة : وأشرقَت الأرض .

باب الامر

الأمر يذكر ويراد به قتل بني قريظة وجلاء النصير : فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره .

- ويراد به النصر : هل لنا من الأمر من شيء .
- ويراد به استدعاء الفعل : ويأمركم أن تؤدوا الامانات .
- ويراد به الحصب : أو أمر من عنده .
- ويراد به الذنب : لينوق وبال أمره .
- ويراد به المشورة : فماذا تأمرون .
- ويراد به قتل كفار مكة : ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .
- ويراد به فتح مكة : فتربصوا حتى يأتي الله بأمره .
- ويراد به الحذر : قد أخذنا أمراً من قبل .

ويراد به القضاء : يدبر الأمر .
ويراد به القول : فلما جاء أمرنا .
ويراد به الفرق : لا عاصم اليوم من أمر الله .
ويراد به العذاب : وقضي الأمر .
ويراد به الشأن : وما أمر فرعون برشيد .
ويراد به القيامة : اتى أمر الله .

باب الانسان

الانسان يذكر ويراد به ابو حذيفة بن عبدالله : واذا مس الانسان
الضر .

ويراد به عتبة بن ربيعة : ولئن أذقنا الانسان منا رحمة .
ويراد به الضر بن الحارث : ويدعو الانسان بالشر .
ويراد به ابي بن خلف : أولاً يذكر الانسان .
ويراد به آدم : ولقد خلقنا الانسان من سلالة .
ويراد به سعد بن أبي وقاص : ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه
وهناً .

ويراد به عياش بن أبي ربيعة : ووصينا الانسان بوالديه حسناً
وان جاهداك لتشرك .

ويراد به ابو بكر الصديق رضي الله عنه : ووصينا الانسان بوالديه
احساناً حملته أمه كرهاً .

ويراد به عقبه بن ابي معيط : وكان الشيطان للانسان خذولاً .
ويراد به بنو آدم : ولقد خلقنا الانسان ونعلم .
ويراد به برصيصاً^(١) اذ قال للانسان اكفر .
ويراد به الأحنس بن شريق : ان الانسان خلق هلوياً .

(١) برصيصاً عابد كان من بني إسرائيل ثم وسوس . ذكره الزبيدي في تاج المعروس .

- ويراد به عدي بن أبي ربيعة : أيحسب الانسان ان لن نجعم عظامه .
ويراد به أمية بن خلف : فأما الانسان اذا ما ابتلاه .
ويراد به الحارث بن عمرو : لقد خلقنا الانسان في كبد .
ويراد به الأسود بن عبد الاسد^(١) : يا أيها الانسان انك كادح .
ويراد به كلدة بن أسيد : يا أيها الانسان ما غرك .
ويراد به الوليد بن المغيرة : لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم .
ويراد به أبو طالب بن عبد المطلب : فلينظر الانسان مم خلق .
ويراد به عتبة بن أبي لهب : فلينظر الانسان إلى طعامه .
ويراد به قرط بن عبدالله : ان الانسان لربه لكنود .
ويراد به ابو جهل : ان الانسان ليطغى .
ويراد به ابو لهب : ان الانسان لفي خسر .
ويراد به الكافر : وقال الانسان ما لها .

باب الباء

- الباء . وتكون بمعنى : واذا فرقنا بكم البحر .
وبمعنى عند : والمستغفرين بالاسحار .
وبمعنى في : بيدك الخير .
وبمعنى بعد : فأتأبكم غماً بغم .
وبمعنى على : لو تسوي بهم الأرض .
وتكون صلة : فامسحوا بوجوهكم .
وبمعنى المصاحبة : وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به .
وبمعنى إلى : ما سبقكم بها .
وبمعنى السبب : الذي هم به مشركون ، أي من أجله .
وبمعنى عن : فاسأل به خبيراً .
وبمعنى مع : فتولى بركنه ، أي مع جنده .
وبمعنى من : عيناً يشرب بها عباد الله .

(١) الذي ذكره المفسرون أنه أبو الأشد بن كلدة الجمحي وسماه أبو حيان اسيد فلعل
الصحيح الأسود أبو الأشد .

باب الحق

- الحق يأتي بمعنى الحرم : ويقتلون النبيين بغير الحق .
- وبمعنى البيان : الآن جئت بالحق .
- وبمعنى المال : وليملل الذي عليه الحق .
- وبمعنى القرآن : بل كذبوا بالحق .
- وبمعنى الصدق : قوله الحق .
- وبمعنى العدل : وبين قومنا بالحق .
- وبمعنى الاسلام : فيحقق الحق .
- وبمعنى المنجز : وعداً عليه حقاً .
- وبمعنى الحاجة : ما لنا في بناتك من حق .
- وبمعنى لا إله إلا الله : له دعوة الحق .
- ويراد به الله عز وجل : ولو اتبع الحق أهوائهم .
- وبمعنى التوحيد : وأكثرهم للحق كارهون .
- وبمعنى الحظ : والذين في أموالهم حق معلوم .

باب الخير

- الخير يذكر ويراد به . القرآن : أن ينزل عليكم من خير من ربكم
- ويراد به الانفع : نأت بخير منها .
- ويراد به المال : ان ترك خيراً .
- ويراد به ضد للشر : بيدك الخير .
- ويراد به الاصلاح : يدعون إلى الخير
- ويراد به الولد الصالح : ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .
- ويراد به العافية : وان يمسك بخير .
- ويكون بمعنى النافع : لاستكثرت من الخير .
- وبمعنى الايمان : ولو علم الله فيهم خيراً .
- وبمعنى رخص الاسعار : اني أراكم بخير .
- وبمعنى النوافل : وأوحينا إليهم فعل الخيرات .

- وبمعنى الاجر : لكم فيها خير .
- وبمعنى الافضل : وأنت خير الراحمين .
- وبمعنى العفة : ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً .
- وبمعنى الصلاح : ان علمتم فيهم خيراً .
- وبمعنى الطعام : اني لما أنزلت إلى من خير فقير .
- وبمعنى الظفر : لم ينالوا خيراً .
- وبمعنى الخيل : أحببت حب الخير .
- وبمعنى القوة : أهم خير .
- وبمعنى حسن الأدب : لكان خيراً لهم .
- وبمعنى حب الدنيا : انه لحب الخير لشديد .

باب الدين

- الدين : يذكر ويراد به الجزاء : مالك يوم الدين .
- ويراد به الاسلام : بالهدى ودين الحق .
- ويراد به العذاب : ذلك الدين القيم .
- ويراد به الطاعة : ولا يدينون دين الحق .
- ويراد به التوحيد : مخلصين له الدين .
- ويراد به الحكم : ما كان ليأخذ آخاه في دين الملك .
- ويراد به الحد : ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله .
- ويراد به الحساب : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق .
- ويراد به العبادة : قل أتعلمون الله بدينكم .
- ويراد به الملة : ذلك دين القيمة .

باب الذكر

- الذكر : يذكر ويراد به ذكر اللسان : فاذكروا الله كذكركم آباءكم .
- ويراد به الحفظ : فاذكروا ما فيه .
- ويراد به الطاعة : فاذكروني .

- ويراد به الصلوات الخمس : فاذا أمنتم فاذكروا الله .
- ويراد به ذكر القلب : ذكروا الله فاستغفروا .
- ويراد به البيان : او عجبتم ان جاءكم ذكر .
- ويراد به الخير : قل سأتلو عليكم منه ذكراً .
- ويراد به التوحيد : ومن أعرض عن ذكري .
- ويراد به القرآن : ما يأتيهم من ذكر .
- ويراد به الشرف : فيه ذكركم ، وانه لذكر لك .
- ويراد به العيب : أهذا الذي يذكر آهتكم .
- ويراد به صلاة العصر : عن ذكر ربي .
- ويراد به صلاة الجمعة : فاسعوا إلى ذكر الله .

باب الروح

- الروح : يذكر ويراد به الأمر : وروح منه .
- ويراد به جبريل : فارسنا إليها روحنا .
- ويراد به الريح : فنفخنا فيها من روحنا .
- ويراد به روح الحيوان : ويسألونك عن الروح .
- ويراد به الحياة : فروح وريحان : على قراءة من ضم .

باب الصلوة

- الصلوة : تذكر ويراد بها الصلوات الخمس : يقيمون الصلوة .
- ويراد بها صلاة العصر : تحبسونهما من بعد الصلوة .
- ويراد بها صلاة الجنابة : ولا تصل على أحد منهم .
- ويراد بها الدعاء : وصل عليهم .
- ويراد بها الدين : اصلوتك تأمرك .
- ويراد بها القراءة : ولا تجهر بصلاتك .
- ويراد بها موضع الصلوة : وصلوات ومساجد .
- ويراد بها المغفرة والاستغفار : ان الله وملائكته يصلون على النبي
- فصلاة الله تعالى المغفرة . وصلوة الملائكة الاستغفار .

ويراد بها الجمعة : اذا نودي للصلوة .

باب عن

ترد صلة : يسألونك عن الأنفال .

وتكون بمعنى الباء : بتاركي آهتنا عن قولك .

وبمعنى من : يقبل التوبة عن عباده .

وبمعنى على : فأنما يبخل عن نفسه .

وبمعنى بعد : لتركب طبقاً عن طبق .

باب الفتنة

تذكر : ويراد بها الشرك : حتى لا تكون فتنة .

ويراد بها القتل : أن يفتنكم الذين كفروا .

ويراد بها المعذرة : ثم لم تكن فتنتهم .

ويراد بها الضلال : ومن يرد الله فتنته .

ويراد بها القضاء : ان هي الا فتنتك .

ويراد بها الأثم : الا في الفتنة سقطوا .

ويراد بها المرض : يفتنون في كل عام .

ويراد بها العبرة : تجعلنا فتنة .

ويراد بها العقوبة : ان تصيبهم فتنة .

ويراد بها الاختيار : ولقد فتنا الذين من قبلهم .

ويراد بها العذاب : جعل فتنة الناس .

ويراد بها الاحراق : يوم هم على النار يفتنون .

ويراد بها الجنون : بآيكم المفتون .

باب في

تكون بمعنى الظرف : لا ريب فيه .

وبمعنى نحو : قد نرى تقلب وجهك في السماء .

وبمعنى الباء : في ظلل .

- ويعنى إلى : فتنهاجروا فيها .
- ويعنى مع : ادخلوا في أمم .
- ويعنى عند : وأنا لترك فينا ضعيفاً .
- ويعنى عن : أتجادلونني في أسماء .
- ويعنى على : في جذوع النخل .
- ويعنى اللام : وجاهدوا في الله .
- ويعنى من : يخرج الحباء في السموات .

باب القرية

- تذكر ، ويراد بها اريحاء : ادخلوا هذه القرية .
- ويراد بها دير هرقل : مر على قرية .
- ويراد بها ايليا : واسألهم عن القرية .
- ويراد بها مصر : واسأل القرية .
- ويراد بها مكة : قرية كانت آمنة .
- ويراد بها مكة والطائف : على رجل من القريتين عظيم .
- ويراد بها جمع القرى : وان من قرية الا نحن مهلكوها .
- ويراد بها قرية لوط : ولقد أتوا على القرية .
- ويراد بها انطاكية : واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية .

باب كان

- ترد بمعنى وجد : ومن كان ذو عسرة .
- ويعنى الماضي : كان حلا .
- ويعنى ينبغي : ما كان لبشر .
- وصلة : وكان الله غفوراً رحيماً .
- ويعنى هو : من كان في المهد صبياً .
- ويعنى صار : فكانت هباء منبثاً .

باب كلا

هي في القرآن على وجهين :

أحدهما : بمعنى لا ومنه (في مريم) اتخذ عند الرحمن عهداً كلا ليكونوا لهم عزاً كلا . (وفي المؤمنين) ، لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلا ، (وفي الشعراء) فأخاف أن يقتلون كلا ، انا لمدركون قال كلا . (وفي سبا) الحقم به شركاء كلا . وفي (سأل سائل) ثم ننجيه كلا أن يدخل جنة نعيم كلا . (وفي المدثر) ان اريد كلا * أن يؤتى صحفاً منشرة كلا . (وفي القيامة) ابن المفر كلا . (وفي المطففين) قال أساطير الاولين كلا . (وفي الفجر) فيقول ربي أهانني كلا . (وفي الهزرة) أدخله كلا .

فهذه أربعة عشر موضعاً يحسن الوقوف عليها .

والثاني : بمعنى حقاً ومنه . (في المدثر) كلا والقمر * كلا انه تذكرة (وفي القيامة) كلا بل تحبون العاجلة * كلا اذا بلغت التراقي ، (وفي النبأ) كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ، (وفي عبس) كلا انها تذكرة كلا لما يقض ما أمره ، (وفي الانفطار) كلا بل تكذبون بالدين ، (وفي المطففين) كلا ان كتاب الفجار * كلا أنهم عن ربهم . كلا ان كتاب الابرار ، (وفي الفجر) كلا اذا دكت الأرض دكاً . (وفي القلم) كلا ان الانسان ليطغى * كلا لئن لم ينته . كلا لا تطعه ، (وفي التكاثر) كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون .

فهذه تسعة عشر موضعاً لا يحسن الوقف عليها . وجملة ما في القرآن ثلاثة وثلاثون موضعاً هي هذه : وليس في النصف الأول منها شيء وقال ثعلب : لا يوقف على كلا في جمع القرآن .

باب اللام

اللام في القرآن على ضربين مكسورة ومفتوحة .
(فالمفتوحة) ترد بمعنى التوكيد : ان ابراهيم الحليم .
وبمعنى القسم : ليقولن ما يحبس .

- وزائدة : ردف لكم .
 (والمكسورة) ترد بمعنى الملك : لله ما في السموات .
 وبمعنى ان : ليطلعكم على الغيب .
 وبمعنى الى : هداانا لهذا .
 وبمعنى كي : ليجزي الذين آمنوا .
 وبمعنى على : دعانا لجنبه .
 وعلة : ان كنتم للرؤيا تعبرون .
 وبمعنى عند : وخشعت الأصوات للرحمن .
 وبمعنى الأمر : ليستأذنكم .
 وبمعنى العاقبة : ليكون لهم عدواً .
 وبمعنى في : لأول الحشر .
 وبمعنى السبب والعلة : انما نطعمكم لوجه الله .

باب لولا

وهي في القرآن على وجهين :

احدهما : امتناع الشيء لوجود غيره . وهو ثلاثون موضعاً : (في البقرة) فلولا فضل الله عليكم ورحمته * ولولا دفع الله الناس ، (وفي سورة النساء) ولولا فضل الله عليكم * ولولا فضل الله عليك ، (وفي الأنفال) لولا كتاب من الله سبق : (وفي يونس ، وهود ، وطه ، وحم السجدة ، وعسق) ولولا كلمة سبقت ، (وفي يوسف) ولولا دفع الله ، (وفي النور) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم * ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى ، (وفي الفرقان) لولا ان صبرنا عليها * لولا دعاؤكم ، (وفي القصص) لولا ان ربطنا * ولولا أن تصيبهم مصيبة * لولا ان من الله علينا ، (وفي العنكبوت) ولولا أجل مسمى ، (وفي سبأ) لولا أنتم ، (وفي الصافات) ولولا نعمة ربي * فلولا أنه كان من المستبحين ، (وفي عسق) ولولا كلمة الفصل ، (وفي الزخرف) ولولا أن يكون للناس ، (وفي الفتح) ولولا رجال مؤمنون

(وفي الحشر) ولولا أن كتب عليهم الجلاء ، (وفي ن) لولا أن تداركه .
والوجه الثاني : بمعنى هلا ، وهو أربعون موضعاً : (في البقرة)
لولا أن يكلمنا الله ، (وفي النساء) لولا آخرتنا ، (وفي المائدة) لولا
ينهاهم الربانيون ، (وفي الانعام) لولا أنزل عليه ملك * لولا أنزل عليه
آية * فلولا جاءهم بأسنا ، (وفي الاعراف) لولا أجتبيتها ، (وفي
يونس) ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه * فلولا كانت قرية آمنت ،
(وفي هود) لولا أنزل عليه كثر * فلولا كان من القرون ، (وفي الرعد)
لولا أنزل عليه آية من ربه ، (وفي الكهف) لولا يأتون عليهم ، ولولا
أرسلت إلينا رسولاً ، (وفي النور) لولا اذ سمعتموه قلم ، (وفي
القرقان) لولا أنزل عليه ملك * لولا أنزل علينا الملائكة * لولا أنزل
عليه القرآن جملة ، (وفي النمل) لولا تستغفرون الله ، (وفي القصص)
لولا أرسلت * لولا أوتي ، (وفي العنكبوت) لولا أنزل عليه آيات من
ربه (وفي سجدة المؤمن) لولا فصلت آياته ، (وفي الزخرف) لولا
نزل هذا القرآن * فلولا القي عليه أساوره ، (وفي الأحقاف) فلو
نصرهم الذين أخذوا ، (وفي سورة محمد) لولا نزلت سورة ، (وفي
الواقعة) فلولا تصدقون، فلولا تذكرون، فلولا تشكرون، فلولا اذا بلغت
الحلقوم، فلولا ان كنتم، (وفي المجادلة) لولا يعذبنا الله ، (وفي المنافقين)
لولا آخرتني ، (وفي ن) لولا تسبحون .

باب من

- تكون صلاة : من قبل أن تمسوهن .
- وبمعنى التبويض : من طيبات ما كسبتم .
- وبمعنى عن : فتحسسوا من يوسف .
- وبمعنى الباء : يحفظونه من أمر الله .
- ولبيان الجنس : من أساور .
- وبمعنى على : ونصرناه من القوم .
- وبمعنى في : ماذا خلقوا من الأرض .

باب الواو

قال ابن فارس : لا تكون الواو زائدة أولاً ، وقد تزداد ثانية ، نحو : كوثر . وثالثة ، نحو جدول . ورابعة : نحو قرنوة^(١) . وهو نبت يدبغ به الأديم . وخامسة : نحو قمحودة^(٢) .

والواو في القرآن ، تكون بمعنى اذ : وطائفة قد أهتمهم أنفسهم . وبمعنى الجمع : وأيديكم . وبمعنى القسم : والله ربنا . وتكون مضمرة : لتحملهم قلت : المعنى أتوك وقلت ، وصلة « إلا ولها كتاب معلوم » . وبمعنى العطف . أو أباؤنا .

باب الهدى

يكون بمعنى الثبات : اهدنا الصراط المستقيم .
وبمعنى البيان : على هدى من ربهم .
وبمعنى الرسول : فاما يأتينكم مني هدى .
وبمعنى السنة : فبهدهم اقتده .
وبمعنى الاصلاح : لا يهدي كيد الخائنين .
وبمعنى الدعاء : ولكل قوم هاد .
وبمعنى القرآن : اذ جاءهم الهدى .
وبمعنى الايمان : وزدناهم هدى .
وبمعنى الالهام : ثم هدى .
وبمعنى التوحيد : أن نتبع الهدى .
وبمعنى التوراة : ولقد آتينا موسى الهدى .

(١) القرنوة . بالقاف والراء المهملة والنون كثر قوة .
(٢) القمحودة . بفتح القاف والميم المفتوحة والهاء المهملة والذال المهملة المضمومة والواو المفتوحة والفاء . أعلى القذال خلف الأذنين .

الباب الثاني

فصل

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها

لما كانت اللغة تنقسم قسمين :

أحدهما : الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره .
والثاني : المشتمل على الكنايات والاشارات والتجوزات . وكان هذا
القسم هو المستحلى عند العرب .

نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله ، فكأنه
قال : عارضوه بأي القسمين شتم ، ولو نزل كله واضحاً لقالوا : هلا
نزل بالقسم المستحلى عندنا ، ومتى وقع في الكلام اشارة أو كناية أو
استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن .

قال امرؤ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل
فشبه المنظر بالسهم فحلى هذا عند السامع .

وقال أيضاً :

فقلت له لما تخطى يجوزه وأردف اعجازاً وناء بكلكل
فجعل الليل صلباً وصدرأ على جهة التشبيه ، وقال الآخر :
من كبيت أجادها طابحها لم تمت كل موتها في القدور
أراد بالطابحين الليل والنهار .

فتزل القرآن على عادة العرب في كلامهم .

(فمن عادتهم التجوز) وفي القرآن : فما ربحت تجارتهم ، يريد ان

ينقض .

(ومن عادتهم الكناية) ولكن لا تواعدوهن سراً ، أو جاء أحد

منكم من الغائط .

وقد يكونون عن شيء ولم يجر له ذكر : حتى توارت بالحجاب .
وقد يصلون الكناية بالشيء وهي لغيره . ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .
(ومن عاداتهم الاستعارة) في كل واد يهيومن ، فما بكت عليهم
السماء والأرض .

(ومن عاداتهم الحذف) الحج أشهر معلومات: واضرب بعصاك
البحر فانفلق ، واسأل القرية .

(ومن عاداتهم زيادة الكلمة) فاضربوا فوق الأعناق ، (ويزيدون
الحرف) تبت بالدهن ، (ويقدمون ويؤخرون) ولم يجعل له عوجاً
قيماً ، (ويذكرون عاماً ويريدون به الخاص) الذين قال لهم الناس ،
يريد نعيم بن مسعود ، (وخاصاً يريدون به العام) يا أيها النبي اتق الله
(وواحداً يريدون به الجمع) هؤلاء ضيفي ، ثم يخرجكم طفلاً (وجمعاً
يريدون به الواحد) أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة ، (وينسبون
الفعل إلى اثنين وهو لاحدهما) نسيا حوتهما * يخرج منهما اللؤلؤ ،
(وينسبون الفعل إلى أحد اثنين وهو لهما) والله ورسوله أحق أن يرضوه *
انفضوا إليها ، (وينسبون الفعل إلى جماعة وهو لواحد) واذ قتلتم
نفساً ، (ويأتون بالفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل) أتى أمر الله ،
(ويأتون بلفظ المستقبل وهو ماض) فلم تقتلون أنبياء الله ، (ويأتون
بلفظ فاعل في معنى مفعول) لا عاصم اليوم * من ماء دافق * في عيشة
راضية ، (ويأتون بلفظ مفعول بمعنى فاعل) وكان وعده مأثياً * حججاً
مستوراً، يا موسى مسحوراً ، (ويضمرون الأشياء) وما منا الاله مقام
معلوم * أي من له ، (ويضمرون الأفعال) فقلنا اضربوه ببعضها أي
فضربوه ، (ويضمرون الحروف) سنعيدها سيرتها .

ومن عاداتهم : تكرير الكلام ، (وفي القرآن) فبأي آلاء ربكما
تكذبان * وقد يريدون تكرير الكلمة ، ويكرهون إعادة اللفظ . فيغيرون
بعض الحروف * وذلك يسمى الاتباع ، فيقولون ، اسوان اتوان :
أي حزين ، وشيء تافه نافه ، وانه لثقف لقف ، وجايع نايع ،

وجل^(١) وبل ، وحياءك الله^(٢) وبياك ، وحقير فقير ، وعين جدرة بكرة^(٣) : أي عظيمة ، ونضر مضر ، وسمح لمج ، وسبخ لبغ ، وشكس لكس ، وشيطان ليطان ، وترقوا شذر مذر ، وشغر بفر ، ويوم عك لك ، اذا كان حاراً ، وعطشان نطشان^(٤) ، وعفريت نفريت ، وكثير بشير ، وكزبز وكن ان ، وحر جار يار ، وقبيح لقبح شقيح ، وثقة نقه ، وهو أشق أمق حبقي : للطويل ، وحسن بسن قسن ، وفعلت ذلك على رغبته ودغمه وشغمه ، ومررت بهم أجمعين اكتبين أبصعين .

فصل

وقد تأتي بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها ، (في القرآن) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ، هذا قول الملا . فقال فرعون : فماذا تأمرون^(٥) ، (ومثله) أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . فقال يوسف : ذلك ليعلمَ أني لم أخنه بالغيب^(٦) . (ومثله) إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . انتهى قول بلقيس ، فقال الله عز وجل : وكذلك يفعلون^(٧) ، (ومثله) من بعثنا من مرقدنا . انتهى قول الكفار . فقالت الملائكة : هذا ما وعَاَ الرحمن وصدق المرسلون^(٨) :

فصل

وقد تجمع العرب شيئين في كلام فيرد كل واحد منهما إلى ما يليق به . (وفي القرآن) حتى يقول الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب^(٩) . والمعنى يقول المؤمنون متى نصر الله ، فيقول الرسول : إلا ان نصر الله قريب ، (ومثله) ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله^(١٠) . فالسكون بالليل ،

-
- (١) بتشديد الكلمتين
 (٢) بتشديد الكلمتين أيضاً .
 (٣) بآباء الموحدة .
 (٤) بالنون والطاء .
 (٥) سورة الأعراف ، آية ١١٠ .
 (٦) سورة يوسف ، آية ٥١ .
 (٧) سورة النمل ، آية ٣٤ .
 (٨) سورة يس ، آية ٥٢ .
 (٩) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .
 (١٠) سورة القصص ، آية ٧٣ .

وابتغاء الفضل بالنهار ، (ومثله) « وتعزُّرُوهُ وتوقِّرُوهُ وتسبِّحُوهُ (١) » ،
فالتعزير والتوقير للرسول والتسبيح لله عز وجل .

فصل

وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان . فيبينونه متصلاً بالكلام تارة .
ومنفصلاً أخرى . وجاء القرآن على ذلك .

(فمن المتصل بيانه) يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات .
وأما المنفصل : فتارة يكون في السورة (كقوله في براءة) قد نبأنا
الله من أخباركم ، بيانه فيها عند قوله : لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا
خُبْالاً .

وتارة يكون في غير السورة (كقوله في البقرة) وأوفُوا بعهدي
أوفٍ بعهدكم ، بيانه في المائة : لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأُكفّرَنَّ عنكم
سيئاتكم ، (وفي سورة النساء) يخادعون الله وهو خادعُهُمْ . بيانه في
الحديد ، قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً ، (وفي الاعراف) وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين ، بيانه في تبارك قد جاءنا نذير فكذبنا ،
(وفي الاعراف) أولئك ينالهم نصيبُهُم من الكتاب ، بيان النصيب في
الزمر ، ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُم مُسْوَدَّةٌ ،
(وفي الاعراف) وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا .
بيانها في القصص . ونريد أن نمّن ، (وفي براءة) الا عن موعدة وعدّها
اياها : بيانها في مريم . سأستغفر لك ربي ، (وفي يونس) وتذكيري بآيات
الله ، بيانها في نوح : ألم تروا كيف خلقَ اللهُ سبعَ سموات طيباقاً ،
(وفي يونس) لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، بيانه في حم
السجدة : تنزّل عليهم الملائكةُ ألا تخافُوا ولا تحزنُوا ، (وفي
ابراهيم) أولم تكونوا اقستم من قبل ما لكم من زوال ، بيانه في

(١) سورة الفتح ، آية ٩ .

النحل : واقسموا بالله جهدَ ايْمَانِهِمْ لا يبعثُ اللهُ من يموتُ بلي ، (وفي ابراهيم) وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، بيانه في العنكبوت : فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذتَهُ الصيحة ، (وفي النحل) وعلى الذين هادُوا حَرَمْنَا ما قصصنا عليك من قبل ، بيانه في الانعام : حرمانا كلَّ ذي ظفر ، (وفي بني اسرائيل) ويدعو الانسانُ بالشر ، بيانه في الأنفال : فَأَمْطَرْنَا عَلَيْنا حِجَارَةً من السماء ، (وفي بني اسرائيل) لِأَحْتَسِبُكَ لِنَا ذُرِّيَّتَهُ الا قَلِيلاً . بيانه في الحجر : إلا عبادك منهم الْمُخَلَّصِينَ ، (وفي مريم) ألم ترأنا أرسلنا الشياطينَ على الكافرين . بيانه في بني اسرائيل : واستفزز من استطعتَ منهم ، (وفي طه) فقولا لَهُ قولا لينا ، بيانه في النازعات : هل لَكَ أَنْ تَزَكِّيَ . (وفي طه) ولم تَرْقُبْ قولي ، بيانه في الاعراف . أَخْلَفْنِي في قومي . (وفي النمل) فاذا هم فريقان يختصمون ، بيان خصومتهم في الاعراف : ان صالحاً مرسلٌ من ربه . (وفي الأحزاب) هذا ما وعدنا اللهُ ورسولُهُ ، بيان الوعد في آل عمران : أم حسبتم أن تدخلوا الجنةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهدوا منكم . (وفي الصافات) ولقد نادانا نوحٌ ، بيانه في القمر : اني مغلوب فانتصر . (وفي الصافات) فحق علينا قولُ ربنا ، بيانه في ص : لاملئن جهنم . (وفي الصافات) ولقد سبقتُ كلمتُنَا ، بيانه في المجادلة : لاغلبن أنا ورسلي . (وفي المؤمن) أمتننا اثنتين واحييتنا اثنتين ، بيانه في البقرة : وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، (وفي المؤمن) يوم التنادي ، بيانه في الاعراف : ونادى أصحابُ الجنة ، ونادى أصحابُ النار . (وفي المجادلة) فَيَحْلِفُونَ له كما يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، بيانه في الانعام : والله ربنا ما كنا مشركين ، (وفي ن) اذ نادى وهو مكظوم ، بيانه في الأنبياء : ان لا إله إلا أنت .

فصل

وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له ، وقد تذكره بعيداً عنه وعلى هذا ورد القرآن .

فأما المقارن من الجواب) فقله : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ ، يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْعَقْوُ .

(وأما البعيد) فتارة يكون في السورة . كقوله في (الفرقان) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، جوابه فيها : وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . وتارة يكون في غير السورة ، كقوله تعالى (في الانفال) لو نشاء لقلنا مثل هذا ، جوابه في بني اسرائيل : قل لان اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله . (في الرعد) ويقول : الذين كفروا لست مرسلان ، جوابه في يس : إنك لمن المرسلين . (في الحجر) انك لمجنون ، جوابه في ن : ما أنت بنعمة ربك بمجنون . (في بني اسرائيل) أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، جوابه في سبأ : ان نشاء نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء . (في الفرقان) قالوا وما الرحمن ، جوابه : الرحمن علم القرآن . (في ص) واصبروا على آهتكم ، جوابه في حم السجدة : فان يصبروا فالنار مثوى لهم . (في المؤمن) وما أهدىكم الا سبيل الرشاد ، جوابه في هود : وما أمر فرعون برشيد . (في الزخرف) لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، جوابه في القصص : وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . (في الدخان) ربنا اكشف عنا العذاب ، جوابه في المؤمنين : ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر . (في القمر) أم يقولون نحن جميع منتصر ، جوابه في الصافات : ما لكم لا تناصرون . (في الطور) أم يقولون تقوله ، جوابه في الحاقة : ولو تقول علينا بعض الاقاويل .

فصل

واعلم أن لغة العرب واسعة ولهم التصرف الكثير فتراهم يتصرفون في اللفظة الواحدة بالحركات ، فيجعلون لكل حركة معنى كالحمل^(١)

(١) بكسر الحاء في الأول وفتحها في الثاني .

والحمل والروح^(١) والروح .

وتارة بأعحام . كالنضح^(٢) والنضح ، والقبضة^(٣) والقبضة ،
والمضمضة^(٤) والمضمضة .

وتارة يقبلون حرفاً من كلمة ولا يتغير عندهم معناها ، كقولهم :
صاعقة وصاقعة ، وجذب وجذب ، وما أطيبه وأطيبه ، وربض وربض ،
وانبض في القوس وانضب ، ولعمري ورعلمي ، واضمحل وامضحل ،
وعميق وعميق ، وسبب وبسبس ، ولبكت الشيء وبلكته ، واسير
مكلب ومكبل ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، وناقة ضممرز وضرزم ،
إذا كانت مسنة ، وطريق طامس وطاسم ، قفا الاثر وقاف الاثر ، وقاع
البعير الناقة وقعاها : وقوس عطل وعلط ، لا وتر عليها ، وحارية
قتين وقتيت : قليلة الدر ، وشرخ الشباب وشخره : أوله ولحم خنز
وخزن ، وعاث يعيث وعثى يعثى : إذا أفسد ، وتتح عن لقم الطريق
ولقى الطريق ، وبطيخ وطبيخ . وماء سلسال ولسلاس ، ومسلسل وملساس إذا
كان صافياً ، ودقسم فاه بالحجر دمه : إذا ضربه ، وفنأت القدر
وثفأتها : إذا سكنت غليانها ، وكبكت الشيء وبكبكته ، إذا طرحت
بعضه على بعض .

فصل

ومن سعة اللغة وحسن تصرفها ، ان العرب تضع للشيء الواحد
اسماءً من غير تغير يعتريه .

(فيقولون) السيف والمهند والصارم .

ويغيرون الاسم بتغير يعترى (فيقولون) لمن نزل بالركبي يملأ الدلو
مايح ، وللمستقي من أعلاها ماتح ، فالتاء المعجمة من فوق لمن فوق ،
والياء المعجمة من تحت لمن تحت .

(١) يضم الراء في الأول وفتحها في الثاني .

(٢) النضح بالحاء المهملة أقل من النضح بالحاء المعجمة .

(٣) القبضة بالصاد المعجمة في الكف وبالصاد المهملة في الأصابع .

(٤) المضمضة بالمجيمين ماأ الفم وبالمهلتين بطرف الشفاه .

وتضع العرب للشيء الواحد أسماء تختلف باختلاف محاله (فيقولون) لمن انحسر الشعر من جانبي جبهته انزع ، فاذا زاد قليلاً قالوا : اجلح ، فاذا بلغ الانحسار نصف رأسه قالوا : اجلى واجله ، فاذا زاد قالوا : أصلح ، فاذا ذهب الشعر كله قالوا : احص ، والصلح عندهم ذهاب الشعر ، والقرع ذهاب البشرة . (ويقولون) شفة الانسان ، ويسمونها من ذوات الخلف : المشفر ، ومن ذوات الظلف : المقمة ، ومن ذوات الحافر : الحجفلة ، ومن السباع : الخطم ، ومن ذوات الجناح غير الصايد : المنقار ، ومن الصايد : المنسر ، ومن الخنزير : الفنطسة .

(ويقولون) صدر الانسان ، ويسمونه من البعير الكركرة ، ومن الأسد الزور ، ومن الشاة القص ، ومن الطائر : الجؤجؤ ، ومن الجراد : الجوشن .

(والثدي للمرأة) وللرجل : ثندوة ، وهو من ذوات الخلف : الخلف ، ومن ذوات الظلف : الضرع ، ومن ذوات الحافر والسباع : الطبي .

(والظفر للانسان) وهو من ذوات الخلف : المنسم ، ومن ذوات الظلف : الظلف ، ومن ذوات الحافر : الحافر ، ومن السباع والصابد من الطير : المخلب ، ومن الطير غير الصائد والكلاب ونحوها : البرثن ، ويجوز البرثن في السباع كلها .

(والمعدة) للانسان بمنزلة الكرش للانعام . والحوصلة للطائر .

فصل

وتفرق العرب في الشهوات .

(فيقولون) جائع في الخبز ، قرم إلى اللحم ، عطشان إلى الماء ، عيماذ إلى اللبن ، قرد إلى التمر ، جمع إلى الفاكهة ، شبق إلى النكاح .

(ويقولون) البيض للطائر ، والمكن للضباب ، والمازن للنمل ، والسرو للجراد ، والصواب للقمل .

(ويفرقون في المنازل) فان كان من مدر . قالوا : بيت : وان كان من وبر ، قالوا : بجاد ، وان كان من صوف : قالوا : خباء ، وان كان من الشعر ، قالوا : فسطاط ، وان كان من غزل : قالوا : خيمة ، وان كان من جلود ، قالوا : قشع .

(ويفرقون في الأوطان) فيقولون : وطن الانسان ، وعطن البعير ، وعرين الأسد ، ووجار الذئب والضبع ، وكناس الظبي ، وعش الطائر ، وقرية النمل ، وكور الزناير ، وناقء اليربوع .

(ويقولون) لما يضعه الطائر على الشجر : وكر ، فان كان على جبل أو جدار فهو : وكن ، وإذا كان في كن فهو : عش ، وإذا كان على وجه الأرض فهو : افحوص : والادحى للنعام خاصة .

(ويقولون) عدا الانسان ، واحضر الفرس ، وارقل البعير ، وعسل الذئب ، ومزع الظبي وزف النعام .

(ويقولون) طفر الانسان ، وضبر الفرس : ووثب البعير ، وقفز العصفور ، وطمر البرغوث .

(ويفرقون في أسماء الأولاد- فيقولون) لولد كل سبع : جرو : ولولد اكل ذي ريش : فرخ ، ولولد كل وحشية : طفل ، ولولد الفرس : مهر وقلو ، ولولد الحمار : جحش وعفو ، ولولد البقرة : عجل ، ولولد الأسد : شبل ، ولولد الظبية : خشف ، ولولد الفيل : دغفل . ولولد الناقة : حوار ، ولولد الثعلب : هجرس ، ولولد الضب : حسل ، ولولد الأرنب : خرنق ، ولولد النعام : رأل ، ولولد الدب : ديسم ، ولولد الخنزير .^(١) ولولد اليربوع والفأرة : درص ، ولولد الحية : حريش .

(ويفرقون في الضرب - فيقولون) : للضرب بالراح على مقدم الرأس : صقع ، وعلى القفا : صفع ، وعلى الوجه : صلح ، وعلى الخد

(١) جمعه خنايص .

ببسط الكف : لطم ، وبقبضها : لكم ، وبكلمتا اليدين : لدم ، وعلى
الذقن والحنك : وهز ، وعلى الجنب : وخز ، وعلى الصدر والبطن
بالكف : وكز ، وبالركبة : زين ، وبالرجل : ركل ، وكل ضارب
بموخره من الحشرات كلها كالعقارب : تلسع ، وكل ضارب منها
بفيه : يلدغ .

(ويفرقون) في الكشف عن الشيء من البدن ، فيقولون : حسر عن
رأسه ، وسفر عن وجهه ، واقتر عن نابه ، وكشر عن أسنانه : وابدى
عن ذراعيه ، وكشف عن ساقيه ، وهتك عن عورته .

(ويفرقون في الجماعات) فيقولون : موكب من الفرسان ، وكبكية
من الرجال ، وجوقة من الغلمان ، ولمة من النساء ، ورعيل من الخيل ،
وصرمة من الابل ، وقطيع من الغنم ، وسرب من الطباء ، وعرجلة من
السباع وعصابة من الطير ورجل من الجراد ، وخشرم من النحل .
(ويفرقون في الامتلاء) فيقولون : بجر طام ، ونهر طافح ، وعين
ثرة ، واناة مفعم ، ومجلس غاص بأهله .

(ويفرقون في اسم الشيء اللين) فيقولون : ثوب لين ، ورمح
لدن ، ولحم رخص ، وريح رخاء ، وفراش وثير ، وأرض دمتة .

(ويفرقون في تغير الطعام وغيره) فيقولون : اروح اللحم ، واسن
الماء ، وخنز الطعام ، وسنخ السمن ، وزنخ الدهن ، وقنم الجوز ،
ودخن الشراب ، وصدى الحديد ، ونغل الأديم .

(ويقولون) يدي من اللحم غمرة ، ومن الشحم زهمة : ومن البيض
زهكة ، ومن الحديد سهكة ، ومن السمك صمرة ، ومن اللبن والزبد
شثرة ، ومن الثريد مرة ، ومن الزيت قنمه : ومن الدهن زنخة ، ومن
الحل خمطة ، ومن العمل لزقة ، ومن الفاكهة لزجة ، ومن الزعفران
ردغة ، ومن الطين ودغة ، ومن العجين ودخة ، ومن الطيب عبقة ،
ومن الدم ضرجة وسطلة وسلطة ، ومن الوحل لثقة . ومن الماء
بللة ، ومن الحمأة تثطة ، ومن البرد صردة ، ومن الاشنان قضضة .
ومن المداد وجدة ، ومن البزر والنفط نمشة ونثمة . ومن البول قتمة ،
ومن العذرة طفسة ، ومن الوسخ درنة ، ومن العمل مجلة .

(ويفرقون في الوسخ) فاذا كان في العين قالوا : رمص ، فاذا جف قالوا : غمص ، فاذا كان في الاسنان قالوا : حفر ، فاذا كان في الأذن فهو : اف ، وإذا كان في الأظفار فهو : تف ، وإذا كان في الرأس قالوا : حزاز ، وهو في باقي البدن : درن .

(ويقولون في الرياح) فاذا وقعت الريح بين ريحين فهي : نكباء . فاذا وقعت بين الجنوب والصبأ فهي : الجرياء ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهي : المتناوحة ، فاذا جاءت بنفس ضعيف فهي : النسيم ، فاذا كانت شديدة فهي : العاصف ، فاذا قويت حتى قلعت الخيام فهي : الهجوم ، فاذا حركت الأشجار تحريكاً شديداً وقلعتها فهي : الزرع ، فاذا جاءت بالحصباء فهي : الحاصب ، فاذا هبت من الأرض كالعمود نحو السماء فهي : الاعصار ، فاذا جاءت بالغبرة فهي : الهبوة ، فاذا كانت باردة فهي : الحرجف والصرصر : فاذا كان مع بردها ندى فهي : البليل ، فاذا كانت حارة فهي : السموم ، فاذا لم تلقح ولم تحمل مطراً فهي : العقيم .

(ويفرقون في المطر) فأوله رش ، ثم طش ، ثم ظل ، ورذاذ ، ثم نضخ ، ثم هضل ، وتهتان ، ثم وابل وجود . فاذا احبى الأرض بعد موتها فهي : الحياء ، فاذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة فهو : الغيث ، وان كان صغار القطر فهو : الققط ، فاذا دام مع سكون فهو : الديمة ، فاذا كان عاماً فهو : الجداء ، واذا روى كل شيء فهو : الجود ، فاذا كان كثير القطر فهو : المطل والتهتان . فاذا كان ضخماً القطر شديد الوقع فهو : الويل .

(ويقولون) هجهجت بالسبع : وشايحت بالابل : ونعقت بالغنم ، وسأست بالحمار ، وهأهأت بالابل - إذا دعوتها للعلف ، وجأجات بها - إذا دعوتها للشرب ، واشليت الكلب - دعوته : وأسدته أرسلته .

(ويفرقون في الأصوات) فيقولون : رغا البعير . وجرجر . وهدر . وقبب ، واطت الناقة ، وصهل الفرس ، وحمحم ، ونهم الفيل ، ونهق الحمار - وسحل . وشحج البغل . وخارت البقرة وجأرت ،

وثاجت النعجة ، وثغت الشاة- ويعرت ، وبغم الظبي - ونزب ،
 ووعوع الذئب ، وضبح الثعلب ، وضغت الأرنب ، وعوى الكلب -
 ونبح ، وصأت السنونو ، وضأت الفأرة ، وفحت الأنمى ، ونعق
 الغراب - ونعب ، وزقا الديك - وسقع ، وصفر النسر ، وهدر الحمام
 - وهدل ، وغرد المكاء ، وقبع الخنزير ، ونقت العقرب ، وانقضت
 الضفادع - ونقت أيضاً ، وعزفت الجن .

فصل

وتقول العرب في الأمر : وهن ، وفي الثوب : وهى ، وفي الحساب :
 غلت ، وفي غيره : غلط ، ومن الطعام : بشم ، ومن الماء : بفر ،
 وحلا الشيء في فمي ، وحلى في عيني .

فصل

المراهق من الغلمان بمنزلة المعصر من الجوارى ، والحزور من الصبيان
 بمنزلة الكاعب ، والكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء ، والقارح
 من الخليل بمنزلة البازل من الابل ، والعجل من البقر ، والشادن من الظباء .
 كالناهض من الفراخ ، والبكر من الابل بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة
 الجارية ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة ، والبعر بمنزلة
 الانسان ، والغرز للجمل . كالركاب للفرس ، والغدة للبعير . كالتاعون
 للانسان ، والهالة من القمر . كالدارة من الشمس ، والبصيرة في القلب .
 كالبصر في العين ، والاسباط في بني اسحق . كالقبائل في بني اسماعيل ،
 وارداق الملوك في الجاهلية . كالوزراء في الاسلام ، والاقبال لحمير .
 كالبطارق للروم . والقواد للعرب .

فصل

وللعرب خاص وعام .
 فالبغض عام ، والفرك بين الزوجين خاص ، والنظر إلى الأشياء عام ،

والشيم إلى البرق خاص ، الصراخ عام ، والزاعية على الميت خاص ،
الذنب للحيوان والبهاثم عام ، والذناي للفرس خاص ، السير عام ،
والسري بالليل خاص ، الهرب عام ، والاباق للعبيد خاص ، الراجحة
عام ، والقتار للشواء خاص .

فصل

ومن جملة المسلم للعرب : انهم لا يقولون مائدة . الا اذا كان عليها
طعام والا فهني : خوان ، ولا للعظم عرق إلا ما دام عليه لحم ، ولا
كأس . الا اذا كان فيه شراب . والا فهني : زجاجة ، ولا كوز
الا اذا كانت له عروة . والا فهو كسوب ، ولا رضاب الا اذا كان في
القم . والا فهو : بصاق ، ولا أريكة الا للسرير اذا كان عليه قبة .
فان لم يكن عليه قبة فهو : سرير ، ولا ربطة الا اذا كانت لفقتين :
والا فهني : ملاءة ، ولا خدر . الا اذا كان فيه امرأة ، والا فهو :
ستر ، ولا للمرأة ظعينة . الا اذا كانت في الهودج ، ولا قلم . الا اذا
كان مبرياً . والا فهو : انبوب ، ولا عهن ، الا اذا كان مصبوغاً ،
والا فهو : صوف . ولا وقود ، الا اذا اتقدت فيه النار ، والا فهو :
حطب . ولا ركية الا اذا كان فيه ماء ، والا فهني : بئر ، ولا للابل
رأوية ، الا ما دام عليها الماء ، ولا للدلو سجل الا ما دام فيها الماء ، ولا
ذنوب ، إلا ما دامت ملأى ، ولا نفق الا اذا كان له منفذ والا فهو :
سرب . ولا لسرير ، نعش الا ما دام عليه الميت . ولا للخاتم خاتم ،
الا اذا كان عليه فص ، ولا رمح الا اذا كان له زوج وستان : والا
فهو : انبوب وقناة . ولا لطبعة ، الا للابل التي تحمل الطيب والبز
خاصة . ولا حمولة الا للتي تحمل الامتعة خاصة . ولا بدقة ، الا للتي
تجعل للنحر . ولا ركب ، الا لركبان الابل . ولا هضبة ، الا اذا كانت
حمراء . ولا يقال غيث . الا اذا جاء في ابانه ، والا فهو : مطر ، ولا
يقال عش ، حتى يكون عيدانا مجموعة ، فاذا كان نقباً في جبل أو حائط
فهو : وكر ووكن .

الباب الثالث

في علوم الحديث

فصل في ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم

ذكر نسبه

هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان^(١) بن اد بن ادد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن الهميصع بن النبت
ابن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن سارخ بن ارغوة
ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ
ابن اخنوخ بن يزد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم .
وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

ذكر اسمائه

هو محمد ، وأحمد ، والماسي ، والحاشر ، والعاقب^(٢) ، والمقفي ،
ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم ، والشاهد ، والبشير ،
والنذير ، والضحوك ، والقتال ، والمتوكل ، والقاتح ، والحاتم ،
والمصطفى ، والرسول ، والنبي ، والامي ، والقثم .

فالعاقب آخر الأنبياء ، والمقفي تبع الأنبياء . والضحوك صفته في
التوراة - لأنه كان طيب النفس فكها ، والقثم من القثم : وهو الأخطاء .

(١) حكى عن النبي أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز إلى عدنان .

(٢) هذه الأسماء وردت في صحيح البخاري ٤ / ١٦٢ .

ذكر عمومته

الحارث والزبير ، وابو طالب ، وحمزة ، وابو لهب ، والغيداق ،
والمقوم ، وضرار ، والعباس ، وقثم ، وحجل واسمه المغيرة .

ذكر عماته

أم حكيم ، وهي البيضاء ، وبرة ، وعاتكة ، وصفية ، واروى
وأمية ، واسلمت صفية ، واختلف في عاتكة وأروى وأمية .

ذكر أزواجه

تزوج خديجة ، ثم سودة ، ثم عائشة ، ثم حفصة ، ثم أم سلمة ، ثم
جويرية ، ثم زينب بنت جحش ، ثم زينب بنت خزيمة ، ثم أم حبيبة ،
ثم صفية ، ثم ميمونة ، فماتت خديجة وزينب بنت خزيمة في حياته ،
وتوفي عن التسع البواق .

ذكر اولاده

القاسم ، وعبدالله ، وهو الطيب والظاهر^(١) ، وابراهيم ،
وفاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم .

ذكر مواليه

أسلم : ويكنى أبارافع ، ابو رافع : آخر والد البهي ، احمر ، آنسة ،
أسامة ، أفلح ، ثوبان ، ذكوان ، رافع ، رباح ، زيد بن حارثة ،
سلمان ، سالم ، سليم ، سابق ، سعيد ، شقران ، واسمه صالح ،
ضميرة ، عبيدالله عبيد ، فضالة ، كيسان ، مهران - وهو سفينة ،
وقيل اسمه سفينة ، وقيل رومان - وقيل عبس ، مدعم ، نافع ، نقيع
- وهو ابو بكر ، بنيه ، واقد ، وردان ، هشام ، يسار ، أبو اثيلة ،
أبو الحمراء ، أبو ضميرة ، أبو عبيد ، ابو مويهة ، ابو واقد : ابو
لبابة ، ابو لقيط ، ابو هند ، سابور .

(١) الطيب والظاهر لقبان لعبد الله .

ذكر مؤذنيه

بلال ، وسعد ؛ وابن ام مكتوم ، وابو محذورة .

ذكر كتابه

أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، أبيّ ، زيد ، معاوية ، حنظلة ،
خالد بن سعد ، ابان بن سعيد ، العلاء بن الحضرمي ، وكان المداوم على
الكتابة زيد ومعاوية .

ذكر نقباء الانصار

أسعد بن زرارة ، اسيد بن خضير ، البراء بن معرور ، رافع بن
مالك ، سعد ابن خيشمة ، سعد بن الربيع ، عبدالله بن رواحة ، عبدالله
ابن عمرو بن حزام ، عبادة بن الصامت ، سعد بن عبادة ، المنذر بن
عمرو ، أبو الهيثم بن التيهان ، ونقب النبيّ صلى الله عليه وسلم على
النقباء اسعداً .

تسمية من جمع القرآن حفظاً

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عثمان بن عفان ، ابي ، معاذ بن جبل ، ابو الدرداء ، زيد بن
ثابت ، ابو زيد الأنصاري ، قال ابن سيرين : وتميم الداري ، وقال
القرطبي : وعبادة بن الصامت ، وأبو أيوب .

تسمية من كان يفتى

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وابن مسعود ، وابي ، ومعاذ ، وعمار ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ،
وأبو الدرداء ، وأبو موسى ، وسلمان .

تسمية من تأخر موته من الصحابة

آخر من مات من أهل العقبة : جابر بن عبدالله بن عمرو ، ومن أهل بدر : أبو اليسر ، ومن المهاجرين : سعد ابن أبي وقاص ، وهو آخر العشرة موتاً ، وآخر من مات بمكة من الصحابة : ابن عمر ، وبالمدينة : سهل بن سعد بن معاذ ، وبالكوفة : عبدالله بن أبي اوفى ، وبالبصرة : انس بن مالك ، وبمصر : عبدالله بن الحارث بن جزء ، وبالشام : عبدالله بن يسر ، وبخراسان : بريدة ، وآخر الناظرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً : أبو الطفيل عامر بن واثلة .

تسمية فقهاء المدينة السبعة

سعيد بن المسيب ، والقاسم ، وابو بكر بن عبد الرحمن ، وخارجة ، وعبيدالله بن عبدالله ، وعروة ، وسليمان بن يسار .

منتخب من ذكر الاوائل

أول من خلق الله القلم ، أول جبل وضع في الأرض : ابو قبيس ، أول مسجد وضع في الأرض : المسجد الحرام ، أول ولد آدم : قابيل ، أول من خط وخط : ادريس ، أول من اختن وضاف : ابراهيم ، أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية : اسماعيل ، أول من عمل القرايطيس : يوسف ، أول من سرد الدرود وقال أما بعد : داود ، أول من صبغ بالسواد : فرعون ، أول من دخل الحمام وعمل الصابون : سليمان ، أول من طبخ الآجر : هامان .

فصل

أول من سيب السوايب : عمرو بن لحي . أول من سن الدية مائة من الابل : عبد المطلب ، أول من قطع في السرقة في الجاهلية : وقضى بالقسامة - وخلع نعليه عند دخول الكعبة : الوليد بن المغيرة ، أول من قضى في الخنثى من حيث يبول : عامر بن الظرب ، أول عربي قسم الذكر مثل حظ الانثيين : عامر بن جشم .

فصل

أول ما نزل من القرآن : اقرأ باسم ربك ، أول آية نزلت في القتال : اذن للذين يقاتلون ، أول من أسلم من الرجال : أبو بكر ، ومن الصبيان : علي ، ومن الموالى : زيد ، ومن النساء : خديجة ، ومن الأنصار : جابر بن عبدالله بن رباب ، أول من هاجر إلى الحبشة : حاطب بن عمرو ، وإلى المدينة : مصعب بن عميرة ، ومن النساء : أم كلثوم بنت عتبة ، أول من بايع ليلة العقبة : أسعد بن زرارة ، أول من بايع بيعة الرضوان : أبو سنان الاسدي ، أول من أذن : بلال ، أول من بنى مسجداً في الاسلام : عمار ، أول من سل سيفاً في الاسلام : الزبير ، أول من عدا به فرسه في سبيل الله : عبدالله بن جحش ، وهو أول من دعا يا أمير المؤمنين ، أول شهيد في الاسلام : سمية .

فصل

أول ظهار كان في الاسلام : ظهار أوس بن الصامت من المجادلة ، أول خلع كان في الاسلام : خلع حبيبة بنت سهل بن ثابت بن قيس ، أول لعان كان في الاسلام : لعان هلال بن أمية مع زوجته ، أول مرجوم كان في الاسلام : ماعز ، أول من سن الصلاة عند القتل : حبيب ، أول من أوصى بثلاث ماله : البراء ابن معرور ، أول من دفن بالبيع : عثمان ابن مظعون .

فصل

أول من جمع القرآن : أبو بكر ، أول من قص : تميم ، أول من وضع النحو : ابو الأسود ، أول من نقط المصحف يحيى بن يعمر .

فصل

أول ما يرفع من الناس : الخشوع ، أول ما تفقدون من دينكم : الامانة ، أول الآيات : طلوع الشمس من مغربها ، أول من تشق عنه

الأرض : نبينا - وهو أول من يقرع باب الجنة ، وأول شافع ، وأول مشفع ، أول من يكسي ابراهيم ، أو ما يحاسب العبد به : الصلوة ، أول أمة تدخل الجنة : أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

مفتخب هي ذكر المنسويين الى غير اياتهم

فمن المنسويين إلى أمهاتهم : بلال بن حمامة ، وأسم أبيه : رباح ، ابن أم مكتوم - وأسم أبيه عمرو ، بشير ابن الخصاصية وأسم أبيه معبد ، الحارث ابن البرصاء وأسم أبيه مالك ، حفاف ابن نذبة وأسم أبيه عمير ، سعد ابن جنبه وأسم أبيه ببحير ، شرحبيل ابن حسنة وأسم أبيه عبدالله ، عبدالله ابن بجمينة وأسم أبيه مالك ، مالك ابن نميلة وأسم أبيه ثابت ، معاذ ومعوذ ابنا عفراء وأسم أبيهما الحارث ، يعلى ابن سبابة وأسم أبيه مرة ، يعلى ابن منية وأسم أبيه أمية . وهؤلاء كلهم صحابة .

ومن العلماء بعدهم : اسماعيل ابن عليّة وأسم أبيه ابراهيم ، منصور ابن صفية وأسم أبيه عبد الرحمن ، محمد ابن عائشة وأسم أبيه : حفص ، ابراهيم بن اهراسة وأسم أبيه سلمة . محمد ابن عثمة وأسم أبيه خالد .

فصل

في ذكر اسماء تساوى فيها الرجال والنساء

فمن ذلك ما تساوى فيه الاسم والنسب :

أمية بن أبي الصلت قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد أمية يسلم^(١) » ، أمية بنت أبي الصلت روى حديثها ابن اسحاق ، أمية بن عبدالله - حدث عن ابن عمر ، أمية بنت عبدالله - تروي عن عائشة ، عمارة بن حمزة - من ولد عكرمة ، عمارة بنت حمزة - وهي التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد .

(١) رواه البخاري وسلم وابن ماجه وابن حنبل .

فضاله بن الفضل - حدث عن أبي بكر بن عياش ، فضالة بنت الفضل -
- روى عنها عبد الرحمن بن جبلة .

طلحة بن أبي سعيد المصري - روى عن القاسم بن محمد ، طلحة
بنت أبي سعيد - روى عنها ابن أبي جبلة أيضاً .

هند بن المهلب - روى عنه محمد بن الزبيرقان ، هند بنت المهلب
- حدثت عن أبيها .

هبة بن أحمد شيخنا ، هبة بنت أحمد - حدثت عن أحمد بن محمود .

فصل

ومن ذلك ما يشابه في الخط ويتباين في اللفظ مع تساوي اسم الأب :
بسرة بنت صفوان - صحابية ، يسرة بن صفوان - حدث عن إبراهيم
ابن سعد ، حمزة بن عبدالله جماعة ، جمرة بنت عبدالله - صحابية ،
خيثمة بن عبد الرحمن - روى عن ابن عمر ، حنمة بنت عبد الرحمن
- أخت أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه .

فصل

ومن الأسماء التي تساوى فيها الرجال والنساء دون انسابهم :
اسماء بنت حارثة - واسماء بن رباب : صحابيان ، اسماء بنت أبي بكر - واسماء
بنت عميس : صحابيتان .

بركة أم يمن : مولاة رسول الله - بركة أم عطا ابن أبي رباح ،
ومن الرجال : بركة بن الوليد - روى عن ابن عباس ، وبركة بن شيط
روى عن عثمان ابن أبي شيبة .

بريدة بن الحبيب - صحابي ، بريدة بنت بشر - صحابية .

جويرية بن مسهر - يروي عن علي ، جويرية بن بشير - يروي عن
الحسن ، جويرية بن أسماء - عن نافع ، جويرية بن الحجاج - شاعر .

ومن النساء : جويرية أم المؤمنين ، جويرية بنت زياد ، جويرية بنت
علقمة .

حميضة بن رقيم - صحابي ، حميضة ابن الشمرذل - تابعي ،
حميضة بن قيس - شاعر . ومن النساء : حميضة بنت ياسر ، حميضة
بنت أبي كثير .

الرباب بنت البراء بن معرور ، الرباب بنت كعب - أم حذيفة ،
الرباب بنت النعمان - عمه سعد بن معاذ ، الرباب زوجة الحسين بن
علي : وفي الرجال : تابعي يقال له رباب - سمع من ابن عباس .

زيد : في الرجال كثير . وزيد بنت مالك بن عميت .
عصيمة : حليف للانصار من بني أسد ، عصيمة : حليف لهم من أشجع
- كلاهما شهدا بدرأ . ومن الحنساء : عصيمة بنت حبار ، عصيمة بنت
أبي الأفلح - مبايعتان .

علية بن زيد - صحابي . ومن النساء : عليّة بنت شريح أم السائب
ابن أخت نمر ، وعليّة بنت المهدي .

عميرة بن يثربي - قاضي البصرة لعمر بن الخطاب ، عميرة بن
سعد - يروي عن علي رضي الله عنه ، عميرة بن زياد - عن ابن مسعود
ومن النساء : عميرة بنت سهل ، عميرة بنت ظهير ، عميرة بنت ثابت
- صحايات .

فصل

ومما يقع الاشكال فيه : اسحاق الأزرق ، واسحاق ابن الأزرق
فالأول مصري - روى عنه الليث بن سعد . والثاني يروي عن الثوري :

عياش ابن الأزرق ، وعباس الأزرق فالأول بالشين المعجمة -
روى عنه جعفر الفرياني . والثاني بالسين المهملة - روى عنه حماد ،
هاشم ابن البريد ، وهاشم البريد : فالأول كوفي - حدث عن أبي اسحاق
السيبي . والثاني بصري - روى عنه عبد الصمد بن عبد الوارث .

منتخب من الاسماء المفردة

أحمد بن عجيان ، اثال ، ائان ، ارطيان ، اسفع ، ايقع (١) ،
 افلت ، اكيل ، اخيل ، بحج ، يسمين ، بلهط ، بلج ، بيحرة ،
 ثهلان ، جاحل ، جيب ، جحدل (٢) ، خنفر (٣) ، خرباق ، ديسم ،
 رعيان ، زنيح ، ركيح ، زبيد ، سرق ، سيك ، شيب ، شتير (٤) ،
 شنيف (٥) ، شويس ، شيم ، صحرار ، صمصم (٦) ، ضريك ، طيسلة ،
 عتريس ، عذافر ، عرزب ، عرعره ، عسوس ، عباق (٧) ، فصافص ،
 فنج ، قحذم ، قريع ، كركره ، كهدل ، لبي ، لبطه ، لازه ، مراجم ،
 مشرح ، معقس ، مقلاص ، مليل ، هلقام ، المتقع ، منجل ، ياسم ،
 نبتل (٨) ، نسطاس ، نوسجان ، وقدان ، هيب ، هجنج ، هداج ،
 هرماس ، هسان ، ينحس (٩) ، يعفر ، هيطان .

منتخب من مشتبه الاسماء

أحمد : كثير : أحمد بن عجيان - شهد فتح مصر .
 أنس : كثير ، واتش جد محمد بن الحسن بن اتش الصنعاني .
 بسر : كثير ، وبسر ابن أبي أرتاة - صحابي ، ونشر هو محمد بن
 نشر الكوفي ، روى عن ابن الحنفية ، ويسر أبو اليسر - صحابي ، ويسر
 ابن انس - متأخر ، ونسر جد يحيى ابن أبي بكير - قاضي كرمان .
 بيان : كثير ، وبتان بن محمد الزاهد ، وبتان بن يعقوب ، وبتان
 هو سعيد بن بتان الايلي .
 يزيد : كثير ، وبريد بن اصرم - يروي عن علي ، وتزيد بن
 چشم - في نسب الأنصار ، وبرند هو عرعره بن البرند .
 حماد : كثير ، وحماد بن أيوب - روى عن حماد بن أبي سليمان .
 جرير : كثير ، وجرير (١٠) : هو عبد الله بن جرير ، وحرير بن

- | | |
|------------------|---------------------------------|
| (١) ايقع . خ ل . | (٦) ضيم . خ ل . |
| (٢) جحدب . خ ل . | (٧) عقاف . خ ل . |
| (٣) جيمر . خ ل . | (٨) تبيل . خ ل . |
| (٤) سنيد . خ ل . | (٩) يحنس . بتشديد النون . |
| (٥) شنيف . خ ل . | (١٠) هذا مصغر والذي قبله مكبر . |

عثمان ، وحرير أم الحرير - ثروي عن طلحة بن مالك ، وجريز بن صدقة الجريز - يروي عن شعبة .

جماز هو : الهيثم بن جماز ، وحبيب بن حماز ، ونعيم بن خمار ، وعياض بن حمار ، وحماز - يروي عن ابن مسعود .

خباب : صحابي ، وجباب بن المنذر - صحابي ، وجناب بن الحشخاش - يروي عن أبي كلدة ، وجباب بن صالح ، وحتات بن يحيى .

خبيب : كثير ، خبيب^(١) - صحابي ، وخبيب - صحابي ، وخبيب ابن النعمان بن يحيى ، وخبيب أخو حمزة الزيات .

خنيس بن حذافة - صحابي ، وهب بن حنبل - صحابي ، حيش ابن خلد : صحابي ، حبيس بن عايد - مصري .

نعيم : كثير ، يغم بن سالم يروي عن أنس .

فصل

من مشتبه النسبة

الحسن البصري ، طلحة بن عمرو النصري ، الحسين بن الحسن النصري .

سفيان الثوري ، محمد بن الصلت التوزي ، محمد بن عمرو البوري ، ابو الحسين النوري .

أبو بكر الحياط ، فطر بن خليفة الحنطاط ، مسلم الحياط : وقد جمع مسلم هذه الصفات الثلاث : الحزاز - جماعة - ، وعبدالله ابن عون الحزاز ، وعيسى بن يونس الحزاز ، ويحيى ابن الحزاز .

ابو عمر الشيباني ، أيوب بن سويد الشيباني ، الفضل بن موسى السيناني .

فرقد السبخي^(٢) ، سليمان بن معبد السنجي ، ابو بكر السبخي ، بدر الشبخي .

(١) هذا مصنف وما قبله مكبر .

(٢) فرقد السبخي بفتح المهملة والباء الموحدة وبجاء معجمة صدوق عابد لكنه لين الحديث كثير الخطأ .

عامر الشعبي ، معاوية بن حفص الشعبي ، زكريا بن عيسى الشعبي ،
حذيفة بن اليمان العبسي ، عمار بن ياسر العنسي ، صعق بن حزن
العيسي ، وتقع النسبة في المحدثين إلى هذه الألفاظ الثلاثة ، قال الحسن
ابن سفيان النسوي : كلما ورد في الحديث عبسي فهو كوفي ، وعنسي
فهو بصري ، وعيسى فهو مصري .

ابراهيم بن يزيد الخوزي ، محمد بن يزيد الخوزي ، محمد بن يزداد
الجوزي ، عبد الرحمن بن علي الجوزي .

بيان احاديث اهل فيها تبين الاسماء المشتبهة

حديث

روى أبو قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إن الله تعالى
وَضَعَّ عن المسافرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وعن الحاملِ والمرضعِ يعني الصيام^(١) ،
انس هذا هو ابن مالك القشيري .

احاديث

روى عطاء عن أبي هريرة قال : في كل صلاة قراءة ، فما أسمعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعنا كم وما اخفى علينا أخفيننا
عليكم^(٢) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمعُ حُبُّ هؤلاء الأربعة الا في قلبِ مؤمنٍ : أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي^(٣) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة^(٤) .

(١) ولفظه « .. الصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى » ، رواه أبو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن حنبل والنسائي والدارمي .

(٣) لم أجد هذا الحديث بنصه وروي في معناه أحاديث عدة .

(٤) رواه مسلم والاربعه ، أنظر صحيح الجامع الصغير ٢٦٣ .

وروى عطاء عن أبي هريرة : ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في
إقرأ باسم ربك (١) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، اذا مضى ثلث الليل يقول الله الا داع يُجَاب (٢) .
عطاء الأول هو بن أبي رباح ، والثاني الحراساني ، والثالث بن
يسار ، والرابع ابن ميناء ، والخامس مولى أم صبية .

احاديث

روت عمرة عن عائشة قالت : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأى ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منع نساء بني اسرائيل (٣) .
وروت عمرة أنها دخلت مع أمها على عائشة فسألتها ، ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الفرار من الطاعون ؟ قالت
سمعته يقول : كالفرار من الزحف (٤) .

وروت عمرة قالت : خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة
فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره فكانت أول
قطرة قطرت على هذه الآية فسيكفيكمهم الله. قالت عمرة : فما مات
منهم رجل سوياً .

وروت عمرة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينهي عن الوصال (٥) .

(١) ولفظه «سجدنا مع رسول الله (ص) في «إذا السماء انفطرت» و «اقرأ باسم ربك»
رواه مسلم .

(٢) ويقصد به حديث النزول ولفظه «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الأخير. يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيته من يستغفرني
فأغفر له» .

الموطأ ١ / ٢١٤ ، التجار ٣ / ٢٥ ، ٢٦ ، مسلم ١ / ٥٢١

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي وابن حنبل .

(٤) ولفظه (الفار من الطاعون كالفار في الزحف) ابن - حنبل ٦ في ٢٥٥ ، وقدروي بمدة
طرق .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

عمرة الأولى هي بنت عبد الرحمن الانصارية ، والثانية بنت قيس العدوية ، والثالثة بنت أرطاة ، والرابعة يقال لها الطاخية .

أحاديث

روى حماد عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع في النخل صوتاً فقال ما هذا ؟ فقال يوبرون النخل ، فذكر الحديث (١) .

وروى حماد : عن ثابت عن أنس قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن صُفْرَةَ ، فقال : ما هذا ؟ قال : تزوجت ، قال : أو لم (٢) .

روى حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَثَلِ أُمَّتِي مَثَلِ الْمَطَرِ (٣) .

حماد الأول ابن سلمة ، والثاني ابن زيد ، والثالث الابح .

واعلم أن مثل هذه الأسماء المشتبهة إذا لم يصرح في الحديث ببيانها لم يفرق بينها الا الناقد الموجود .

وفي الفرق بينها فائدة عظيمة ، وهي أن بعض الرواة ثقة ، ومثبه في الاسم يكون ضعيفاً ، فيطلب الفرق لذلك . (مثاله) أن يزوي قتادة عن عكرمة ، وهو يروي عن عكرمة مولى ابن عباس ، وذلك ثقة . وعن عكرمة بن خالد ، وهو ضعيف (وكذا) قول وكيع . حدثنا النضر عن عكرمة - وهو يروي عن النضر بن عربي وهو ثقة ، وعن النضر بن عبد الرحمن - وهو ضعيف - . (ومثله) قول حفص بن غياث بن أشعث عن الحسن ، وهو يروي عن أشعث بن عبد الملك - وهو ثقة ، وعن أشعث بن سوار - وهو ضعيف .

(١) حديث تأييد النخل رواه مسلم .

(٢) وتماه « أولم ولو بشاة » رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم ، والصفرة هي لون لنوع من الطيب يتخذ من الزعفران ، وهو في فعل العروس .

(٣) وتماه « لا يدري أوله خير أم آخره » رواه أحمد والترمذي عن أنس ، وقد روي عن غير طريقه ، أنظر صحيح الجامع الصغير ، طبع المكتب الإسلامي .

منتخب من المتفق والمترق

أنس بن مالك خمسة : اثنان من الصحابة أبو حمزة الانصاري .
وأبو أمية الكعبي ، والثالث أبو مالك الفقيه ، والرابع كوفي ، والخامس
حمصي .

أسامة بن زيد ستة : أحدهم مولى النبي صلى الله عليه وسلم ،
والثاني تنوخي ، والثالث ليثي ، والرابع كلبى ، والخامس شيرازي ،
والسادس مولى لعمر .

أحمد بن جعفر بن حمدان أربعة في طبقة واحدة : أحدهم دينوري ،
والثاني طرسوسي ، والثالث قطيعي ، والرابع سقطي .

جابر بن عبدالله سبعة : أحدهم ابن عمرو ، والثاني ابن رثاب
صحابيان ، والثالث سلمى ، والرابع محاربي ، والخامس غطفاني ،
والسادس مصري ، والسابع بصري .

الخليل بن أحمد خمسة : ثلاثة بصريون ، والرابع اصبهاني ، والخامس
سجزي .

سعيد بن المسيب ثلاثة : أحدهم مدني ، والثاني بلوي ، والثالث
شيرازي .

عبدالله بن المبارك ستة : أحدهم مروزي ، والثاني خراساني ،
والثالث بخاري ، والرابع جوهرري ، والباقيان من أهل بغداد .

عمر بن الخطاب سبعة : أحدهم أمير المؤمنين ، والثاني كوفي ،
والثالث بصري ، والرابع اسكندراني ، والخامس سجستاني ، والسادس
راسبي ، والسابع عنبري .

عثمان بن عفان اثنان : أحدهما أمير المؤمنين ، والثاني سجزي .

علي بن أبي طالب ثمانية : أحدهم أمير المؤمنين ، والثاني بصري ،
والثالث جرجاني ، والرابع استراباذي ، والخامس تنوخي ، والسادس
بكراباذي ، والسابع بغدادي والثامن يقال له الدهان .

عمر بن حصين أربعة : أحدهم صحابي ، والثاني ضبي ، والثالث
بصري ، والرابع اصبهاني .

فضيل بن عياض اثنان : أحدهما مصري ، والثاني مكّي .

يحيى بن معاذ ثلاثة : أحدهم نيسابوري ، والثاني رازي ، والثالث
تستري .

يوسف بن اسباط ثلاثة : أحدهم كوفي ، والثاني حمصي ، والثالث
سلمي .

الباب الرابع

في ذكر عيون التواريخ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها . يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها : يوم الاثنين ، وخلق المكروه : يوم الثلاثاء ، وخلق النور : يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب : يوم الخميس ، وخلق آدم : يوم الجمعة بعد العصر^(١) .

قال علماء التاريخ : الأرض كلها على صخرة . والصخرة على منكبي ملك . والملك على الحوت . والحوت على الماء . والماء على مني الرياح .

فصل

أقاليم الارض سبعة : فالاقليم الأول الهند ، والثاني اقليم الحجاز ، والثالث اقليم مصر ، والرابع اقليم بابل ، والخامس اقليم الروم والشام ، والسادس بلاد الترك ، والسابع بلاد الصين .

وأوسط الاقاليم : اقليم بابل وهو اعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرّة الدنيا ، وبغداد في أوسط هذا الاقليم ، فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله ، فسلموا من شقرة الروم ، وسواد الحبش ، وغاظ الترك ، وجفاء أهل الجبال ، ودمامة أهل الصين ، وكما اعتدلوا في الحلقة ، لطفوا في الفطنة .

(١) رواه مسلم وابن حنبل ٢ / ٣٢٧ .

فصل

قال علماء التواريخ : جميع ما عرف في الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون ، من أعجيبها جبل سرنديب^(١) ، وطوله مائتان ونيف وستون ميلاً وفيه أثر قدم آدم حين أهبط ، وعليه سنا البرق ، لا يذهب صيفاً ، وحوله ياقوت ، وفي واديه الماس الذي يقطع الصخور ، ويثقب اللؤلؤ ، وفيه العود والفلفل ، ودأبه المسك ، ودابة الزباد .

وجبل الرد الذي فيه السد ، طوله سبعمائة فرسخ وينتهي إلى البحر المظلم

فصل

قالوا : في الأرض سبعمائة معدن ، ولا يتعقد الملح الا في السبخ ، ولا الجص الا في الرمل والحصى ، والبحر الأعظم محيط بالدنيا ، والبحار تستمد منه .

فصل

قالوا : وعاش آدم الف سنة ، وولدت له حواء أربعين ولداً ، في كل بطن ذكر وأنثى ، فأولهم قابيل ، وتوأمته قليما ، ولم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين الفاً ، وانقرض نسلهم ، غير نسل شيت ، ثم انقرض النسل ، وبقي أولاد نوح ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم والترك ، ويأجوج ومأجوج نوع من الترك .

فصل

في تسمية الحواريين

شمعون الصفا ، وشمعون القناني ، ويعقوب بن زندي ، ويعقوب ابن حلقي ، وقولوس ، ومارقوس ، واندرائوس ، وبرثملا ، ويوحنا ، ولوقا ، وتوما ، ومتى .

(١) في الهند .

فصل

كان أول ملوك الفرس : دارا - ملك نحواً من مائتي سنة ، ثم ملك بعده خمسة وعشرون : منهم امرأتان ، وكان آخر القوم يزدجرد ، هلك في زمان عثمان ، وكان ملكهم خمسمائة سنة وكسراً .

وكان أظرفهم ولاية ذو الاكتاف ، فانه لا يعرف من ملك وهو في بطن أمه غيره ، لأن آباه كان قد مات ولا ولد له ، وانما كان هذا حملاً ، فقال المنجمون هذا الحمل يملك الأرض ، فوضع التاج على بطن الأم ، وكتب منه إلى الآفاق ، وهو جنين ، وسمي سابوراً وانما لقب بزدي الاكتاف لأنه حين ملك كان يتزع أكتاف مخالفه ، وهو الذي بنى الايوان ، وبنى نيسابور وسجستان والسوس ، وما زال الملك ينتقل بعده فيهم حتى ملك انشروان ، وكان أحزهم ، وكان له اثنا عشر الف امرأة وجارية ، وخمسون الف دابة ، والف فيل الا واحداً ، وفي زمانه ولد نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومات لثمان سنين مضت من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولما دخل المسلمون المدائن ، أحرقوا ستر باب الايوان ، فأخرجوا منه الف الف مثقال ذهباً .

فصل

أربعة تناسلوا ، رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابو قحافة ، وابنه ابو بكر ، وابنه عبد الرحمن ، وابنه محمد ، ويكنى أبا عتيق .

أربعة أخوة كان بين كل واحد منهم وواحد عشر سنين : أولاد أبي طالب : طالب ، وعميل ، وجعفر ، وعلي ، فكان طالب أسن من عميل عشر سنين ، وعميل أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من علي بعشر .

ولا يعرف اخوان تباعدا في السن مثل موسى بن عبيدة الربذي وأخيه عبدالله بن عبيدة ، فان عبدالله أسن من موسى بثمانين سنة .

ومن العجائب : ثلاث أخوة ولدوا في سنة واحدة ، وقتلوا في سنة واحدة وكانت أعمارهم ثمانين وأربعين سنة : يزيد ، وزباد ، ومدرك بنو المهلب ابن أبي صفرة .

ومن العجائب : أربعة أنفس رزق كل واحد منهم مائة ولد ، انس ابن مالك ، وعبدالله بن عمر الليثي ، وخليفة السعدي ، وجعفر بن سليمان الهاشمي .

ومن العجائب : ثلاثة بنو أعمام كلهم كانوا في زمان واحد ، كل واحد منهم اسمه علي ، ولهم ثلاثة أولاد كل واحد منهم اسمه محمد . والآباء والأبناء علماء أشراف ، وهم : علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وعلي بن عبدالله بن العباس ، وعلي بن عبدالله بن جعفر .

ومن العجائب : انه في ليلة السبت لأربع عشرة بقين من ربيع الأول سنة تسعين ومائة ، مات الهادي ، واستخلف الرشيد ، وولد المأمون .

ومن العجائب : انه سلم على الرشيد بالخلافة عمه سليمان بن المنصور وعم أبيه المهدي ، وهو العباس بن محمد ، وعم جده المنصور ، وهو عبد الصمد بن علي ، وقال له عبد الصمد يوماً : يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عم أمير المؤمنين وعم عم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس عم سليمان ، وعبد الصمد عم العباس .

ومن العجائب : ان عبد الصمد حج بالناس سنة خمسين ومائة ، وقد حج قبله يزيد بن معاوية سنة خمسين : وهما في النسب إلى عبد مناف سواء ، لأن يزيد هو ابن معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

فصل

وقد سلم على المتوكل بالخلافة ثمانية ، كلهم ابن خليفة : المنتصر ابنه ، ومحمد ابن الواثق ، واحمد بن المعتصم ، وموسى بن المأمون ، وعبدالله بن الأمير ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وأبو العباس بن الهادي ، والمنصور بن المهدي .

فصل

وقد ولي الخلافة : اخوان ، وثلاثة ، وأربعة . فأما الأخوان : فالسفاح والمنصور ، والهادي والرشيد ، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم ، والمسترشد والمقتفي ، وأما الثلاثة : فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمتكفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر . وأما الأربعة فلم يكونوا الا بني عبد الملك^(١) .

فصل

ومن العجائب المتعلقة بالنساء :

من ذلك أن امرأة شهد لها بدرأ سبعة بنين مسلمين وهي : عفراء بنت عبيد ، تزوجها الحارث بن رفاعة ، فولدت له معاذاً ومعوذاً ، ثم تزوجها بكير فولدت له إياساً وخالداً ، وعاقلاً ، وعامراً ، ثم رجعت إلى الحارث فولدت له عوفاً ، فشهدوا كلهم بدرأ ، ويخرج من هذا جواب المسائل هل تعرفون أربعة أخوة لأب وأم شهدوا بدرأ مسلمين ؟

ومن هذا الجنس ، امرأة كان لها أربعة أخوة وعمان شهدوا بدرأ ، فأخوان وعم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخوان وعم مع المشركين ، وهي هند بنت عتبة بن ربيعة ، فالأخوان المسلمان : ابو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير ، والعم المسلم : معمر بن الحارث ،

(١) وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، أختهم فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز .

والأخوان المشركان : الوليد بن عتبة وأبو عزيز ، والعم المشرك : شيبه ابن ربيعة .

ومن العجائب : أن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان كان له أربع بنات : عبدة ، وعائشة ، وأم سعيد ، ورقية ، تزوجهن أربعة من الخلفاء : تزوج عبدة الوليد بن عبد الملك ، وعائشة سليمان ، وأم سعيد يزيد بن عبد الملك ، ورقية هشام .

وكان لهذا الرجل - أعني عبدالله بن عمرو - ولد اسمه محمد - كان يقال له الديباج لحسنه - وكان لمحمد بنت اسمها حفصة لا يعرف امرأة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير والحسين وابن عمر سواها ، أما ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فإن أم أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي ، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن طريق الحسين بن علي ولادته لها وولادة علي لها ، وأما ولادة أبي بكر لها ، فإن أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ومن طريق عروة ولدها الزبير ، وأما ولادة عمر لها ، فإن أم جدها عبدالله زينب بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فمن هذه الطريق ولادة عمر لها ، وأما ولادة عثمان لها ، فمن طريق أبيها ، وأما ولادة طلحة ، فإن جدها من قبل أبيها هي أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

ومن العجائب : امرأة ولدت خليفتين ، وهن ثلاث :

الأولى : ولادة بنت العباس العباسية ، تزوجها عبد الملك بن مروان ، فولدت له : الوليد وسليمان فوليا الخلافة ، والثانية : شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد ، تزوجها الوليد بن عبد الملك ، فولدت له : يزيد وإبراهيم فوليا الخلافة ، والثالثة : الخيزران ، ولدت للمهدي الهادي والرشيدي .

فصل

في الجدوب وعموم الموت

أجدبت الأرض (في سنة ثماني عشرة) فكانت الريح تسفي تراباً كالرماد ، فسمي عام الرمادة ، وجعلت الوحوش تأوي إلى الأنس ، قال عمر ألا يدوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يجيئ الناس واستسقى بالعباس فسقوا ، وفيها كان طاعون عمواس ، مات فيه أبو عبيدة ، ومعاذ ، وأنس .

(وفي سنة أربع وستين) وقع طاعون بالبصرة وماتت أم أميرهم ، فما وجدوا من يحملها

(وفي سنة ست وتسعين) كان طاعون الجحارف هلك في ثلاث أيام سبعون الفاً ، ومات فيه لأنس ثمانون ولداً ، وكان يموت أهل الدار فيطين الباب عليهم .

وفي سنة احدى وثلاثين ومائة مات أول يوم في الطاعون سبعون الفاً ، وفي الثاني نيف وسبعون الفاً ، وفي اليوم الثالث خمد الناس .

وفي سنة تسع عشرة وثلاث مائة كثر الموت ، وكان يدفن في القبر الواحد جماعة .

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة ذبح الاطفال ، وأكلت الجيف ، وبيع العقار برغيفان ، واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين الف درهم .
وفي سنة أربع وأربعين وثلاثماية عمت الامراض البلاد ، فكان يموت أهل الدار كلهم .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثماية أصاب أهل البصرة حر ، فكانوا يتساقطون موتى في الطرقات .

وفي سنة ثمان وأربعين واربعماية عم القحط ، فأكلت الميتة ، وبلغ

المكوك^(١) من بزر البقلة سبع دنانير ، والسفرجلة والرمانه ديناراً ، والخياره واللينوفرة ديناراً ، وورد الخبر من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا داراً فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، والثاني على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب المكورة .

وفي السنة التي تليها وقع وباء ، فكان تخمير زببة^(٢) لعشرين وثلاثين فيلقون فيها ، وتاب الناس كلهم وأراقوا الخمر ، ولزموا المساجد .

وفي سنة ست وخمسين واربعمائة وقع الوباء ، وبلغ الرطل من التمر الهندي أربعة دنانير .

وفي سنة اثنتين وستين واربعمائة اشتد الجوع والوباء بمصر ، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وبيع اللوز والسكر بوزن الدراهم ، والبيضة بعشرة قراريط ، وخرج وزير صاحب مصر إليه فتزل عن بغلته ، فأخذها ثلاثة فأكلوها ، فصلبوا ، فأصبح الناس لا يرون الا عظامهم تحت خشبهم . وقد اكلوا .

وفي سنة أربع وستين واربعمائة وقع الموت في الدواب حتى ان راعياً قام إلى الغنم وقت الصباح ليسوقها فوجدها كلها موتى .

فصل

في الزلازل والآيات

زلزلت الأرض على عهد عمر في سنة عشرين ، ودامت الزلازل في سنة أربع وتسعين : أربعين يوماً ، وقعت الأبنية الشاهقة ، وتهدمت انطاكية .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين زلزلت فرغانة فمات فيها خمسة عشر ألفاً .

وفي السنة التي تليها رجفت الاهواز ، وتصدعت الجبال ، وهرب أهل البلد إلى البحر والسفن ودامت ستة عشر يوماً .

(١) كنوز . مكيال .
(٢) بالفم . الراية . وحفيرة الأسد .

وفي السنة التي تليها مطر أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة وسبعين انساناً ، وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك ، اعف عن عبادك ، ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع ، وعرضها شبر ، ومن الخطوة إلى الخطوة خمسة أذرع أو ست ، فاتبعوا الصوت ، فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً .

وفي سنة ثلاث و ثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة حتى انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها ، فمات خلق كثير ، وانكفأت قرية في الغوطة على أهلها ، فلم ينج منهم الا رجل واحد ، وزلزلت انطاكية فمات منها عشرون ألفاً .

وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً ، وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز ، ثم ذهبت إلى همدان ، فأحرقت الزرع ، ثم ذهبت إلى الموصل ، فمنعت الناس من السعي ، فتعطلت الأسواق ، وزلزلت هراة فوقعت الدور .

وفي سنة ثمان و ثلاثين^(١) وجه طاهر بن عبدالله إلى المتوكل حجراً سقط بناحية طبرستان ، وزنه ثمانمائة وأربعون درهماً ، أبيض ، فيه صدع ، وذكروا أنه سمع لسقوطه هدة أربع فراسخ في مثلها ، وأنه ساخ في الأرض خمسة أذرع .

وفي سنة أربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك ، فمرت بمرو فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام ، ثم صارت إلى نيسابور ، وإلى الري ، ثم إلى همدان وحلوان ، ثم إلى العراق ، فأصاب أهل بغداد وسر من رأى حمى وسعال وزكام ، وجاءت كتب من المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها ، فلم ينج من أهلها الا اثنان وأربعون رجلاً سود الوجوه فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها . وقالوا أنتم مسخوط عليكم فبني لهم العامل حظيرة خارج المدينة فترلوها .

(١) ومائتين أي سنة ٢٢٨ هـ .

وفي سنة احدى وأربعين ماجت النجوم في السماء ، وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً كالجراد ، من قبل غروب الشمس إلى الفجر ، ولم يكن مثل هذا الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي السنة التي تليها رجمت قرية يقال لها السويدا ناحية مصر ، بخمسة أحجار ، فوقع حجر منها على خيمة اعرابي فاحترقت ، ووزن منها حجر فكان فيه عشرة أرتال ، وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد ، وزلزلت الدامغان فهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً . وتقطعت جبال ، ودنا بعضها من بعض ، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية ، فهلك من أهلها ، وسار جبل باليمن ، عليه مزارع ، حتى أتى مزارع قوم آخرين ، ووقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب على دلبة^(١) بجلب ، لسبع مضين من رمضان ، فصاح : يا معشر الناس ، اتقوا الله ، الله ، الله ، حتى صاح أربعين صوتاً ثم طار ، وجاء من الغد فصاح أربعين صوتاً ثم طار ، فكتب صاحب البريد بذلك ، وأشهد خمسمائة انسان سمعوه ، ومات رجل في بعض كور الاهواز فسقط طائر أبيض على جنازته ، فصاح بالفارسية والخورية : ان الله قد غفر لهذا الميت ولن شهده .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين زلزلت أنطاكية ، فسقط منها الف وخمسمائة دار ، ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً ، وسمع أهلها أصواتاً هائلة ، من كوى المنازل ، وسمع أهل تنيس صيحة هائلة ، دامت فمات منها خلق كثير ، وذهبت جيلة^(٢) بأهلها .

وفي سنة خمسين وثلاثين ومائتين مطرت قرية حجارة بيضاء وسوداء

وفي سنة ثمان وثمانين زلزلت دنبل^(٣) في الليل ، فاصبحوا ، ولم يبق من المدينة الا اليسير . فأخرج من تحت الهدم خمسون ومائة الف ميت .

(١) تمرقة . شجرة .

(٢) حصن باليمن

(٣) كقنفذ أكراد حول الموصل . فأراد موضعهم .

وفي سنة تسع عشرة وثلثمائة عدل الحاج عن الجادة خوفاً من العرب ،
فرأوا في البرية ، صور الناس من حجارة ، ورأوا امرأة قائمة على تنور
وهي من حجارة ، والخبز الذي في التنور من حجارة .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة هبت ريح بضم (١) الصلح ، شبت
بالتنين ، خرقت دجلة ، حتى ذكر أنها باتت أرضها ، وهلكت خلقاً
كثيراً ، واحتملت زورقاً منحدرأ ، وفيه دواب ، فطرحته في أرض
جوخى (٢) .

وفي سنة عشرين واربعمائة جاء برد هائل ، ووقعت برودة ، حذرت
بمائة وخمسين رطلاً ، فكانت كالثور النائم (٣) .

وفي سنة أربع وثلثين زلزلت تبريز ، فهدم سورها وقلعتها ،
وهلك تحت الهدم خمسون ألفاً .

وفي سنة أربع وأربعين واربعمائة كانت باذريجان زلازل ، انقطعت
منها الحيطان ، فحكى من يعتمد على قوله ، انه كان قاعداً في ايوان ،
فانفجر حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد .

وفي سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بفلسطين هلك فيها خمسة عشر
الفأ ، وانشقت صحرة بيت المقدس ، ثم أعادت فالتأمت ، وغاب الحر
مسيرة يوم ، فساخ في الأرض ، فدخل الناس يلتقطون ، فرجع عليهم
فأهلك خلقاً كثيراً منهم .

وفي سنة اثنتين وستين خسف بأيلة (٤) .

وفي سنة ست وخمسمائة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة في أقطار
بغداد في الجانيين ، قال شيخنا أبو بكر ابن عبد الباقي أنا سمعتها ،

(١) نهر عند واسط .

(٢) بالجيم والواو فالهاء المهمله والألف المقصورة . قرية من عمل بغداد .

(٣) القائم خ ل .

(٤) بلد بين ينبع ومصر .

فظننت حائطاً قد وقع ، ولم يعلم ما ذاك ، ولم يكن في السماء ، غيم
فيقال رعد .

وفي سنة سبع وقعت زلزلة بناحية الشام ، فوقع من سور الرها^(١)
ثلاثة عشر برجاً ، وحسف بسميساط^(٢) وقلب بنصف القلعة .

وفي سنة احدى عشرة زلزلت الأرض ببغداد ، يوم عرفة ، فكانت
الحيطان تمر وتجيء .

وفي سنة خمس عشرة وقع الثلج ببغداد ، فامتألت منه الشوارع
والدروب ، ولم يسمع قبله بمثله .

وفي سنة ثلث وثلاثين وخمسمائة كانت زلزلة بجزيرة^(٣) أتت على
مائتي الف وثلاثين الفاً فاهلكتهم ، وكانت في مقدار عشرة فراسخ في
مثلها .

وفي السنة التي تليها خسف بجزيرة وصار مكان البلد ماء أسود .
وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر ليكون على أهلهم ، وزلزلت حلوان
فتقطع الجبل . وهلك خلق كثير .

وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمائة كانت زلازل بالشام في ثلاثة
عشر بلداً من بلاد الاسلام ، فمنها ما هلك كله ، ومنها ما هلك بعضه .

(١) بلد بنواحي الشام .

(٢) بلد على الفرات .

(٣) جزيرة بفتح الجيم وسكون النون والزاء المعجمة بلدة عظيمة بإيران .

الباب الخامس

في ذكر المواعظ

وهذا الباب ينقسم قسمين : القسم الأول يختص بذكر القصص ،
والقسم الثاني فيه المواعظ والاشارات مطلقاً .

القسم الاول

وهو المختص بذكر القصص ، وفيه ست وعشرون قصة .

الفصل الاول

في قصة آدم عليه السلام

اعلموا ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام آخر الخلق ، لأنه مهد الدار
قبل الساكن ، وأقام عذره قبل الزلل ، بقوله في (الأرض) فظننت
الملائكة أن تفضيله بنفسه ، فضنت بالفضل عليه ، فقالوا (أنجعل فيها)
فقبولوا بلفظ (اني أعلم) فلما صوره ، القاه كاللقا ، فلما عين ابليس
تلك الصورة ، بات من الهم في سورة ، فلما نفخ فيه الروح ، بات
الحاسد ينوح ، ثم نودي في نادي الملائكة (اسجدوا لآدم) فتطهروا
من غدير (لا علم لنا^(١)) وغودر الغادر بخسماً بكبرياء (انا

(١) الآية وما قبلها سورة البقرة ٣٠ - ٣٤ .

خير^(١)) ثم حام العدو حول حمى المحمى ، فلولا سابق القدر ، ما قدر عليه ، فلما نزل إلى الأرض ، خدخد الفرح ، بدمع الترح ، حتى أفلق الوجود فجاء جبريل ، فقال : ما هذا الجهد ؟ فصاح لسان الوجد :

(للخفاجي) :

ما رحلت العيشُ عن أرضكم فرأت عيناى شيئاً حسناً
هل لنا نحوكم من عودة ومن التعليل قولي هل لنا
يا آدم لا تجزع من كأس خطإ كان سبب كيسك ، فلقد استخرج
منك داء العجب ، والبسك رداء النسك ، لو لم تذنبوا :

« للمتنبي » :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل
لا تحزن لقولي لك (اهبط منها^(٢)) فلك خاتمها ، ولكن اخرج
منها إلى مزرعة المجاهدة ، وسق من دمعك ، ساقية لشجرة ندمك ،
فاذا عاد العود اخضر ، فعد :

(للبحري) .

ان جرى بيننا وبينك عتب أو تنأت منا ومنك الديارُ
فالغليل الذي عهدت مقيم والدموعُ التي شهدت غزارُ
ما زالت زلة الآكلة تعاده ، حتى استولى داؤه على أولاده ، فنمت
هينمة^(٣) الملائكة ، بعبارة نظر العاقبة ، فنشروا مطوى (اتجعل^(٤))
قرعوا بعصي الدعاوي ، ظهور العصاة ، فقبل لهم : لو كنتم بين أفاعي
الهوى وعقارب اللذات لبات سليمكم سليماً ، فأبوا للجرأة الا
جر جرير^(٥) الدعاوي ، وحدثوا أنفسهم بالتقى بالتقاوي ، فقبل : نقبوا
عن خيار نقبائكم ، وانتقوا ملك الملكوت ، فما رأوا فيما رأوه لمثلها

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(١) ص ٧٦ .

(٥) كاميذ الجبل .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٣ .

(٣) الصوت الخفي .

مثل هاروت وماروت ، فأبى لسفر البلاء بالبلية. فما نزلا حتى نزلا من
مقام العصمة ، فنزلا منزل الدعوى ، فركبا مركب البشرية ، فمرت على
المرثيين امرأة يقال لها الزهرة ، بيدها مزهر زهرة الشهوة ، فغنت الغانية
بغنة اغن ، فرأت قيان الهوى ، فهوى الصوت في صوب قلب قليهما ،
فقلبهما عن تقوى التقويم ، فأنهار بناء عزم هاروت ، وما رهم حزم
ماروت ، فأراداها على الردى فراوداها ، وما قتل الهوى نفساً فوداها ،
فبسطت نطع التنطع على تحت التخيير ، اما أن تشركا واما أن تقتلا ،
واما أن تشربا ، فظنا سهولة الأمر في الحمر ، وما فظنا ، فلما امتد ساعد
الخلاف فسقى فسقا ، فدخلا سكك السكر ، فزلا في مزالق الزنا ،
فراهما مع الشخصية شخص ، فشخصا إليه فقتلا ، فكشفت فنتتهما في
فئة الملائكة ، فاتخذوا لتلك الواردة ، ورداً من تضرع (ويستغفرون
لِمن في الأرض^(١)) .

(١) سورة الشورى ، الآية ٥ .

في بناء الكعبة

لما علا كعب الكعبة على سائر البقاع بقاع العلم ، أبرزتها كف
 الايجاد كالكعب ، قبل وجود الأرض ، وكان آدم أول من ساس
 الاساس ، ثم بيّت للبيت البيات ، طواف الطوفان ، فحل ما حل أزرار
 حلال الحلال ، فلما هاجر الخليل بهاجر وابنها ، أوضع بهما فوضعهما
 هنالك ، وتولى راضياً بمن تولاه ، يوم حرقوه ، فقالت هاجر : الله
 أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، فرجعت متوكئة على منسأة^(١) التوكل على من
 لا ينسى ، فجعلت تشرب ما معها من ماء ، وترضع لبنها ابنها . فلما
 نفدا جعل اسماعيل يتلوى على رمض رمضان الصوم ، فانطلقت لتبذل
 الجهود في مأمور (فامشوا في منّا كسيها^(٢)) فصعدت باقدام الصفا على
 الصفا ، فلما أطلت الطلة^(٣) على الطلل ، توكفت ظل روح ينقع الغلة ،
 ثم جدت فجدت الجدد^(٤) بالجد هابطة ، فلما طرف طرف^(٥) سيرها
 طرف طرف الوادي ، رفعت طرف ذراعها ، ثم وسعت خطاها وسعت
 للجهد يجهد ذراعها ، ثم أتت المرأة المروة ، وعادت إلى الصفا سبعا ،
 فلذلك أمر المكلف أن يسعى ، لأنه أثر قدم مقدم ، لتصيب الاقدام ،
 نصيباً من مواطي (فبهدهم اقتده^(٦)) فسمعت صوتاً من صوب ،
 فنزل الملك ليزيل النازلة ، فهيا نزل التزيه ، فرزم ماء زمزم ، ونزا
 نزوا^(٧) لانز^(٨) نزأ ، فححص الماء في صحصح الحصى ، فامتدت

(٦) سورة الأنعام آية ٩٠

(٧) وثب .

(٨) بدا قليلا .

(١) المصا

(٢) سورة الملك آية ١٥

(٣) الزوجة .

(٤) الأرض المستوية .

(٥) بالكسر : الفرس وبالفتح : العين وبفتح الطاء والراء : الجانب .

كف الحرص ، فلفقت كالحوض ، فقبل لها ليس هذا الماء من كيس
كسبك فما هذا المذق من حرص فملك ، ولو تركت زمزم لكانت عيناً
معيناً ، فمرت رفقة من جرهم^(١) ، جرهم^(٢) سؤال (فاجعل أفئدة
من الناس^(٣)) فأقاموا .

واشتاق الخليل إلى ابنه ، فاستاق راحلة الرحيل ، فاشتراط لسان غيرة
سارة ، ان لا تزل عن مكانة (و ابراهيم الذي وفى^(٤)) فقدمت زوجة
إسماعيل إليه المقام فقدت فيه قدمه وغابت رجل الرجل
فحولته إلى يساره ، قسرت إليه اليسرى ، فهبت^(٥) دليل الارشاد
بالقاصدين (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى^(٦)) فلما امر ابناء البيت
حار من لا يعلم مراد الأمر ، فاذا سحابة تسحب ذيل الدليل ، قد قدّها
المهندس القدرى على قدر البيت ، فوقفت فنادت يا ابراهيم : علم على
ظلي ، فلما علم كما علم ، هبت فذهبت فسراً بما فسراً له من مشكل
الشكل ، فذلك سراً (واذ بآنا^(٧)) فجعلنا مكان استراحة البناء المعنى
(ربنا تقبل منا^(٨)) فلما فرغنا ، فغراً فم السؤال ، يرتشفان ضرع
الضراعة (وأرنا متأسكتنا^(٩)) فلما شرفت الكعبة باضافة (وطهراً
بيتي^(١٠)) قصدها فوج الفيل ، فقبل^(١١) مرادهم ، لما باتوا على ما يتوا ،
أقبل الطير الذي رمى كالغمم ، فكانت قطراته للحصاد ، لا للبذر ،
فاصبح لزوع الاجساد كالمنجل الهاشم ، ليكون معجزاً لظهور نبي بني
هاشم ، فامسوا في بيدر الدياس^(١٢) (كعصف ما كؤل^(١٣)) .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

(٩) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .

(١٠) البقرة ، الآية ١٢٥ .

(١١) خاب .

(١٢) من الدوس : الوطء .

(١٣) سورة الفيل ، الآية ٥ .

(١) قبيلة .

(٢) سحبهم .

(٣) ابراهيم ٣٧ .

(٤) سورة النجم ، الآية ٣٧ .

(٥) قال هبت .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٢٥ .

(٧) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

في قصة نوح عليه السلام (١)

لما عم أهل الأرض العمى عما خلقوا له ، بعث نوح بجلاء ابصار البصائر ، فمكث يداويهم (الف سنة الا خمسين عاماً) فكلهم أبصر ولكن عن المحجة تعالى ، فلاح لللاحي عدم فلاحهم ، فولاهم الصلاة^(٢) يأساً من صلاحهم . وبعث شكاية الأذى . في مسطور (انهم عصوني) فأذن مؤذن الطرد ، على باب دار اهدار دماهم (انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) فقام نوح في محراب (لا تذر) فأتته رسالة (أن اصنع) وفنادى بريد الإعلام بالغضب (ولا تخاطبني) فلما ان هال كتيب الامهال ، وانقطع سلك التأخير . غربت شمس الانتظار ، فادهمت عقاب^(٣) العقاب^(٤) فلما انسدت الظلمة ، وفات النور (فار التنور) فقيل يا نوح : قد حان حين الحين^(٥) ، فاحمل (فيها من كل زوجين اثنين) ، فتخلف خلف^(٦) نوح خلف^(٧) من ولده ، فمد يد الخنو ليأخذ بيده (يا بني اركب معنا) فأجاب عن ضمير خايض في مساء المساوي (ساوى) فرد عليه لسان الوعيد (لا عاصم) فلما انتقم من العصاة بما يكفي ، كفت كف النجاة كفة الأرض بقسر (ابلعي) وقلع جذع جزع السماء في وكف دمعها بظفر (اقلعي) ونوديت نجوة الجودي جودي ، بانجاء غرقى السير ، وزود الهالكون في سمر الطرد زاد (وقيل بعدا) .

(١) الآيات الواردة هنا من سورة العنكبوت ونوح وهود والمؤمنون .

(٢) وسط الظهر . أي أعرض عنهم . (٥) الهلاك .

(٣) كل ما علا . (٦) وراء .

(٤) العذاب . (٧) يسكون اللام . الولد الذم .

الفصل الرابع

في قصة عاد (١)

لما تجبر قوم عاد في ظل ظلل ضلالهم حين أملى الأمل ، وطول البقاء وزوى ذكر زوالهم ، ومروا في مشاريع عذاب الملاهي ، ناسين من عذابها ، رافلين في حلل الغفلة بالامنية عن المنية وآدابها ، أقبل هود يهديهم ، ويناديهم في ناديبهم (اعبدوا الله) فبرزوا في عتو (من أشد منا قوة) فسحب سحب العذاب ، ذيل الادبار ، باقباله إلى قبالتهم ، فظنوه لما اعترض عارض مطر ، فتهادوا بتبشير البشارة ، بتهادي بشارة (هذا عارض ممطرنا) فصاح بلبل البلبال فلبل (بل هو ما استعجلتم به) فكان كلما دنا وترامى ، ترى ما كان (كأن لم يكن) فحنظلت شجرات مشاجرتهم هوداً ، فجنى^(٢) من جنى ، من جنا ما جنى^(٣) في معنى (فما أغنى عنهم سمعهم) فراحت ريح الدبور ، لكي تسم الادبار بكى الادبار ، فعبجوا منها عجيج الادبر ، فلم تزل تكوى تكوينهم ، بميسم العدم ، وتلوي تلوينهم إلى حياض دم الندم ، وتكفأ عليهم الرمال ، فتكفي تكفينهم ، وتبرزهم إلى البراز ، عن صون حصون ، كن يقيناً يقينهم^(٤) فاذا أصبحت أخذت تنزع في قوس (تنزع الناس) واذا أمست ، أوقعت عريضهم في عرض (كأنهم اعجاز نخل) فما برحت بارحهم^(٥) عن براحهم ، حتى برّحت بهم ، ولا أقلعت حتى قلعت

(١) لم تذكر قصة عاد في الكتب السماوية سوى في القرآن الكريم ، والآيات الواردة في

هذا الفصل من السور التالية : الأعراف وفصلت والأحقاف والحاقة والقمر .

(٢) من جنى الثمر .

(٣) من الجناية .

(٤) يمينهم .

(٥) الريح الحارة .

قلوع^(١) قلاعهم ، فدامت عليهم أفة وداء ، لا تقبل فداء (سبع ليال
وثمانية أيام حسوماً) فحسوا ما آذاهم من سوء ما حسوا ما ، ونسفوا
في قفر (الابعداً) إلى يم (واتبعوا) فلو عبرت في معبر الاعتبار ،
لرى ما آل إليه ما لهم ، لرأيت التوى^(٢) . كيف التوى عليهم ، وكف
التوى كيف نوى الدنو إليهم ، فانظر إلى عواقب الخلاف فانه
شاف كاف .

(٢) الهلاك .

(١) الشراع .

الفصل الخامس

هي قصة ثمود (١)

لما أعرضت ثمود عن كل فعل صالح ، بعث إليهم للإصلاح ، صالح ، فتعنت عليه ناقة أهوائهم بطلب ناقة ، فخرجت من صخرة صماء تققب^(٢) ثم فصل عنها فصيل يرغو ، فارتعت حول نهي نهيهم عنها في حمى حماية (ولا تمسوها) فاحتاجت إلى الماء ، وهو قليل عندهم ، فقال حاكم الوحي (لها شرب) فكانت يوم وردها ، تقضي دين الماء ، بماء درها ، فاجتمعوا في حلة الحيلة ، على شاطئ غدير الغدر ، فدارقदार^(٣) حول عطن^(٤) (فتعاطى) فصاب عليهم صيب صاب صاع صاعقة العذاب الهون ، فحين دنا وديدن ، دمغهم دمار فدمدم ، فأصبحت المنازل ، لهول ذلك النازل (كأن لم تغن بالامس).

(١) أنظر سورة الأعراف والشعراء وهود . (٣) إسم عافر الناقة .

(٢) تصوت . (٤) منائح .

في قصة الخليل عليه السلام

كان الكهنة قد حذرت نَمْرُود وجود محارب غالب ، ففرق بين الرجال والنساء ، فحمل به على رغم أنف اجتهاده ، فلما خاض المخاض في خضم أم ابراهيم وجعلت بين خيف الخوف وحيز التحيز تهيم ، فوضعت في نهر قد يبس ، وسترته بالحلفاء ليلتبس ، وكانت تختلف لرضاعه ، وقد سبقها رضاع (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل^(١)) فلما بلغ سبع سنين ، رأى قومه في هزل (وجدنا آباءنا^(٢)) فجادلهم^(٣) فجادلهم^(٤) فجادلهم^(٥) وابرز نور الهدى في حجة (ربي الذي يحيي ويميت^(٦)) فقابله نمرود ، بسهى السهو في ظلام «أنا أحيي» فالتقاه كاللقا ، على عجز العجز ، بأفات (فات بها ، فبهت) ثم دخل دار الفراغ «فَرَاغَ عَلَيْهِم^(٧)» فجردوه من بُرد^(٨) بَرْد^(٩) العدل ، إلى حر حَرَّوهُ^(١٠)) فبنوا لسفح دمه بنياناً إلى سفح جبل ، فاحتطبوا له على عجل العجل ، فوضعوه في كفة المنجنيق ، فاعترضه جبريل ، في عرض الطريق فناده وهو يهوي في ذلك الفلا : الك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، فسبق بريد الوحي إلى النار . بلسان التفهيم (كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ^(١١)) .

- (١) الأنبياء آية ٥١ .
 (٢) الأنبياء ٥٢ .
 (٣) من المجادلة .
 (٤) من الجدل خلاف اللب .
 (٥) غلبهم في الجدل .
 (٦) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .
 (٧) سورة الصافات ، الآية ٩٣ .
 (٨) التوب .
 (٩) ضد الحر .
 (١٠) سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ .
 (١١) سورة الأنبياء ، الآية ٦٩ .

في قصة الذبيح عليه السلام

لما ابتلى الخليل بالنمرود فسلم^(١) ، وبالنار فسَلِمَ^(٢) ، امتد ساعد البلاء إلى الولد المساعد ، فظهرت عند المشاورة نجابة (إفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ^(٣)) وآب يوصي الأب : أشدد باطي ليمتنع ظاهري من التزلزل ، كما سكن قلبي مسكن السكون ، واكفف ثيابك عن دمي لئلا يصبغها عندي فتحنن لرؤيته أُمِّي ، واقر السلام عليها مني ، فقال : نعم العون أنت يا بني ثم أمر السكين على مريثي^(٤) المرء فما مرت ، غير ان حشرات الفراق للعيش أمرت ، فطعن بها في الخلق مرات ، فنبت^(٥) ، لكن حب حب الرضا في حبة القلب نبت ، يا ابراهيم من عادة السكين أن تقطع ، ومن عادة الصبي أن يجزع ، فلما نسخ الذبيح نسخة الصبر ، ومحا سطور الجزع ، قلبنا عادة الحديد ، فما مر ولا قطع ، وليس المراد من الابتلاء أن نعذب ، ولكننا نبتلي لنهذب .

أيسن المعتبرون بقصتهما في غصتهما ، لقد حصحص الاجسر في حصتهما ، لما جعلنا الطاعة إلى الرضا سُلْمًا^(٦) ، سل ما يؤدي فسلما ،

(١) في التسليم .

(٢) في السلامة .

(٣) سورة الصافات ، الآية ١٠٢ .

(٤) مجرى الطعام .

(٥) كلت .

(٦) مرقى .

وكلما كلما حاجب كلم^(١) كل ما به تدبجان ، فصد ما به صدمما ، بينا
هما على تل (وتلّه^(٢)) جاء بشير (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) فارتد اعمى
الخزن بصيراً بقميص (وفدَيْنَاهُ) . ليس العجب أمر الخليل بذبح
ولده ، وانما العجب مباشرة الذبح بيده ، ولولا استغراق حب الأمر
لما هان مثل هذا المأمور .

(١) جرح .

(٢) الآية وما بعدها من قصة الذبيح ، سورة الصافات ، الآية ١٠٣ - ١٠٧ .

في قصة ذي القرنين

قطع ذي القرنين الأرض واقطعها فمر سالكاً مسلماً ما فت (١) سبسه فتى (فاتبع سبياً) (٢) فشم مشمراً ما تلفت ، حتى لفت شملة جمع شمله بالشمس في عين حمته ، فلما أفرغ غرب الغرب على غارب الغربية مشى نحو المشرق ، ولم يزل يحوز الكنوز ، ويجوز (٣) إلى قتل من يجوز ، إلى أن طلعت طلايحه الطلعة (٤) على مطلع الشمس ، فابرز نير عدله المشرق في المشرق ، ثم رأى باقي عرضه في دمه مقدار مقدرته كالدين ، فسلك بين السدين ، فلما حشى حشا الجبلين بالزبر ، واج المفسدون قسر قصرهم ، على مضض (فما استطاعوا) . عجياً له كم اقتنى من اصقع (٥) واقنف (٦) ، وكم اسعف (٧) باغشى (٨) واسعف (٩) وكم لطى له (١٠) من لطيم (١١) واخيف (١٢) ، وكم سعى به من اكسع (١٣) ، وقفز به من اقفز ، ومشى به في محجة المشرق محجل ، وطرق به طريق المغرب مغرب ، كم صحبه من سايف ونابل وسالح ، كم تبعه من مدجج ورام ورامح ، كم تقدم في مقدمته من مقنع مقنع ، كم تبعه من في السلاح كافر (١٤) ، غير شاك في الصلاح ولا كافر ، فما درأ عنه الاد (١٥) المودى له مود ، ولا دارى عن داره الدوائر دارع ، ولا رد عنه ورد ولا كبيت ، اذ ورد عليه ما تركه كبيت (١٦) ، ولا فرّ به من منيته

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) قطع . | (٩) الفرس الأبيض الناصية . |
| (٢) سورة الكهف ، الآية ٨٥ . | (١٠) أخذ له قبل الإنتظار . |
| (٣) يمضي . | (١١) الفرس الأبيض . |
| (٤) كهزمة . المتطلعة كثيراً . | (١٢) الفرس الأزرق العينين . |
| (٥) الفرس الأبيض المقدم . | (١٣) الفرس الأبيض طرف الرجل . |
| (٦) الفرس الأبيض المقدم . | (١٤) مغطى بالسلاح . |
| (٧) ساعد . | (١٥) الداهية . |
| (٨) الفرس الأبيض لوجه . | (١٦) الكاف فيه التشبيه . |

سابق ، ولا سَكَيْتُ^(١) ، فكأنه إذ مات ما تحرك على حارك فرس ، ولا شاك شاكلته^(٢) بشولحة عقب ، بل مر كأنه لم يكن ، وذل للموت وقبلها لم يهن ، فتملح آخر الدنيا ان كنت تدري ، وانظر في أي بحر إلى الهلاك تجري ، واصخ لخطاب الخطوب ، وافهم ما يجري ، وكن على أهبة فهذي الركاب تسري .

(للشريف الرضي^(٣)) :

أفلا تسيءُ الظن بالعميرِ	أو ما رأيت وقائع الدهر
هضباته والعصب ذي الأثرِ	بيننا القى كالطودِ تمنعه ^(٤)
ويجاذبُ الأيدي على الفخرِ	يأبى الدنية في عشيرته
حشدت عليه بأوجه غرِّ	وإذا أشار إلى قبائله
ومواطىءُ الأقدام للعشرِ	زل الزمانُ بوطء أحمصه
واقرَّ اقراراً على صغرِ	نزع الإباء وكان شملتة
من لحم الصدفين بالقطرِ	صدعُ الردى أعى تلاحمه
أمماً يدق السهل بالوعرِ	جر الجباد على الوجى ومضى
في قعرٍ منقطعٍ من البحرِ	حتى التقى بالشمس مغدته
كالضغث بين الناب والظفرِ	ثم اننت كف المتون به
رد القضاء بماله الدائرِ	لم تشتجر عنه الرماح ولا
لاقتة وهو مُضَيِّعُ الظهرِ	جمع الجنود وراءه فكأنما
أمسى بمضيعة ولا يدري	وبنى الحصون ممتعاً فكأنما
لحامه كان السذي يبئرى	ويرى المعابل ^(٥) للعدى فكأنما

(١) المتأخر من الخيل .

(٢) خاصرته .

(٣) قاله يرفي المظفر أبا الحسن عبيد الله بن محمد عام ٣٨٧ ، وكان بينهما صداقة ، أنظر

ديوانه ١ / ٤٩٤ - ٤٩٧ .

(٤) في الديوان « تكشفه » .

(٥) الفصول .

أودى وما أودت مناقبه
ان التوتي بفضل^(١) معجزة
نحمي المطاعم للبقاء وذي
لو كان حُفظ النفس ينفعها
الداء^(٢) داء لا دواء له
ومن الرجال مُعَمَّرُ الذكر
فدع القضاء يَقْدُ أو يفري
الآجال ملؤ فزوجها تحزي
كان الطيب أحق بالعمز
سيان ما يُوبى وما يُمري

(١) في الديوان (فرط) .

(٢) في الديوان « الموت » .

في قصة قوم لوط

لما تهاوى قوم لوط في هوة أهوائهم وتنادوا في جهات جهلهم ،
 (أُخْرِجُوا آلَ لُوطَ ^(١)) بعثت الاملاك لانتراع ملاك الحياة من أيديهم ،
 فترلوا من منزل لوط منزل التزيل ، وهم في أفسح بيت نبي من الكرم ،
 غير أن حارسَ حِذْرِهِ ينادي (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ^(٢)) فخاف من
 قومه آذاهم (فَإِذَا هُمْ يَهْرَعُونَ ^(٣)) فأخذ يدافع ، تارة بمشورة (هؤلاء
 بناتي ^(٤)) وتارة بتقاة (فاتقوا الله ^(٥)) وتارة بسؤال (وَلَا تُخْزُونَ ^(٦))
 وتارة بتوبيخ (أَلَيْسَ مِنْكُمْ ^(٧)) فلما كلَّ كلَّ سلاحه ، وأعيته جهات
 جهاده ، ان برمز (لو أن لي بكم قُوَّةً ^(٨)) فحجبهم جبريل بحجاب
 (فَطَمَسْنَا) وانتاشه من أسر الغم بلفظ (فاسر ^(٩)) فلما علم أن الملائكة
 ملائكة ، تشوق إلى تعجيل التعذيب ، فنادت عواطف الحلم (أَلَيْسَ
 الصَّيْحُ بِقَرِيبٍ ^(١٠)) فسار بأهله على اعجاز نجائب النجاة ، الا عجوز
 العجز عن عرفان المعجز فانها لحقت بالعجزة ، فلما لاح مصباح الصباح ،
 احتمل جبريل قري ^(١١) من جنى على قري ^(١٢) جناحه ، فلم ينكسر في
 وقت رفعهم اثناء ، ولم يرق في صعود ^(١٣) صعودهم ماء ، فلما سمع
 أهل السماء نباح كلابهم أسرع كف القلى بهم في انقلابهم ، فتنفكروا

(١) سورة النمل ، الآية ٥٦ .

(٢ - ١٠) هود ٧٧ - ٨١ .

(١١) جمع قرية .

(١٢) الظهر .

(١٣) العقبة الشاقة .

بالقلب ، كيف جوزوا على قلب الحكمة بالقلب ، ثم بعث إليهم سحب
فشصا^(١) بالشصائص واحزال^(٢) ثم ال^(٣) إليهم ، فاكفهرت بالغضب
أرجاؤه ، واحومت^(٤) بالسخط أرجاؤه ، وابدعرت^(٥) فعرت بوارقه ،
وارتنقت في جو الجوى جوبه^(٦) ، واستقلت على قلال قلاقل الردى
أردافه ، فارتجز بأرجوزة الرجسز قبل أن يهيم فهمهم ، في دوى بأدواء
في دو دورانه فاذلم ، وركد كيده فلم تكذ قلوغه تقطلع حتى قلعهم
حينه حين أجم ، فما أرك^(٧) ولا دث^(٨) ولا بغش^(٩) . بل قطقط^(١٠)
فافرط ، وعم عميمه حين اغمط^(١١) ، فتقاطر على قطرهم من قطرة
قطر الحجارة ، وبغتهم في غرة غرتهم بالغرور حين شن الغارة ، تالله
لقد ضكضك العذاب ، فضعضعهم فتضعضعوا ، وانقض بقضه
وقضيضه ، فقضقض عظام عظامهم ، وقطعها فتقطعوا ، وسار بهم على
طرفسان^(١٢) عقاب العقاب ، إلى عوطب^(١٣) العطب فاهرمعوا^(١٤) ،
وكانوا في كن صافي الصفاة ، فمروا إلى مر الملقى^(١٥) فانفرتقعوا^(١٦) ،
وهمس هميسعهم^(١٧) وهل لملتهم الا الوهل والوهى ، ولات حين مناص
فادرتقعوا^(١٨) ، وبرقط^(١٩) المخر نشم^(٢٠) بعد أن بهنس^(٢١) ، وبلطط^(٢٢)

-
- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) إرتفع بالنور القليلة اللبن . | (١٢) بكسر الطاء الظالمة . |
| (٢) علا . | (١٣) الداهية . |
| (٣) أسرع . | (١٤) يتشديد الميم خفوا عاجلين . |
| (٤) إستدامت . | (١٥) لقم الطريق . |
| (٥) تفرقت . | (١٦) تنحوا وانكشفوا . |
| (٦) فجواته . | (١٧) القوي . |
| (٧) أركت السماء . مطرت ضعيفاً . | (١٨) فردوا . |
| (٨) الدث المطر الضعيف | (١٩) خطأ متقارباً . |
| (٩) البنش اضعف المطر | (٢٠) المتناظم . |
| (١٠) عظم تتابمه . | (٢١) تتاقل . |
| (١١) دام ولازم . | (٢٢) اعصى . |

فبلطح^(١) وحن المبرنشق^(٢) بعد أن زهق^(٣) ، فبلسم^(٤) وكلح ، فاجيل
على ذلك الجليل ، سجل السجيل ، فما برح حتى برح ، ودار هاتف
العبرة ، على دارس دارهم ينادي (ولقد تركنا منها آية) ^(٥) .

فليحذر العازمون على طروق طريقهم من وعيد (وما هي من
الظالمين ببعيد) ^(٦) قبل غصص الجرض^(٧) والم الحرص^(٨) ، عند حلول
المرض ، حين يعتقل اللسان ، ويتحير الانسان ، وتسيل الاجفان ، ويزول
العرفان ، وتنشر الاكفان ، فيا عجباً . كيف الفى لذة العيش القاني الفان ،
وقد مر فامر كل ما كان (كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَاَنْ) ^(٩) .

-
- (١) ضرب بنفسه الأرض .
 - (٢) الفرح .
 - (٣) ضحك .
 - (٤) سكت عن فزع .
 - (٥) سورة العنكبوت آية ٣٥ .
 - (٦) سورة هود آية ٨٣ .
 - (٧) الريق .
 - (٨) الفساد في البدن والعقل .
 - (٩) سورة الرحمن آية ١٦ .

في قصة يوسف عليه السلام

لما تمكن الحسد من قلوب أخوة يوسف ، ارى الظلوم مال الظالم في مرآة (لاني رأيتُ أَحَدَ عَشَرَ كوكِباً) فتلطفوا بخداع (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا) وشوقوا يوسف إلى رياض (نرتعُ ونلعبُ) فلما أصبحوا اظهروا المقت له ، ورموا بسهم العدوان مقتله ، ففسخ نهارُ رفقهم به ليلَ انتهارهم له ، فصاح يهودا ، في بقايا شفق الشفقة واغباش غيابة^(١) الحب (لا تقتلوا يوسفَ وألقوهُ في غِيَابَةِ^(٢) الجُب) فلما ألقوه ، وقالوا هلك جاء مَلَكٌ من عند من مَلِكٌ ، يقول : ستبلغ أَمَلَك (لَتُنَبِّئَهُمْ) فعادوا عن عادوا كالأعشى (عِشَاءً يبيكون) ولطخوا قميصه الصحيح (بدمٍ كَذِبٍ) فلاحت علامة سلامه القميص كي يظهر كيدهم ، فقال حاكم الفراسة (بل سَوَّلَتْ) .

فلما ورد وارد السيارة ، باعوا الصدفة ولم يتلمحوا الدرّة ، واعجبا لقمر قומר به ، فلما وصل إلى مصر تفرس فيه العزيز ، فأجلسه على اعزاز (أَكْرَمِي) فشغف قلب سيدته وفرى (فراوَدَتْه) فسار بأقدام الطبع في فلاة غفلات (هَمَّتْ به وهمَّ بها) رد (لولا أن رأيتُ) فانقذ قوى الفرار وما استبقي (فاستَبَقَا) فانبسطت يد العدوان وامتدت (وقَدَّتْ) فلما بانّت حجته في ابان (وشهد شاهد) أخذت تزكي^(٣) مصرأة^(٤) الاصرار ، يمين يمين (ولئن لم يفعل) فاختارت درة فهمه ،

(٣) تربى خ ل .

(٤) الشاة المحفلة .

(١) كل ما أظلك .

(٢) قمر البئر .

صدفة الحبس لجهل الناقد (ربّ السجنُ أحبُّ إليّ) فلما ضاق قفص
الحصر ، على بلبل الطبع ترنم بصوت (اذكّرني) فعوقب بايثاق باب
(فلتبّث في السجن) فلما آن أوان الفرج ، خرج إلى الملك .

هذا ويعقوب مفترش فراش الاسى على حزن^(١) الحزن ، لا
يستلذ نوماً ولا سنة^(٢) ، ثمانين سنة ، حتى نحل البدن ، وذهب البصر :

لم يبق لي بعدكم رسم ولا طللُ الا وللشوق في حافاته عملُ
اذا شممت نسيماً من بلادكم فقدت عقلي كأني شارب ثميلُ

فلما عمّ عامُ القحطِ أرض كنعان ، خرج أخوته لطلب الميرة ،
فدخلوا عليه في ظلام ظلمهم ، فرآهم المظلوم بعين (لتنبئهم) وخفي
عليهم نعمة (اقتلوا يوسف) فاقبل عليهم سائلاً ، واقبل الدمع سايلاً
وتقلقلَ تقلقلَ الواجد ، ليسمع أخبارَ الوالد .

ايه أحاديث نعمان وساكنه إن الحديث عن الاحباب اسمارُ
أفتش الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضكم نكباء معطار

فقالوا : جئنا من أرض كنعان ، ولنا شيخ يقال له يعقوب ، وهو
يقرأ عليه السلام ، فلما سمع رسالة أبيه ، انتفض طائر الوجد لذكر
الحبيب :

وداع دعا اذ نحن بالخياف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

فرد السلام قلبه قبل لسانه ، وشغله وكف شأنه عن شأنه ،
وقال مقول ابدائه بعبارة صعدهائه :

خذي نفسي يارريح من جانب الحمى فلاقني به ليلا نسيم ربي نجد
فان بذاك الجو حباً عهدته وبالرغم مني أن يطول به عهدي

ثم انه طلب آخاه ، فاحتالوا بحجة (منيع من الكيل) فلما حملوا
حال بينهم وبينه ، بحيلة (جعل السقاية) فلما دخل وقت التهمة (أذّن

(١) خلاف السهل .

(٢) اوائل الناس .

مؤذّن) فعادوا إلى أبيهم بشجى على شجن ، وقرح على جرح ، وعقر على عقر في عقر ، فقام وقد تقوس ، وعسى على باب (عسى) ثم بعثه لطف (لا تَفَنَطُوا) على أن بعثهم برسالة (فَتَحَسَّسُوا) فلما رجعوا دخلوا من قفر القفر ، فاستلقوا في ساحة الضر ، ينادون على غليل عليل الذل (وتصدق علينا) تالله لقد جوزيت أيد ، مدها تغشرم^(١) (وشروه) ان مدت في طريق ذل (وتصدق علينا) فلما عرفوه اعترفوا ، فمحي ما اقترفوا بكف (لا تشرب) فرفع من موائد تلك الفوائد نصيب الوالد (اذهبوا بقميصي) فهبت نسائم الفرح ، فتوغلت في خياشيم مريض كالفرخ ، من فرج^(٢) الفرج ، فخر ركام الزكام ، عن منخر الضر ، فنادى مدنف الوجد (اني لأجد) :

نشدتك الله يا نسيم	ما فعلت بعدنا الرسوم
هل استهلت بها الغوادي	ونمقت روضها الغيوم
وهل بها من عهدت فيها	بعد على حاله مقيم
علل بروح الوصال صبا	أنفاسه للجري سموم
وعد فسلم على اناس	ما أنا من بعدهم سليم
واشرح لهم حال مستهام	أنت بأشواقه عليهم
وقل غريب ثوى بأرض	في غيرها قلبه يهيم
يكابد الشوق حين يمسي	وتعري قلبه الهموم
أحبابنا تنقضي الليالي	وما انقضت تلکم الكلام
ذاك اللاديع الذي عهدتم	بعد على حاله سقيم
اصبح من فقركم وحيداً	فلا خليل ولا حميم
لم تجر ذكر القراق الا	حن كماحت الزوم ^(٣)

(١) المرأة .

(٢) جمع فرجة .

(٣) الناقة التي حنت لولدها .

فلما كشف يعقوب فدام^(١) الوجد ، بكف (إني لأجيدُ)
 احدثت به عواذل (تالله تفتؤ) ، تالله لو وجدوا ما وجد ما أنكروا
 ما عرف .

للمهيار) : (٢)

هل	لكما	من	علم	بالتارق	الملم
سرى	على	الدياجي	سرى	أخيه	النجم
يشق	نجداً	عرضاً	من	شخصه	بسهم
فنور	الليل	وليست	من	ليالي	التّم
خذ	يا	نسيم	عني	تحتي	ولثمي ^(٣)
وهنهم	بوجدهم	من	الكرى	وعُدّمي	
قالوا	هجرت	أرضهم	أهجرها	برغمي	
قد	وصلت	إلى	الحشا	رسلكم	بالسقم
فلم	تدع	واسطة	بين	دمي	ولحمي ^(٤)
عج	كي	تري	رسوماً ^(٥)	ثلاثة	في
سوى ^(٥)	النحول	بيننا	تعرّفنا	وآرهم	بالوهم
خط	هلال	ليلسة	وآرهم	وجسمي ^(٦)	

(١) غطاء القارورة ونحوها .

(٢) قاله يمدح سعد الملك أبا الحسين صاحب النعمان في المهرجان ، أنظر ديوان شعر

. ٢٦٩ / ٣٥ .

(٣) في الديوان « وضمي » .

(٤) في الديوان « ولحمي » .

(٥) جعلنا سواء .

(٦) في الديوان « غيظ هلال أبك ودارها جسي » .

في قصة ايوب عليه السلام (١)

جُمِعَ لأيوب بين كثرة المال وحسن الأعمال ، فملا مدحُه بالوفاق الآفاق ، فأثارت تلك الآثار حسداً من ابليس قد تقادم منذ آدم ، فقال : يا رب ان سلطني عليه ، القيته في الفتنة ، فالقيته في الفتنة المفتونين ، فقيل : قد سلطناك على ماله من مال ، فمال إلى جميع عفاريته ، ففرقهم في تمزيق ماله ، وتولى هو رمي بيته على بنيه ، ثم أتى في صورة معلمهم يعلمه ، فرأى ذلك لا يؤله ، انصت العدو لسمع عربدة السكر ، فاذا أيوب يتلو آيات الشكر ، فصاح بلسان حسده ، سلطني على جسده ، فسلطه وقد سبقه الصبر ، فتقطع الجسم وداد : وما تقطع رسم الوداد ، فأخرجه أهل قريته ، لقرح قرحه إلى قرواح^(٢) كناسة ، فرموه كسيراً كالكسرة وكساء كساده عندهم أعلى عندنا من أعلى كسوة كسرى ، فلم يزل ما نزل به حتى بدا حجاب بطنه ، وكان يبصر عظامه ومعاها معاً

(للمهيار) :

ما اختص مني السقام جارحة كل جهاتي أغراض متبل
إذا لحاظي لجسمي امتعضت من الضنا قال قلبي احتمل

فدام هذا البلاء عليه سنين ، وفيدام^(٣) الصمت عن الشكوى على فيه
تبين ، ولم يبق غير اللسان للذكر ، والقلب للفكر ، فلو أصغى إلى نطق

(١) إقرأ قصته في سورة الأنبياء ٨٣ - ١٨٤ وسورة ص ٤١ - ٤٤ .
(٢) البارز تحت السماء .
(٣) جمع فدم : المي عن الكلام في ثقل .

حاله سمع فهم : أو سأله عن وجده رب قلب لسمع من الذماء (١) الذما
يناجي به الحق .

(للشريف الرضي (٢)) :

محا بعدكم تلك العيون بكاؤها وغال بكم تلك الاضالع غولها
فمن ناظر لم تبس الا دموعه ومن مهجة لم يبس الا غليلها
دعوا لي قلباً بالغرام اذيبه عليكم وعينا في الطلؤل احيها

فلما كع ابليس : لقي زوجته في صورة متطبب ، فقال : عندي
دواؤه ، بشرط أن يقول بشفتيه شفيتني . فجاءت تدب ، وقد أنساها
طول البلاء تدبر المعنى ، فأخبرت من قد خبر عدو العدو ، فغضب
المؤدب على تلميذ ما يقوم بطول الصحبة ، فحلف لئن شفي ، ليجلدنها
مئة ، فيينا المرء يكابد المر ، مر به صديقان له ، فقالا : لو علم الله من
هذا خيراً ، ما بلغ به هذا الأمر ، فما شد على سمعه أشد من ذلك ، فخر
على عتبة (ولا تُشْمِت) واستغاث بلفظ (مَسْنِي) وصاح بادلال (لو
أقسم) فجاء جبريل برسالة (اركض) وليس العجب لو ركض جبريل
انما العجب ان يركض العليل ، فركضت خيل النعم عند ركضته فردت ،
وما غار الماء ما اغير عليه من نعمته ، فنسى بنسيم العافية . ما ألم من ألم ،
وردت يد المنة ، كل ما مر منه وذهب ، وكان نثار الرضا على واديه ،
بعد أن جرى وادي جرادي (٣) من ذهب ، واقبلت زوجته ، وعليه يمين
ضربها ، وما كان يحسن في مقابلة صبرها ، فاقبل لسان الوحي يتلو
فتوى الرحمة ، ويراعي ما سبق من مراعاة رحمة (٤) (وخذ بيدك
ضغثاً) تالله ما ضره ما أكل من جسده الدود ، لما اختال في ثوب مودود ،
واصبح مصطحباً شراب السرور ، من جود الجود ، فرنت قيان الفرح ،
اذ غنت السنة المدح لا يعود ، وفاح عبير الثناء فزاد نشره على كل
عود (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ) .

(١) بقية النفس .

(٢) من قصيدة قالها لما وقف على منزله سنة ٤٠٤ ، أنظر الديوان ٢ / ١٨٣-١٨٦

(٣) كفرادي : موضع . (٤) زوجة أيوب .

في قصة شعيب عليه السلام

لما رأى شعيب شعب شباب قومه قد امتلأت بالخور ، صعد منبر التذكير بالانعام ، ولكن بين الانعام ، فخوفهم من قحح قحل^(١) القحط في اشارة (اني آراكم بخير^(٢)) فتلقوه باستهزاء (اصلواتك^(٣)) ومدوا نحوه باع النخوة (لنخرجنك^(٤)) وتعللوا بحجة (ما نفقه^(٥)) وانتهوا إلى عتو (فاسقط علينا^(٦)) فلما اسمر^(٧) ظلام ظلمهم ، اسحنكك^(٨) ليل ادبارهم ، واسلنطح^(٩) نهار هلاكهم ، فحقق^(١٠) إليهم ما حق عليهم من محقهم ، فاضل على ظلل ضلالهم (عذاب الظلة^(١١)) فارتجت أرجاء بيوتهم ، برج الرجفة ، وشدت عليهم شدة الحر ، فهربوا إلى البر ، فاذا سحابة تسحب ذيل برد البرد ، فتنادوا هلموا إلى راحة الروح ، فلما تم اجتماعهم في قصر الحصر ، وظنوا أنها من حر وقتهم وقتهم ، نزلت بهم نار فأحرقتهم ، فساروا إلى جهنم في أسر ادبارهم ، وسار بعد بعدهم في ادبارهم ، نذير التحذير من تبديرهم ، وعابهم في عقاب عقابهم (الآن بعداً للمدين^(١٢)) . فليحذر العصاة مثل أفعى أفعالهم ، وليتق أعمى البصيرة شبه أعمالهم ، وليخف المطففون من أخذ التطفيف في مكياهم ، وليسمعوا نذير العبرة ، فقد أوحى إليهم بشرح أعمالهم .

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| (٧) تنكر . | (١) ييس . |
| (٨) اشتد ظلاماً . | (٢) سورة هود ، الآية ٨٤ . |
| (٩) وقع على وجهه . | (٣) سورة هود ، الآية ٨٧ . |
| (١٠) جد في السير . | (٤) سورة الأعراف ، الآية ٨٨ . |
| (١١) سورة الشعراء ، الآية ١٨٩ . | (٥) سورة هود ، الآية ٩١ . |
| (١٢) سورة هود ، الآية ٩٥ . | (٦) سورة الشعراء ، الآية ١٨٧ . |

في نكر بداية موسى عليه السلام

كانت الكهنة قد أخبرت فرعون بوجود موسى ، فاطلق الموسيقى في ذبح الأطفال ، فلما آهمت أم موسى بالوضع ، أوضع الحرس إلى بيتها بالطلب ، فأدركها عند العلم الدهش ، فألقته في التنور القساء الحطب ، فلما عادت فرأته قد سلم شاهدت في ضمن ما صنعت أثر (واصطنعتك^(١)) فكانت سلامته من النار نقداً لأجل احتمال لأجله وعداً لنجاة يوم اليم ، لما سعت بتابوته إلى البحر ، ارتعشت يد التسليم فأمسكها ، فصاح شجاع الشجاعة بملء فيه : ان اقدفيه فيه ، فصدرت بعد القائه بصدر قد لوى به لواعج الاشتياق ، لا يعلم قدر ما به ، الا من قدرمي به ، فتلقاها بالبشر بشير (انا رادوه^(٢)) فلم تزل أمواج اليم ، تيمم به مسالك القدر ، إلى أن خبت^(٣) به خيل النيل ، فشرعت في تناوله مشرعة دار فرعون ، فألقته في بركة (فالتقطه) فلما فتحوا التابوت أسفر عن مسافر على نجيب النجابة ، قد جعل زاده في مزود (ولتصنع) ووشح قلادة الحب قد رصعت بدر (والقيت) فقام فرعون على أقدام الاقدام على قتله ، فخرجت آسية من كمين اتباعه ، تنطق عن لسان (سبقت لهم) وتنادي في مخدع خديعة الحرب (قرة عين لي ولك) وتجمع في كلامها ما هو فرد في لغة الغدر (عسى أن يتفنعنا) فلم يزل فرعون في اغباش غرور يذبح ، حتى طلع غرر صبح (ونريد

(١) سورة طه ، الآية ٤١ .

(٢) أنظر سورة القصص ٧ - ١٣ وسورة طه ٣٧ - ٤٠ .

(٣) سارت الخيب .

أن نمن) فلما قص شوق أمه جناح صبرها ، قالت لاخته (قصيه فبصرت به) في حريم (وحرمتنا) فدننت فدنذنت^(١) حول حلة الحيلة ، بحول (هل أدلكم) فلما حفظت باب المكر ، بحارس (يكفلونه لكم) دخل طفيلي الوجد من باب (وهم له ناصحون) فجاءت بأمرها يؤمها دليل الطرب ، فكادت إذ حضرت تحضر في ميدان (لتبدي به) فكبحها بلحام (لولا ان ربطنا) فخافت لسان جهرها لما خافت ، فسل من أيديهم إلى سلم تسليمها ، فقرر في حجر (كي تقرر عينها) وترنمت بلابل الوصال فاخرست بلابل الفراق .

فربي موسى في ربي^(٢) فرعون ، ونمي بين نمارقه ، إلى أن آن أوان مشاجرته ، فجرى القدر بقتل القبطي ، ليكون سبباً في سر سير (ولما تَوَجَّهَ) فسعى على أرجاء رجاء (عسى ربي) فتزود مزود (ولما وَرَدَ) فتجمع شمل الصهر بواسطة (ان ابني) فبقي ضمان الوفاء إلى أمانة (فلما قَضَى موسى الأجل) فتلمح معنى (قال لاهله امكثوا) فيبدو في بادية الحيرة أنيس (اني آنست) فترامي كف الطمع إلى مرامي (لعل آتيكم) فأطل على طلل الطلب اقدام (فلما آتَاهَا) فنلقط ثمار التكلم من غير كلفة (وهزي) تساقط من جني جنات التجلي (اني انا الله^(٣)) .

(١) تكلمت بصوت ضعيف .

(٢) جمع ربة .

(٣) أنظر سورة القصص وطه والاسراء .

الفصل الرابع عشر

في تكليم الله عز وجل موسى عليه السلام

لما خرج موسى بأهله من مدينة مدين ، انطلق طلق الطلق بزوجته
فما زال يكادح المقادح فلم تور ، لأن عروس نار الطور لما همت بالتجلي ،
نوديت النيران بلسان الغيرة من المشاركة (غضى) فقام على اقدام التحيرة ،
فهتف به انيس (آنس) فانس :

يا حار ان الركب قد حاروا فاذهب تجسس لمن النار
تبدو وتخبو ان خبت وقفوا وان أضاعت لهم ساروا

فشم موسى عن ساق القصد وساق ، فلما أتى النادي (نودي) فحين
ذاق لذة التكليم ، جرح قلبه نصل الشوق ، فلم يداوه الا طيب (وواعدنا)

ليالينا بذى الاثلاث عودي ليورق في ربي الاثلاث عودي
فان نسيم ذاك الشيخ اذكى لدي من انتشاقى نشر عود
وان حديثكم في القلب أحلى وأغيب نغمة من صوت عود

فبعث في حرب فرعون ، فلم يزل مشغولاً بالجهاد ، إلى أن قبر
القتيل في لحد اليم ، فطلب قومه كتاباً يضبط شاردهم ويرد نادهم ،
فأمره الله أن يصوم ثلاثين ليلة ، نهاره وليله فأمسك على مسك (١) الامسك
بكف الكف في الوصال ، فدّامَ فدّامُ فيه فيه عن مطمع المطعم ،
فقيد فقيد قوت الوقت ، فصار في قبيء ذكر الوعد ، فما انقضت
الليالي حتى انقضت ظهر البصر ، فقام لترأى جلال الوفاء بالأمر ، فلاح

في مطلع فلاح القصد ، فبادر يسعى على اقدام الحب ، إلى زيادة ربح
 الحب ، فكاد يقله قلقلة الوجد ، فوجد الهواء متغير الريح ، في عرضة
 القم ، فصاح به فصيح لسان الخزم من وراء رأي العزم : يا موسى
 غير أترأ لازم ، فتناول مضغة من النبات فمضعها ، فقيل له : أيها الصائم
 عن أمرنا ، لم افطرت برأيك ؟ فقال : وجدت لقمي خلكوفاً ، وما
 أردت بفعلي خيلاً ، فقيل : ما علمت أن فور فورة الخلوف من قدر
 الامسك ، أطيب عندنا من فارة فارة المسك ، انا لننظر إلى قصد الفاعل
 لا إلى صورة الفعل ، الدم نجس مجتنب ، لكنه في حق الشهيد شهبي
 (زملوهم بكلوهم ودمائهم^(١)) فرجع موسى عاكفاً على معتكف كف
 كفه (قم ميقات ربه) واحضر حظيرة القدس ، فنسي الانس ، مما آنس
 من الانس :

فكسل شيء رآه ظنسه قدحاً وكل شخص رآه ظنسه الساقى

فلما دارت في دائرة دار الحب كؤوس للقرب ، وسمع النداء
 وسط النادي بلا واسطة ، وسيط^(٢) له من وسيط اقداح المنى في المناجاة
 بلا وسيط ، طاب له شراب الوصال من أوطاب^(٣) الخطاب ، في أواني
 سماع الكلام ، فناده توق شوقه :

اوان^(٤) انت في هذا الأوان عن الراح المروق في الأواني

رأى على الغور وميضاً فاشتاق ، ما أجلب البرق لدمع الاماق فصاح
 لسان الوجد (أرني) فرد شارد شحذان^(٥) الشوق على الطوى بطوق (لن
 تراني) الا أن جزع الفظام سكن شعله بتعله (ولكن) فلما تجلى جل جلاله
 للجبل مر ، فخر موسى في بحر الصعق فرقاً ، فرقي فرقه^(٦) ذروة

(١) قاله صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد .

(٢) مزج .

(٣) جمع وطب . وهو السقاء .

(٤) إسم فاعل من دنى .

(٥) بالتحريك . الجائع .

(٦) خوفه .

(سبحانك تبت إليك) ما انبسط موسى بقول ارثي الا يبسط ، سلمي
ولو ملح عجيبك ، ولو تركه مع رعيه الغم في شعب شعيب^(١) لما جال
في ظنه ذلك الطمع ، ولكنه استدعاه بالنداء ، وانسه بالتقريب ، وباسطه
بالتكليم .

فلما عين الخيرة حادى جملي حارا

كان موسى يطوف في بني اسرائيل، ويقول من يحملني رسالة إلى
ربي ؟ ما كان مراده الا أن يطول الحديث مع الحبيب :

فقلت له رد الحديث الذي انقضى وذكراك من ذاك الحديث أريدُ
يحدد تذكاري الحديث مودتي فذكرك عندي والحديث جديدُ
أناشده الا أعاد حديثه كأني بطيء الفهم حين يُعيدُ

مات موسى قتيل شوق (ارثي) فلما جاز عليه نبينا صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج ، رده في الصلوات ، ليسعد برؤية من قد رأى :
واني لآتي أرضكم لا لحاجة لعلي أراكم أو أرى من يراكم

* * *

ان تشق عيني فطالما سعدت عين رسولي وفاز بالنظر
وكلما جاءني الرسول لهم رددت شوقاً في طرفه نظري
تظهر في طرفه محاسنهم قد أثرت فيه أحسن الأثر
خذ مقلتي يا رسول عارية فانظر بها واحتكم على بصري

(١) المؤلف من اصحاب الراي المشهور القائل ان الشيخ الكبير المذكور في سورة
القصص آية ٢٣ هو شعيب عليه السلام . وهذا امر مشكوك فيه ، فشعيب كان قبل موسى
بزمان بعيد ، وقد قال لقومه : (وما قوم لوط منكم ببعيد) سورة هود آية ٨٩ ، ولوط كان
في زمن ابراهيم ، ومن المعروف ان بين ابراهيم وموسى زمنا طويلا يزيد على الاربعمائة عام
كما قاله غير واحد ، فليستظر .

في قصة الخضر عليه السلام (١)

لما علا شرف الكليم بالتكليم كل شرف ، قال له قومه أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، ولم يقل فيما أعلم ، فابتلى فيما أخبر به واعلم ، فقام بين يدي الخضر ، كما يقوم بين يدي السليم الاعلم ، فابتدأ بسؤال (هل اتبعك) فتلقاه برد (لن) وكم أن موسى من لن . أمر قومه بالايمن فقالوا (لن تؤمن) وقعوا في التيه فقالوا (لن نصبر) ندبوا إلى الجهاد فصاحوا (لن ندخلها) طرق باب أرني فرده حاجب (لن) ، دنا إلى الخضر للتعلم فلفظه بلفظ (لن) ثم زاده من زاد الرد بكف (وكيف تصبر) فلما سماحه على نوبة السفينة ، وواجهه بالعتاب في كرة الغلام ، أراق ماء الصحبة في جدال الجدار (هذا فراق بيني وبينك) ثم فسر له سر المشكل ، فجعل يشرح القصص فصلاً فصلاً ، بمقول قائل يقول فصلاً ، وكلما ذكره أصلاً أصلي^(٢) ، لم يبق لموسى عين تراه أصلاً ، وكلما سل من حر للعتاب فصلاً ، صاح لسان حال موسى : كم نصلي ؟ فالقى تفسير الأمور على الكليم واملئ ، والقدر يقول : أهو أعلم أم لا ؟ فعلم موسى وبوشع أي عبد أمّا^(٣) منذ ابتدأ بالشرح بأمّا ، ثم أخذ لسان العتاب ، يذكر منسى موسى ، أتتكر خرق سفينة ؟ لظاهر افساد تضمن ضمنه صلاح (ولكم في القصص حياة) أو تنكر ؟ اتلاف شخص دني لابقاء دين شخصين ؟ أو كرهت إقامة الجدار ، لشح أهل القرية بالقرأ

(١) أنظر سورة الكهف . ٦ - ٨٢ .

(٢) أحرق .

(٣) قصدا .

أفاردت من الاصفياء؟ معاملة البخلاء بالبخل ، أما تلمحت سر؟ صل
من قطعك ، لقد أنكرت ما جرى لك مثله ، حذرت يوم السفينة من
الغرق ، فصحت بانكار (أخرقتها) أنسيت يوم؟ (فألقه في اليم)
أنكرت قتل نفس بغير نفس ، أنسيت يوم؟ (لو كره) نهيت عن
عمل بلا أجر ، أنسيت يوم؟ (فسقى لهما) فلما بان البيان ، خرج
الخضر من باب دار الدعوى ، وأخرج يده من ملك التصرف وأحال
الحال على الغير (وما فعلته عن أمري) .

وهذه القصة قد حرضت على جمع رحل الرحيل في طلب العلم ،
وعلمت كيفية الأدب في كف كف الاعتراض على العالم ، وصاح
فصيح نصيحها بذئ اللب : دع دعواك فعلى دعوى الكليم ليم ، وفوق
كل ذي علم عليم .

في قصة بلعام وموسى

أيها المتعبد : خف من الفتن ولا تأمن ، كم قد أخذ آمن من مامن ،
انه لم ينبج من غطامط ^(١) ببحر الفتن الأعظم حافظ الاسم الأعظم ،
بل عام ^(٢) بلعام ، رفل في حبل النعم كالنعم ، غافلاً يتعامى عن النعم ،
وكانت بنية نية تعب تعبده على رمل الريا ، فجرت تحتها أنهار التجربة ،
فأنهار بنيانها فتخرب ، كان على دينار دينه ورقة رقة ، فأعجب
نضره ^(٣) نواظر الناظرين ، فلما حكه المتقد على حجر الحجر افتضح بين
أهل الحجى ، وكان ظاهره لثقا بالتقى ، وباطنه باطية لحر الهوى ،
فلقد خبأ الحبايث في طي الطويات ، فلما أراد المقدر تنبيه جواره على
جوره ، تقدم إلى القدر بهتك سره ، فأتاه وهو في عقر ^(٤) عقر ^(٥)
الهوى ، يعاقر عقر ^(٦) الريا وقد رفعت عقيرتها ^(٧) عاقر الفهم إلى أن
عقر بعقر قلبه فعاد عقيراً ، فدعه القدر إلى صف صفصف الدعوى ،
وأرسل عليه لاصرا ره صرصر العجب ، فمزقت جلباب التعبد ،
فصيره عصفها عصفاً ^(٨) فانكشف عوار عورته فعوى ، فاذا به كلب
عقور . وقصة اقصائه ان القدر ساق الكليم إلى محاربة فساق بلدته ،
فقالوا له : اشحذ موسى الدعاء على موسى ، فميج فوه بمجممة التمنع ،
فخوفوه بنحت خشبة ، فخشته خشية الخلق ، فخرج حتى أتى على اتان

-
- (١) بحر غطامط . عظيم الأمواج .
(٢) سيج .
(٣) بالتحريك : الحسن
(٤) رسط المكان .
(٥) الضيمة .
(٦) خمر .
(٧) صوتها .
(٨) زرعا أكل حبه وبقي تبه .

فلما قفا وقفت ليقف سير عزمه ، ففصرى بضربها حتى أضربها ،
فقامت في المحجة تتكلم بالحجة عليه ، لم تضربني ؟ وهذه نار تمنع
الماشية المشي ، فرجع إلى ملكهم فأخبره خبره ، وما نقل العتب
المقصود ولا خبره ، فالجأ الملك صلب عزمه إلى أمر صلب ، أما الدعاء
عليهم وأما الصلب ، فخرج فاتبعه الشيطان ، فما كان إلا أن بلغ المكان
(فكان من الغاوين^(١)) تالله ما عدا عليه العدو ، الا بعد أن تولى عنه
الولي ، فلا تظن أن الشيطان غلب ، وإنما العاصم أعرض ، وان شككت
فاسمع هاتف القدر ، مخبراً عن عزة القادر (ولو شئنا لرفعناه بها^(٢)) .

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٧٦ .

في قصة قارون (١)

كان قارون غاية في فقهه وفهمه ، وكان في النسب إلى موسى ابن عمه ، فلما فاضت الدنيا عليه ، فاضت نفس علمه ، وكانت مقاليد خزائن خزاياه^(٢) وقرستين بطلا ، غير أن الذي فاته بما ناله أعلى وأغلى ، سحب ذيل (فبغى) فقام قومه قومة بزجر (لا تفرح) والقوا إليه نصائح (وابتغ ، ولا تنس ، واحسن ، ولا تبغ) .

فركب يوماً في وقت اقتداره في أربعة آلاف مقاتل ، وسم الهوى يعمل في المقاتل ، وركب معه في معمرته^(٣) ثلاثمائة جارية ، وقد أنساه سفه الأمل أن سفينة الاجل جارية ، فلما غلا وعلا ، حط إلى حضيض (فخسفنا به) فقال الجاهلون : انما بادر موسى بادرته ، لأخذ بدرة (بيداره)^(٤) فقال حاكم الغيب لازالة الريب (وبداره) فقال موسى : يا أرض خذيه . فاستخذت^(٥) لامره . فسرت بسريره ، فناشده قارون بالرحم فما رحم ، فأخذته لتقدمه حتى غيبت قدمه ، فما زال يردد القول حتى غاب الغبي الغبي ، وانه ليخشف به كل يوم قدر قامة ، فلا تظن ان ذم الجزاء قدرتي مه ، ان الدنيا اذا طلعت على الطعام تطغى ، واذا بغى نكاحها على العفاف تبغى ، ثم انها تقصد هلك محبها وتبغى . وكم عدلت في فتكها بالفتى الفتى وتلغى ، أما درودها

(١) الفرافصة في سورة القصص ٧٦ - ٨٣ (٤) كده .

(٢) خباياه خ . ل .

(٣) الجلبة والتحزب .

فغرت ؟ فلما فرغت ففسرت ^(١) فاها فرغت ^(٢) للظعن ، أما سحبت
قرون قارون ؟ مع اقرانه . إلى القران في قرن ، أما ككفكفت
كف مكفوف مجبها فارتك فن ما يكون فيك في كفن ، تالله لقد لقي
الغبي الغنى غب غبواته ، فلما انجلي غيب غيمه . رأى الغبن ^(٣) والغبن
نعوذ بالله من الخذلان .

(١) فتحت .

(٢) صاحت .

(٣) الغين بضم الغين الحديمة والغبن بفتحها الضعف

الفصل الثامن عشر

في قصة داود عليه السلام

لما حلّي داود حلية النبوة ، ولقّن فصل فصل الخطاب ، أطرب شدو^(١) شكره سمع القبول . فتمته اقطاع (يا جبالُ أوبي معَهُ والطيرُ^(٢)) فأعجبتة سلامة العصمة ، فتجهز للاجهاز على جرحي الزلل ، فرماهم بسهم ، لا نغفر للخطائين ، والقدر قد أترع له مما سيعض له الأنامل ملء الاناء ، فابتلى بالذنب حتى نكس رأس الرياسة على عتبة الذل ، ودب إلى داود المعاصي ديب الدبا^(٣) من حيث ما دبّر ، رماه سهم ليالي القضاء في درع ليالي الفن . ففضى عليه فما قدر على رده (وقدّر في السرد) :

واذا رامي المقادير رمى فدروع المرء أعوان النصال

ظن لقوة لقوة^(٤) عصمته لقاء قرن الهوى ، فلاحته له في حمى دعواه حمامة من ذهب ، فذهب بصيدها . فوقع في عين شرك عينه .

(للمهيار^(٥)) :

ظنّ غداة « الخيف » ان قد سلبها لما رمى سهمها وما أجرى دما

(١) الفناء . (٢) سبأ ٩ . (٣) المرأة .

(٤) العقاب السريمة .

(٥) مطلع قصيدة كتبها إلى ابن عبد الرحيم في المهرجان ، أنظر ديوان شعره ٢٥٣/ ٣ .

فعاد يستقري حشاه فإذا فؤاده من بينها قد عُدما
لم يدرٍ من أين أصيب قلبه وإنما الرامي درى كيف رمى

طاف على بابه طيب اللطاف ، فاراد استخراج النصل من باطن
الشغاف ، فجثا على عتبة عتابه . باعتوبة (خَصْمَان) ففضى على نفسه
في صريح (لقد ظَلَمَكَ) فيينا هو يلاحظ لفظ القضيصة ، المعامعا
معاني المعاصي ففطن ، ففت بالفتى الفاتن فتن فتياه (وظنَّ داودُ
إنما فتناه^(١)) فتزل عن مركب العز إلى مس مسجد الذل ، وافترش
فراش من قعد اسأ في دار الاسأ ، وخلع خلع الفرخ بلحاب الحزن ،
وزرّ زرر مانقة^(٢) الخوف على شعار القلق ، فاسكت الحمام بنوحه ،
وشغلها عن صدحها بصوته ، فبالغ حريق الندم في سويدا قلبه ، واقلق
الأفئدة بشجي شجنه ، ومات خلق كثير من الخلق بترنم شجوه
وصوته ، وشرب عرق العشب من عين عينه ، وحشى سبعة فرش رماداً*
ثم رمى داء الحشا * بعد أن فرشها فرشها ، وكان يقول في مناجاته
« الهى خرجت أسأل أطباء عبادك . أن يداووا لي جرح خطيبي فكلهم
عليك يدلني * الهى أمدد عيني بالدموع * وضعفي بالقوة * حتى ابلغ
رضاك عني .

(.....) :

يا من تجنب صبري من تجنبه هب لي من الدمع ما ابكى عليك به
حتى متى زفراي في تصاعدها إلى الممات ودمعي في تصوبه
ولي فؤاد اذا لج الغرام به هام اشتياقاً إلى مقيا معذبه
ما زال يغسل العين من عين العين * ولسان العتاب يقول . يا بعد
اللقا * وكلما رفع قصة غصة جاء الجواب بزيادة الجوى : وهو يستغيث
وينادي * حتى أقلق الحاضر والبادي :

ان شفيعي إليك مني دموع عيني وحسن ظني
فبالذي قادني ذليلاً إليك الا عفوت عني

(١) أنظر هذه القصة في سورة ص ٢١ - ٢٦

(٢) بضم الراء المعجمة : جبة في صوف معرب (اشترباهه) أي متع الجمال .

الفصل التاسع عشر

في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس (١)

ركب سليمان يوماً مركب الريح • فراحته بوادره على وادي النمل، فندت نملسة فنادت أخواتها بنداء (لا يَحْطِمَنَّكُمْ) ثم قامت فأقامت لعدله عذر (وهم لا يَشْعُرُونَ) فحملته أريحية سكر الشكر على طرب (فتبسم ضاحكاً) وذلك أنها بلفظة (يا) نادت (أيها) نبهت (النمل) عينت (أدخلوا) أمرت (مساكنكم) نصت (لا يَحْمِنَنَّكُمْ) حذرت (سليمان) خصت (وجنوده) عمت (وهم لا يشعرون) ، عذرت • فلما فصل طالوت ملكه بالجنود عن وادي النمل ، وقع في مفازة لا يرى فيها على ماء علما • فجاش جاش^(٢) الجيش لفقرهم في الفقر إلى الماء الما ، وكان الهدهد يدهم على الماء فغاب • فتواعده بلفظ (لأَعْدَبْتَهُ) فجاء يبهت ذكي (أحطت بما لم تحيط به) فحملة كتاباً . فالفاه من قاره . بمنقاره ، فرأت اليقظي ييقظان فهمها كتاباً مختوماً • كلاماً عجيباً ، وحاملاً غريباً ، فصاهاها^(٣) العقل والفهم فصاهاها ، فاستشارت قومها فاووموا إلى الحرب بلفظ (نحن ألو قوة) فعلمت أن من جنده الطير لا يقاوم • وبعثت ما يفرق به بين الدعوة والدعوى (واني مُرسلةٌ إليهم بهدية) واعجبا للذهب اذا ذهب سهمه لا يخطى • وللرشا^(٤) اذا رشت مزالتى اقدام العقول لا تبطي .

(١) أنظر هذه القصة في سورة النمل ٢٠ - ٤٤ .

(٢) القلب والصدر .

(٣) اعترض .

(٤) جمع رشوة .

(.....) :

لا يغرنك من المـ	رء إزارٌ رقعـه
وقميصٌ فوق كعب	الساق منه رقعـه
وجبينٌ لاح فيه	أثر قد خلعه
أره الدرهمَ تعرف	غيه أم ورعه

فلما بدت هوادي هديتها ، صاح سليمان بعز (اتمدوني بما) فلما صح عندها ما يدعوا إليه وثبت ، وثبت على اقدام الطلب * وهيات مراكب القصد ، ورحلت في هجير شمس الهدى على نجائب الهجرة ، فلما سمع سليمان برحيلها * اراد تقوية دليلها * فنادى في نادي عفاريتها * مستعرضاً جند بطشها (أَيْكُمُ يَأْتِينِي بَعْرَشِيهَا) فلما جرى به ستره بقرام^(١) (نَكَرُوا) ثم ابتلاها * ليرى ذكائها (أَهَكَذَا عَرَشُكَ) ثم صرح بلفظ (ادخلي الصرح) فشبها لها لضعفها عن لطافة كاس ساقيةا * فكشفت عن ساقيةا ، فلما وصلت وسلمت * أسلمت فسلمت * وحلت قبل ان حلت نطاق النطق * فنثرت خرزات نظامه على نظم العذر (اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين^(٢)) .

(١) بكسر القاف . الستر الرقيق .

(٢) سورة النمل ، الآية ٤٤ .

الفصل العشرون

في قصة مريم وعيسى عليهما السلام (١)

كانت أم مريم حنة قد حنت إلى ولد ، فكبر عليها امتناعه واستولى الكبر ، فرأت يوماً طائراً يغذو فرخاً فرحاً . فرجى أملها اليؤوس فرجاً فرجاً ، فسألت عند هذه القضية ولديها ولدأ ، فلما علمت بالحمل أكسبها السرور ولها ، فوهبته بلسان النذر لمن وهبه لها ، فقال القدر : يا ملك التصوير . صور الحمل انثى ، ليبين أثر الكرم في قبول الناقص .

فلما وضعتها وضعتها بأنامل الانكسار عن سرير السرور ، فان لسان التلهف لما القى على الفايث (اني وضعتها انثى) فجبر كسرهما جابر (فَتَقَبَّلَهَا) وساق عنان اللطف إلى ساق زرعها ، فربا في ربي (وأبنتها) فانطلقت بها الأم تأم بيت المقدس ، فلبس القوم لامهم^(٢) في حرب (يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) فثبت قلم زكريا اذا وثبت الاقلام فكفتها^(٣) وكفلها . فأراه المسبب غناها عن السبب . باية (وَجَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا) فرباها من ربيها^(٤) فنشأت لا ترى الا ربيها .

فانتبذت يوماً من أهلها . فاقبل نحو ذلك البري البري^(٥) بريد (فارسلنا) فتحصنت الحصان بحصن (اني أعوذُ) فانزوى إلى زاوية (انما أنا رَسُولُ رَبِّكَ) واخبرها بالتحفة في لفظ (ليهب) فأقيمت

(١) أنظر سورة آل عمران وسورة مريم والمائدة . (٤) رباها .

(٢) جمع لامة . وهي الدرع . (٥) نسية إلى البري .

(٣) ضمها .

فأقيمت في مهيب ريح الروح ، فتنفست الكلمة من كمين الأمر ، فنفتح جبريل في جنب الدرع جيب ، فمرت المرأة حاملاً في الوقت ، فلما علمت المت بما حمل عليها الحمل ، فأخرجها الحياء الحي عن الحي ، فلما فاجأها وقت الوضع * فاجأها المخاض إلى الجذع ، تحيرت من وجود ولد . ومسا فَجَرَتُ ، فجرت عينُ الدمع * فصاح لسان الخنجر . بلفظ الندب (يا ليتني ميتٌ قبلَ هذا) فأجابها الملك * عن أمر من ملك (ان لا تحزني) واجرى لها في أواني الاوان سرى^(١) * كما وهب لها من الغلمان سرى^(٢) فسرى^(٣) عن سرها وجود الظهور ، وانس الظاهر . فسرا^(٤) ، وأريت آية تدل على من قدر القدرة في مقام (وهزى) فهزت جذم^(٥) جذع مايل مثل الحطب ، فتساقط عليها في الحال رطب الرطب ، فأخذها الجوى . في إعداد الجواب ، فقيل لها (كُلي) كل الكل * إلى من له الكل * كنت بمعزل من وجود الولد * فكوني بمعزل من اقامة العذر ، فالذي تولى ايجاده يقيم عذر العذرا . لا تعجبي من وجود حمل سافر عن أرض القدرة ، فلم يصلح أن ينزل الا بمنزل * أركانه على عمد (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك) فلما سكنت وسكنت * بعد أن قعدت وقامت ، أقامت أيامَ النفس فانقضت وفانت (فأنتُ به قومها تحمله) فنادوا من أندية التويخ * إذ ما شاهدوا قط أختها (يا أخت هرون) فاضجروا مريضاً قسد ضنى من أنين (إني) على فراش (يا ليتني مت) فلما شارث^(٦) أرى^(٧) الرأي . أشارت إليه * فأخذت السنة تعجبهم تعج بهم (كيف نُكَلِّمُ) فكأنها قالت لهم : أنا طريق وهذا مر بي * والمسافر يسأل عن الطريق لا الطريق عن المسافر * فقام عيسى بمخض أوطاب الخطاب على منبر الخطابة * فأبرز بالمخض محض إبريز الاقرار (اني عبدُ الله) وأومى إلى

(٥) الأمل .

(٦) اجتنت .

(٧) عمل .

(١) نهر .

(٢) ذو مروة .

(٣) بالتشديد . ألقى وكشف

(٤) من السر أى ابتهجا يعني مريم وابناه

وجوده من غير أب • في اشارة (وبرا بوالدني) وكانت واسطة عقده
(ومبشراً برسول) .

فلما تم له سنن الشباب . جلس على باب المعجزة •
يعطي العافية العافية^(١) • ويبرئ الأكمة والأبرص • فربما الفى
بياه خمسين ألفاً يؤمنه في كل يوم • ولقد فرك الدنيا
فطلقها أي تطليق، وأبغضها ولا كبغض الراضى الصديق،
فغزاها بجند الزهد بين مسرح وملجم ، وفكك بها كما فكك بالتقى
ابن ملجم ، ما التفت إليها قط وجه عزمه • ولا صافحها يوماً كف
قلبه ، ولا غازلها يوماً لسان فكره فلم يعرف حقيقة ما حوى سوى
الحواريين ، فشمروا عن ساق العزائم • في سوق بدن الابدان إلى
منى المنى • تحن بلفظ (نحن أنصارُ الله) وكتبوا في عقد العقاييد
(آمننا بالله) فعدلوا بها إلى عدل (واشهدُ بأننا مسلمون) .

ثم ان اليهود اجتمعوا في بيت (ومكروا) فزلزل عليهم بيد (ومكر
الله) فدخل عيسى خوخة^(٢) • فدخل خلفه ذو دخل^(٣) فألقى عليه شبهه •
فحاق بالمرء مر مراده • وصاح فيه حاكم القدر جود مراقبها^(٤) .

(١) الدراسة .

(٢) الكوة .

(٣) غدر .

(٤) أي أحسن درجاتها . يقال ذلك للمصوب المستحق الصلب .

الفصل الحادي والعشرون

في قصة يحيى بن زكريا عليه السلام (١)

لما قام زكريا عليه السلام باقامة الاقامة لمريم * رأى وكيل الغيب يسبقه بالانفاذ على يد القدرة في كَنّ كَنّ * وكان اذا خرج ثم جاء فاجأ ثم شمار قد نمت ، فكم قد الفى الفاف الفاكهة الفايقة لا في حينها ، فتلمح بعين زرقاء الفهم ، فرأى نفقة الجارية جارية ، وكيس الأسباب على ختمه * فصاح لسان الدهش (أنتى لك هذا) فأحالت الحال على المسبب (هو من عند الله) فنبهت هذه الآية راقدا طمعه ، بعد أن أطال وسنه سبعين سنة ، فسن على سنة (٢) وجهه ماء رجاء (٣) ماء آسن مما لم يتسنه (٤) وقام الدرردح (٥) بعد أن تقعوس (٦) وتسعسع (٧) وعسى (٨) على باب عسى في محراب (دعا زكريا ربّه) فسرى بسرّه سرّاً ، لثلا ينسب إلى فن من افن ، وكتب قصة (لا تذرني فرداً) وشكا ما شيك به مما حل من حل التركيب وشيكا ، في كلمات هن (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) فلما أورد في قصته * ما يريد حملها بريد الرجاء ، إلى من عود العود (٩) العود (١٠) فكشف الجوى في الجواب * لله دره. خدم حتى شاب * ثم طلب نايباً على الباب ، فأصبح ميت أمله بوجود يحيى ، فمشى

-
- (١) انظر قصته في سورة آل عمران ومريم والأنبياء .
 - (٢) صب على حر وجه
 - (٣) ضد الياس .
 - (٤) لم يتغير .
 - (٥) الشيخ المهم .
 - (٦) كبر .
 - (٧) هرم وفنى .
 - (٨) كبر .
 - (٩) بضم العين .
 - (١٠) بفتح العين .

لمشاهدة وجه القدرة ، وقد حال بينهما سفر العادات * إلى أن لفظ بلفظ (اني) وهتف به هاتف (هُوَ عَلَى هَيْنِ) فسأل علماً على ما يعلم به وجود الحمل ، لحمل نفسه على الشكر * فوعده بسجن اللسان * مع سلامة اللسان * الا عن ذكر الرحمن * ليكون حج نطقه مفرداً .

فلما ولد له يحيى * لم يبلغ مبلغ يافع * الا وهو ولد نافع ، كان صبا الصبا تميل بالصبيان ولا تهزه * فاذا قالوا له هلم بنا فلنلعب * قال : انما خلقنا للتعب لا للعب ، فقط له القدر قطاً من عصام العصمة ما قط لاحد ، فما خطا إلى خطأ ولا هم ، ولقد رمى الدنيا عن يد التمسك * وعلا عن فضولها على قتل التقليل * فكان عيش عيشه^(١) العشب ، واقتنع بمسك^(٢) الحيوان عن السب^(٣) والشف^(٤) والمشبرق^(٥) ، وشغله عن رقص نقش القشيب والدمقس ما لف مما لفق ، ولقد دوى في دو فؤاده غيم الغم فغدا الغساق يدق إلى أن فاض قلبه قلبه * فانقلبت عيناه بقلب كالعيون حتى فرت * فحفرت في اخدود الخدود مجرى * ولم يزل معول دمهعه يحفر ركية خده . حتى بدت فيه * اضراس فيه * يا عجباً من بكاء من ما عصى ولا هم * وضحك من كتابه بالذنوب قد اذلم * فلما قارب الوفاة وفات العدو * علم من آفات النقل في المواطن المخصوصة . بوحش الوحشة * فتخلص فيها من أسد البلاء * كما حمى من ذنب الذنب (يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) .

(١) الثوب الرقيق .

(٥) الثوب الكتان .

(١) حيوته .

(٢) جمع مسك وهو الجلد .

(٣) العمامة .

الفصل الثاني والعشرون

في قصة اهل الكهف (١)

كان رقم (كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيْمَانَ) قد علا على كهف قلوب
اهل الكهف ، فلما نصب ملكهم شرك الشرك * بان لهم خيط الفخ
فمروا ، وخرجوا من ضيق حصر الحبس إلى الفضاء فضاء لهم ، فما
راعهم في الطريق الاراع وافقهم ، فرافقهم كلبه * فأخذوا في ضربه
لكونهم ليسوا من ضربه ، فصاح لسلط حاله لا تطردوني لمبايتي
جنسكم ، فان معبودكم ليس من جنسكم ، أنا في قبضة ايثاركم
أسير^(٢) ، أسير إن سرتهم * وأحرس ان نتم ، فلما دخلوا دار ضيافة
العزلة * اضطجعوا على راحة الراحة من أرباب الكفر ، فغلب النوم القوم
(ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) وكانت الشمس تحول عن حلتهم
لحراسة حلتهم من بلاء بلي * وأعينهم مفتوحة لثلاث تدوب بأطباق
الاطباق * ويد اللطف تقلب أجسادهم لتسلم من افن عفن ، وجرت
الحال في كلبهم * على ما جرت بهم * فكأنه في شرك نومهم قد صيد
(بالوصيد^(٣)) .

فخرج الملك بجمعهم في طلابهم فاذا بهم * فسد الباب وما
وعى على وعاء مسك * فأضاع^(٤) حتى ضاع بيد الملك في بيد الهلك ،
فانساب راع إلى سببهم ، ففتح باب الكهف ليحوز الغنم ، فهب
الهواء فهب الراقد * فترم أحدهم بلفظ (كم لبثتم) فأجابه الآخر

(١) انظر القصة في سورة الكهف .

(٢) مأسور .

(٣) الباب .

(٤) فاح .

(يوماً) ثم رأى بقية الشمس نقيصة فاتقى بالورع ورطات الكذب .
 فعاد يتبع اوب (أو بعض يوم) فلما قفلوا من سفر النوم إلى ديار
 العادة . زاد تقاضي الطبع بالزاد ، فخرج رئيسهم في ثوب متنكر .
 فضلت معرفته المعاهد . فاقبل يتهم اليقظة ، فمد إلى بايع الطعام باعه .
 فما باعه . وظن أنه قد وجد كترآ ، ولقد وجد كتر (وزدناهم هدى) فحملة
 القوم إلى الوالي ، فقال انه لمالي . فما لكم ومالي ؟ كنا فتيمة أكرهنا
 على فتنسة فخرجنا عشية أمس . فنمنا في باطن كهف . فلما
 انبهننا خرجت لابتاع للاتباع قوت الوقت ، فسار القوم معه
 في عسكر التعجب ، فسمع اخوانه جلبة الخيل ، في حلبة الطلب ، فتجاوبوا
 بأصوات التوديع . وقاموا إلى صلاة مودع ، فدخل تمليحاً^(١) فقص عليهم
 نبأهم . فعادوا إلى مواضع المضاجع . فوافتهم الوفاة ، وفات لقاءهم
 وسدلت عليهم حجاب الرعب . كف (لو اطلعت) .

اخواني ليس العجب من نائم لم يعرف قدر ما مر من يومه ، وانما
 العجب من نائم في يقظة عمره .

(.....) :

لما خُلِقُوا لَمَّا غَفَلُوا وَنَامُوا	أما والله لو عرف الانامُ
عَيونُ قلوبهم ساحوا وهاموا	لقد خُلِقُوا لَمَّا لو أَبْصَرْتَهُ
وتويخ وأهوال عظام	ماتُ ثم قَبْرٌ ثم حَشْرٌ
فصلّوا من مخافته وصاموا	ليوم الحشر قد خُلِقَتْ رجالُ
كأهل الكهف ايقاظ نيام	ونحن إذا أمرنا أو نهينا

(١) إسم الذي خرج من أهل الكهف .

الفصل الثالث والعشرون

في بداية امر نبينا ورضاعه صلى الله عليه وسلم

خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من أرضى الأرض أرضاً ، واصفى الأوصاف وصفاً ، وصين آباؤه من زلل الزنا ، إلى أن صدفت بتلك الدرة صدفة آمنة ، فوثبت لرضاعه ثوية * ثم قضت باقي الدين حليلة ، فقام نباته مستعلجاً^(١) على سوقه^(٢) * مستعجلاً قيام سوقه^(٣) ، فنشأ في حجر الكمال كما نشأ ، فشأى من شأى منشأ .

قدمت حليلة والجدب عام في العام ، فعرض على المرضعات فأبينّ لليم * فراحت به حليلة إلى حلتها ، فثاب لبنها ولبن راحلتها ، فباتوا البركة روائه رواء * وهب على مباركهم نسيم نسمة مباركة ، فلما ظعنن الطعنين أتت اتانها تؤم أمام الركب ، فلما حلوا حلهم . كانت الرعاء تسرح فيعفرها سرحان الجدب ، وراعي حليلة يعيد الغنم بالغنم .

فبينما الصبي مع الصبيان * هبت صبا الجبر بجبريل ، فجاءه فجأة فشق عن القلب * ثم شقه وما شق عليه ، فعلق بيده من باطية باطنه علقته^(٤) . فقال هذا حظ الشيطان * وقد قطعنا علقه^(٥) ثم أعاد قلبه بعد أن قلبه . وما به قلبه^(٦) . فبقي أثر المخيط في صدره * باقي عمره لآظهار سورة (الْم تَشْرَحْ) .

-
- (١) غليظا .
(٢) أعوده .
(٣) ما يباع فيه ، ويشرى .
(٤) كشجرة . القطعة من الدم الجامد .
(٥) كقدرة . العلاقة التي يتملق بها .
(٦) كشجرة . داء يقال ما به قلبه .

فلما بلغ ست سنين . ألقى الموت بالوالدة * فوجد في كفالته
الجد * ثم طالب الموت عبد المطلب * فما أبى الطالب * ولا اشتغل
بأوصابه حتى أوصى به أبا طالب * فخرج به وقد زانه كالتاج
تاجراً * فتيمم باليتيم منزل تيماء * فرآه بجبراء ^(١) . ببجرتة ^(٢) فقراً
سمات النبوة من شمائل (يعرفونه) فشام برق فضله فلاح من شيمة
شامته * فقال لعمه : احفظ هذه الشامة من شامت .

وما زال نشره يضوع ولا يضيع * إلى أن تمخضت حامل النبوة
في ابان التمام ، وآثر الطلق طلاق الخلق * فتحرى غار حراء ^(٣) للفراغ
فراغ إليه الملك * فأغار ^(٤) جبل الوصال في ذلك الغار * فأفاض عليه
حلة (اقرأ) فأفاض إلى حلة (زملوني) فسكنت خديجة غلته ، بعله
إنك لتصل الرحم ثم انطلقت به إلى ورقة ^(٥) فقراً من ورقة سيماء نقش
فضله * فتيقظ لفهم أمره اذ ناموا * فقال : هذا الناموس الذي نزل على
موسى ، ولقد عرفه الاحبار في الكنايس * والرهبان في الصوامع * وانذر
به الرئي ^(٦) وأخبر به التابع ^(٧) .

فكانت تسلم عليه قبل النبوة الاحجار * وتبشره بما أولاه مولاه
الأشجار * وكان خاتم النبوة بين كتفيه * وسرايا الرعب ترك كسرى
كالكسرة بين يديه ، ألبس أهاب الهيبة وتوج تاج السيادة * وضمخ
بأذكي خلوق أزمى الاخلاق * واحل دار المدراة * واجلس على صفحة
الصفح ولقم لقم لقمان الحكيم ، ووضعت له أكواب التواضع ،
وأديرت عليه كؤوس الكيس متضمنة حلوة الحلم ، ختامها مسك
النسك ، واعطى لقطع مفازة الدنيا جواد الجود ، ونوول قلم العز

(١) بجبراء إسم الراهب الذي لقي النبي بسفر الشام .

(٢) البحرة البلدة .

(٣) جبل كان النبي يتعبد به قبل البعثة .

(٤) أحكم القتل .

(٥) ورقة بن نوفل أحد الرهبان من العرب .

(٦) الجنى الذي يرى فيجب .

(٧) الجنى الذي يتبع الإنسان .

فوقع على صحائف الكد ، « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد^(١) » .
كان يعود المريض . ويحيب دعوة المملوك . ويجلس على الأرض .
ويلبس الخشن . ويأكل البشع . ويبيت الليالي طويلاً . يتقلب في قعر
الفقر . ولسان الحال يناديه : يا محمد نحن نضن بك عن الدنيا لا
بها عنك .

ولقد شارك الانبياء في فضائلهم وزاد . أين سطوة (لا تذر) من
حلم (اهد قومي) أين انشقاق البحر : من انشقاق القمر ، أين انفجار
الحجر من نبع الماء من بين الاصابع . أين التكليم عند الطور من
قاب قوسين . أين تسيح الجبال في أماكنها من تقديس الحصى في
الكف . أين علو سليمان بالريح من ليلة المعراج . أين إحياء عيسى
الأموات من تكليم الذراع . كل الأنبياء ذهبت معجزاتهم بموتهم .
ومعجزة نبينا الأكبر . قائمة على منار (لأنذرکم به ومن بلغ) تنادي
(فأتوا بسورة من مثله^(٢)) ولقد أعرب عن تقدمه من تقدمه .
« آدم ومن دونه تحت لوائي » لو كان موسى وعيسى حين ما وسعهما
الا اتباعي . فاذا نزل عيسى صلى مأموماً . لتلا يدنس بغار الشبهة وجه
« لا نبي بعدي^(٣) » .

فهو أول الناس خروجاً اذا بعثوا ، وخطيب الخلائق اذا وفدوا .
ومبشر القوم اذا بأسوا . الأنبياء قد سكتوا لنطقه . والاملاك قد
اعترفوا بحقه . والجنة والنار تحت أمره . والخزان داخلون في دائرة
حكمه . وكلام غيره قبل قوله لا ينفع وجواب الحبيب له
« قل تسمع » فسبحان من فض له من الفضائل ما فضله . وكسب من
حلل الفخر الجحيم ما جملة . جمع الله بيننا وبينه في جنته . وأحياناً على
كتابه وستته .

(٣) حديث صحيح .

(١) حديث صحيح .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .

الفصل الرابع والعشرون

قصة الغار والصديق

لما أغارت قريش خيل الحيل على الرسول ، خرج إلى غار لو دخله غيره كان غرراً (١) ، فغريت قريش بالطلب . فنبتت شجرة لم تكن قبل . قبل الباب ، فأظلت المطلوب . وأضلت الطالب ، وجاءت عنكبوت فسدت فسدت باب الطلب ، حاكت وجه الغار فحاكت (٢) ثوب نسجها فحاكت (٣) سترأ ، ثم حمى اللطف الحمن ، بحمامتين فما كان الا أن سكنتنا من الغار فماً ، فما بان المستر فاتخذتا عشا ، فغشى ما غشى من غشاء العشا . على ابصار المقتفين فصاروا كالأعشى ، فراغ الاعداء نحو تلك الناحية . فرأوا دليل فراغ الغار (٤) . فعادوا عن من عادوا . عوداً بحتاً بلا بحت . فقال الصديق عن حر الوجد . لو ان أحدهم نظر إلى قدميه لابصرنا . فقال « ما ظنك بأثنين الله ثالثهما » .

فلما رحلا لحقهما سُرّاقة ، فسرت الارض قوايم فرسه . فلما رأى أرضاً صليداً قد فرست (٥) الفرس . فرست إلى بطنها بيطنها . اشربت نفسه علم اليقين بطنها . فأخذ يعرض المال على من قد رد مفاتيح الكنوز . ويقدم الزاد إلى شعبان « ابيت عند ربي » . فجازا على خيمة أم معبد . فاصحت شاتها . وأصبحت تشهد . فوصلا إلى يثرب على نجائب السلامة . وفات الخير مكة . وفاءت المدينة بالكرامة .

(١) التعرض للهلاك .

(٢) نسجت .

(٣) شابهت .

(٤) الغار الأول الموضع والثاني الخادع .

(٥) فرست الأولى افترست . والثانية رست ونزلت .

الفصل الخامس والعشرون

في قصة اهل بدر

لما بادر بدر الشريعة بالخروج إلى بدر ، رأى في أصحابه قلة فارتقى قلة^(١) (وشاورهم^(٢)) فقام المقدادُ عن قوله قومة ، لحق متابعة المبيعة * فقال : لو سرت إلى برك الغماد لتابعناك فما لبث الرسول ان صار يطلب بالخطاب الانصار * ففطن لسعادته سعد بن معاذ ، فقال : لو خضت البحر لخضنا ، فرأى المصطفى في الأعداء العدد والعدة ، والتفت إلى المسلمين فوجد اذ ما وجد * فاستقبل قبلة الطلب * واقتضى كريماً ما ماطل ، فانتدب مدد العون بلا عون * فاقبلت سحابة تسحب ذيل النصر * فسمع المشركون منها حمحمة الخيل فحموا ، وانقلبت قلوبهم من يحموها حمأ ، فنزلت الملائكة مع الإلقيين ، جبريل في الفين * وميكائيل في الفين * واسرى اسرافيل في الف مرد مردفين ، فعدلوا كالغمام * قد سدلوا العمام * وأرسلت قريش رايداً * فعاد بتأثير سالقي * فحذر القوم الغزل سهام الغزائم * فأثر عتبه في عتبه ، وكان يشيب خوفاً شبية ، واحكم حزام الحزم حكيم بن حزام * وأبى للجهل أبو جهل :

فلزهم الطراد إلى قتال أحدُ سلاحهم فيه الفرارُ
مضوا متسابقي الأعضاء فيه لأرجلهم بأرؤسهم عثارُ

(١) الخشب المنصوبة للتمريش .

(٢) آل عمران ١٥٩ .

فلما قلبوا إلى القلب . قام الرسول على رأس الرس^(١) ينادي الرؤساء حين رسوا^(٢) بلسان (فانتقمنا) عن جواب (ان تَسْتَفْتِحُوا) لتصديق (وينصرك الله) في مضمون (هل تُؤَبّ) يا فلان ويا فلان ، « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » .

نكر من شهد بدرا على الحروف

حرف الالف

ابي بن كعب * ابي بن ثابت * أوس بن ثابت * أوس بن خولي *
أوس بن الصامت ، أسعد بن يزيد ، انس بن معاذ ، الأرقم * اربد
اسيرة * انسة * اياس * .

حرف الباء

بشير بن البراء * بشير بن سعيد * بلال * بجاث * بسبس .

حرف القاء

تميم بن يعار * تميم مولى خراش * تميم مولى بني غم .

حرف القاء

ثابت بن أرقم * ثابت بن ثعلبة * ثابت بن خلد * ثابت بن عمرو *
ثابت بن هزال * ثعلبة بن حاطب * ثعلبة بن عمرو * ثعلبة بن غنمة *
ثقيف .

حرف الجيم

جابر بن خارد * جابر بن عبدالله بن رثاب * جبار * جبير * جبر .

حرف الحاء

الحارث بن انس * الحارث بن أوس * الحارث بن خزمة * الحارث

(٢) رسوه ورسوه ودفنوه واحد .

(١) تقليب .

ابن ظالم • الحارث قيس • الحارث بن النعمان • حارثة بن الحمير •
حارثة بن سراقه • حارثة بن النعمان بن رافع • حارثة بن النعمان بن
نفيح • حاطب بن أبي بلتعة • حاطب بن عمرو الحباب • حبيب حرام •
حريث • حصين • حمزة .

حرف الخاء

خالد بن الكبير • خالد بن زيد • خالد بن قيس • خلاد بن رافع •
خلاد بن سويد • خلاد بن عمرو • خلود • خباب بن الارث • خباب
مولى عتبة • خبيب بن يساف • خارجة • خليفة • خنيس • خولي .

حرف الدال

ليس فيه أحد .

حرف الذال

ذكوان • ذو الشمالين .

حرف الراء

رافع بن الحارث • رافع بن عنجدة • رافع بن المعلى • رفاعه بن
رافع • رفاعه بن عبد المنذر • رفاعه بن عمرو • الربيع • ربيعة • ربعي •
رجيلة .

حرف الزاي

زيد بن اسلم • زيد بن حارثة • زيد بن الخطاب • زيد بن سهل •
زيد بن وديعه • زياد بن كعب ، زياد بن لييد • الزبير .

حرف السين

سعد بن خولة • سعد بن الربيع • سعد بن سهل • سعد بن عثمان •
سعد بن مالك • سعد بن معاذ • سعد القاري • سعيد بن قيس • سهل

ابن حنيف • سهيل بن رافع • سهيل بن عتيك • سهل بن عدي • سهل
 ابن قيس • سهيل بن بيضاء • سليم بن الحارث • سليم بن عمرو • سليم
 ابن قيس • سليم بن ملحان • سليم ابو كبشة • سلمة بن اسلم • سلمة
 ابن ثابت • سلمة بن سلامة • سالم بن عمير • سالم مولى ابي حذيفة •
 سراقه بن عمرو • سراقه بن كعب ، سماك بن خرشة • سماك بن
 سعد • سنان بن صيفي • سنان بن أبي سنان • سويبط • سواد بن رزين •
 سواد بن غرية • السايب ، سبيع ، سفين • سليط .

حرف الشين

شجاع • شماس .

حرف الصاد

صالح • صفوان .

حرف الضاد

ضمرة • الضحاك .

حرف الطاء

الطفيل بن الحارث • الطفيل بن مالك • الطفيل بن النعمان .

حرف القاء

ليس فيها أحد .

حرف العين

عبدالله أبو بكر الصديق • عمر بن الخطاب • علي بن أبي طالب •
 عبدالله بن مسعود • عبدالله أبو سلمة ، عبدالله أنيس • عبدالله بن ثعلبة •
 عبدالله بن جبير • عبدالله بن جحش • عبدالله بن الجعد • عبدالله بن
 الربيع • عبدالله بن رواحة • عبدالله بن زيد • عبدالله بن سراقه • عبدالله

ابن سلمة • عبدالله بن سهل • عبدالله بن سهيل • عبدالله بن طارق •
 عبدالله بن عبيدالله بن أبي عبدالله بن عبد مناف • عبدالله بن عباس • عبدالله
 ابن عرفطة • عبدالله بن عمرو • عبدالله بن عمير • عبدالله بن قيس
 ابن خلدة • عبدالله بن قيس بن صخر • عبدالله بن مخزومة • عبدالله بن
 مظعون • عبدالله بن النعمان • عبد الرحمن بن جبر • عبد الرحمن بن
 عبدالله • عبد الرحمن بن عوف • عبيد بن أوس • عبيد بن زيد •
 عبيد بن أبي عبيد • عبيدة بن الحارث • عباد بن بشر • عباد بن قيس •
 عباد بن الحشخاش • عبد ربه • عتبة بن أبي ربيعة • عتبة بن زيد • عتبة
 ابن غزوان • عتبة بن عبدالله • عقبة بن عامر • عقبة بن وهب بن
 ربيعة • عقبة بن وهب بن كلدة • عمر بن اياس • عمرو بن ثعلبة •
 عمرو بن سراقه • عمرو بن طلق • عمر بن معاذ • عمر بن أبي سرح •
 عمير بن الحارث • عمير بن الحمام • عمير بن عامر • عمير بن عوف •
 عمير بن مالك • عمير بن معبد • عمار • عمارة • عامر بن أمية •
 عامر بن البكير • عامر بن الجراح • عامر بن ربيعة • عامر بن سلمة •
 عامر بن فهيرة • عامر بن نخلد • عاصم بن ثابت • عاصم بن العكبر •
 عامر بن قيس • عصيمة الأشجعي • عصيمة الانصاري • عوف بن
 اثائة • عوف بن عفرا • عاقل • عايد • عباس • عدي • عنزة •
 عويم • عياض • عثمان بن مظعون .

حرف الغين

غنام .

حرف الفاء

الفاكه • وفروة .

حرف القاف

قيس بن أبي صعصعة • قيس بن عمرو • قيس بن محصن • قيس
 بن مخلد • قتادة • قدامة • قطبة .

حرف الكاف

كعب بن حماز • كعب بن زيد • كعب بن عمرو • كناز .

حرف اللام

ليس فيه أحد .

حرف الميم

مالك بن التيهان • مالك بن ثابت • مالك بن الدخشم • مالك بن ربيعة • مالك بن عمرو أبو حبة • مالك بن عمرو أخو ثقيف • مالك ابن عمرو بن خثيمة • ملك بن قدامة • ملك بن مسعود • مسعود بن خلدة • مسعود بن الربيع • مسعود بن سعد الحارثي • مسعود بن سعد الزرقي • معاذ بن جبل • معاذ بن عفراء • معاذ بن ماعص • المنذر بن عمرو • المنذر بن قدامة • المنذر بن محمد • معتب بن حمراء • معتب ابن عبدة • معتب بن قشير • معبد بن عبادة • معبد بن قيس • محرز ابن عامر • محرز بن فضلة • معوذ بن عفراء • معوذ بن عمرو • مبشر • المحذر • محمد بن مسلمة • مدلاج • مرثد • مصعب • معقل • معمر • معن • المقداد • مليل • مهجع .

حرف النون

النعمان بن ثابت • النعمان بن سنان • النعمان بن عمرو • النعمان ابن عبد عمرو • النعمان بن عصر • النعمان بن مالك • النعمان بن أبي خزيمة • نصر • نوفل .

حرف الواو

وهب بن سعد • وهب بن محصن • وافد • وديعة • وذقة .

حرف الهاء

هاني • هشام • هلال .

حرف الياء

يزيد بن الحارث * يزيد بن رقيش * يزيد بن عامر * يزيد بن المزين *
يزيد بن المنذر .

وممن يعرف بكنيته ولا يعرف باسمه

أبو الحمراء * أبو خزيمة * أبو سبرة * أبو مليل .

وامتنع من شهود بدر . ثمانية لأعداء * فضرب لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سهامهم وأجورهم . فكانوا كمن شهدها : عثمان *
وطلحة * وسعيد * والحارث بن حاطب * والحارث ابن الصمة *
وخوات * وعاصم بن عدي * وأبو لبابة *
فهؤلاء البديون بجملتهم * حشرنا الله في زمرةم .

الفصل السادس والعشرون

في تزويج علي بفاطمة عليهما السلام

كان للنبي صلى الله عليه وسلم بنات فضلتهم فاطمة ، وزوجات سبقتهن عائشة . وذلك ان اختيار القدر لا يجازي في التساوي ، تُسقى بماء واحد (ونُفَضِّلُ بعضها على بعض في الأكل^(١)) لما نهض عليّ لخطبتها . طرق بأنامل رجائه ارجاء باب الخطبة ، فمشى إليه الآذن بالاذن على عجل العجل ، فنقد صدق الرغبة قبل نقد الصداق ، فعقد العقد على درع لينبهه على جهاد الهوى ، وجهزت بالاجهاز على عدو الزهد ، ولم يرض لها جهاز الدنيا ، لموافقة البضعة التي هي منه . فحلاها الرسول بحلية « فاطمة بضعة مني^(٢) » وعقد لها عقداً خرزات نظامه « ان الله يفضب لفضبك . ويرضى لرضاك^(٣) » . وبعث بين يديها وصايف « غُضُّوا أبصاركم^(٤) » . ونصب لها سدة « ألا تررضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة^(٥) » . وأدخلها على الزوج في حلال الحالبة عليها قناع القناعة . تسعى في فضاء الفضائل إلى خلوة الخلة . حتى اجلست على منصة النص . فأمر الله تعالى ليلة عرسها . شجر الجنان . فحملت

-
- (١) سورة الرعد ، الآية ٤ .
(٢) رواية أبو سعد في شرف النبوة وابن المنثى في معجمه والإمام الرضا في مستند ، راجع ذخائر العقبى ص ٣٩ .
(٣) ولفظه « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب غضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد حق تمر » أخرجه تمام عن علي .
(٤) رواه مسلم .

حلالاً وحلياً فثرت على الملائكة ، وليس المراد بذلك الملك ، ولكن
ليعلم رضى الملك .

يا عجباً • نثرت الحلل لأجل من فراشه جلد كبش • هلا حلت له
منها حلة • كلا مركب المالك أحلى من أن يحلى • فدخل عليها الرسول •
فاستدعى بأناء من ماء • فدعا فيه بالبركة^(١) • ثم رش على حبيبين بلا
غش • فلما طاب لعلي ذلك الوقت • سأل الرسول سؤال سكران
من شراب الوصل : يا رسول الله انا أحب إليك أم هي ؟ ففصل الحاكم
بين خصوم الحب • فقال : هي أحب إلي منك • وأنت أعز علي منها •
فلما حازت بما حازت قناطر الفضل ، صين وجه الكمال بخال الحلل
في العيش • فأقوى على الأقوى ففر الفقر • فصيح بفصيح خطاب
الشرع : يا علي قم لكسب قوت الوقت • فخرج يسعى على أرض
الرضا • بين أعلام الصبر • فبات يسقي نخلاً إلى الفجر بشيء من
الشعير على وجه الأجر • فلما جاء به وأصلح للأكل قام سائلاً على باب
البذل • فنادى : يا أهل نادي الندى والفضل • اطعمونا أطعمكم الله
من الفضل • فثارت رياح الارتياح للايثار • فأنارت سحاباً يقطر من
قطرته قطر جور الجود • فسأل سيله بقدر وادي الود • فلما تروت بالماء
أشجار الانس • صدحت على ورقها ورق القدس واغنى عن غرايب
صدح المدح (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ^(٢)) ثم أخبر الحق • عن
مضمون القصد (إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ) فلو رأيت القوم يوم
القيامة • في ظل (فَوْقَاهُمْ اللَّهُ) وقد آكثت أجساد وكست بكسا
الضنك غضارة العيش على حلل الخفض • واستراحت أيد تفرق
أيدها من طحن الرجاء ونزع الدلو • (متكئين فيها) هذا من حصاد
بذر النذر .

(١) رواه النسائي .

(٢) الآية وما بعدها في سورة الإنسان . ٧ - ١١ .

ولقد عجب العلماء من شرح هذا الأجر واستظرفوا عدم ذكر الحور
في هذا الذكر * فبقوا متحيرين في جبر الفكر * فنودوا من بطنان وادي
الفضل ، بأن ذلك لفضل فضل زهراء الانس * غير عليها من ذكر
الغير ، وانما اثرا على الطفلين * لأنهما غصنان من شجرة « ابيت يطعمني
ربي » وبعض من جملة « هي بضعة مني » وفرخ البط سايح * وذكاة
الجنين كذكرة أمه .

القسم الثاني

من المواعظ

وهو المشتمل على المواعظ والارشادات مطلقاً وهو مائة فصل

الفصل الاول

في قوله تعالى (هو الاول والآخر) يذكر فيه التوحيد

أولٌ ليس له مبدأ ، آخر جل عن منتهى ، ظاهر بالدليل ، باطن بالحجاب ، يثبته العقل ولا يدركه الحس ، كل مخلوق محصور . بجد مأسور في سور قطر ، والخالسق بائن مباين يعرف بعدم مألوف التعريف ، ارتفعت لعدم للشبه الشبه . انما يقع الاشكال في وصف من له اشكال ، وانما تضرب الأمثال لمن له أمثال ، فاما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال . عظمته عظمت عن نيل كف الخيال .

كيف يقال له كيف . والكيف في حقه محسال . اني تتخايله الأوهام وهي صنعه . كيف تحسده العقول وهي فعله . كيف تحويه الأماكن وهي وضعه . انقطع سير الفكر . وقف سلوك الذهن . بطلت اشارة الوهم . عجز لطف الوصف . عشيت عين العقل . خرس لسان الحس . لا طور للقدم في طور القدم . عزز المرتقى فيأس المرتقى . بحر لا يتمكن منه غايص . ليل لا يبين للعين فيه كوكب :

مرام شط مرمى العقل فيه فدون مداه بيد لا تبيد

جادة التسليم سليمة ، وادي النقل بلا تقع ، انزل عن علو غلو التشبيه . ولا تعل قلل أباطيل التعطيل . فالوادي بين جبلين ، المشبه متلوث بفرث التجسيم ، والمعطل نجس بدم الجحود ، ونصيب المحق

لبن خالص هو التنزيه ، تخمّر في نفوس الكفار حب الاصنام ، ف جاء محمد فمحا ذلك بالتوحيد . وتخمّر في قلوب المشبهة حب صورة وشكل . حييت فمحوها بالتنزيه «والعلماء ورثة الأنبياء»^(١) ما عرفه من كيفه . ولا وحده من مثله . ولا عبده من شبهه . المشبه أعشى * والمعطل أعمى .

فما يتره عنه فم * فيما يجب نفيه بثم جل وجوب وجوده عن رجم لعل * سبق الزمان فلا يقال كان اذ * تمجد في وحدانيته عن زحام مع * تفرد بالانشاء فلا يستفهم عن الصانع بمن * أبرز عرايس المخلوقات من كنّ كن * بث الحلم فلم يعارض بلم * تعالى عن بعضية من * وتقّسد عن ظرفية في * وتتره عن شبه كان * وتعظم عن نقص لو ان * وعز عن عيب الا ان * وسما كماله عن تدارك لكن .

ان وقف ذهن بوصفه صاح العز جز ، ان سار فكر نحوه قالت الهية عد ، ان قعد اللسان عن ذكره قال القلب قم ، ان تجبر متكبر قال القهر شم ، ان سأل محتاج قال الانعام رش ، ان تعرض فقير قال الوفر فر ، ان سكت مذنب حيا قال الحلم قل ، ان بعد ذو خطاء نادى اللطف إب ، نثر عجائب النعم وقال لكل خذ .

من بيان عظمته (رفيعُ الدَرَجَاتِ^(٢)) من أثر قسره (تُسَبِّحُ له السموات^(٣)) (توقيع أمره (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ^(٤)) واقع زجره (يَسْتَهَي عن الفحشاء^(٥)) (ينادي على باب عزته (لا يُسأل) بصاح على محجة حجته (لِمن الأرضُ وَمَن فِيهَا^(٦)) (ينذر جاسوس علمه (ما يَكُونُ من نجوى ثلاثة^(٧)) (يقول جهيد طوله (وان تَعَدُّوا نعمةَ الله^(٨)) (يترنم منشدا فضله (لا تَقْنَطُوا^(٩)) .

-
- (١) رواه ابو داود والدارمي وابن ماجه وابن حنبل .
(٢) سورة غافر ، الآية ١٥ ف (٧) سورة المجادلة ، الآية ٧ .
(٣) سورة الاسراء ، الآية ٤٤ . (٨) سورة إبراهيم ، الآية ٣٤ ، سورة النحل ، الآية ١٨ .
(٤-٥) سورة النحل ، الآية ٩٠ . (٩) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .
(٦) سورة المؤمنون ، الآية ٨٤ .

سبحان من أقام من كل موجود دليلاً على عزته ، ونصب علم الهدى على باب حجته ، الاكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته ، وكل موافق ومخالف يمشي تحت مشيئته ، ان رفعت بصر الفكر ترى دائرة الفلك في قبضته ، وتبصر شمس النهار وبدر الدجى يجريان في بحر قدرته ، والكواكب قد اصطفت كالمواكب على مناكب تسخير سطوته ، فمناها رجوم للشياطين ترميهم فترميهم عن حمى حمايته ، ومنها سطور في المهامه يقرؤها المسافر في سفر سفرته ، وان خفضت البصر رأيت الأرض ممسكة بحكمة حكمته . كل قطر منها محروس باطواده عن حركته ، فاذا ضجبت عظامها ثار السحاب من بركة بركته * ونفخ في صور الرعد لاجياء صور النبات من حفرته ، فيبدو نور النور يهتر طرباً بخزامي رحمته * فاذا استوى على سوقه . زادت في سوقه نعمي نعمته * ويفتق يد اليجاد بأنامل القدرة اكمام النبات عن صنعة صبغته ، فيرقل في حلى حلال الحال الحالية إلى معبر عبرته * وتصدح الورق على الورق كل بتبليغ لغته ، والاشجار معتنقة ومفترقة على مقدار ارادته ، صنوان وغير صنوان . هذا بعض صنعته (ويسبحُ الرعدُ بحمدهِ والملائكةُ من خيْفَتِهِ^(١)) .

نظر بعين الاختيار إلى آدم فحظي بسجود ملائكته * وإلى ابنه شيث فأقامه في منزلته ، وإلى ادريس فاحتال بالهامه على جنته ، وإلى نوح فنجا من الغرق بسفينته ، وإلى هود فعاد على عاد شؤم مخالفته ، وإلى صالح فتمخضت صخرة بناقته ، وإلى ابراهيم فتبختر في حلة خلته ، وإلى اسماعيل فأعان الخليل في بناء كعبته ، وإلى اسحق فافتكه بالفداء من ضجعته ، وإلى لوط فنجاه وأهله من عشيرته ، وإلى شعيب فأعطاه الفصاحة في خطبته ، وإلى يعقوب فرد حبيبه مع حبيبه ، وإلى يوسف فأراه البرهان في همته ، وإلى موسى فخطر في ثوب مكالمته ، وإلى اليأس فالأس للناس من حالته ، وإلى داود فالان الحديد له على حدته ، وإلى سليمان فراحت الريح من في مملكته ، وإلى أيوب فيا

(١) سورة الرعد ، الآية ١٣ .

طوبى لركضته ، وإلى يونس فسمع نداءه في ظلمته ، وإلى زكريا
فقرن سؤاله ببشارته ، وإلى يحيى فتلمح حصير الحصور على سدة
سيادته ، وإلى عيسى فكلم أقالم ميتاً من حفرته ، وإلى محمد . فخصه ليلة
المعراج برؤيته .

واعرض عن ابليس فخزي ببعده ولعنته ، وعن قابيل فقلب قلبه
إلى معصيته ، وعن نمرود فقال أنا احبب الموتى ببلاهته ، وعن فرعون
فادعى الربوبية على جرأته ، وعن هامان فأين رأيه ؟ يوم اليم في
وزارته ، وعن قارون فخرج على قومه في زينته ، وعن بلعام فهلك
بل عام في بحر شقوته ، وعن برصيصا فلم تنفعه سابق عبادته ، وعن
أبي جهل فشقي مع سعادة أمه وابنه وابنته ، هكذا جرى تقديره
من يوم « لا أبالي » في قسمته (ويسبحُ الرعدُ بحمدهِ والملائكةُ من
خيفته^(١)) .

(١) سورة الرعد ، الآية ١٣ .

الفصل الثاني

في قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق)

نذكر فيه فضل نبينا صلى الله عليه وسلم

لم يزل ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم منشوراً وهو في طي العدم ،
توسل به آدم^(١) ، وأخذ له ميثاق الأنبياء على تصديقه ، في بعض درسه
علم ادريس . في ضمن وجده حزن يعقوب ، في سر جده صبر
أيوب ، في طي خوفه بكاء داود ، بعض غنى نفسه يزيد على ملك
سليمان ، غير بعيد خل خلاله خلة الخليل ، ونال تكليم موسى ،
واسترجع له النظر عند قاب قوسين ، فهو جملة الجمال . وكل
الكمال ، وواسطة العقد . وزينة الدهر ، يزيد على الأنبياء زيادة
الشمس على البدر . والبحر على القطر ، فهو أصدرهم وبدرهم ،
وعليه يدور أمرهم ، قطب فلکهم . عين كتيبتهم . واسطة قلاذتهم .
نقش فصهم . بيت قصيدتهم . حاتمهم . خاتمهم :

شمس ضحاها هلال ليلتها در تقاصيرها زبرجدها

لما رأى تخليط قريش في دعوى الشرك فر في بادية الهرب فتحرى
غار حراء في الفرار للفراغ . فراغ إليه فجاء مزاحم (اقرأ) يا
راهب انصمت تكلم . قال لسان العجز البشري : لست بقارئ ،
فحم لما حم فززم بلفظ (زملوني) فصاح الملك (يا أيها الزمّل) يا
أطيب ثماركن . يا محمولاً عليه . ثقل قل (قم) .

(١) يشير إلى حديث التوسل المعروف وهو حديث موضوع ، راجع سلسلة الأحاديث
الضعيفة والموضوعة للألباني رقم ٢٥ .

لما بعث الملك الملك إلى نبينا برسالة (اقرأ) فتر الوحي بعدها مدة *
 مات قوس الشوق فرمت الكبداء الكبد * بكبد أعجز المكابدة * فكان
 بهم لما يلقي بالقاء نفسه من ذروة الجبل * فاذا بدا له جبريل بد له ، ثم
 رميت الشياطين عند مبعثه بأسهم الشهب ، عن قوس (ويقذفون من كل
 جانب) ^(١) فمرو إلى المغارب * ومشوا إلى المشارق * ليقطعوا سبب
 السبب * فجرت ريح التوفيق * بمراكب بعضهم إلى تهامة * فصادفوه
 في الصلوة * فصادفوه قلوب القوم * فصاحت ألسنة الوجد (إنا سمعنا
 قرآنًا عجبا) ^(٢) .

تحركت لتعظيمه السواكن * فحن إليه الجذع * وسبح الحصى *
 وتزلزل الجبل وتكلم الذيب * « كل كنى عن شوقه بلغاته » فمرضت
 قريش بداء الحسد فقالوا مجنون * يا محمد . هـذا نقش يرقاهم ^(٣)
 لا لون وجهك * .

لما أخذ في سفر (أسرى) فنقل إلى المسجد الأقصى * برز إليه عباد
 الانبياء من صوامعهم * فاقتدوا بصلاة راهب الوجود * ثم خرج فعرج
 فعرضت عليه الجنة والنار * حتى عرف الطبيب عقاير الأودية * قبل
 تركيب الأودية * يا لها من ليلة * فل غرب حد سيف (أتجعل
 فيها) ^(٤) ظنت الملائكة ان الآيات تختص بالسماء * فاذا آية الأرض قد
 علت .

أقبلت رؤساء الأملاك * تحيي الرئيس الأكبر * فرأى في القوم
 ملكاً نصفه من ثلج ونصفه من نار ، فعجب لاجتماع الضدين ،
 فقيل لا تعجب فعندك أعجب منه ، لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه
 لا اعتدلا * كان جبريل دليل البادية فلما وصل إلى مفازة ليس فيها
 علم يعرفه * علم ابن ^(٥) أجود ان الصدق أجود * فقال : ها أنت وربك .

(١) سورة الصافات آية ٨ (٢) سورة الجن آية ١

(٣) هذا مثل يضرب للذي يرمي غيره بمرض نفسه. فكأنه يقول أن وجوههم الصفر من
 مرض اليرقان انطبعت بمראה وجهك الصافي . فاتهموا وجهك بالصفرة وإنما تلك صفرة
 وجوههم . يعني هم المجانين لا أنت .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٥ . (٥) ابن أجود . دليل . وأراد بان أجود جبريل .

فاذا قامت القيامة . فموسى صاحبه * وعيسى حاجبه * والحليل في
 مسكره * وآدم ينادي بلسان حاله يا ولد صورتى * ويا والد معناني *
 ما صعد من بحور الأكوان أشرف من درة نبينا صلى الله عليه وسلم *
 طرة غرته أحسن من جمال يوسف * لعاب فيه اشفى من البرء *
 شمس شرعه لا يدركها كسوف ناسخ ، قمر دينه لا يدخل في محاق .
 كل الأنبياء في القيامة تقول نفسي نفسي * وهو يقول أمي أمي *
 فاذا سجد . قيل ارفع رأسك . وقل تسمع * كم بين ذل محب .
 وادلال محبوب * الحيوانات تذلل في طلب القوت * والقبيلة تتملق
 حتى تأكل * يا من هو في جملة جنود هذا الشجاع * أيحسن بك ؟ كل
 يوم هزيمة .

لولا جد أصحابه في جهادهم وشجاعتهم في صفوف قتالهم *
 لافتضح المتأخرون * فالحمد لله على النيل ، كانوا بالليل رهباناً
 وبالنهار فرساناً * قطع الرسول طمع من طمع في لحاقهم بحسام « ما
 بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه^(١) » وكيف تنال مرتبة السابق^(٢) بشيء
 وقر في صدره ؟ أو منقبة المهيّب^(٣) والعدو يفرق من ظله ؟ أو مقام
 الوقور^(٤) فالملائكة تستحي منه ؟ أو فضيلة مزاحم^(٥) النفس « في منزلة
 كهرون من موسى » : يأس والله الكهول من مقارنة سيدي^(٦) كهول
 أهل الجنة * كما لم تطمع الشباب في مزاحمة سيدي^(٧) شباب أهل
 الجنة ، متى التهبت في صحابة الأنبياء ؟ عزيمة كحمرة حمزة *
 أو علا على العلاء علي . كعلاء علي ، لقد فاز بلقب الصدق طلحة
 الجود ، كما سعد بالفضل وحوارى الزبير ، وسما بصلوة النبي صلى الله
 عليه وسلم خلفه ابن عوف ، كما قرّت بلفظ « فداك أبي وأمي » عين
 سعد ، ونجا بالشهادة له بالجنة سعيد ، كما عز ابن الجراح بلقب الأمين ،

(١) متفق عليه .
 (٢) أراد أبا بكر .
 (٣) أراد عمر .
 (٤) أراد عثمان .
 (٥) أراد علياً .
 (٦) أراد حمزة والعباس .
 (٧) أراد الحسن والحسين .

ولم يذكر باسمه بالقرآن غدير زيد ، وأين في الموالي مثل سالم
وسلمان ؟ ومن في الزهاد كصعب وابن مضعون ؟ وانه لمسعود عبدالله
ابن مسعود ، وطوبى ثم طوبى لخباب وصهيب ، ويا شرف المؤذنين .
بصوت بلال ، ويكفي فخراً ، « كوني برداً لعمار » وأي بيت يشبه بيت
أبي أيوب ؟ ومن زين القراء الا ابي بن كعب ؟ ومن في النقباء كابن
زرارة وابن الربيع ؟ واني للفقهاء مثل معاذ ؟ ومن له زهد كزهد ابي
ذر ؟ والفخر لبني هاشم بالعباس ، وكفى للبصراء قائداً ابن أم مكتوم ،
وانه لقدوة المؤثرين ابو الدحداح ، ومن في قسوام الليل مثل تميم ؟ ومن
صبر على القتل صبر خبيب ؟ كلهم أخيار . وجميعهم ابرار . ولا
مثل صاحب الغار . وأين نظير فتاح الامصار ؟ ومن يشبه قتيل الدار ؟
ولقد افتقروا إلى المجاهد بندي الفقار . بحب هؤلاء ترجى الجنة
وتتقي النار .

ان الله تعالى لما حلى محمداً حلية التنزه . خلع عليه خلعة « هي
الاسلام » . وأعطاه منشوراً هو القرآن . ولواء هو النصر . فأبو بكر
صدّق النبوة . وعمر أظهر الرسالة وعثمان جمع المنشور . وعلي
حمل السيف لما جلا الرسول عروس الاسلام . لم يكن بد من نثار .
نثر عمر نصف ماله . فرمي أبو بكر بالكل . فقام عثمان يجهز جيش
العسرة . بوليمة العرس . فعلم على حال الغيرة . فبت طلاق الضرة .
ثم رأى بعض جهاز الدنيا المطلقة عنده . وهو الخاتم . فسلم^(١) وما سلم :
خطوا واقلامهم خطية سلب فهم على الخليل اميون كتاب
ان احسنوا كلما واخلو لقوا ذمماً واخشوشنا شيماً فالقوم أعراب

(١) يعني سلم الخاتم لسائل في ركوعه ولم يسلم من صلوته . وهي القصة التي نزلت بها
(ويؤتون الزكوة وهم راكعون) .

الفصل الثالث

في قوله تعالى (واذن في الناس بالحج)

لما تكامل بناء البيت * أرسل الله تعالى إلى خليله * ادّ رسالة
(وأذن) فعلاً على أبي قبيس^(١) * ونادى في جميع الوجوه : ان ربكم
قد نبى لكم بيتاً فحجوه ، فأجاب من جرى القدر بحجه « لبيك اللهم
ليبك » فكان ذلك اليوم . أخاً ليوم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ^(٢)) :

لما رأيتُ مناديهم الم بنا شددت ميزر احرامي وليتُ
وقلت للنفس جدي الآن واجتهدِي وساعديني كهذا ما تمنيتُ
لو جئتنكم زائراً أسعى على بصري لم اقض حقاً وأي الحق أدبتُ

قطع القوم بيد السفر (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ^(٣)) فوافقتهم الركاب
(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ^(٤)) :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها نبأ عجيبا
حينها وما اشتكت لوبسا يشهدان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتي كئيبا يسر مما أعلنت نصيبا
لو غادر الشوق لنا قلوبا اذن لاثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

واعجباً من حين النوق * كأنها قد علمت وجد الركاب * تارة تجد

(١) جبل بمكة .

(٢) سورة النحل . الآية ٧ .

(٣) سورة الاعراف . الآية ١٧٢ .

(٤) سورة الحج . الآية ٢٧ .

في السير ، وتارة تتوقف . وتارة تذل وتطأطأ الأعناق ، وتارة
تمرح . كأنها قد استعارت أحوال العارفين :

اذكراها في سراها ما عراها	فغدت تنفخ شوقاً في براها
تقطع البرّ وتنسى ما جنى	سيرها والسيرُ أمرٌ قد براها
كلما ظنت مني قد قربت	وتدانت دارها طار كراها
اسعداها يا خليلي على	ما دعاها في الهوى أو فدعاها
ذكرها ما زال من عهد الصبي	خليها والصبأ فهو رضاها
غنها يا أيها الحادي لها	بالحمى أو بالنقا وانظر سراها
نح عنها السوط يكفي شوقها	قد رأت في نفسها ما قد كفاها
باعها الوجد بكتبان النقي	عجباً اذا باعها كيف اشترأها

* * *

اتراها علمت من حملت	ليتها قد عرفت من في ذراها
أنت إن لاحت لك الاعلام قف	فهي المقصود لا شيء سواها
قف على الوادي وسل عن كبدي	كبدي واكبدي ماذا دهاها
يا رفيقي اهدياني دارهم	ودعاني ودعاني وثرأها
أنا مقتول بسهم غرب	قوسه خيف مني أو ما زماها
حرم الصيد على من حجه	فانظرا إلى مهجتي من قد رماها
اكتبا في لوح قبري عشتما	مهجة ماتت وما هالت مناها

أمر المحرمون بالتعري . ليدخلوا بزى الفقراء . فيبين أثر (وما
أموالكم^(١)) :

من أعلم السابق العنيف بهم	بأن روحي تساق مع ابله
وان دمعي يروي ركايبهم	لولا دم في انسكاب منهمله

تالله لقد جمعوا الخير . ليلة جمع . ونالوا المنى اذ دخلوا مني :

(١) سورة سبأ ، الآية ٣٧ .

لله در منى وما جمعت وبكا الأحبة ليلة النفر
ثم اغتدوا فرقاً هنا وهنا يتلاحظون بأعين الذكر
ما للمضاجع لا تلائمني وكان قلبي ليس في صدري

حج جعفر الصادق فأراد أن يلبي فتغير وجهه ، فقيل : مالك يا
ابن رسول الله ؟ فقال : أريد أن ألبى فأخاف أن أسمع غير الجواب *
وقف مطرف وبكر ، فقال مطرف : اللهم لا تردهم من أجلي *
وقال بكر : ما أشرفه من مقام لولا أني فيهم .

وقام الفضيل بعرفة ، فشغله البكاء عن الدعاء ، فلما كادت الشمس
تغرب ، قال : واسؤتاه منك وان عفوت .

وقف بعض الخائفين على قدم الاطراق والحياء فقيل له : لم لا تدعو ؟
فقال : ثم وحشة . قيل : فهذا يوم العفو عن الذنوب ؟ فبسط يده فوق
ميتاً .

(.....)

وانزل الوادي بأيمته انه بالدمع ملأ آن
وارم بالطرف العميق فلي ثم أوطار وأوطان
وانشد القلب المشوق عسى يرجع المفقود نشدان
وابك غني ما استطعت اذا ما بدا للطرف نعمان
واقره غني السلام فكأن قلبي فيه سكان
لا تردني يا عدول جوى أنا بالأشواق سكران

حج الشبلي . فلما رأى مكة قال :

أبطحاء مكة هذا الذي أراه عياناً وهذا انا

ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

هذه دارهم وانت محب ما بقاء الدموع في الاماق

حج قوم من العباد فيهم عابدة فجعلت تقول : أين بيت ربي ؟
أين بيت ربي ؟ فيقولون الاترينه :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ولا سيما إذا دنت الحيام
فلما لاح البيت * قالوا هذا بيت ربك * فخرجت تشتد وتقول :
بيت ربي . بيت ربي . حتى وضعت جبهتها على البيت * فما رفعت
الامية :

هاتيك دارهم وهذا ماؤهم فاحبس ورد وشرقت ان لم تسقي
أودعت اقرارك يوم (السبت) الحجر الاسود ، وامرتك بالحج
لتستحي بالتذكير من نقض العهد ، الحجر صندوق أسرار الموثيق ،
مستمل لما أملى المعاهد ، مشتمل على حفظ العهد ، فاستلم المستملي
المشتمل * ليعلم ان اقرارك لا عن اكراه ، لا تنس عهدي فاني لا أنساك :
فلا تحسبو اني نسيت ودادكم فاني وان طال المدى لست انساكم
حفظنا وضيعتم وداداً وحرمةً فلا كان من في هجرنا اليوم اغراكم
كم شخص أشخصه الوجد إلى الحج * فكاد نشابة الموثيق قبل
تقبيله تقتله ، فلما قضى الناسك المناسك . ورجع بقي سهم الشوق إليه
في قلب منى المنى :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أخواني : ذكر تلك الاماكن يعمل في القلب قبل السمع * كأنها
قد خلقت من طين الطبع * لسلع^(١) سلع لسع * ليس لعسل لعس .
(للمهيار^(٢)) :

هل مجابٌ يدعو مبددٌ او طار ري بجمع يرد أيام «جمع»^(٣)

(١) السلع الأول بتحريك اللام شجر له شوك . والثاني بسكونها موضع عند المدينة .
(٢) من قصيدة كتب بها إلى أبي منصور بن المزرع ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٧ .
(٣) أيام جمع : أيام منى .

أو أمينُ القوى أحمله هما ثقيلاً يحطه دون «سَلْعِ»
فأفرجاً لي عن نفحة من صباه طال مدى لها الصليف^(١) ورفعي
ان ذاك النسيمَ يجري على أرضٍ تراها في الريح رقيةً لسَعِ
كم زفير علمت منه حمامٌ الدوح ما كان من حنين وسجع

وآخجل المتخلف * وآسف المسوف * أين حسرات البعد؟ أين
لذعات الوجد؟

(للخفاجي) :

أتظن الورق في الأيك تُغني انها تضمّر حزناً مثل حزني
لا أراك الله نجداً بعدها أيها الحادي بنا ان لم تجبني
هل تباريني إلى بث الجوى في ديار الحمي نشوي ذات غصن
هب لها سبق ولكن زادنا اننا نبكي عليها وتغني
يا زمان الحيف هل من عودة يسمح الدهر بها من بعد ضنّ
أرضينا بثنيات اللوى عن زرود يا لها صفقة غبن
سل أراك الجزع هل مرت به مزنة روت ثراه غير جفني
وأحاديث الغضا هل علمت انها تملك قلبي قبل اذني

يا عجباً لمن يقطع المفاوز ليرى البيت فيشاهد آثار الأنبياء ،
كيف لا يقطع نفسه عن هواه ؟ ليصل إلى قلبه فيرى آثار « ويسعني »
(لمحمد بن أحمد الشيرازي) :

اليك قصدي لا للبيت والاثر ولا طوافي بأركان ولا حجر
صفاء دمعي الصفالي حين أعبره وزمزمي دمة تجري من البصر
عرفانكم عرفاتي إذ مني منن وموقفي وقفة في الخوف والحذر
وفيك سعي وتعميري ومزدلفي والمهدي جسمي الذي يعني عن الجزر
ومسجد الحيف خوفي من تباعدكم ومشعري ومقامي دونكم خطري
زادي رجائي لكم والشوق راحلتي والماء من عبراتي والهوى سفري

(١) الصليف : صفحة العتق .

المفصل الرابع

إخواني : قد نمي إليكم أمرٌ من نما ، وسامي وصال الوسام وسما ،
وافتخر بالنسب والنشب وانتمى ، كيف بارزه من أبرزه . عن الحمى ،
فبات بعد الري يشكو الظما ، وقد رأيتم ما جرى ، فانتظروا مثل ما .
(لابن المعتز) :

يا نفس ويحك طال ما ابصرت موعظة وما
نفعتك فاخشى وانتهى وعليك بالتقوى كما
فعل الاناس الصالحون وبادري فلربما
سلم المبادر واحذري يا نفس من سوف فما
خدع الشقي بمثلها اياك منها كلما
ناجت مكايدها ضمير ك انما هي انما
خطرت وكم قتلت واهلكت النفوس وقلما
تغني أمانيتها اذا حضر الردى فكأنما
لم يجبي من لاقى منيته فيا عجباً اما
في ذلك معتبر ولا شاف يبصر من عمى
يا ذا المني يا ذا المني عش ما بدا لك ثم ما

يا سكران الهوى . أما آن الصحو ؟ ، يا ساطراً قبح الخلاف .
أما حان المحو ؟

أين الراحلون ؟ كانوا بالأمس ، صحت حجة الموت فبطلت حجة
النفس ، واعتقلهم حاكم البلى على دين الرمس ، وكف أكف الحس .
بعد تصرف آلة الخمس ، واستوعر عليهم الحصر . واستطال الحبس

وأصبحت منازلهم (كأن لم تغنّ بالامس) (١) .

يا قليل اللبث ، خل العبث ، كم حدث جدث في حدث ؟ ، يا
موقناً بالرحيل وما اكترث ، أقبل نصحي . ورم الشعث .

إذا نلت من دنياك خيراً ففز به فان لجمع الدهر من صرفه شتا
فكم من مشت لم يصيف بأهله و آخر لم يدركه صيف إذا شتى

إنتهب نثار الخير . في مكان الامكان ، قبل أن تدخل في خبر كان
قبل معاينة الهول المخوف الفضيع ، وتلهف المجدب على زمان الربيع
إنما أهل هذه الدار سفر ، لا يحلون عقد الركاب إلا في غيرها ، فاعجبوا
لدار قد أدبرت والنفوس عليها والهة ، ولاخرى قد أقبلت والقابوب
عنها غافلة .

والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا

يا مكرماً بحلية الإيمان . بعد حلة الإيجاد ، وهو يخلقها في مخالفة
الخالق ، كم من نعمة نعمة ؟ في ترف ترف ، وما يخف عليك ذكر
شكر . يا عبد السوء ما تساوى قدر قدرتك ، لا كانت دابة لا تعمل
بعلفها ، إلى متى يخدعك المنى ؟ ويفرك الامل ؟ ويحك . إفتح عينك
متى رأيت العقل يوثر الفاني على الباقي ، فاعلم أنه قد مسخ .

ما زالت الدنيا مرة في العبرة ، ولكن قد مرض ذوقك ، لسان
قلبك في عقلة غفلة ، وسمع فهمك مسدود عن الفطنة بقطنة ، وبصر
بصيرتك محجوب بعشا عمى ، ومزاج تقواك منحرف عن الصحة ،
وأما نبض الهسوى فشديد الحققان ، سارت اخلاط الامل في أعضاء
الكسل فتشبثت عن البدار ، وقد صارت المفاصل في منافذ الفهوم .
سدداً ، وما يسهل عليك شرب مسهل ، ويحك لإجتنب حلواء الشره
فإنها سبب حمى الروح ، خل خل البخل فإنه يؤدي عصب المرؤة ،

(١) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

إن عولجت أمراضك فعولجت ، وإلا ملكت فأهلك ، لو احتميت
 عن اخلاط الخطايا لم تحتج إلى طبيب، من ركب ظهر التفريط نزل به
 دار الندامة ألم تسمع أن داود كان قد أعطى نعمة نعمة. كان يقف لها الماء فلا يسير
 والطير وقوف الأسير ، فامتدت يد الغفلة ، فقدت قميص العصمة ،
 فأثر زلله حتى في التلاوة ، أعرض المعمار عن المراعاة ، فتشعب منزل
 الصفا، وانقطعت جامكية العسكر ، فتفرقت جنود (أوبي) كان يؤتى
 بالإناء ناقصاً ، فيتمه بالدموع .

(للمهيار) : (١)

ما لي شرقتُ بماء « ذي الأثل » هل كدّرُ الورّادُ من قبلي ؟
 أم بانَ سكانُ فاملحَ لي ما كنت قبل البين أستحلي ؟
 ما ابيض لي في الدار بعدهمُ يومٌ وهل دارٌ بلا أهلٍ ؟
 رحلوا بأيامي الرقاقِ على آثارهم وبعيشي السهل

كان عيش عيشه خضراً ، فأحالت الحال سنة الهجر ، فكأن أيام
 الوصال كانت سنة ، وكاد يقطع باليأس ، لولا التقاء الخضر باليأس .

أرقى قد رق لي من أرقى ورثي لي قلقي من قلقي
 وبكائي من بكائي قد بكا وتشكت حرقى من حرقى
 كان داود إذا أراد النياحة ، نادى مناديه في أندبسة المحزونين
 فيجتمعون في مآتم الندوب ، فتزداد الحرق بالتعاون .

(للعباس بن الأحنف) : (٢)

يا بعيدَ الدارِ عن وِطْنِهِ مُفْرَدًا يبكي على شَجْنِهِ
 كلما جدَّ النحيبُ بِهِ زادت (٣) الاسقامُ في بدنه
 ولقد زاد الفؤادَ شجىً هاتفٌ يبكي على فننه
 شاقه ما شاقني (٤) فبكي كلنا يبكي على سكنه

(١) مطلع قصيدة ينسبها الوزير ابن ماكولا بالنيروز ، أنظر ديوان شعره ٢٠٦ / ٣
 (٢) أنظر ديوان شعره ص ٢٧٨ . (٤) في الديوان « شقه ما شقني » .
 (٣) في الديوان « دبت » .

يا مذبذبين مصيبتنا في التفريط واحدة « وكل غريب للغريب
نسب » يا مترافقين: في سفر الطرد . إنزلوا للنياحة في ساحة * اندبوا
طيب أوطان الوصل * واستغيثوا من هجير الهجر * لعل الغم ينقلب
غمامة * تظل من لفخ الكرب .

(للمصنف) :

واين قلبي اما صحا بعد	اين فؤادي اذا به البعد
فطار شوقاً بلبه الوجد	حدا بذكر العقيق سايقه
روح وروح يضمها نجد	جسم ببغداد ليس تصحبه
ب له كل لحظة وقد	يا لفؤاد ما يستريح من الكر
لو كان يوماً لغابت رد	آه لعيش قد كنت أصحبه
وهكذا اشتكى اذا اغدوا	أروح في حبكم ووا قلقي
ه فهلا تناوب المد	كل زماني جزر عن الوصل اشكو
يا سعد قل لي فديت يا سعد	يا سعد زدني جوى بذكرهم
وقل وحدث ببعض ما يدو	بلغهم ما أجن من حرق
وقال لي حرمة ولي عهد	وقل رأيت الاسير في قلق
يقول مولى ويصمت العبد	ثم فسلم والامر أمرهم

الفصل الخامس

أيتها النفس تدبري أمرك وتأملِي * ومثلي بين ما يفنى ولا تعجلي ،
لقد ضللت طريق الهدى فقفي وأسألي ، وآثرت وهنا * ما يورث وهنا
لا تفعلي ، يا غمرة من الشقا . ما أراها تنجلي ، اتبع الهوى والهوى
علي وليس لي ، أريد حياة نفسي ونفسي تريد مقتلي ، يا جسداً قد بلى .
بما قد بلى .

نخطو وما خطونا الا إلى الاجل وننقضي وكأن العمر لم يطل
والعيشُ يوذِنُنَا بالموت أوله ونحن نرغب في الأيام والدول
يأتي الحمام فينسى المرء منيته ونستقر وقد امسكن بالطول
لا تحسب العيش ذا طول فتبعه يا قرب ما بين عنق المرء والكفل
سلى عن العيش انا لا ندوم له وهون الموت ما نلقى من العلل
لنا بما ينقضي من عمرنا شغل وكلنا علق الاحشاء بالغزل
ونستلذ الاماني وهي مردية كشارب السم ممزوجاً مع العسل

أخواني : أوقدوا ادهان الأذهان في ليل الفكر ، صابروا سني
الجدب لعام الحصب تعصروا ، فمن أدلج في غياهب ليل العلى .
على نجايب الصبر ، صبح منزل السرور في السر^(١) ، ومن نام على فراش
الكسل ، سال به سيل التماذي إلى وادي الأسف ، الرجولية قوة
معجونة في طين الطبع ، والأنوثية رخاوة ، ولد السبع عزيز الهمة ،
وابن الذئب غدار ، وكل إلى طبعه عايد ، الجد كله حركة ، والكسل
كله سكون ، إذا أردت أن تعرف الديك من الدجاجة حين يخرج من

(١) التهمة .

البيضة ، فعلقه بمنقاره . فإن تحرك فديك ، وإلا فدجاجة ، فُتورك عن السعي في طلب الفضائل دليل على تأنيث العزم ، يا من قد بلغ أربعين سنة ، وكل عمره نوم وسنة ، يا متعباً في جمع المال بدّته ، ثم لا يدري لمن قد أخزنه ؟ ، اعلم هذه النفس الممتحنة ، إنها بكسبها مرتبهة الا يعتبر المغرور بمن قد دفنه ؟ كم رأى جباراً فارق مسكنه ؟ ، ثم سكن مسكن مسكنة .^(١) .

أيا راحلين بالإقامة ، يا هالكين بالسلامة ، أين من أخذ صفو ما أنتم في كدره ؟ ، أما وعظكم في سيره بسيره ؟ ، بلى . قد حمل بريد الإنذار أخبارهم ، وأراكم تصفح الآثار آثارهم .

وحدثك الليالي ان شيمتها تفريق ما جمعتها فاسمع الخبرا
وكن على حذر منها فقد نصحت وانظر إليها تر الآيات والعبرا
فهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً وهل سمعت بصفو لم يعد كدرا

حبال الدنيا خيال تفر الغر ، المتمسك بها . يلعب بلعاب الشمس ،
الدنيا كالمرآة الفاجرة لا تثبت مع زوج . فلذلك عنت طلابها . . .

ميزت بين جمالها وفعالها فاذا الملاحه بالقباحة لا تفي
حلفت لنا ان لا نخون عهودها فكأنما حلفت لنا أن لا تفي

حبة الدنيا محنة . عيونها بابلية . كم تفتح باب بلية ؟ . ولا حيلة
كحيلة . من عين كحيلة . كم أفردت من أرقدت ؟ . كم أخمدت
من أخذمت ؟ . كم فلتت من ألفت ؟ . كم أفقرت من أرقدت ؟ .
كم فارقت من رافقت ؟ . كم قطعت من أقطعت ؟ . فعلها في التكدير
كله هكذا . فإن آثرت الصفا فما في الزهد أذى . وإن أردت
القذى . فالتق ذا . (للمهيار) :^(٢)

تَعَجَّبُ من صبري على الوانها في وصلها طوراً وفي هجرانها

(١) المذلة .

(٢) مطلع قصيدة يعاتب فيها العميد أبا الحسن بن المزرع ، أنظر ديوان شعره ١٦٥/٤ -

ورهاء من كلفها وثيقة كلفها ما ليس من أديانها
تسلط البلوى على عشاقها تسلط الحنث على إيمانها
الودء في القلب ودعوى ودءها لا يتعدى طرفي لسانها
فكما اعطتك في حجة زيادة فاقطع على نقصانها
وقفت استرجع يوم بينها قلباً شعاعاً طاح في أظعانها
ولم يكن مني إلا ضلّة نِشْدانُ شيءٍ وهو في ضمانها

يا من إذا أصبح . طلب بالمعاش الشهوات . وإذا أمسى إنقلب
إلى فراش الغفلات ، أين أنت من أقوام نصبوا الآخرة نصب أعينهم
فنبسوا (١) . فوفر النصب نصيبهم (إنا أخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار) (٢) .

قال بعض السلف : لقيت رجلاً في برية . فقلت من أين ؟ فقال :
من عند قوم (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (٣) قلت :
ولم أين ؟ قال إلى قوم (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) (٤) .

بنفسي من غداة نابت عنهم تركت القلب عندهم رهينا
أما لك أيها القلب اعتبار بما فعل الهوى بالعاشقين
ملاؤا مراكب القلوب متاعاً لا ينفق إلا على الملك ، فلما هبت
رياح الدجى دفعت المراكب .
(لأبي اسحق الغزي) .

إذا الصبا سحبت أذيالها سحراً على العقيق وقرت في ربي اضم
وحرشت بين بان الجزع ظالمة وشيحه وجرت في الضال والسام
تنفس الوجد وارتاح المشوق وعاء ش الروح بالروح بعد الاخذ بالكظم
يا سوق الأكل أين أرباب الصيام ؟ يا فرش النوم أين حراس
الظلام ؟ درست والله المعالم ووقعت الحيام . قف بنا على الأطلال .
نخصها بالسلام .

(١) سورة النور ، الآية ٣٧ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

(٣) تيموا .

(٤) سورة ص ، الآية ٤٦ .

(للمهيار) : (١)

أين سكانك ؟ لا أين همُ أحجازاً سلوكها^(٢) أم شاما
قد وقفنا بعدهم في ربعمهم فنهيناه استلاماً والتراما

أترى أي طريق سلكوا ؟ * أترى أي شعب أخذوا ؟ *

حمامة الوادين ما الخبر اعرسوا بالفرات ام عبروا
ما وصل القوم إلى المنزل . إلا بعد طول السرى * ما نالوا حلاوة
الراحة إلا بعد مرارة التعب .

(لصردر) : (٣)

لو قَرَّبَ الدُرَّ على جلابه ما بلحجُ الخايص في طِلابه
ولو أقام لازماً أصدافه لم تكن التيجانُ في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه الا وراء الهول من عبابه
من يعشق العلياءُ يلقَ عندها ما لقي المحبُّ من أحبابه^(٤)

ما حظي الدينار بنقش إسم الملك ، حتى صبرت سبيكته على
التردد إلى النار ، فنفت عنها كل كدر ، ثم صبرت على تقطيعها دنائير
ثم صبرت على ضربها على السكة * فحينئذ ظهر عليها رقم النقش (كتب
في قلوبهم الإيمان)^(٥) .

كم أحمل في هواك ذلا وعنا كم اصير فيك تحت سقم وضمنا
لا تطردني فليس لي عنك غنا هذا نفسي اذا أردت الثمنا

من طلب الأنفس . هجر الألد * من اهتم بالجواهر نسي العرض *
« يا صفراء يا بيضاء غرى غيري » .

(١) من قصيدة قالها يمدح الوزير زعيم الدين في النيروز، انظر ديوان شعره ٣/٢٢٧.

(٢) في الديوان « اقبلوها » .

(٣) صردر أو صردر : هو علي بن الحسن ، بغدادي ، شاعر مجيد ، له ديوان شعر

مطبوع ، دار الكتب المصرية ١٩٣٤ ، توفي ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م .

(٤) من قصيدة يمدح فيها الوزير ابن جهير بعد عودته إلى الوزارة ، انظر الديوان ٦٣ - ٦٦

(٥) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

من أجل هواكم عشقت العشقا قلبي كلف ودمعتي ما ترقا
 في حبكم يهون ما قد القى ما يحصل بالنعيم من لا يشقى
 يامعشر التائبين (اصبرُوا وصابروا ورابطوا) (٤) مكابدة البادية
 تهون عند ذكر منى المضحى في بوادي الجوع والمعشى بوادي (٢) السهر
 إلى أن تلوح بوادي (٣) القبول * ان ونت في السير ركائبكم . فأقيموا
 حداة العزم تدلج *

الين يا أيدي المطايا الينا لا تشكى شوطك البطينا
 يا حاديتها من نيمر عامر خذا بها عن حاجر يمينا
 حلا على وادي الغضى نسوعها وارخيا برامة الوضينا
 رداً بها ماء العذيب علة يشفى ويطفى داءها الدفينا
 واستخبرا بالجزع أنفاس الصبا أين استقل الخيرة الغادونا
 يا مطروداً عن صحبة الصالحين ، إمش في أعراض الركب ، وناشد
 حادي القوم * لعله يتوقف لك .

يا حادي العيس اصخ لمدنف متيم لَجّ به الغرامُ
 اذا وقفتَ في ثنيات اللوى ولا الديار والخيامُ
 واقرت الرياض عن أزهارها عقيب ما قد رحل الغمام
 وهبت الريح فهب شيحها وانتبه الحوذان والثمام
 فقف قليلاً نتزود نظرة تحيي بها الارواح والسلام

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(٢) أي في وادي . (٣) جمع بادية وهي الظاهرة .

الفصل السادس

اخواني : إنتبهوا من رقعات الاغمار * وانتهبوا لحظات الأعمار *
وقاطعوا الكسل فقد قطع الأعذار * واسمعوا زواجر الزمن فما داجي
الدجي ولقد بهر النهار * وخذوا بالحزم فقد شقي تلف من رضي
بشفا جرف هار .

(للشريف الرضى) : (١)

تفوز بنا المنون وتستبد ويأخذنا الزمان ولا يرُد
وانظر ماضياً في أثر^(٢) ماضٍ لقد أيقنتُ أن الأمر جد
رويداً بالفرار من المنايا فليس يفوتها الساري المُجدد
فأين ملوكنا الماضون قدماً اعدوا للنائب واستعدوا
أعارهم الزمانُ نعيم عيش فيا سرعان ما استلبوا^(٣) وردوا
هم فرطاً لنا في كل يوم ندهمُ وان لم يستمدوا

العمر يسير وهو يسير ، فاقصروا عن التقصير في القصير ، أما
دراك دراك قبل امتناع الفكاك ، حذار حذار قبل قدوم القرار ،
أما يحرك سوق الرهب سوق إهرب ؟ أما يحث التعليم على الدأب الأدب ؟
أليس الزمان يعير ثم يغير ؟ وهب إنه وهب ، أما ضرب الدهر ؟ فاستحال
الضرب ، مر العمر والغمر مشغول عما ذهب بالذهب ، كم فارق من
رافق فسلا من سلا بالسلب ، أين الفهم ؟ فقد المعنى المعنى وعج العجب *
أين الثمرة ؟ أيتها^(٤) في الغرب * حالت غمايم الهوى . بينكم وبين

(١) قاله يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وكان صديقاً له ، أنظر ديوانه ١ / ٣٦٦ .

(٢) في الديوان « عقب » . (٣) في الديوان « فزعوا » .

(٤) بياض في الأصل .

شمس الهدى ، وغدا ما في يومكم ينسيكم غدا حتى كأن الرجل
حديث خرافة . أو كأن الزاد يفضل عن المسافة .

أيها الشيوخ : آن الحصاد . أيها الكهول : قرب الجداد . أيها
الشباب : كم جرد الزرع جراد .

يا ابن آدم لا تفرك عافية عليك شاملة فالعمر محدود
ما أنت الا كزرع عند خضرته بكل شيء من الأوقات مقصود
فان سلمت من الآفات اجمعها فأنت عند كمال الامر محصود

واعجبها ! ... يتأمل الحيوان البهيم العواقب . وأنت لا ترى إلا
الحاضر . ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد . ولا بمؤنة الصيف
حتى يشتد الحر ، ومن هذه صفته في أمور الدنيا (فهو في الآخرة
أعمى وأضل سبيلا) ^(١) هذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت .
أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع . أفتراك ما علمت قرب رحيلك
إلى القبر ؟ . فهلا بعثت لك فراش تقوى (فلأنفسهم يمهدون) ^(٢)
هذا البربوع لا يتخذ بيتاً إلا في موضع طيب مرتفع . ليسلم من سيل
أو حافر . ثم لا يجعله إلا عند اكمة أو صخرة . لتلا يضل عنه إذا عاد
إليه . ثم يجعل له أبواباً ويرقق بعضها . فإذا أتى من باب دفع برأسه
مارق وخرج .

اسمع يا من قد ضيق على نفسه الخناق في فعل المعاصي . فما
أبقى لعذر موضعاً . يا مقهوراً بغلبة النفس صل عليها بسوط العزم .
فإنها ان علمت جسدك استأسرت لك . امنعها ملذوذ مباحها ليقع
الصلح على ترك الحرام . فاذا ضجت لطلب المباح (فإما متناً بعدُ وإما
فداء) ^(٣) الدنيا والشيطان خارجيان . خارجان عليك خارجان عنك ،
فالنفس عدو مباطن . ومن آداب الجهاد (قاتلوا الذين يَكُونُكُمْ) ^(٤)
ليس من بارز بالمحاربة كمن كمن ، ما دامت النفس حية تسعى . فهي

(١) سورة الاسراء ، الآية ٧٢ . (٣) سورة محمد ، الآية ٤

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٤ . (٤) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

حية تسعى ، أقل فعل لها تمزيق العمر بكف التبذير • كالخرقاء وجدت
صوفاً • أخل بها في بيت الفكر ساعة • وانظر ، هل هي معك أو عليك ؟
نادها بلسان التذكرة • يا نفس ذهب عرش بلقيس • وبلى جمال
شيرين • وتمزق فرش بوران • وبقي نسك رابعة • يا نفس صابري
عطش الهجير يحصل الصوم • وتخزمي تخزم الأجير فانما هو يوم :

جد في الجلد قد تولى العمر كم ذا التفريط قد تدانى الامر
اقبل فحسى يُقبل منك العذر كم تبنى وكم تنقض كم ذا الغدر
يا هذا ذرات الوجود تستدعيك إلى الموجد • ورسايل العتاب
على انقطاعك متصلة • فما هذا التوقف ؟

كم كم ذا الهجر وافتراق الاحباب هل بعد البعد للذي غاب اياب
كم قد خطت إليكم الكف كتاب خلوا العتب ثم ما جاء جواب

يا هذا ! دبر دينك كما دبرت دنياك • لو علمت بثوبك مسمار
رجعت إلى وراء لتخلصه • هذا مسمار الاضرار قد تشبث بقلبك •
فلو عدت إلى الندم خطوتين تخلصت ، هيهات صبي الغفلة كلما
حرك نام ، يا مجنون الهوى أما مارستان العزلة • وقيد الحمية • ومعالجة
سلاسل التقوى • ومرافقة بشر^(١) ومعروف • وإلا فمارستان جهنم ،
في انكال العقوبة • وصحبة إبليس • لا بد من جرم عزم • يؤخذ بالخزم
ليتنصر من عايت الشره • سلطان الازم • من رق لبكاء الطفل لم يقدر
على فطامه ، كل يوم تحضر المجلس يقف لك الشيطان على الباب •
فإذا خرجت كما دخلت قال فديت من لا يفلح ، واسفي كم تطلب
الخضر وما ترى إلا اليأس • ويحك اعرف ما ضاع منك • وابك
بكاء من يدري قيمة الفايث • وصح في السحر .

ان كان عهد وصلكم قد درست فالروح إلى سواكم ما انتست
أغصان هواكم بقلبي غرست منوا بلقائكم والا ييست

(١) أراد بشر الخافي ومعروف الكرخي .

و استنشقت ربح الأسحار لافاق قلبك المخمور و تخابلت
قرب الأحباب أقت المآتم على بعدك .

ما اشوقني إلى نسيم الرند^(١) يشفي سقمي اذا اتى من نجد
والشيخ^(٢) فانه مثير الوجد شوقي شوقي له ووجدي وجدني

كان بعض السلف يقول في مناجاته : إلهي ! إنما أبكي لما قسمت
الأقسام . جعلت التفريط حظي فأنا أبكي على بختي .

قد كنت من قبل النوى مما الاقي جزعا
تركتموني بعدكم اشرب دمعي جرعا

أخواني . تعالوا نرق دمع نأسفنا على قبح تخلفنا * ونبعث مع
قاصدي الحبيب رسالة محصر^(٣) لعلنا نفوز بأجر المصاب . إن لم
يرجع المفقود * يا أرباب القلوب الضايعة (إذهبوا فَتَحَسَّسُوا من
يوسف)^(٤) .

هذي معالمهم وما	لي منذ بان القوم عهد
واها لعيش بالحمى	لو كان لي يوماً برد
ويلى أحظي كله	من حيكم هجر وصد

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) ممنوع من السفر .

(٣) الشيخ : بنت .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

الفصل السابع

أخواني : ذهبت الأيام • وكتبت الآثام • وإنما ينفع الملام متيقظاً
والسلام .

وعظمتنا	بمرها	الايامُ	وارتنا	مصيرنا	الارجامُ
ودعتنا	المنون	في سنة	الغفلة	هبوا	واستيقظوا
ليت شعري	ما يتقي	المرء	والرامي	له الموتُ	والخطوبُ
منهل	واحد	شرايعه	شئى	عليه	للواردين
نتحاماه	ما استطعنا	وتحدو	نا	اليه	الشهور
وإذا راعنا	فقيده	نسيناه	تناسى	ما راعهن	السوامُ
اوقوفاً	على	غرور	وقد زلت	بمن كان	قبلنا
ووراء	المصير	في هذه	الاجسادا	ث دار	يكون فيها

يا من صحيفته بالذنوب قد خفت ، وموازينه لكثرة العيوب قد
حفت ، يا مستوطناً والمزعجات قد ذفت ^(١) . لا تغتر بأعصان المني
وإن أورقت ورفرت ، فكأنك بها قد صوحت وجفت . أما رأيت
أكفاً عن مطالبها قد كفت ؟ أما شاهدت عرايس الأجساد إلى الالحاد .
زفت ؟ أما عاينت سطور الأجسام في كتب الارجام ^(٢) قد أدرجت ولقت
أما أبصرت قبور القوم ؟ في رقاع بقاع القاع قد صفت . من عرف
تصرف الأيام لم يغفل الإستعداد . إن قرب المنية . ليضحك من
بعد الأمنية . ما جرى عبد في عنان أمله إلا عثر في الطريق بأجله .
أخواني خلقنا نتقلب في ستة اسفار . إلى أن يستقر بنا المنزل . السفر

(١) أسرعت وأجهزت .

(٢) جمع رجم وهو القبر .

الأول * سفر السلالة من الطين * والثاني سفر النطفة من الصلب *
 والثالث من البطون إلى الدنيا والرابع * من الدنيا إلى القبور *
 والخامس من القبور إلى العرض * والسادس إلى منزل الإقامة *
 فقد قطعنا نصف الطريق * وما بعد أصعب .

أخواني . السنون مراحل * والشهور فراسخ * والأيام أميال *
 والأنفاس خطوات * والطاعات رؤس أموال * والمعاصي قطاع
 الطريق * والريح الجنة * والخسران النار * لهذا الخطب شمر المتقون
 عن سوق الجدد في سوق المعاملة * كلما رأوا مراكب الحياة تخطف
 في بحر العمر شغلهم هول ما هم فيه عن التزه في عجائب البحر *
 فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة في طريق
 التلقي * فدخلوا بلد الوصل وقد حازوا ربح الدهر .

(المهيأر) : (١)

زمو المطايا فدمع العين منطلق والقلب عان وراء الخوف مأسور (٢)
 فلم يذهب بأولى الزجر سائتهم حتى تشابك مهتوك ومستور (٣)
 فغلسوا من زرود وجه يومهم وحطهم لظلال البان تهجير
 وضمنوا الليل سلماً إذ رأوه وقد غنت على فنتى سلع العصافير

أملهم أقصر من فتر * منازلهم أفقر من قبر * نومهم أعز من الوفاء ،
 السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر * أخبارهم أرق من نسيم السحر *
 آماقهم بالدموع الدائمة دامية * والهموم على الجوانح جوانح * لأنفسهم
 أنفاس . من مثلها يهيج البهيج * روض رياضتهم مطلول الخمايل *
 يحدث ريباً ربه عنهم * فالرايحة رائجة بالخبر .

(للمهيأر) : (٤)

(١) من قصيدة كتبها إلى الأمير شهاب الدولة منصور بن الحسين بن دببس ، أنظر ديوان
 شمر ٢ / ١٠٣ .

(٢) الشطر الأول في الديوان « زمو المطايا فدمع مطلق أمن العدى .

(٣) في الديوان « فكم نيت - وتشابه » .

(٤) من قصيدة كتبها إلى الكافي أبي عبدالله القاني في المهرجان ، أنظر ديوان شمر ٢ / ٢٦٨

يا سائق الاطعمان إن مع الصبأ خبراً لو انك للصبأ تتوقف
هبت بعارفة تسوق من الحمى^(١) أرجأ بربأ اهله يتعرف

خذ حديث القوم جملة واقنع بالعنوان * كواكب همهم
في بروج عزائمهم * سيارة . ليس فيها زحل * ناموا في الدجى على مهاد
القلق * فلما جن الليل . جن الحذر * فاستيقظت عين . ما تهأت بطعم
الرقاد *

كفى سائفاً بالشوق بين الاضالع لhib اشتياق ثم فيض مدامع
فركبوا عيس القصد . وركبوا الجادة * فلما غنت الحداة * رنت
الفلاة ، فأعربت أبيات الشعر * عن أبيات الشعر ، فعصفت رياح الزفرات
من قلب المشوق ، فانقلع شكر الدمع ، فلو رأيت وكف شؤنهم
قلت قد انقطع شريان الغمام ، هذا . يعاتب نفسه على التقصير ، وهذا
يتفكر في هول المصير ، وهذا يخاف من ناقد بصير ، منازل تعبدهم
متناوحة * وفي كل بيت منهم نايحة ، تائبهم أبكى من متمم ، ومحبهم
أتم من مرقش ، ومشتاقهم أقلق من قيس ، وكلهم قد بات بليل التابغة
للتائب يقول أنا المقر على نفسي بالخيانة * أنا الشاهد عليها بالخيانة .

اعف عني واقلني عثرني يا عتادي للمات الزمن
لا تعاقبني فقد عاقبني ندم اقلق روحي في البدن
لا تطير وسناً عن مقلتي انت أهديت لها حلو الوسن
يا حبيبي بلسان العربي ولسان الفارسي يا دوست من

والمتعبد يبكي على الفتور بكاء الشكلي بين القبور * ويندب زمان
الوصال ويتأسف على تغير الحال .

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الايام حين صفا
والخائف ينادي ليت شعري ما الذي أسقطني من عينك ؟ *
أقلت (هذا فراق بيني وبينك) ؟^(٢)

(١) في الديوان « في انصبا » . (٢) سورة الكهف ، الآية ٧٨ .

لاية علة ولأي حال صرمت جبال وصلك عن جبالي
وعوضت البعاد من التداني ومر الهجر من حلو الوصال
فان اك قد جنيت عليك ذنباً ولم أشعر بقول أو فعال
فعاقني عليه بأي شيء أردت سوى الصدود فما ابالي

وصريع المحبة يستغيث وينادي • حتى أقلق الحاضر والبادي •

تحمل أصحابي ولم يجلدوا وجدي وللناس أشجان ولي شجن وحدي
أحبكم ما دمت حياً وان أمت فواكبدي من ذا يجبكم بعدي

وقتل الشوق يتعلق بما يرى • ويتشبث بما يسمع • يرتاح إلى السهر
ومقصوده غيره • وإلى الشجر ومغنين طيره .

(للمهيار) : (١)

أيابانة الغور عطفاً شُفيت وان كنتُ أكني وأعني سواك
أحبك من أجل من تعلمين لو أني اراه كما قد أراك
ذكرتُ ويا لهفي هل نسيتُ لياليَ اسمُها في ذراك^(٢)
كفى الوجد أني اذا ما استرحتُ إلى اسمك عميتُه بالأراك
إذا الصدّ أرضاكِ فهو الوصالُ فانتِ فعلتِ فأهلاً بذاكِ

(١) أنظر ديوان شعره ٢ / ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) الذرا : الكنف .

الفصل الثامن

الشهوات تغر وتعر (١) • وتمر عيش العواقب وتمر (٢) • وتبكي
عين الندم أضعاف ما تسر • ألا يقظ ؟ إلا حذر ؟ إلا حر ؟

هل الدهر إلا ما عرفنا وادركنا فجايهه تبقى ولذاته تفنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولت كمرالطرف واستخلفت حزناً
إلى تبعات في المعاد وموقف نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم وأثم وحسرة وفات الذي كنا نلذ به عنا
كان الذي كنا نسر بكونه إذا حققتة النفس لفظ بلا معنى

إن المواعظ قد أفصحت وأعربت • غير أن الزخارف للواظ
قد أدهشت وأعجبت ، وإنما تقطع مراحل الجد بالعزم والصبر •
ونظر الليب المجد إلى آخر الأمر • أو ليس الصحيح بعرض عارض
الاسقام والاصاب ؟ • أو ما المسرور بالعرض كالعرض لسهام
المصاب ؟ • أو ما يكفي من الزواجر ؟ كف كف الاحداث مبسوط
الأمل ، أما يشفى من البيان ؟ عيان الأعيان . في الاجداث خالين بالعمل
أين من فاق قمم الشرف ؟ فعزل وولى ، أما ذاق ألم المنصرف ؟ فتزل
وولى أين من نشأ ، في علي ونهى وندى ؟ ٣ سلب ولم يشأ • حلّى وهى
وجدى • أين المسرور بشهوات أمسه ، حزن ، أين المغرور بلذات نفسه
غبن :

فيا آملاً أن يخلد الدهر كله سل الدهر. عن عاد وعن اختها ارم

(١) تغر من التورور ، تمر من المر وهو الإصابة بمكره .

(٢) تمر من المرارة ، والثانية من المرور

إذا ما رأيت الشيء يبلية عمره ويفنيه أن يبقى ففي دائه عقم
 يروح ويغدو وهو من موت غبطة وموت فناء بين فكين من جلم
 تحد لنا أيدي الزمان شفاره ونرتع في اكلاته رتعة النعم
 نراع اذا ما الموت صاح فرعوي وان لم يصح يوماً براتعنا خضم
 ألا ان بالابصار عن عبرة عمى الا ان بالاسماع عن عظة صمم
 سيكشف عن قلب الغبي غطاؤه اذا حتفه يوماً على صدره جثم

يا معقداً دار القلعة ^(١) قلعة . أما تراها تميد بسكانها . والشاهد ما
 يشاهد عواصف الحوادث تنسف جبال المقتنى ، ومعاول الزمان
 تهدم مشيد المبتنى ، وكلما ارتفع كتيب أمل وهال انهال . يا مهلكاً
 نفسه التي لا قيمة لها لأجل ديننا لا وقع ^(٢) لها . إلى كم هذا الحرص ؟
 وما تنال غير المقدور . أما رأيت مرزوقاً لا يتعب ؟ . ومتعباً لا يرزق .
 هذا موسى في تقلقل (ارني) وما أرى . ومحمد يزعج عن منامه .
 وما طلب « قضاها لغيري وابتلاني بحبها » واعجباً يطلب موسى التجلي .
 فيمنع ويرزق الجبل .

اراك الحمى قل لي بأي وسيلة توصلت حتى قبلتك ثغورها
 لقد أنضى الحرص مطية عمرك . وما وصلت بلد الأمل . لو
 قنعت الذبابة بطرف ظرف العسل ما تلفت ، لو عرفت قيمة نفسها
 رخصت أو غلت ما أوغلت ^(٣) . شقايق اللذة . تروق بصر الحسن .
 وسن العواقب تضحك من المغرور . يا دني الهمة أعجبتك خضرة
 على مزيلة . فكيف لو رأيت فردوس الملك ؟ . قنعت بحسائس الحشايش
 والرياض معشبة بين يديك . تقدم بالرياضة خطوات وقد وصلت .
 الغور يا ركابنا الغور اذن ان صدق الرايد في هذا الخبر
 وان حننت للحمى وروضه فيالغضا ماء وروضات أخر

(١) الأول بضم القاف التي يفتح عنها . والثانية بفتحها الحسن .

(٢) دفع . خ ل .

(٣) تلفعات .

الهمم تتفاوت في جميع الحيوانات . العنكبوت من حين يولد ينسج لنفسه بيتاً ولا يقبل مئة الام ، والحية تطاب ما حفره غيرها . إذ طبعها الظلم ، الغراب يتبع الجيف ، والأسد لا يأكل البيت ، الكلب ينفض لرمى له لقمة ، والفيل يتملق حتى يأكل ، للصيد كلاب . وللمدبغة كلاب ، أين الإنفة ؟ النحل يغضب فيترضى من لجاح ، والخنفساء تطرد فتعود ، الاختبار يظهر جواهر الرجال . بعث بلقيس إلى سليمان هدية لتسبرها قدر همته . فإن رأها قاصرة . علمت أنها لا تصلح للمعاشرة . وإن رأها عالية تطلب ما هو أعلى . تيقنت أنه يصلح .

يا هذا الدنيا هدية بلقيس فهل تقبلها ؟ أو تطلب ما هو أنفس . ويحك أحسن ما في الدنيا قبيح . لانه يشغل عما هو أحسن منه . أترى ؟ لو ابتليناك بترك عظيم كيف كنت تفعل ؟ . إنما ردديناك عن دنس . ومنعناك من كدر . ثم ما علمت أن الثواب على قدر المشقة . ويحك إن الأرباح الكثيرة في الأسفار البعيدة . الصبر والهوى ضربتان فاختر إحدى الضرتين . فما يمكن الجمع من دام به الحمار . في ديار الهوى . لم يفتح عينيه إلا في منازل البلى . من غرق بنهر المعلى طفا نحت البلد . واعجباً . اعدم نظر العقل بكرة ؟ . أو بعينه رمد ، لو قيل لك ارم ثوبك على هدف مرمى لم تفعل إشفاقاً عليه ، وهذا دينك في عرض عرضك . قد تمزق من نبل الهوى ، لو قيل : زد في النفقة خفت على المال وقد حفت ^(١) في إنفاق العمر على معشوق البطالة ، رميت يوسف قلبك في جب الهوى ، وجئت على قميص الأمانة بدم كذب ، ويحك ! كلما أوغلت في الهوى زاد التعرقل . ويحك ؟ ما يساوي النصاب المسروق قطع اليد . مجلسنا بحر ، والفكر غواص يستخرج الدر . ومراكب القلوب تسير إلى بلد الوصل ، وأنت تقف على الساحل (وترى الفلك مَواخِرَ فيه) ^(٢) إن قعر جهنم لبعيد . ولكن همتك أسفل منه ، ختقنا دخان التخويف . افتحوا للروح :

الى كم عتاب يسد الفضاً سلام عليكم مضي ما مضي

الفصل التاسع

الزمان أنصح المؤذنين • وأفصح المؤذنين • فانتبهوا بإيقاظه ، واعتبروا
بألفاظه •

فكم هذا التصامم والتعامي وكم هذا التغافل والتواني
لو انا قد فهمنا عن خراب الديار بمقالها لم بين بسان
ويجني العيش كل أذى ويهوى فيا للعيش يعشق وهو جان
فله الأولى درجوا جميعاً وزادهم النجاء من الهوان
وما علقوا من الدنيا بشيء سوى بلغ بأطراف البنان
ولما ان رضوا شعث النواصي تقي وهبوا التصنع للغواني

لله در العارفين بزمانهم إذ باعوا ما شاتهم^١ بإصلاح شأنهم •
ما أقل ما تعبوا وما أيسر ما نصبوا • وما زالوا حتى نالوا ما طلبوه
شمروا عن سوق الجدد في سوق الغزائم ، ورأوا مطلوبهم دون غيره
ضربة لازم ، وجادوا مخلصين فربحوا إذ خسروا حاتم • وأصبحوا منزل
النجاة وأنت في اللهنائم ، متى تسلك طريقهم ، يا ذا المآثم ؟ متى
تندب الذنوب ؟ ندب المآثم • يا رجلاً ما بانت رجوليتهم إلا بالعمائم •
يا أخوان الأمل قد بقي القليل وتفتى المواسم • أين أنت من القوم ؟
ما قاعد كفاتم •

(للمهيار) : (١)

صحب الله راكبين إلى العز طريقاً من المخافة وعرا
شربوا الموت في الكريهة حلواً خوف أن يشربوا من الضميم مراً

(١) من قصيدة قالها في صديق ويتألم لفقد جماعة من إخوانه ، أنظر ديوان شعره ١ / ٤٠٦ -

انف القوم من مزاحمة الخلق في سوق الهوى ، وقوي كرب
شوقهم فلم يحتملوا حصر الدنيا ، فخرجوا إلى فضاء العز في صحراء
التقوى • وضربوا نجيم الجد في ساحة الهدى ، وتخبروا شواطئ أنهار
الصدق فشرعوا فيها مشاريع البكا • وانفردوا بقلقهم فساعدهم ريم
الفلا • وترنمت بلابل بلبلهم في ظلام الدجا • فلو رأيت خزينهم
لطلب الرضا • على جمر الغضا • فيا محبوساً عنهم في سجن الحرص
والمنى • إن خرجت يوماً من سجنك لترويح شجنتك . من غم البلوى
عرج بذاك الوادي .

للشريف الرضي : (١)

عارِضاً بي ركبَ الحِجَازِ أسائله	متى عهدُهُ	بأيامِ سَلَعِ
واستَمَلًا حديثَ من سكن الخيفَ	ولا تكتباهُ	الا بدمعِي
فاتتني أن أرى الديار بطرقي	فلعلي أعني	الديارِ بسمعي
كلما سُلِّ من فؤادي سهمٌ	عاد سهمٌ	لهم مضيضَ الوقعِ
مَنْ معيد أيام جمع على ما	كان منها وأينَ	أيامُ جمعِ
طالبٌ بالعراق ينشد هيهات	زماناً	أضلهُ بالجزعِ

يا معوقا عنهم بكثرة الحوادث • خلص الماء من ضيق الأنايب •
وانظر كيف يسرع ؟ • إلى متى تألف عش ، الصبا سافر مع الرجال •
لو عبرت بطن النجف لاستشقت ريح الحجاز ، حدث نفسك بأرض
نجد يهن عليها عبور العقبة • ذكرها قرب منى . وقد درجت المدرج .

(للمهيار) : (٢)

من بئى واین جبران^(٣) منى كانت ثلاثاً لا تكون أربعا
سلبتوني كبداً صحيحة أمسِ فردّوها عليّ قطعاً

(١) من قصيدة قالها عام ٣٩٥ ، أنظر الديوان ٢ / ٦٥٧ .
(٢) من قصيدة كتبها إلى العميد أبي الحسين محمد بن علي المزرع ، أنظر ديوان شعره

. ٢١٢ / ٢

(٣) أيام .

عدمتُ صبري فجزعتُ بعدكم ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزعا
ارتجعوا إلى ليلةٍ بجاجرٍ ان تم في الفايث أن يرتجعاً
وغفلة سرقتها من زمي بلعلع سقى الغمام لعلعا

يا صبيان التوبة ، هلاككم خفي * فدموا على المعاملة يصر بداراً
لا بد من ضيف (ولنبلونكم) الطبع يحن إلى المألوف * والولد يطلب
ما يشتهي * والزوجة تروم سعة النفقة * والورع يختم كيس التصرف
(هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) (١) أيدي صبيان التوبة
في أفواههم بعد طعم الرضاء ، بينا ليل زلهم قد عسعس ، إذ صبح
يوم توبتهم قد تنفس ، فكلما احترقت قلوبهم بالخوف * تعرضوا بنسمات
الرجاء للعفو .

لا عدا الروح من تهامة انفا ساً اذا استروحت تمنيت نجداً

يا صبيان التوبة ، طبييكم متلطف * تارة بالتشويق * وتارة بالتخويف .
هذه الطير إذا انشق بيضها عن الفراخ علم الأب والأم إن حوصلة
الفراخ لا تحمل الغذاء ، فينفخان الريح في حلقة لتسع الحوصلة ،
ثم يعلمان أن الحوصلة تفتقر إلى دبغ وتقوية ، فيأكلان من صاروج
الحيطان « وهو شيء فيه ملوحة كالسيخ » ثم يزقانه إياه ، فإذا اشتدت
الحوصلة زقياه الحب ، فإذا علما أنه قد أطاق اللقط منعا بعض المنع
فإذا جاع لقط * فإذا رأياه قد استقل باللقط ضرباه بالأجنحة إذا
سألها الزق .

فتأملوا تدييري لكم في المواعظ ، الطفل لا يصبر عن الرضاء
ساعة ، فإذا صار رجلاً صبر عن الطعام يومين ، إنما تقع الكلفة
بقدر الطاقة * لما كان الطائر يحتاج أن يزق فرخه * لم يحمل عليه إلا
تديير بيضتين * ولما كانت الدجاجة تحضن ولا تزق كان بيضها أكثر
ولما كانت الضبة لا تحضن ولا تزق صارت تبيض ستين بيضة ،
وتحفر لمن وترك التراب عليهن * وبعد أيام تنبشهن فيخرجن ، كلما قوى

(١) سورة الأحزاب ، الآية ١١ .

الحامل زيد في الحمل في أول مقام يقول (يُحِبُّ التَّوَابِينَ (١))
وفي أوسطه « بعيني ما يتحمل المتحملون » وفي المقام الأعلى « كذب من
من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني » . كان أبو سليمان الداراني
يبكي حتى ينبت الربيع من عينيه * وكان عطساء السلمي يبكي حتى
لا يقدر أن يبكي *

يا منفذاً ماء الجفون وكنت أنفقه عليه
ان لم تكن عيني فأنت أعز من نظرت إليه

كانوا إذا ضيق الخوف عليهم الخناق نفسوه بالرجاء ، فكان أبو
سليمان يقول : إلهي إن طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك * وإن
أسكنتني النار بين أعدائك لأخبرنهم إني كنت أحبك ، وكان يحيى
ابن معاذ * يقول : إن قال لي يوم القيامة عبدي ما غرك بي * قلت
إلهي برك بي *

تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر
فان عنفني الناس ففي وجهك لي عذر
لان البدر محتاج إلى وجهك يا بدر

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ .

الفصل العاشر

اخواني: الدنيا غرارة غدارة • خداعة مكاراة • تظن مقيمة
وهي سيارة • ومصالحة وقد شنت الغارة •

نح نفساً عن القبيح وصنها وتوق الدنيا ولا تأمنها
لا تثق بالدني فما أبتت الدنيا لحي ودبعة لم نخنها
انما جئتها لتستقبل الموت واسكتها لتخرج عنها
ستخلى الدنيا وما لك الا ما تبلغت أو تزودت منها
وسيبقى الحديث بعدك فانظر خير أحداثه تكون فكنها

كأنك بالموت وقد خطف • ثم عاد إلى الباقي وعطف • تنبه
لنفسك يا ابن النطف • فقد حاذى الرامي الهدف ، إلى كم تسير في
سرف ؟ • ليت هذا العزم وقف ، تؤخر الصلوة ثم تسيئها كالبرق
إذا خطف أتجمع سوء كينة مع حشف ؟ ^(١) • الجسد أتى والقاب
انصرف ، يا من باع الدر واشترى الخزف ، أبسط بساط الحزن على
رماد الأسف عليك حافظ وضابط • ليس بناس ولا غالط ، يكتب
الألفاظ السواقط وأنت في ليل الظلام خابط •

يا من شاب إلى كم تغالط ؟ • إلك ما مضى ويكفي الفارط •
ما للعيون قد أخلفت أنواؤها ؟ • وكثر نظرها إلى الحرام فقل بكأوها
ما للقلوب المريضة ؟ قد عز شفاؤها • سأكتب ضمان الآمال وأين
وفاؤها ؟ • آه لأمراض نفوس قد يشس طبيبها • ولأصوات مواعظ
قد خرس مجيها ، هبت والله دبور الذنوب فتركت الأجسام بلا قلوب

(١) سوء كيلة : الوزن الخمار ، الحشف : أردأ التمر .

أين الفهم والتأمل ؟ • إن لم يكن جميل فليكن مجمل • أخواني قد دنا
الرحل • لا بد وشيكاً من التحول •

رقيبكم يا غافلين لا يغفل • أتذكرون الذنوب بسلا تململ ، يا
من يعد بالتوبة كم تمطل ؟ • يا ملازماً للهوى كم تعدل ؟ • المعاصي
سم والقليل منه يقتل .

يا هذا الدنيا وراءك والأخرى أمامك ، والطلب لما وراءك هزيمة .
إنما يعجب بالدنيا من لا فهم له • كما أن أضغاث الأحلام تسر النائم
لعب الخيال يحسبها الطفل حقيقة • فأما العقل فيعلم ما وراء السر .

رأيت خيال الظل أكبر عبرة لمن هو في علم الحقيقة راق
شخوص واشباح تمر وتنقضي جميعاً وتفنى والمحرك باق

كم أتلفت الدنيا بيد حبتها في بيد طلبها • كم ساع سعى إليها
سعي الرخ رده معكوساً رد الفرازين • الدنيا نهر طالوت • والفضائل
تنادي • (فمن شربَ منه فليسَ مني) ^(١) فإذا قامت الفارقة مقام ابن
أم مكتوم ^(٢) أبيحت لها رخصة (إلا من اغترفَ) ^(٣) فأما أهل الغفلة
فارتووا • فلما قامت حرب الهوى • ثبطتهم البطنة • فنادوا باللسنة
العجز (لا طاقاة لنا) ^(٤) وأقبل مضمن الجدد فحاز قصب السبق •
كل الشر في الشره • واللذة خناق من غسل • من تبصر تبصر • الخزم
مطية النجاح • الطمع مركب التلف • التواني أبو الفقر • البطالة أم
الحسران • التفريط أخو الندم • الكسل ابن عم الحسرة ، ما يحصل برد
العيش إلا بحر التعب • ما العز إلا تحت ثوب الكد ، على قدر
الإجتهاد تعملو الرتب ، لما صابر النضو مشقة السير معرضاً عن
اعراض المطاعم ، زين بالجلال يسوم العيد ، ولما تكاسلت

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

(٢) يعني مقام الأعمى .

(٣ ، ٤) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

البخاتي (١) ميلاً إلى كثرة العلف وقع ببختها الذبح ، سابق الطير
مكرم . والدبك الحاذق بالصباح مطلق ، إذا صب في القنديل ماء
ثم صب عليه زيت صعد الزيت فوق الماء . فيقول الماء : أنا ربيت
شجرتك فأين الأدب ؟ لم ترتفع علي ؟ * فيقول الزيت : أنت في
رضراض الأنهار تجري على طريق السلامة * وأنا صبرت على العصر
وطحن الرحا وبالصبر يرتفع القدر * فيقول الماء : ألا أني أنا الأصل *
فيقول الزيت إسر عينك فإنك لو قارنت الصباح انطفاً .

يا بعيداً عن المجاهدة قد اقتسم الرعيل الأول النفل * أما ترى
اسلاب الهوى كيف يبيعه أربابها في سوق الإفتخار بالنض (٢)
(ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) (٣) .

يا من قد انحرف عن جادتهم * كم أحركك بسوط الشوق
في شوط السوق * سهم عزمك بلا ريش * إنما يقع وقت الرمي بين
يديك . يا مخنث العزيمة أقل ما أبقى في الرقعة البيذق * فلما نهض
تفرزن (٤) ، رأى بعض الحكماء برذونا يستقي عليه * فقال لو هملج
هذا لركب ، متى همت أقدام العز بالسلك إن دفع من بين يديها
ما يسد القواطع * ومتى هاب الغايص موج البحر لم يطمح له في
نيل الدر ، يا من عقد عزمه بأنشطة ، والهوى يمددها للحل * إن عرفت
من عزيمتك الثبوت في صف المجاهدة * وإلا فاحذر هتكة الهزيمة .

كان ذو البجادين (٥) يتيماً * فلما عمه الفقر كفله عمه * فنازعه
النفس إلى الإسلام * فهمم بالنهوض * فإذا بقية المرض مانعة * فقعد على
انتظار العم * فأنتهى المرض * فصارت الهمة عزيمة * فنفذ الصبر
فتاداه صدق الوجد .

(١) الإبل الحراسانية .

(٢) النض : القليل .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٥٢ .

(٤) يعني إذا انفرد البيذق في رقعة الشطرنج وارتقى بكون فرزانا .

(٥) هو عبدالله المزني الصحابي .

(للمهيار) : (١)

إلى كم جسها تشكو المضيقا إثرها ربما وجدت طريقا
أجلها تطلب القصوى ودعها سدى يرمي الغروب بها الشروقا
أثقلها وتفتح بالهويتنا تكون اذن بذلتها خليقا
ولم يشفق على حسب غلام يكون على ركائبه شفيقا

فقال : يا عم كيف انتظر سلامتك بإسلامك وما أرى زمن (٢)
زمنك ينشط فقال : والله لئن اسلمت لانتزعن كل ما أعطيتك *
فصاح لسان الشوق نظرة من محمد أحب إلي من الدنيا وما فيها *
هذا مذهب المحبين * إجماعاً من غير خلاف :

ولو قيل للمجنون ليلي ووصلها تريد ام ام الدنيا وما في خباياها
لقال تراب من غبار نعالها الذ إلى نفسي واشفى لبواها

فلما تجرد لطلب الثواب * جرده العم من الثياب * فناولته الأم
بجأداً (٣) * فقطعه لسفر الوصل * فانتزر وارtedy * وغدا في هيئة (رب
أشعث أغبر) (٤)

سنة الاحباب واحدة فاذا أحببت فاستن

فنادى صائح الجهاد في جيش العسرة * فبعب ساقفة الاحباب على
ساق * والمحب لا يرى طول الطريق إنما يتلمح المقصد *

الا ابلي الله الحمى من يريده وبلغ اكناف الحمى من يريدها

فحمل جلدة فوق جلده ، إلى أن نزل منزل التلف * فتزل الرسول
في حمرته يمهد له اللحد لمأمور (إذا رأيت لي طالباً ، فكن له خادماً)
وجعل يقول : اللهم ، إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه ، فصاح ابن
مسعود : ليتني كنت صاحب الحفرة * (٥)

كذلك الفخر يا همم الرجال تعالي فانظري كيف التعالي

(١) مطلع قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز ، أنظر ديوان شعره ٣٥٣/٢

(٢) مريض . (٣) الكساء الغليظ الجاني .

(٤) رواه مسلم وتماه « لو أقسم على الله لأبره » .

(٥) أنظر قصته في سيرة ابن هشام ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨ .

الفصل الحادي عشر

أيتها النفس ، إقلمي عن الجناح وتوبي ، وراجعي إلى الصلاح
وأوبي ، أيتها النفس قد شان شاني عيوبي * أيتها الجاهلة تكفيني
ذنوبي .

يا ويح نفسي من تابع جوبي لو قد دعاني للحساب حسبي
فاستيقظي يا نفس ويحك واحذري حذراً يهيج عبرتي ونحبي
واستدركي ما فات منك وسأبقى سطوات موت للنفوس طلوب
وابكي بكاء المستغيث واعولي احوال عان في الوثاق غريب
هذا الشباب قد اعتلت بلهوه أفليس ذا يا نفس حين مشبي
هذا النهار يكر ويحك دائماً يجري بصرف حوادث وخطوب
هذا رقيب ليس عني غافلاً يحصى علي ولو غفلت ذنوبي
أوليس من جهل بازي نائم نوم السفیه وما ينام رقيب

آه لنفسي تركت يقينها وتبت آمالها ، ما لها ؟ جهلت ما عليها
وما لها . أما ضربت العبر ؟ بأخذ أمثالها أمثالها ، من لها ؟ إذا نازها الموت
فغالها . وأخذ منها ما نالها وقد أنى لها ، ليتها تفقدت أورها ، أو شهدت
أحوالها ، تحضر المجلس بنية ، فإذا قامت بدا لها ، ويحها لو ترى
اجزاء من مالها لهاها .

(لأبن المعتز) :

وكم دهى المرء من نفسه فلا تؤكلن بأنياهم
وان مكنت فرصة في العدو فلا تبدو فعملك الا بها

قال أبو يزيد : رأيت الحق في المنام ، فقلت : يا رب كيف أجذك ؟
قال . فارق نفسك وتعال .

جاء رجل إلى أبي علي الدقاق ، فقال : قد قطعت إليك مسافة •
فقال : ليس هذا الأمر بقطع المسافات • فارق نفسك بخطوة وقد
حصل لك مقصود • لو عرفت منك نفسك التحقيق لسارت معك
في أصعب مضيق • لكنها ألقت التفاتك • فلما طلبت قهرها . فانك •
هلا شددت الحيازم • وقمت قيام حازم • وفعلت فعل عازم • وقطعت
على أمر جازم • تقصد الخير ولكن ما تلازم •

ويعرف أخلاقَ الجبان جوادهُ فيجهدُه كراً ويرهبه ذعرا
ومن يحل تطلاب المعالي بصدره يجد حلو ما يعطاه من غير هامرا

حريم العزم الصادق حرام على المتردد ، متى تخزم العزم هزم •
لو رأيت صاحب العزم وقد سرى حين رقدت السراحين • بهمة تحل
فوق الفرقد فلنفسه نفاسة ولإنفه إنفة • سهم الشهم مفوق فوق عرضة
الغرض •

كان الفضيل ميتاً بالذنوب • وابن أدهم مقتولاً بالكبر • والسبتي
هالكاً بالملك • والجنيذ من جيد الجند • فنفخ في صور المواعظ • فدبت
أرواح الهدى في موتى الهوى ، فانشقت عنهم قبور الغفلة • وصاح
اسرافيل الإعتبار (كذلك يُحيي الله الموتى) ^(١) إنما سمع الفضيل آية •
فدلّت نفسه لها واستكانت • وهي (كانت) إنما زجر ابن أدهم بكلمة
كلمت قلبه فانقلب ، هايف ^(٢) عاتبه ولام أخرجته من بلخ إلى الشام
كانت عقدة قلوبهم بأنشطة • ومسد ^(٣) قلبك كله عقد • لاحت للقوم ،
جادة السلوك (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) ^(٤) .

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٣ .

(٢) العطشان الذي لم يصبر على العطش .

(٣) حبل من ليف .

(٤) سورة فصلت ، الآية ٣٠ ، سورة الأحقاف ، الآية ١٣ .

هيهات منك غبار ذلك الموكب . ركبوا سفين العزم فهبت لهم رياح
العون . فقطعوا بالعلم بلج الجهل ، فوصلوا إلى إقليم أرض الفهم
فأرسلوا على ساحل بلد الوصل ، إذا استصلح القدر أرض قلب قلبها
بمحرث الخوف وبذر فيها حب المحبة . وأدار لها دولاب العين .
وأقام ناطور المراقبة . فترى زرع التقى على سوقه ، أصفهم عند
من ؟ . انثر الدر على دمن .

بلغ سلامي بالغور جيرة قلبي وان حالوا إليهم تائق
فارتهم كرهاً وليت اني للروح من دونهم مفارق
ولست انساهم وان تقطعت بالبعد فيما بيننا علايق

يا نفس ، عند ذكر الصالحين تبكين . وعند شرح جدهم
تأنين . وإذا تصورت طيب عيشهم تحنين . فإذا عرفت قيامهم
بالخدمة تنكين (١) .

(للمهيار :)

أمن خفوق البرق ترز مينا (٢)
سيري يمينا وسراك شامة
نعم تشاقين واشتاق له
فأين منا اليوم أو منك الهوى
حيني فما أمنعك الحنينا
فضلة ما تنلفتينا
ونعلن الوجد وتكتمينا
واين «نجد» والمغورينا (٤)

لما اشتغل القوم بإصلاح قلوبهم أعرضوا عن إصلاح أبدانهم .
عرى اويس حتى جلس في قوصرة . وقدم بشر من عبادان وهو
متشح بحصير .

(للسموءل) :

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

(١) تعديلين وتصرفين .

(٢) من قصيدة كتب بها إلى الرئيس أبي طالب في المهرجان، أنظر ديوان شعره ٤/١٣٧ .

(٣) ترزمين : تحنين .

(٤) المغور : الذاهب في الغور ومنه غور تهامة .

كان اويس يلتقط النوى فيبيعه بما يفطر عليه * فإذا أصاب
حشفة أدخرها لإفطاره * ويجمع الخرق من المزابل فيغسلها في الفرات
ويرقعها ليستر عورته * ويفر من الناس فلا يجالسهم ، فقالوا مجنون *
لا تصح المحبة ، حتى يمحي الإسم المعروف ، باسم متجدد * فإن إسم
قيس نسي ، وعرف بالمجنون *

لولا جنوني فيك ما قعد العواذل لي وقاموا
أولى يلوم العاذلون وليس لي قلب يلام

بني أهل اويس له بيتاً على باب دارهم ، فكانت تأتي عليه السنون
لا يرون له وجهاً * وكان إذا خرج يمشي ضرب الصبيان عقبيه ،
بالحجارة حتى تدمي * وهو ساكت ولسان حاله يقول :

ولقيت في حبيك ما لم يلقه في حب ليل قيسها المجنون
لكني لم أتبع وحش الفلا كفعال قيس والجنون فنون

لقي بعض الجند لإبراهيم بن أدهم في البرية * فقال له : أين
العمران ؟ فأومى بيده إلى المقابر * فضربه فشج رأسه * فقيل له : هذا
ابن أدهم فرجع يعتذر إليه فقال له إبراهيم : الرأس الذي يحتاج إلى
اعتذارك تركته ببلخ *

عزى ذلي وصحتي في سقمي يا قوم رضيت بالهوى سفك دمي
عدالي كفوا فمن ملامي المي من بات على وعد اللقا لم ينم

مر رجل بابن أدهم وهو ينظر كراماً^(١) فقال : ناولني من هذا العنب
فقال ما أذن لي صاحبه * فقلب السوط وضرب رأسه * فجعل يطأطأ
رأسه * ويقول : إضرب رأساً طالما عصى الله *

من أجلك قد جعلت خدي أرضاً للشامت والحسود حتى ترضى
مولاي إلى متى بهذا احظي عمري يفنى وحاجتي ما تقضى

(١) أي يحرس أشجار عنب . يقال ينظر وينظر .

لو قطعني الغرام ارباً ارباً ما ازددت على الملام الا جبا
لا زلت بكم أسير وجد صبا حتى اقضى على هواكم نجبا
كان ابن أدهم يستغيث من كرب وجده ، ويبول الدم من كثرة
خوفه • فطلب يوماً سكوناً من قلقه • فقال : يا رب إن كنت وهبت
لأحد من المحبين لك ما يستريح به ، فهب لي فليل له في نومه :
وهل يسكن محب بغير حبيبه ؟

الجسم يذيه الأسي والسهد والقلب ينوبه الجوى والكد
هم قد وجدوا وهكذا ما وجدوا ما جن بهم مثل جنوني أحد
شوق وجوى ونار وجد تقد مالي جلد ضعفت ما لي جلد

عجباً لذاكر الموت كيف يلهو ؟ * ولخائف الفوت وهو يسهو *
ولتيقن حلول البلى ثم يزهو * وإذا ذكرت له الآخر مر يلغو .

(لأبي العتاهية) : (١)

لإني أرقيتُ وذكرُ الموتِ أرقني فقلتُ للدمعُ : أسعدني فأسعدني
إن لم أبلِكْ لنفسي مشعراً حزناً قبل المماتِ ولم آسف لها فمن
يا من يموتُ ولم تُحزنه موتتهُ ومن يموتُ فما أولاه بالحزنِ
لمن أثمرُ أموالِي واجمعها لمن أروح لمن أغدو لمن لمن
لمن سيَرَفَعُ بي نعشي ويتركني في حفرتي ترب الخدين والذقن

يا غافلاً عن الموت وقد لدغه * أخذ قريته فقتله ودمغه *
تأمل صنع الدهر بالرأس إذ صبغه * بأي حديث ترعوي أو بأي لغة ؟ *
كم رأيت مغروراً قبلك ؟ * كم شاهدت متقولاً مثلك ؟ * من أباد
أقرانك ؟ ومن أهلكَ أهلك ؟ * لقد نادى الموت وقال : ما أنا بالذي
إذا سئل أقال * أنا الذي إذا مال على القوي آمال * أخذتم أماني يا
أهل الأماني والآمال * أين من كان في روح وسعة ؟ * نقلته إلى مكان
ما وسعه ، أين من كان على نسائه شديد الغيرة * أما رحل عنهن ؟
فاخترن غيره * أين من كان يسري آمناً في سر به * أما قيل للتلف ؟
خذه وسر به * أما عاقبه الالفة فرقة ؟ * أما آخر جرعة اللذة شرقة ؟ *
أما ختام الفرح قلق وحرقة ؟ * أما زاد ذي المال إلى القبر خرقة ؟ * أعيرُ

(١) وجدت بمض هذه الأبيات في ديوان شعره ، ص ٢٣٩ .

سمعك الأصوات • فهل تسمع إلا فلاناً مات ؟ أجل بصرك في الفلوات
فهل ترى إلا القبور الدارسات ؟ •

قوض الموت طود عزمهم الشا مخ قسرا والدهر ذو حدثان
واسترد الذي أعار ولسلا يام ظهرها خشونة وليان
وإذا صاح صايح الموت في قو م غدوا كل واحد في مكان

يا ساكناً مسكن من قد أزعج • يا شارباً فضلة من شرق • تصحو
في المجلس ساعة من خمار الهوى • ثم تسليك حميا الكاس • هيهات
ليس في البرق اللامع مستمتع لمن يخوض الظلمة • كم أعطف عطفك
بلجام العظة إلى عطفة اليقظة • فإذا انقضى المجلس عاد الطبع (ثاني)
عطفه (١) « وتأيي الطباع على الناقل » يا من قد ليجج في لجة الهوى •
قارب الساحل في قارب (٢) • دنا رحيل الرفقة وما اشترت للمير
قوت ليلة • كلما جد اللعب فتر النشاط في الحد ، صحح نقدة عملك
فقد انقرضت أيام الأسبوع ، جوّد غزل عزمك • فلربما لم تسامح وقت
الوزن ، صابر غبش العيش فقد دنا فجر الأجر •

إنته الإغتنام عمرك ، فكم يعيش الحيوان ؟ • مد بحر القدرة ،
فجرى بمراكب الصور ، فرست على ساحل إقليم الدنيا فعاملت في
موسم الحياة مدة الجزر • ثم عاد المد فرد إلى برزخ الترب • فقذف
محاسن الأبنية في حفر اللحود • وسيأتي طوفان البعث عن قرب •
فاحذر أن تدفع دونك سفينة النجاة • فتستغيث وقت القوت ولا عاصم
كأنك بك في قبرك ، على فراش الندم وأنه والله لاخشن من الجنادل .

فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك • وادخر من
وقت قدرتك لزمان عجزك • واعتبر رحلك قبل رحيلك • مخالفة
الفقر في القبر إلى لازم الأخذ (أن تقول نفس يا حسرتا) (٣) .
يا هذا . مثل لنفسك صرعة الموت • وما قد عزمت أن تفعل حيثئذ
وقت الأسر • فافعله وقت الإطلاق .

(٢) الزورق .

(١) سورة الحج ، الآية ٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٥٦ .

(لقيس بن ذريح) .

أتبكي على لبي وأنت تركتها فكنت كات حتفه وهو طائع
فيا قلب خبرني اذا شطت النوى بلبي وبانت عنك ما أنت صانع

كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق ، وانهمزت جيوش الأمل
وإذا بملك الموت قد بارز الروح * يجذبها بخطاطيف الشدائد من تيار
أوتار العروق * وقد أوثق كتاف الذبيح * وحرار البصر لشدة الهول
وملائكة الرحمة عن اليمين * قد فتحو أبواب الجنة * وملائكة
العذاب عن الشمال * قد فتحو أبواب النار وجميع المخلوقات
تستوكف الخبر * والكون كله قد قام على صيحة * إما أن يقال ،
سعد فلان ، أو شقي فلان * فحينئذ تتجلى أبصار (الذين كانت
أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي) (١) ويحك تهباً لتلك الساعة * حصل
زاداً قبل العوز .

(للصلة القشيري) :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
وا أسفاه من حياة على غرور * وموت على غفلة * ومنقلب إلى
حسرة * ووقوف يوم الحساب بلا حجة .

يا هذا ، مثل نفسك في زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكي أبداً ،
وأبوابها مغلقة وسقوفها مطبقة وهي سوداء مظلمة * لا رفيق تأنس
به * ولا صديق تشكو إليه * ولا نوم بريح ولا نفس قال كعب
أن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب ، من الندامة على تفريطهم ،
وما يشعرون بذلك . يا مطروداً عن الباب * يا مضروباً بسوط الحجاب *
لو وفيت بعهودنا * ما رميناك بصدودنا * لو كاتبتنا بدمع الأسف *
لعفونا عن كل ما سلف *

(١) سورة الكهف ، الآية ١٠١ .

ولو أنهم عند كشف القناع وحل العقود وتقص العهود
وخلعهم لعذار الحياء ولبسهم لبرود الصدود
أناخوا بأبوابنا ساعة واجروا مدامهم في الحدود
لعدنا سراعاً إلى وصلهم وقلنا قلوب المحيين عودي

الفصل الثالث عشر

كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها ، وكم أنزل أجساداً
بجارها لم يجارها ، وكم نقل ذاتاً ذات خطاء بأوزارها ، وكم أجرى
عيوناً كالعيون بعد بعد مزارها .

يا مغزماً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائماً أو كارها
ان المنية ترزعج الاحرار عن أوطانهم والطيير عن أوكارها

أخواني ، قد حام الحمام حول حماكم • وصاح بكم إذ خلا النادي
وناداكم ، وأولاكم من النصح حقاكم ، فما أحقكم بالتدبر وأولاكم ،
وهو عازم على اقتناصكم ، وما المقصود سواكم . كم أخلى الموت داراً
فداراً ؟ • أما استلب كسرى بن دارا ؟ أدارى لما أخذ داراً ؟ أما ترك
العامر فقراً ؟ • أما أذاق الغصص المر مراراً ؟ • لقد جال يميناً ويساراً •
فما حابى فقراً ولا يساراً .

يا هذا ، مطايا العمر قد اعتقت وأنت في مسامرة الأمل ، معاول
الساعات تهدم حايط الأجل ، فرايس المهج في مضابث (١) أسد
النايا ، أسنة القنا مشرعة ولا درع ، عقارب الخدع دائمة للسلع ، غير
أن خدران الغفلة يمنع الإحساس بسرمان السم ، آه من مثاقف ما
يتتهي عن القتل • الناس في الدنيا ككينزان الدولاب ، فالشاب مثل
المتلي • والكهل قد فرغ بعضه • والشيخ لم يبق فيه شيء . الشاب
المتقي في مقام (يجهم) (٢) والكهل المنحط في مرتبة (خلطوا عملاً
صالحاً) (٣) والشيخ في حيز « تجدني عند المنكسرة قلوبهم » .

(١) كمخالب وزنا ومعنى .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٩ .

يا من قد انطوى برد شبابه * وخيبت خلع تلفه * وبلغت سفينه
ساحل سفره * قف على ثنية الوداع * (فلم تبق إلا ساعة تنغم) لو
فتحت عين اليقظة لرأيت حيطان العمر قد تهدمت * فبكيت على خراب
دار الأجل . صاح ديك الإيقاظ في سحر ليل العبر ، فما تيقظت
فستتبه ، إذا نعق غراب البين بين البين * .

ومشتت العزمات ينفق عمره حيران لا ظفر ولا اخفاق
لا في الشباب وافقت * ولا في الكهولة رافقت * ولا في الشيب
افقت * ولا من العتاب أشفقت * فكأنك ما أمنت بالمعاد ولا صدقت .

يا مقيماً على الهوى وليس بمستقيم * يا مبذراً في بضاعة العمر
متى يؤنس منك رشد ؟ * يا أكمة البصر ، لا حيلة فيه لعيسى * يا طويل
الرقاد ولا نوم أهل الكهف * كيف يفلح من هو والكسل كندماي
جذيمة ؟

الدنيا مضمار سباق * وليل سرى * وطلب الراحة تحنث (١)

فلا تحسبوا ان المعالي رخيصة ولا ان ادراك العلى هين سهل
فما كل من يسعى إلى المجد ناله ولا كل من يهوى العلا نفسه تعلق

من تذكر حلاوة العاقبة نسي مرارة الصبر ، الرجولية بالهمة
لا بالصورة * نزول همة الكساح (٢) حظه في بئر الانجاس ، قنديل
الفكر في محراب قلبك مظلم * فاطلب له زيت خلوة ، وفتيلة عزم
بينك وبين المتقين جبل الهوى * نزلوا بين يديه ونزلت خلفه * فاطو
فضل متزل تلحق ، لو علوت نشز الجلد ، بانت بانه الوادي .

(للمهيار) : (٣)

ان كنت ممن يطلع الوادي فسل بين البيوت عن فوادي ما فعل

(٣) الميل من الحق إلى الباطل .

(١) الكناس .

(٢) في قصيدة يذكر بها مناقب علي بن أبي طالب . أنظر ديوان شمسه ٣ / ١٠٩ - ١١٦ .

عز هواك فأذلّ جكّدي والحبُّ مارقٌ له الجكّدُ (٣) وذلك
أين لبالينا على الخيف وهل يردُّ عيشاً فاتناً قولك هل
يا مقيداً بقيود الطرد ، إلق نفسك في الدجى على باب الذل * وقل
إلهي ، كم لك سواي ومالي سواك ، فبفقري إليك وعناك عني ، ألا
عفوت عني .

أيا منعماً لم يزل محسنا برى جسدي سخطك الدائمُ
إلى النحر مني مضمومة يداي كما يفعل النادمُ
يزل الحليم ويكبو الجواد وينبو عن الضربة الصارمُ

يا هذا ، ليس في الميهام ما يقلع آثار الذنب من ثوب القلب الا
الدموع * فان نصبت ولم يزل الأثر فعليك بالاغتراف من بحر
الاعتراف .

ودعت قلبي حين ودعتهم وقلت يا قلبي عليك السلامُ
وصحتُ بالنوم انصرف راشداً فان عيني بعدهم لا تنامُ

احضر نادي المتجهدين ونادهم طوبى لكم وجدتم قلوبكم فارحموا
من لا يجحد :

اذا وصلتُم إلى وادي العقيق سلوا عن حال منقطع أودى به السهر
وفتشوا عن فؤاد هائم قلق قد ضاع مني فلا عين ولا أثر
انجع الوسائل للذل * وابلغ الأسباب في العفو البكاء * والعي عن
ترتيب العذر بلاغة المنكسر .

يا من أشكو إليه ما يعلمه والدمع يذيع كلما اكنمه
هذا المسكين من ترى يرحمه قد هان عليه كلما يؤلمه

بالجسم من السقام ما يخرضه والقلب يذوب من جوى يخرضه
ما قد حكم الاله من ينقضه قد أعوزني الصبر فمن يقرضه

الرابع الرابع عشر

لقد خوفنا الموت بمن أخذ منا • ونعلم هجومه علينا وقد آتانا • ما
اذكرتنا المواعظ ما لنا فما لنا ما لنا :

لا ترقدن لعينك السهرُ	وانظر إلى ما تصنع العبرُ
انظر إلى عبر مصرفة	ما دام يمكن طرفك النظرُ
فاذا جهلت ولم تجد احداً	فسل الزمان فعنده الخبرُ
فاذا نظرت تريد معتبراً	فانظر إليك ففبك معتبرُ
أنت الذي تنعاه خلقته	ينعاه منه الشعر والبشرُ
يا من يؤمل أنت منتظر	أماً يطول ولست تنتظرُ
ماذا تقول وأنت في غصص	ماذا تقول وذوقك المدرُ
ماذا تقول وقد لحقت بما	يجرى عليه الريح والمطرُ
كم قد عفت عين لها أثر	درست ويُدرس بعدها الأثرُ

يا من يشيع بيدنه الميت • فاما قلبه ففي البيت • اتخلى بين المودود
والدود؟ وتعود إلى المعاصي حين تعود • هلا أجلت بالبال ذكر البالي؟
وقلت للنفس الجاهلة : هذا لي ، من زار القبور والقلب غافل وسعى
بين الاجساد والفكر ذاهل وشغله عن الاعتبار هو شاغل فهو قتيل
قد أسكره القاتل :

وما اعطى الصباية ما استحققت عليه ولا قضى حق المنازل
ملاحظها بعين غير عبرى وزايرها بجسم غير ناحل

شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر فقال : ان امرأ هذا
آخره لحقيق أن يزهد في أوله وان امرأ هذا أوله ، لحقيق أن يخاف
آخره .

اخواني ، كيف الامن ؟ وهذا الفارق يقول : لو أن لي طلاع
الارض ذهاباً وفضة لافنتيت بها ، كيف الأمن ؟ من هول ما أمامي قبل
أن أعلم ما الخبر ؟ لما طعن عمر قال لابنه ضع خدي على التراب
فوضعه فبكا حتى لصق الطين بعينيه وجعل يقول : ويلى ويلى أُمي
ان لم يرحمني ربي • ودخل عليه كعب ، وكان قد قال له انك ميت إلى
ثلاثة أيام • فلما رآه أنشد :

وواعدني كعب ثلاثا بعدها ولا شك ان القول ما قاله كعب
وما بي حذار الموت اني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب
واعجباً من خوف عمر مع كماله وأمنك مع نقصانك • قيل لابن
عباس: أي رجل كان عمر؟ فقال: كان الطائر الحذر الذي كان له بكل
طريق شركاً • .

يا مسدود الفهم بكثرة الشواغل احضر قلبك لحظة للعظة ، يا
جامداً على وضع طبعه ، تحرك إلى قطر التذكرة ، يا عبد الطمع طالع
ديار الاحرار • ما أطول غشية غفلتك فلن نحدث ؟ قلبك في غلاف
غفلة وفطنتك في غشاوة غباوة • وحبل عزمك الحديد حديد ، لو
خرج عقلك من سلطان هواك ، عادت الدولة عادلة • لو صح مزاج
فطرتك حلا طعم النصح في فمك ، المقروض عندك مرفوض •
وكلام النصح صوت الريح .

يا تلميذ الهوى اخرج من وصف التبعية • يا مقيد الوجود في فناء
الفناء قامت قيامة الملامة وما تسمع • لقد ضحل^(١) صوت النصح ،
ولكن صلح^(٢) صماخ السمع مانع .

يا هذا ، لو وقف مرضك رجونا لك البرء • ولكن المرض يزيد
وقوة العزم تضعف :

متى يلتقي الآلاف والعيس كلما تصعد من واد هبطن إلى واد

(٢) صم .

(١) يح .

يا مقبلاً على المعاصي أدبرت • ويحك اذا أخرجت من يدك
فمن يحصل ؟ كم تعد بالتوبة ولا تفي ؟ ويحك ان اللذة بالعقوبة لا تفي ،
ضمانك عقيم • ووعدك عاقر • اذا أقمت بناء توبسة اكثرت الف
نقاص ، ويحك لا تفعل ، فانه ما سحب أحد ذيل الهوى الا وتغر ،
اكتب قصة الندم بمداد الدمع • وفي الحال تصل :

سألت ودمع العين سايل ودعت وداعي البين شاغل
فأجاب دمي وهو في صفق الاسى سحبان وائل
أعرضت عنك فمن تروم وبتت منك فمن تواصل
لم يبق من سنن الهوى الا الوقوف على المنازل

يا مشرداً عن الأوطان إلى متى ترضى بالتمردك^(١) ؟ للقطاة
افحوص • ولابن آوى مأوى • منذ خمسين سنة تجدف في العبور إلى
ساحل التوبة وما تلحق الشط • قوة الأمل عقدة في وجه منشار
الجد ، الرياء عيب في رثة الايمان • يس^(٢) المرض إلى السل • شدة
الحرص على الفاني سدة في كبد اليقين ، ومن صبر على مرارة الدواء
عوفي :

السقم على الجسم له ترداد والصبر يقل والهوى يزداد
ما ابعد شقي ومالي زاد ما أكثر بهرجي ومالي تقاد

يا أرباب الدنس يا أوساخ الذنوب (هذا مُغتَسَلٌ باردٌ
وشَرَابٌ^(٣)) لا تقنعوا بصب ماء التوبة على الظاهر • بلوا الشعر وانقوا
البشرة • ما لم تسبح بدمع عينيك لم تأت بسنة الغسل :

فلو داواك كل طيب داء بغير كلام ليلي ما شفاكا
أبلغ المراهم لجراح الذنوب الندم • وأوطأ فراش المعتذر

(١) التصاغر مأخوذ من مردك العجمية أي رجل صغير .

(٢) أي يوصله إلى السلال وهو المرض المعروف بالسل .

(٣) سورة ص آية ٤٢ .

القلق • وأسرع الأوقات اجابة السحر • فاطرد عن عينيك لذة النوم •
وناد في نادي الاسى مع القوم :

يا من بسهامه لقلبي جرحا صل مشتاقاً بغيركم ما فرحا
ما ناح له مطوق أو صدحا الا شرب الدمع وعاف القدحا

يا نائماً طول الليل ما تحس برد السحر؟ • لقد نم النسيم على الزهر •
ودلت أغاريد الحمام ، على دنو الفجر • صاح الديك فلم تنتبه • وأعاد
فلم تفق • فقوى ضرب الجناحين لطمأ على غفلتك •

صفق اما ارتياحه لسنا الفجر وأما على الدجا اسفا

يا	مطولا	بالقيام	مستلذاً	بالمنام
قم	فقد	فانك	يا	مغبون
وخلوا	دونك	بالمو	لى	وفازوا
وكذا	تسبقك	القو	م	إلى دار السلام

الفصل الخامس عشر

أخواني ، الدنيا دار الآفات * الأثم بقى والإلتذافات * بينا
نرى فيها الغصن خضراً متمائلاً أصبح ذابلاً ذابلي *

يا أيهذا الذي قد غره الأمل ودون ما يأمل التنغيص والاجل
ألا ترى أنما الدنيا وزيتها كمتزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دول
تظل تفرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له عيش ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض تظل فيه سهام الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يتبعها وكل عثرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه والقبر وارث ما يسعى له الرجل

أخواني ، ألبسوا للدنيا جنة الهجر * واسمعوا فيها من مواعظ لزجر *
واحسبوها يوماً صمتوه للأجر * وصابروا ليل البلى فما أسرع إتيان
الفجر ، فلا تبيعوا اليقين بالظن فحرام بيع المجر ^(١) *

لقد أبصرت عيون الفطن في نهار المشيب سبل الرحيل * وسمعت
أذان الفكر بقعقة الصلب الصلب أذان التخويل ، لله در أقوام
بادروا أيامهم وحاذروا آثامهم ، جعلوا الصوم طعامهم والصمت
كلامهم ، فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى والقلوب في رياض الملكوت
ترعى ، قاموا لخوف القيامة بالأوامر * ووقفوا أنفسهم على الخير ،
ما توقفوا كالموامر ، هجروا بالصيام لذيد الهوى في الهواجر
وصمت اللسان كأنه مقطوع في الحناجر بالخناجر ، وجرى الدمع

(١) المجر أن يشتري ما في بطن الناقة من حمل .

واصبا ، حتى قد محا المحاجر ، متى تطرق طريقهم ؟ قبل طروق الطوارق .

هذا ذئب السقام قد عوى للعوائق * يا من أعماله فيما خلا للخلائق *
كم داواك الطيب ؟ وكم رقا بالرقائق ؟ * أين من ربا في الربى ، ونما
بين النمارق ، أبرزهم حادي الموت لما حدا من الحدايق * وأمال
مستقيمهم فالتوى فهل من هذا التوى ^(١) أنت واثق ؟ * ويحك إن الدنيا
سراب مخلف فإن وجد شراب اعطش * أزدت فدهت فدهت على أنها
تذم وتضم * كم عقدت لمحبتها عقد عهد ؟ فلما حلت عنده حلت *
إنها لعجوز وهي في عينك كالقمر * وقد قمر هواها قلبك فما أبقى
منه إلا قلب قمر . (للشريف الرضى) : ^(٢)

شَرَّتِ الْفُؤَادَ رَحِيصَةً اِعْلَاقَهُ وَمَضَى بَعْضٌ بَنَانَهُ الْمَغْبُوتُ
أَفْنَيْتِ عَمْرِكَ فِي طَلِبِهَا وَمَا حَصَلَ بِيَدِكَ مِنْهَا إِلَّا مَا حَصَلَ بِيَدِ
قَيْسٍ مِنْ لَيْلٍ *

صحا كلُ عذري الغرام عن الهوى وأنت على حكم الصباية نازلُ
ول الدنيا ظهرك تنص ^(٣) الآخرة لك نقابها * تعر عن الدنيا تعز *
وخذ قدر البلغة وجز تفز * إلى متى زنبيل حرصك على كاهل همتك
وأنت تسمى في مزابل طمعك * تحش ^(٤) وقود الحطام لنار هواك
وقد أقيمت موقداً من الشره لا يفتر ، أما علمت أنه كلما ترقى دخان
أتون الهوى في برايح الحس سود وجه القلب * أنت في جمع الحطام
نظير الزبال ، وفي فعل الخير غلام الخبال عالم الهمم مختلف الأجناس
هذا الشفنين ^(٥) لا يقرب غير زوجته أبداً * فإن ماتت لم يتزوج أبداً
وكذلك الأنثى والدجاجة مع أي ديك كان .

كلامي يدور حول ستور سمعك * وموانعُ الهوى تحجبه أن لا يصل
فلو قد وصل إلى القلب أثر * عضت رجلاً حية فلم يعلم أنها حية فلم

(١) الهلاك .

(٢) أنظر الديوان ٢ / ٤٧١ .

(٣) ترفع .

(٤) تجمع على النار وقوداً .

(٥) اليمام . وهذه الخاصة ذكرها الديري في حياة الحيوان .

يتغير * فلما أخبر أنها حية مات * لأنه حين أخبر انفتحت مسامه . فوصل
 السم إلى القلب . يا أطروش الهوى صاحب من يسمع * يا عمى البصيرة
 إمش مع من يبصر * تشبه بالصالحين تعد في الجملة * هذا الطاووس
 يحب البساتين فهو يوافق الأشجار * إذا ألقى ورقها ألقى ريشه *
 فإذا اكتست اكتسى * لو سرت في حزب المتقين خطوات لعرفوا
 لك حق الصحبة * يا من كان لهم رفيقاً فأصبح لا يعرف لهم طريقاً *
 إطلب اليوم أخبارهم واتبع في السلوك آثارهم فإن وقعت ببعضهم
 حملك إلى أرضهم .

(للمصنف) :

في شغل عن الرقاد شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل
 يا صاحبي هذي رياح ربعمهم قد أخبرت شمائل الشمائل
 نسيمهم سحيري الريح فما تشبه روايح الاصائل
 ما للصبا مولعة بذى الصبا أو الصبا فوق الغرام القاتل
 ما للهوى العذري في ديارنا أين العذيب من قصور بابل
 لا تطلبوا ثاراً بنا يا قومنا دماؤنا في أذرع الرواحل
 لله در العيش في ظلالهم ولي وكم أسار في المفاصل
 واطربي اذا رأيت أرضهم هذا وفيها دميت مقاتلي
 يا طرة الشيخ سقيت أدمعي ولا ابتليت في الهوى بما بلى
 ميلك عن زهو وميلي عن أسأ ما طرب المخمور مثل الثااكل

يا من قد كثر تردده إلى المجلس ولم تزل قسوة قلبه لا تضجر *
 فللدوام أثر ، جالس البكائين يتعد إليك حزنهم * فتأثير الصحبة لا
 يخفى ، أما ترى دون البقل أخضر ؟ * يا من يشاهد ما يجري على الخائفين
 ولا يتزعج * أقل الاقسام أن يبكي رحمة لهم * إذا رأيت الثكلى تتقلقل
 فلا بد من رحمة الجنس .

(للمهيار) : (١)

(١) من قصيدة كتبها الى الوزير عميد الدولة ، انظر ديوان شعره ٣ / ١٨٨ - ١٩٣ .

ولما وقفنا في الديار تشابهتُ
جسومُ براهنُ البلي وطلول
فباكٍ بداءٍ بين جنبيه عارفُ
وباكٍ بما جر القراقُ جهول

كان العاصمي قتيل عشق الدنيا ، فكشف له بالخوفات نقاب المحبوبة
فسلا * ثم جلست عليه بالمشوقات محاسن الآخرة فمال الجيد إلى الجيد .

الفيتها وللحدا تغريد	برامة ان ذكرت زرود
ولاح برق بثنيات الحمى	تشيمه للاعين الرعود
فمالت الاعناق منها طربا	كما يميل الناشد المنشود
هيهات يخفي ما به متيم	دموعه بوجوده شهود

أتدرون ما أوجب اصفرار هذا التائب ؟ * ومن أي شراب سكر
هذا الشارب ؟ * وأي كتاب أقدم هذا الغائب ؟ *

كلما زاد كربه	في هوى من يحبهُ
طار نحو الحبيب من	شدة الشوق قلبه
دنف كاد يتقضي	بيد اليبين نجبه
خبرونا عن العقيق	متى سار ركبته

الفصل السادس عشر

يا من نسبه معرق في الموتى * وقد وعظوه وإن لم يسمع صوتاً *
أدرك أمرك فما تأمن فوتاً .
(لأبي نواس) :

ألا كلُّ حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
فقل لغريب الدار انك راحلٌ إلى منزل نأى المحل سحيق
وما تعدم الدنيا الدنية أهلها شواظ حريق أو دخان حريق
تجرع فيها هالكاً فقد هالك وتشجى فريقاً منهم بفريق
فلا تحسب الدنيا إذا ما سكتها قراراً فما دنياك غير طريق
إذا امتحن الدنيا ليبس تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
عليك بدار لا يزال ظلالها ولا يتأذى أهلها بمضيق
فما يبلغ الراضي رضاه ببلغة ولا ينفع الصادي صداه بريق

يا راقداً وقد أودن بالرحيل * يا مشيد البنيان في مدارج السيول *
بادر العمل قبل انقضاء العمر * لا تنس من يعد الأنفاس للقائك *

وما هي الا ليلة ثم يومها ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر
مطايا يقربن الحديد إلى البلى ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر

يا عجباً ، أما تعلم ما أمامك ؟ * فتهياً للرحيل واصلح خيامك *
وتأهب للردى واقطع قطع المدى ^(١) مدامك * واجتهد أن ينشرَ
الإخلاصُ في المحل الأعلى أعلامك ، واحضر قلبك وسمعك وإن ملا

(١) السكاكين .

من لامك * وإياك والفتور فإني أرى الدواء دوامك ، إطلب ما شئت
بالعزم وأنا زعيم لك بالظفر ، من عزم على امره آياته ، لما كان
شغل الغراب النذب على الأحباب لبس السواد قبل النوح .

انفت شقة المهامة ان تقطع الا بالشد والترحال
وإني المجد أن ينال بغيره الـ جد فلتنتبه عقول الرجال

إذا وقعت عزيمة الإنابة في قلب من (سَبَقَتْ لَهُمْ مِثْلَ الْحُسْنَى) (١)
قلعت قواعد الهوى من مسناة الأمل * ركب ابن أدهم يوماً للصيد
وقد نصب له فخ (يهديهم ربهم) (٢) حوله حب (يجهم) (٣) فصيد
قبل أن يصيد ، سمع هاتفاً يقول ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ،
فكانت تلك العظة شربة نقضت قولنج الهوى يا له من سهم ألقاه عن
قربوسه وبوسه * كان راقداً الفهم في ليل الغفلة * مشغولاً بأحلام
المنى * فصيح به قم فقام * فقيل له سر فاستقام *

« للشريف الرضى » .

رأى على الغور وميضاً فاشتاق ما أجلب البرق لماء الاماق

وعظه خطيب اليقظة فوصلت ملامته إلى سمع الانفة * فنهضت
حمية الرجولية ، يا ابن أدهم مبارزة الصيد أول مراتب الشجاعة *
أفترضى أن تستأسر لثعلب الهوى ؟ يا ابن أدهم قتلك حب الدنيا
فتر لأخذ الثأر * إن كانت لك عزيمة يا ابن أدهم فهذا الكميث
وهذا الأدهم فصادف التحريض حريضاً فنهض .

« للشريف الرضى » :

ذكرتاني طلب الفضائل أيقظتني مني غير غافل
قوما فقد مللت من اقامتي والبيض أولى بي من المعائل
شنا بي الغارات كل ليلة وعوداني طرف العوامل

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠١ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٩ .

ان كان لا بد من الموت فمت . تحت ظلال الاسل الذوابل

هتف به متقاضى الشوق : يا ابن أدهم دخلت شهور الحج فما
قعودك بيلخ ؟ فرحل الراحلة وراح * لاحت له نار الهدى فصاح
في جنود الهوى : (إني آنَسْتُ) ^(١) فتجلى له أنيس « تجلني » فغاب عن
وجوده * فلما أفاق من صعقة وجده وقد دكَّ ظور نفسه * صاح لسان
الإنبابة (تَبَّتْ إِيَّكَ) ^(٢)

رويداً أيها الحادي سقيت الرياح الغادي
فتلك الدار قد لاحت وهذا الربيع والوادي

فلما خرج عن ديار الغفلة * أومأت اليقظة إلى البطالة .

« لابن المعتز » :

سلام على اللذات واللهو والصبي سلام وداع لا سلام قدوم
يا ابن أدهم لو عدت إلى قصرك فعبدت فيه ، قال العزم كلا
ليس للمبتوتة ^(٣) نفقة ولا سكنى *

احن إلى الرمل اليماني صباية وهذا لعمرى لو رضيتُ كئيب
ولو ان ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لمن هبوب
أمرضه التخم فاستلذ طعم الجوع * وحمل جلده على ضعف
جلده خشونة الصوف *

حملتم جبال الحب فوقي وانني لأعجز عن حمل القميص واضعف
لاح له جمال الآخرة فتثبتت في النظر عين اليقين ، فتمكن الحب
من حبة القلب فقام يسعى في جمع المهر من كسب الفقر * طال
عليه انتظار اللقا فصار ناطور البساتين * تقاضته المحبة باقي دينها
فسلم الروح في الغربية * هذا ثمن الوصل فتأخر يا مفلس .

(١) سورة طه ، الآية ١٠ ، سورة النمل ، الآية ٧ .

(٢) سورة الاحقاف ، الآية ١٥ .

(٣) المطلقة طلاقاً باتاً .

دون المعالي مرتقى شاهق فطر إلى ذروته أوقع
من لم يخض غمرتها لم يشد قواعد المجد ولم يرفع
كان إبراهيم إسكندري الهمة فاحتقر قصير بلخ في جنب ما
أمل * فانتخب سوابق العزم وسار في جند الجد حتى قطع ظلمات
الطبع * وبلغ إلى مطلع شمس لا تغرب * شكا إليه صفاء القلب من
أجوج وساوس النفس * فاستغاث بحامي المسكن فقيل له : شد
سد العزم ، فاستظهر بعد الزبر بالقطر ، ثم انفرد من جند جوارحه
فوقع بعين الحياة في السر فعاش بالتوفيق أبد الدهر *

أما تقومون كذا أو فاقعدوا ما كل من رام السماء يصعد
نام على الهون الذليل ودرى جفن العزيز لم بات يسهد
أخفهم سعياً إلى سودده أحقهم بأن يقال سيد
عن تعب أو رد ساق أو لا ومسحت غرة سباق يد
لو شرف الانسان وهو وادع لقطع الصمصام وهو مغمد

الفصل السابع عشر

الدنيا دار المحن ودائرة الفتن * ساكنها بلا وطن واللييب قد
فطن *

(للمصنف) :

من مال إلى الدنيا وصبا	قد أمعن في الفاني طلبا
خذ ما يبقى كيلا تشقى	واتبع حقاً ودع اللعبا
وذر الدنيا فلکم قتل	مكراً بسهام هوى وصبا
برت ورعت فاذا اجتمعت	خدعت حتى قطعب اربا
يا عاشقها كم قد نصبت	لهلاكك فاحذرهما سيبا
يا آمنها كم قد سلبت	ولداً براً أما وابسا
أفأين الجار أما قد جار	فجارته حتى ذهب
أم أين التراب اما تربت	خداه اما سكن الترابا
كم خدت خدأ في الاخدود	وقدت قدأ منتصباً
كم ثغر ملتئم ثلمت	قد كان لراشفه ضربا
فسفته المر لدى جدث	وكذاك الدهر اذا ضربا
واتت قصرأ بجوي نصرا	فغدا وقصاراه خربا
ومليکأ في صولة دولته	اضحى في الحفرة مغربا
عرج بامدار على الآثار	وسل طلالاً امسى شجبا
ينبيک بأنهم رحلوا	وثوى من بعدهم الغربا
بيننا الانسان يرى رأسا	فهوى رأسا فغدا ذتباً
فتأمل عاقبة الدنيا	فلعلك تصبح مجتباً

وتدبر ما صنعت فلقد أبدت بصنایعها عجباً
ينساک الاهی اذا رجعوا عن قبرک لا تسمع کذباً
ترکوک أسیراً اذ ذهبوا بتراب ضریحک محتجباً
وغدوا فرحین بما أخذوا وغدوت باتمک محتقباً
وتری أعمالک قد حضرت فتنکس رأسک مکتباً
فکر فی الذنب وما احتقتب کفاک علیک وما اکتسباً
کم بت علی ذنب فرحاً وغدوت علی ذنب طرباً
وعلمت بأن الله یرى فأسأت ولم تحسن أدباً
فأعد الزاد فما سفر کالموت ترى فيه نصباً
وافق والعمر به رمق فکأن قد فات وقد ذهباً

یا کثیر الدرن والدنس ، یا من کلما قیل أقبل انتکس • یا من أمر
بترک ما یفنی لما یبقی فککس ، جاء الأجل وحديث الأمل هوس ،
یا مؤثراً علی الصواب عین الغلط ، یا جارياً فی أمره علی أقبح نمط
یا مضیعاً وقته المغتم الملتقط ، أي شيء بقی بعد الشمط ؟ ^(١) أنسی
ما سلف لك وفرط ؟ وابوک بزلة واحدة هبط • ما عندک من التوبة
خبر ولا لها فیک أثر • تنوب من الذنب ، فإذا بدا لك بدا لك .

من علم أن عندنا حسن المآب آب ، من خاف الجزاء بما فی
الکتاب تاب • من حذر الیم العذاب ذاب ، من سار فی طریق الإیجاب
انجاب ، من ذکر فعل الموت بالأب والجد جد ، من تفکسر فی
مرارة الکأس کاس ، ویحک دع محبة الدنیا • فعابر السیل لا يتوطن
واعجباً تضیع منک حبة فیکبی وقد ضاع عمرک وأنت تضحک ،
تستوفی مکیال هواک وتطفف فی کیل صلاتک (الأبعداً لِمَدَینَ) ^(٢)
تقف بیدنک فی المحراب ووجهک ملتفت للجراب ، ما یصلح مثلك
فی الحرب ، أنت تفضح صف الجهاد ، ما تحسن الزردية ^(٣) علی منحنث
خمسین سنة فی مکتب التعلیم وما حذقت ، أبا جاد غداً توْبِخ وقت
عرض ألواح (ألم نعلمک) ^(٤) بضاعتک أيام عمرک وقد انتهبها

(١) بیاض الرأس یخالطه سواد . (٢) الدرع .

(٢) سورة هود ، الآیة ٩٥ . (٤) سورة فاطر ، الآیة ٣٧ .

قطاع الطريق ، ورجعت إلى بيت الأسف بأعدال فارغة ، فانظر لعله
تخلف فيها شيء تعامل به ، فبقية عمر المؤمن لا قيمة له .

سقى لزماننا الذي كان لنا واقرى أبعد ذا الفقر غنى
مر أسرع ما توقع البين بنا واقرب مني وما نلت مني

كان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي
فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت زعم أنه يريد سفرأ بعيداً وماله زاد .

يا هذا الآخرة دار سكانها الأخلاق الجميلة ، فصادقوا اليوم
سكانها لتنزلوا عليهم يوم القدوم ، فإن من قدم إلى بلد لا صديق له به
نزل بالعراء ، يا هذا فني العمر في خدمة البدن وحوائح القلب كلها
واقفة ، إنهض إلى التلافي قبل التلف ، الكلف يداوى قبل أن يصير
بهقاً ، والبهق يلاطف قبل أن يعود برصاً ، أما سمعت في بداية الزلل
(إذا مسهم طائف) (١) وفي وسطه (كلا بل رآن على قلوبهم) (٢)
وفي آخره (أم على قلوب أقبالها) (٣) أتبكي على معاصيك ؟ والاصرار
بضحك ، أتخادع التوبة ؟ وإنما تمكر بدینك ،

رأيتُ الناس خداعاً إلى جانب خداع
يعيشون مع الذنب ويكون مع الراعي

ويحك حصل كبريت عزيمة قبيح أن تقدح نار توبة وقبل نزول
الحرب تملأ الكمانن ويحك ، لا تطمع أن تخرج إلى فضاء قلبك حتى
تتخلص من ربقات نفسك ، كيف لا يفتقر إلى الرياضة لإزالة الكدر ؟
من أول غذائه دم الطمث ، لبك على ظلام قلبك يضيء ، إذا بكت
السحاب إلى الربى تنسنت .

يا هذا ، تسمع بالكيمياء وما رأيت صبح قط ، إجمع عقاقير التوبة
في بوتقة العزم ، وأوقد تحتها نار الأسى على ما سلف ، فإن تصعد منها
نفس أسف ، صار نحاس نحوسك ذهب سعادة ، أترى في بستاننا اليوم

(٣) سورة محمد ، الآية ٢٤ .

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠١ .

(٢) سورة المطففين ، الآية ١٤ .

آثم ؟ قد توجه صلاحه ، كأنني أشم ريح كبد محترقة ، أي قلب قد
لفحته نار الوجد ؟ ففاح نسيمه ، أحسن منظوم في سلك الإعتذار خرز
الذل ، أحلى نطق يلج سمع القبول الإستغفار ، أطرب كلام يحرك
قلب الرحمة التملق .

يا من بصدودهم لقلبي جرحوا وازداد بي الغرام لما نرحوا
ما جدت بهم وهم بهجري سمحوا هذا المطروح كم ترى يطرح

قال عبدالله بن مرزوق لغلامه عند الموت : إحملني فاطرحني
على تلك المزبلة ، لعلي أموت عليها فيرى ذلي فيرحمني .

عودوا وتعطفوا على قلب كئيب لو جيب لبان فيه حزن ووجيب
يدعى للموت في هواكم فيجيب من أمل مثل فضلكم كيف يجيب

المنذب يأوي إلى الذل والبكا كما يأوي الطفل إلى الأبوين ، بكى
أبوكم آدم على تفريطه حتى جرت الأودية من دموعه ، كان كلما
ذكر الجنة قلق ، وكلما رأى الملائكة تصعد ، يحترق تذكر المعاهد
فحن .

والذي بالبين والبعءُ بلاني	ما جرى ذكر الحمى إلا شجاني
حبذا أهل الحمى من ساكن	شفي الشوق إليهم وبراني
كلما رمت سلواً عنهم	جذب الشوق إليهم بعناني
أحسد الطير إذا طارت إلى	أرضهم أو أقلعت للطيران
أتمنى اني أصحابها	نحوهم لو انني أعطى الاماني
لا تزيدوني غراماً بعدكم	خل بي من بعدكم ما قد كفاني
ذهب العمر ولم أحظ بكم	وتقضي في تمنيتكم زماني
يا خليلي احفظا عهدي الذي	كنتما قبل النوى عاهدتاني
واذكراني مثل ذكري لكما	فمن الانصاف أن لا تنسياني
وسلا من أنا أهواه على	أي جرم صد غني وجفاني

الفصل الثامن عشر

أيها المشغول بالذات الفانيات ، متى تستعد للممات الممات ؟ متى
تستدرك هفوات الفوات ؟ أنتطمع مع حب الوسادات في لحاق السادات ؟
وأنى تجعلك مثلهم ؟ أنى ، وهيهات .

يا مدمن اللذات ناس غدرها اذكر تهجم هادم اللذات
احذر مكايده فهن كوامن في كرك الانفاس واللحظات
تمضي حلاوة ما احتقبت وبعده تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم ولو أنهم سيقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر الذنوب لاكثروا الحسرات

يا عظيم الجرأة يا كثير الإنسباط ، ما تخاف عواقب هذا الإفراط ؟
يا مؤثر الفاني على الباقي غلطة لا كالأغلاط ، ألك صبر يقاوم ألم
السياط ؟ ألك قدم يصلح للمشي على الصراط ؟ أيعجبك لباس الصحة ؟
كلا ، وثوب البلا يخاط داء المتون ، داء أعمى على بقراط ، كم رحل
الموت ؟ على غارب اغتراب ، كم ألحق تراباً بالأتراب في سفر التراب ،
إنما الموت مخربق^(١) ليقول ، ومجرمز^(٢) ليغول .

وكم من فتي يمسي ويصبح آمناً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

يا شدة الوجل عند حضور الأجل ، يا حسرة الفوت عند حضور
الموت ، يا خجلة العاصين يا أسف المقصرين .

(للحجاج) :

(١) في المثل (مخربق لينباع) أي ساكت لداهية . (٢) منقبض من أجزمز بتشديد انقبض .

إلى حثفي سعي قديمي ارى قديمي أراق دمي
فما انفك من ندم وهان دمي فها ندمي

إستلب زمانك يا مسلوب ! وغالب الهوى يا مغلوب ! وحاسب
نفسك فالعمر محسوب ، وامسح قبيحك فالقيح مكتوب ، واعجباً
لنأثم وهو مطلوب ، ولضاحك وعليه ذنوب .

الا ذكّراني قبل أن يأتي الموتُ وبينني بلخثماني بدار البلى بيتُ
وعرفني ربي طريقَ سلامتي وبصرني لكنني قد تعاميت
وقالوا مشيب الرأس يحدو إلى البلى فقلت أراني قد قربت فأذيت

أين الدموع السواجم ؟ قبل المنايا الهواجم ، أين القلق الدائم ؟ للذنوب
القديم ، أترى اثرت الملاوم ؟ في هذه الأقاوم ، أيها القاعد والموت قائم
أنأثم أنت عن حديثنا أم متناوم ؟ لا بد والله من ضربة لازم ، تقرع لها
سن نادم ، لا بد من موج هول متلاطم ، ينسادي فيه نوح الأسى لا
عاصم ، لا بد من سقم السلم ينسى فيه يا أم سالم .

يا من سينأى عن بنيه كما نأى عنه أبوه
مثل لنفسك قولهم جاء اليقين فوجهه
وتحللوا من ظلمه قبل الممات وحلوله

يا مؤخرأ توبته بمطل التسويف (لأيّ يوم اجلت) (١) كنت تقول
إذا شئت تبت (فهذي شهور الصيف عنانقذ انقضت) قدر ان الموت
لا يأتي إلا بغتة ! أليس مرض الموت ييغت ؟ ، ويحك قد نفذ السليط ،
فاستدرك ذبالة المصباح ، في كل يوم تضع قاعدة إنابة ، ولكن على شفا
جرف هار ، كم تعزم على طاعة وتوبة ، يا ليل الهوى ما تبصر توبة ،
تبيت من العزم في شعار اويس ، فإذا أصبحت أخذت طريق قيس ،
تنقض عرى العزائم عروة عروة ، كل صريع في الهوى رفيق عروة
كم تدفن كثيراً من الاعزة ؟ ، وما يرجع كثير عن حب عزة .

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون
خلق قلبك صافياً في الأصل : وإنما كدرته الخطايا ، وفي الخلوة

(١) سورة المرسلات ، الآية ١٢ .

يركد الكدر ، تلمح سبب هذا التكدير ، فما يخفى الحال على متلمح ،
كنت مقيماً في دار الإنابة نظيفاً ، فسافرت في الهوى فعلاك وسخ ،
أفلا تحن إلى النظافة ؟ ، ألا يحرك البدوي ذكر نجد ؟ ،

طال مرضك واليوم بحران ، أتدري ما البحران ، تجتمع القوة
والمرض فيختصمان ، فإن تحلبته جاءت العافية ، وإن تحلبها فالهلاك ،
هذه ساعة بحرانك ، والعقل يقاوم الهوى ، فانظر من يغلب ؟ ، واعجباً
كيف يستأسر أسد للعلب ؟ يا مستهاناً في خدمة النفس ، أخرج إلى
ديار القلب تعز ، الفيلة في الهند عوامل تنقل رجال القوم وتخدمهم ،
فإذا خرجت إلى من يعرف قدرها . أكرمت ، العود في بلاده خشب ،
فإذا سوفر به إلى طالب الطيب أعز ، تفاح اصبهان في بلسه فاكهة ،
فإذا جيء به إلى العراق ، دل على الطباع اللطيفة بريجه الفهد في الصحراء
بهيمة ، فإذا وقع بيد من يعرفه ، غضب فيترضى ، البازي في البرية
طائر ، فإذا صيد فسريره كف الملك .

يا مختار الكون وما يعرف قدر نفسه ، أما أسجدت للملائكة بالأمس
لك ؟ وجعلتهم اليوم في خدمتك ، لما تكبر عليك إبليس ، وقد عبدني
سنين طردته ، أفنصافيه على خلاني ؟ (أفنتخذونه وذريته أولياء من
دوني) (١) أنا القائل قبل وجود أبيك للملائكة (إني جاعل في الأرض
خليفة) (٢) اطلعوا من خوفاك تعبدكم ، فانظروا ما أصنع ؟ ، أخذت
قبضة من تراب ، فصبيت عليها قطرات من ماء (مرج البحرين يلتقيان) (٣)
قال التراب والماء : وأي قدر لنا ؟ فنزل دار تواضعهما عزيز . (ونفختُ
فيه عن روعي) (٤) فانضم صدف بحر البدن على در القلب ، فانعقد
فصار عرشاً لصفة « ويسعي » .

خلا المثقف بالطفل داخل البيت ، فسطر في لروح سره العلم
(كتبتَ في قلوبهم الإيمان) (٥) وأخرجه يوم التخيير وقد حذق المكتوب
(فقال أنبئهم بأسمائهم) (٦) ثم قيل له ، لا يحتمل موضع الخلع ،

(١) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .
(٣) سورة الرحمن ، الآية ١٩ .
(٤) سورة الحجر ، الآية ١٩ وص ٧٢ .
(٥) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .

وجود ذر البذر ، فاخرج إلى عالم الطبع ، أكلت يا دودة القز ، فاذهبي إلى الغزل ، وتشاغلي بالنسج ، فتزل إلى دار المجاهدة ، فظهر من ثمرة شجرته ، صبر الخليل ، وثبوت الذبيح ، وجهاد يوسف ، وكمال محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء اولياء في هذه الدولة ، فخرجت عند زهدهم الرهبة ، لا بل سبقوا تعبد الملائكة ، قال سري: ما فاني وردقط فقدرت على إعادته ، وذلك أن الزمان الذي مضى فيه وظيفة أخرى .

ما لي شغل سواه ما لي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عدل
ما اصنع ان جفا وخاب الامل مني بدل ومنه ما لي بدل

كانت رابعة العابدة ، تقوم من أول الليل ، وتقول :

قام المحب إلى المؤمل قومه كاد الفؤاد من السرور يطير
فإذا انقضى الليل ، صاحت : واحرباه ، واسلباه .

ذهب الظلام بأنسه وبالفه ليت الظلام بأنسه يتجدد
دخلوا على زجلة العابدة ، فكلموها في الرق بنفسها ، فقالت : والله
لاصلين لله ما أقتني جوارحي ، ولأصومن له أيام حياتي . ولأبكين
ما حملت الماء عيناى .

لا أقبل نصحكم فخلوا عذلي ما أعذب في الغرام طعم القتل
ان ظل دمي فكم محب مثلي قد ضرج باللحاظ لا بالنبل

أين أنت والاحباب ؟ ، كم بين القشور واللباب ؟

(لصردر) (١) :

هل مدلج" عنده من مبكر خبر وكيف يعلم حال الرائح الغادي
يا معجباً بتعبده . تأمل فضائل السابقين . وقد هدرت شقاشق كبرك

(١) من قصيدة له يمدح فيها الوزير ابن جهير : أنظر الديوان ص ١٠٥ .

النظر في سيرهم قرظ (١) يجفف عفن الرعونة، مضى والله هل المعاني،
وتخلف أرباب الدعاوي .

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا
نادبت وفي حشاشتي نيران يا قوم متى تحول السكان

(١) ورق السلم يديغ به الأديم .

الفصل التاسع عشر

عجباً لراحل مات وما تزود للرحلة ، ولمسافر ماج وما جمع للسفر
رحلة ، ولتقتل إلى قبره لم يتأهب للنقلة ، ولمفرط في أمره لم يستشر عقله .

(لصدر) (١) :

العمر دين قضاؤه الاجلُ	لا مربةٌ في الردى ولا جدلُ
فما تريد السيوف والاسل (٢)	للمرء في حتف أنفه (٣) شغل
سيان فيها الدروع والحلل	يفرى اللجى والضحى بأسلحة
عدلٌ فيها الزعاف (٥) والعسل	كأس أديرت (٤) على لذاذتها
تميز الا الاسراع والمهلُ	كل إلى غاية بصير ولا
ولا يُسرون انهم نزل	والناس ركب يهون حثهم
بقاطعيها ركائب ذُلُ	وسوف تطوى مسافة ذممت (٦)
من هو عنها ينأى ويتقل	كيف يعد الدنيا له وطناً
لمال فتبَّ السخاءُ والبخلُ	نسحو بأعمارنا ونبخل با
ضيع في سمع عاشق عدلُ	أضاع راقى الداء العضال كما

(١) قاله يعزى أبا القاسم بن أيوب عن زوجة أبيه أبي المعالي بن عبد الرحيم . أنظر ديوانه
طبع دار الكتب المصرية ١٣٥٣ .

(٢) في الأصل نفسه، والتصحيح من الديوان ص ١٤٥ .

(٣) الرماح .

(٤) في الديوان « أدرت » .

(٥) السم القاتل .

(٦) سارت الذيل وهو ضرب من السير .

ولو نجما الهائب الجبان من الموت (١) نجما في (٢) اقدمه البطل
 ما اسلموا هذه النفوس إلى الاجداث الا اذ ضاقت الحيل
 ضرورة ذلت القُرُوم لها وقد تقود المصاعب الجدل (٣)
 ومن حذار تبوأ الكدبة (٤) الضب وأوفى الشواحق السوعل
 يقاد في عزه الجبعثنة (٥) الضا ري ويدهي في ذله الجُعَلُ
 وهل يرُدُّ الاحباب ان ظعنوا (٦) على محب أن يندب الطلل

أخواني ، مر الاقران على مدرجة ، وخبول الرحيل للباقيين مسرجة
 سار القوم إلى القبور همامجة وباتت ارواح من الاشباح مستخرجة ،
 إلى كم هذا التسوييف والمجمجة ؟ بضائعكم كلها بهرجة ، وطريقكم
 صعبة عوسجة ، وستعرفون الخير وقت الحشرجة .

يا من قد ساخ في اوساخ ، إلى كم تملى ؟ تعبت النساخ ، يا من
 ضيع الشباب ، وما يسمع العتاب وقد شاخ ، بادر صبابة القوى ،
 فاستدرك باقي الطباخ ، وتأهب للرحيل فما هذه الدنيا بمناخ ، كم بات
 مزمار في بيت فأصبح فيه الصراخ ، أين من حصن الحصون واحترس
 وعمر الحدائق واحترس ، ونصب سرير الكبر وجلس . وظن بقاء للنفس
 فخاب الظن في نفس ، نازله الموت ، فلما أنزله عن ظور القوس فرس ،
 ووجه وجهه إلى ديار البلى فانطمس . وتركه في ظلام ظلمة بين
 العيب والدنس ، فالعاقل من بادر الندامة ، فإن السلامة خلس .

(لابن المعتز) :

الا من لقلب في الهوى غير منته وفي الغي مطواخ وفي الرشد مكره
 أشاوره في توبة فيقول لا فان قلت تأتي فتنة قال: اين هي؟

(١) في الديوان « الحنف » .

(٢) في الديوان « تحامي » بدل من نجما في .

(٣) جمع جديل وهو الحيل المجدول من ادم .

(٤) الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها حجراً .

(٥) الأسد .

(٦) في الديوان « رحلوا » .

سابقة القدر قضت لقوم بدليل (سبقت لهم) (١) وعلى قوم
 بدليل (غَلَبَتْ عَلَيْنَا) (٢) تلقيح (سبقت) نور قلوب الجن (فقالوا
 إنا سمعنا قرآناً عجبا) (٣) وخذلان (غلبت) أعني بصائر قريش
 (فقالوا أساطير الأولين) (٤) إذا هزت صوارم القدر ، تقلقت رقاب
 المقربين غضب على قوم فلم تنفعهم الحسنات ، ورضي عن قوم فلم
 تضرهم السيئات ، ما نفعت عبادة إبليس ، ولا ضر عناد السحرة .

هبت عواصف الاقصاد في بيضاء الاكوان ، فنقلت الوجود
 وعم الخبر . فلما ركدت الريح ، إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك
 وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه ،
 وصهيب قد قدم بقافلة الروم ، وأبو جهل في رقدة المخالفة ، وبلال
 ينادي الصلاة خير من النوم ، لما قضيت في القدم سلامة سلمان ،
 أقبل يناظر أباه في دين قد أباه ، فلم يعرف أبوه جواباً إلا القيد ،
 وهذا الجواب المرذول قديم من يوم (حرقوه) (٥) فنزل به ضيف
 (ولنبلونكم) (٦) فنال بإكرامه مرتبة (سلمان منا) سمع أن ركباً
 على نية السفر ، فسرق نفسه من حرز أبيه ، ولا قطع ، فوقف نفسه على
 خدمة الأذلاء وقرف الأذلاء ، فلما أحس الرهبان بانقطاع دولتهم ،
 سلموا إليه أعلام الأعلام على علامات نبينا ، وقالوا أن زمنه قد أظل
 فاحذر . أن تضل ، وأنه يخرج بأرض العرب ، ثم يهاجر إلى أرض بين
 حرتين ، فلو رأيتموه قد فلى الفلا والدليل شوقه ، وخلي الوطن خلاء
 يزعجه توقه .

(لابي العلاء المعري) :

وابغضت فيك النخل والنخل يانع
 واهوى لجراك السماوة والغضا
 *واعجبني من حبك الطلح والضال
 ولو ان ضيفيه وشاة وعذال

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠١ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ١٠٦ .

(٣) سورة الجن ، الآية ١ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٢٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ .

(٦) سورة محمد ، الآية ٣١ .

رحل مع رفقة لم يرفقوا (فشره بئمن نجس) (١) فابتاعه يهودي
بالمدينة ، فلما رأى الحرتين توقد خراً شوقه . وما علم المنزل بوجود
النازل .

(للمتنبى) : (٢)

أيدري الرَّبُّ أَيَّ دم أراقا ؟ وائي قلوب هذا الركب شاقى
لنا ولأهلِهِ أبدأ قلوب تلاقى في جُومٍ ما تلاقى

فبينما هو يكابد ساعات الإنتظار : قدم البشير بقدوم البشير
وسلمان في رأس نخلة ، فكاد القلق يلقيه : لولا أن الحزم أمسكه : كما
جرى يوم (أن كادت لتبدي به) (٣) ثم عجل النزول ، ليلقى ركب
السيارة .

خليلي من نجد قفا بي على الربى فقد هب من تلك الرسوم نسيم

فصاح به المالك : مالك ولهذا ؟ إنصرف إلى شغلك : فأجاب لسان
وجده ،

(كيف انصرافي ولي في داركم شغل)

فأخذ يضربه ، فأخذ لسان حاله يترنم : لو سمع الاطروش .

خليلي لا والله ما أنا منكما اذا علم من آل ليلى بداليا

فلما لقي الرسول عرض نسخة الرهبان بكتاب الأصل ، فوافق
ووافق ، يا محمد أنت تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان ، أبو طالب
إذا سئل عن إسمه ، قال عبد مناف ، وإذا انتسب افتخر بالاباء ، وإذا
ذكرت الأموال عد الإبل ، وسلمان ، إذا سئل عن إسمه قال عبدالله
وعن نسبه ، قال ابن الإسلام ، وعن لباسه قال التواضع ، وعن طعامه

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٠ .

(٢) أنظر ديوان شعره ص ٢٧٨ .

(٣) سورة القصص ، الآية ١٠ .

قال الجوع ، وعن شرابه قال الدموع ، وعن وساده قال السهر ، وعن
فخره قال « سلمان منا » ، وعن قصده ، قال (يريدون وجهه) (١) .

(للشبلي) :

ان بيتاً أنت ساكنه	غير محتاج إلى السرج
وعليلاً أنت زائره	قد آناه الله بالفرج
وجهلك المأمول حجتنا	يوم يأتي الناس بالحجج

(١) سورة الانعام ، الآية ٥٢ .

الفصل العشرون

يا من يمشي على ظهور الحفر ، ويرى السابقين إلى بيوت المدر ،
لو اصغى سمع التدبير ، سمع العبر ، كفى بالموت واعظاً يا عمر (١) .
لابي العتاهية (٢) :

وعظتك أجدات ضمت ونعتك أزمنة خفت (٣)
وتكلمت عن أعظم تبلى وعن صور شتت (٤)
وارتك قبرك في القبور وانت حي لم تمّت

يا سادراً في سكر سروره ، يا سادلاً ثوب غروره ، كأنك بك
قد اقتعدت غارب الغربية ، واستبدلت بالاثواب التربة ، سيقسم مالك
من لا يحمذك ، وستقدم على من لا يعذرك ، غداً يرجع الحبيبان عنك ،
حبيبك من أهلك يقسم حبيبك من مالك ، وأنت في قفر الفقر إلى ما
أسلفت ، تبكي على ما خلفت ، بين أناس كلهم أسير الفرق ، وجميعهم
على مهاد القات .

حمة سفر كان آخر زادهم إليه متاع من حنوط ومن خرق
إلى منزل سوى البلى بين أهله فلم تستبن فيه الملوك من السوق
إلى متى تبقى بدائك ؟ أهذا الذي تفعله برائك ؟ لقد حل فناؤك
بفنائك ، وأخبر انتقاص بنائك بنمائك ، وأن وراءك طالباً لا تفوته ،

(١) كفى بالموت واعظاً : حديث ضعيف جداً ، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة
والموضوعة للألباني ٥٠٢ .

(٢) أنظر ديوان شعره ص ٧٨ - ٧٩ ، وروى المسعودي هذه الأبيات في مروج الذهب
- ٣ ذكر خلافة هارون الرشيد .

(٣) في الديوان « فيهن أجساد سبت » .

(٤) في الديوان « وتكلمت لك بالبل منهن أسنة صت » .

وقد نصب لك علم لا تجوز ، فما أسرع ما يدركك الطالب ، وما أعجل ما تبلغ العلم ، أخواني ، هذا الموت غداً ، يقول الرحيل غد ، كيف بكم إذا صاح إسرافيل ؟ في الصور بالصور ، فاسمع العظام البالية تحت المدر ، فاجتمعت من بطون السباع ، وحواصل الطير ، فقامت تبكي على فوات الخير ، وسار الخلائق كلهم حفاة عراة ، كل منهم مشغول بما عراه ، وقد رجت الأرض وبست الجبال ، وذهلت العقول وشاب الاطفال .

أيا نفس حقت ان تجزعي ويا عين اياك أن تهجمي
ويا أذني ان دعاك الهوى فاياك اياك أن تسمعي
وبالله يا جفن عيني القريح ضرج بفيض الدما أدمعي
وياكل جارحة لي عليك حفيظ فابكي ونوحى معي
يسير بنا الدهر من موضع ترحل عنه إلى موضع
إلى حيث لا العين فيه ترى ولا الاذن ان خاطبها تعي
فيا ويلنا من طريق هناك طويل بعيد المدى مسبع

يا أهل الذنوب والخطايا ألكم صبر على العقوبة ؟ (كلا إنها لَطَيَّ) (١) إذا شاهدت من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين (تكادُ تَمَيِّزُ من الغيظ) (٢) من أراد أن ينجو منها فليتب (من قبل أن يتماسا) (٣) كيف أمن العصاة ؟ (ومن منكم إلا واردها) (٤) كيف نسوا غب الزلل ؟ (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٥)

أخواني ، مثلوا أهل الجنة (يوم نحشر المتقين) (٦) (ونورهم يسعى بين أيديهم) (٧) ومعهم توقيع (لا خَوْفٌ عليهم) (٨) فلما

-
- (١) سورة المارج ، الآية ١٥ .
 - (٢) سورة الملك ، الآية ٨ .
 - (٣) سورة المجادلة ، الآية ٣ .
 - (٤) سورة مريم ، الآية ٧١ .
 - (٥) سورة الزلزلة ، الآية ٨ .
 - (٦) سورة مريم ، الآية ٨٥ .
 - (٧) سورة الحديد ، الآية ١٢ .
 - (٨) سورة يونس ، الآية ٦٢ .

وصلوا إلى الجنان (وفتحت أبوابها) (١) وبدأهم الخزنة (سلام عليكم طيتم) (٢) وبشروهم بالبقاء الدائم (فادخلوها خالدين) (٣) وقرأت الاملاك من سجل الاملاك مبلغ الثمن (بما صبرتم) (٤) وجميع المرادات داخلية في إقطاع (ما تشتهي أنفسكم) (٥) وقد استرجع في الميزان (ولدينا مزيد) (٦) وأتم التمام (وما هم منها بمخرجين) (٧)

وهذا السرور بتلك الكرب وهذا النعيم بذاك التعب

ويحك ميز بعقلك وحسك بين الدارين ، واحضر الذنب والعقاب والمسخ العاقبتين ، هذا الحيوان البهيمي ينظر في العواقب الإبل يأكل الحيات فيشده عطشه فيحوم حول الماء ولا يشرب لعلمه أن الماء ينفد السموم إلى أماكن لا يبلغها الطعام ، ومن عادته أنه يسقط قرنه كل سنة وهو سلاحه فيختفي إلى أن ينبت ، هذه الحية ، تختفي طول الشتاء بالارض ، فتخرج وقد عشى بصرها ، فتحكه بأصول الرازايانج لانه يزيل الغشا ، هذا الفهد إذا سمن علم أنه مطلوب وشحمه يمنعه من الهرب فهو يستر نفسه إلى أن ينحل الشحم ، هذه النملة تدخر في الصيف للشتاء ، فإذا خافت عفن الحب أخرجته إلى الهواء فإذا حذرت أن ينبت فقرت موضع القطمير (٨) .

أسمعت يا مقطوع الحيلة ؟ متى تدخر من صيف قوتك إلى شتاء عجزك ؟ هذه السمكة إذا حبستها الشبكة جمزت بكل قوتها لتقطع الحابس ، لو نهضت بقوة العزم لانخرقت شبكة الهوى ، إذا مد النهر اغتمت ذلك المد الزنابير ، فبنت منه بيوتاً لانه لا يصلح لها غيره ، مد بحر الشباب وما بنيت بيت جد ، فحدثني ما الذي تصنع في القحل ؟ إن فاتك زمن المد ، فمد اليد للسؤال حيلة المفلس .

(١) سورة الزمر ، الآية ٧٣ . (٥) سورة فصلت الآية ٣٥

(٢) سورة الزمر ، الآية ٧٣ . (٦) سورة ق الآية ٣٥

(٣) سورة الزمر ، الآية ٧٣ . (٧) سورة الحجر الآية ٤٨

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٤ . (٨) الشق في الحبة والنواة .

يا محصراً عن الوصول لا يجزيه الهدى ، يا منقطعاً في الطريق عن
جملة الوفد ، تحامل إلى بعض خيم أهل الوصل ، واشهد على وصيتك
ذوي عدل ، وناد في النادي بصوت الذل .

إذا ما وصلتكم سالمين فبلغوا نحيةً من قد ظن ان لا يرى نجداً
وابسط في الدجى يد الطلب ، فأطيب ما أكل الرجل ، من كسب
يده ، وقل بلسان التملق .

أحبابنا انا ذاكم العبد الذي راعيتموه ناشئاً ووليداً
حالت به الأحوال بعد فراقكم فرمي بأسرته وجاء فريداً

إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك فاستعمل أخلاق
الاطفال ، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه يكن عليه .

بلغ المنى من حل في وداي منى غيري فاني ما بلغت مرادي
وبكيت من الم الفراق وشقوتي فبكي الحجيح بأسره والوادي

يا من قد نزلت به بلية الطرد ، تروح إلى حديث المناجاة وإن لم
تسمع منك ، وابعث رسائل الاحزان مع رياح الاسحار ولو لم تصل .

يا نسيم الشمال بلغ خطابي واشف مني الجوى بحمل الجواب
طففت بساحات ذلك الربع واحمل ذرة من تراب ذلك الجناب
قل لمولاي يا منى الروح والقلب ومن فيه ذلتي وانتحابي
كنت اخشى الوشاة فيك ولكن جفوة الحب لم تكن في حسابي

الفصل الحادي والعشرون

يا ساعياً لنفسه في المهالك ، ذنا الرحيل ونضو^(١) النقلة بارك ،
متى تذكر وحشتك بعد إيناسك ؟ متى تقتدي من ناسك بناسك ؟ كأنك
بك قد خرجت عن أهلك وولدك ، وانفردت عن عددك وعددك ،
وقتلك سيف الندم ولم يدك^(٢) ، ورحلت ولم يحصل بيدك إلا عضو
يدك .

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ولم تر في الباقيين ما يصنع الدهر
فان كنت لا تدري فتلك ديارهم محاهما مجال الريح بعدك والقطر
على ذاك مروا أجمعون وهكذا يمرون حتى يستردهم الحشر
فحاتم لا تصحو وقد قرب المدى وحاتم لا ينجاب عن قلبك السكر
بل سوف تصحون حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

يا من يذنب ولا يتوب ، كم قد كتبت عليك ذنوب ؟ خل الامل
الكذوب ، قرب شروق بلا غروب ، وآسفي أين القلوب ؟ تفرقت
بالهوى في شعوب ، ندعوك إلى صلاحك ولا تؤوب ، واعجباً الناس
ضروب ، متى تنته لخلاصك أيها الناعس ؟ متى تطلب الاخرى يا من على
الدنيا ينافس ؟ متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن موانس ؟ يا من قلبه
قد قسا وجفنه ناعس ، يا من تحدثه الاماني دع هذه الرساوس .

أين الجبابرة الاكاسرة الشجعان الفوارس ، أين الاسد الضواري
والظباء الكوانس ، أين من اعتاد سعة القصور حبس من القبور في

(١) النضو : المهزول من الإبل .

(٢) لم يؤد ديتك .

أضيق المحابس ، أين الرافل في أثوابه عرى في تراهه عن الملابس ، أين
الغافل في أملة عن أجله سلبه كف المخالس ، أين حارس المال ، أخذ
المحروس وقتل الحارس .

يا مضمراً حب الدنيا إضمار الحمل الحمود ، نبعث منقاش اللوم
وما يصل إلى شظايا المحبة ، الدنيا جيفة قد أراحت ومزكوم الغفلة ما
يدري ، سوق فيها ضجيج الهوى ، فمن يسمع المواعظ .

علمتني بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقيح

إذا أردت دواء حبها فما قل في الشربة صبر ، انفرد في صومعة
الزهدي ، واحفر خندق الحذر ، وأقم حارس الورع ، ولا تطلع من خوذة
مساحة فإن البغي في الفتى صناع .

(لصدر) : (١)

النجاء النجاء من أرض نجد قبل أن يعلق الفؤاد بوجد
كم خلى غدا إليه وامسى وهو يهوى بعلوة وبهند

حصن حصن التقي بسور القناعة ، فإن لص الحرص يطلب ثلثة ،
غريم الطبع متقاض ملح ، والشرة شرك ، وخمار المنى داء قاتل ، بينا
الحرص يمد وتر الامل انقطع ، هل العيش إلا كأس وشوبة بالكدر
ثم رسوما الموت (فابتغوا عند الله الرزق) (٢) .

قال محمد بن واسع لو رأيتم رجلا في الجنة يبكي ، أما كنتم تعجبون ؟
قالوا بلى ، قال فاعجب منه في الدنيا رجل يضحك ولا يدري إلى ما
يصير ؟ ، ضحك بعض الصالحين يوماً ثم انتبه لنفسه فقال : تضحكين ؟
وما جزت العقبة ، والله لا ضحكك بعدها ، حتى أعلم بماذا تقع الواقعة ؟
يا نسيم الشمال بالله بلسخ ما يقول المتيم المستهام

(١) قاله في مدح أبا القاسم بن رضوان انظر ديوانه ص ١٢١ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ١٧ .

قل لاجابنا فداكم محب ليس يسلو ومقلة لا تنام
كل عيش ولذة وسرور قبل لقيامكم على حرام

فرغ القوم قلوبهم من الشواغل ، فضربت فيها سرادقات المحبوب ،
فأقاموا العيون تحرس تارة ، وترش الارض أخرى ، هيهات هان سهر
الحراس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك .

(لابن المعتز) :

أيها الملك الذي سهري فيه كطعم الرقاد بل هو احلى
غرضي ما يريده بي حبيبي لو سقاني مهلا لما قلت مهلا
لست أدري أطل لي أم لا كيف يدري بذاك من يتقل
ان للعاشقين في قصر الليل وفي طوله عن النوم شغلا
لو تفرغت لاستطالة ليلى أو لرعي النجوم كنت مغلا
وغرام الفؤاد مذ غبت عنه لم يحل عن هواك حاشي وكلا

قلوب العازفين ، مملؤة بذكر الحبيب ، ليس فيها سعة لغيره .

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيه متسع

إن نطقوا بذكره ، وإن تحركوا بأمره ، وإن فرحوا فلقربه ، وإن
ترحوا فلعبته .

والله ما طلعت شمس ولا غربت الا وانت منى قلبي ووسواسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم الا وانت حديثي بين جلاسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش الا رأيت خيالا منك في الكاس

أقواتهم ذكرى الحبيب ، وأوقاتهم بالمناجاة تطيب ، لا يصبرون
عنه لحظة ، ولا يتكلمون في غير رضاه باقظة .

حياتي منك في روح الوصال وصبري عنك من سلب المحال
وكيف الصبر عنك وأي صبر لعطشان عن الماء الزلال

إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

كم تدرس أخبارهم وما تدرس ، لئن طواهم الفناء لقد نشرهم
الثناء ، لو سمعتهم في الدجا يعجون ، لو رأيتهم في الاسحار يضحجون ،
لولا نسائم الرجاء كانوا ينضحجون .

ما لي عن وصلك اصطبارُ إليك من هجرك الفرارُ
أصبحتُ ظمآنَ ذا جفون مياها أخلافها غزار
أرومُ كتمان ما الآتي وبالآماتي له اشتهار
ومن نسيم الصبأ اذا ما هبت على أرضكم اغار
آه لذكرى ديار سلمى لا أجديت تلكم الديار
لهفي لعيش بها تسوي نظير أيامه النضار
اذ اعين الدهر راقدات وفي غضون الهوى ثمار

الفصل الثاني والعشرون

أيها الخاطب على أزره (١) ، وزراً وآثاماً : تنبه ترى الدنيا أحلى ما كانت أحلاماً ، كم نكس الموت فيها أعلاماً أعلى ما (٢) ، كم أذل بقهره أقواماً أقوى ما (٣) لا كان مفتاح أمسى له الموت ختاماً .

مَنْ على هذه الديار أقاما أو صفا ملبس عليه فداما
عج بنا نندب الذين تولوا باقتياد المنون عاماً فعاما
تركوا كل ذروة من اشم يحسر الطرف ثم حلوا الرغاما
يا لحا الله مهملًا حسب الدهر نؤوم الجفون عنه فناما
هل لنا بالغين كل مراد غير ما يملأ الضلوع طعاما
وإذا اعوز الحلال فشل الله كفا جرت إليها حراما

التبعات تبقى واللذات تمر ، وغب الارى وإن حلا فهو مر ،
وكأن قد عوى في دار العواني ذئب الضر . وما يلهي شيء من الدنيا
ويسر إلا يؤذي ويضر ، وقد بانت عيوبها : فليس فيها ما يغر وإنما
يعشتمها الجهول ويأنف منها الحر .

تذل الرجال لاطماعها كذل العبيد لاربابها
ولا تجنين ثمار المنى فتجنى الهوان بأعقابها

أخواني ، ربما أورد الطمع ولم يصدر ، كم شارب شرق قبيل
الري ؟ ، من اخطأته سهام المنية قيده عقال الهرم . ألا يتيقظ العاقل

(١) الظهر .

(٢) أراد اعلى ما تكون .

(٣) أراد أقوى ما تكون . وفي الفقرتين مع الجناس اللفظي اكتفاء .

بأضرابه ، ألا يتبته الغافل باوصابه ، أسلم والرامي تحت ثيابه ؟ يا مريضاً
أتعب الاطباء ما به ، كأنك بالدنيا التي تقول مرحباً قد حلت الحبي
وتفرقت تفرق أيدي سبا .

ويحك أخوك من عدلك لا من عذرك ، صديقك من صدقك لا
من صدقك ، ويحك من يطربك يطغيك ، وما لا يعنك يعنك ،
تنوب صباحاً فإذا أمسيت تحول وتعول ، وتقول غير أنك تنقض ما
تقول ، وتتلون دائماً كما تتلون الغول .

يا عبد الهوى ، إن دعا أمنت وإن ادعى آمنت ، كم قال لك
الهوى وسمعت ، أنا مكار وتبعت ، والله لقد افتك (١) أضعاف
ما أفدتك ، ولقد أعذر من أنذر ، وما قصر من بصر ، لما رأى المتيقظون
سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الامل لآربابها لجأوا إلى حصن الزهد ،
كما يأوي الصيد المذعور إلى الحرم ، لاح لهم حب المشتهي ، فلما مدوا
إليه أيدي التناول بان لابصار البصائر ، خيط النخ فطاروا بأجنحة
الحذر ، وصوتوا إلى الرعيل الثاني (يا لَيْتَ قَوْيِ يَعْلَمُونَ) (٢)
جمعوا الرحل قبل الرحيل ، وشمروا في سواء السبيل ، فالتاس في
الغفلات وهم في قطع الغلاة (تلك أمةٌ قد خَلَّتْ) (٣) لو رأيت
مطايا أجسامهم ، وقد اذا بها السرى فزي تحن مما تحن فتبكي الحداد .

(للمصنف) :

حنتُ فاذكتُ لوعتي حيننا اشكو من البين وتشكو البينا
قد عاث في أشخاصها طولُ السرى بقدر ما عاث الفراقُ فينا
فخلها تمشي الهوينا طال ما أضحت تباري الريح في البرينا
وكيف لا نأوي لها وهي التي بها قطعنا السهل والحزونا
ان كن لم يفصحن بالشكوى لنا فهن بالارزام يشتكيننا
قد اقرحت بما تحن كبدي ان الحزين يسعد الحزينا
وقد تياسرت بهن جائسراً عن الحمى فاعدل بها يمينا

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٤ ، ١٣١ .

(١) أي اضممت منك .

(٢) سورة يس ، الآية ٢٦

يقول - صحي أترى آثارهم نعم ولكن لا أرى القطينا
لو لم نجد ربوعهم كوجدنا للين لم تبل كما بلينا
أكلما لاح لعيني بارق بكت فابدت سرى المصونا
لا تأخذوا قلبي بذنب مقلتي وعذبوا الحائن لا الأميना

دارت قلوب القوم في دائرة الخوف ، دوران الكرة تحت الصولجان
فهاموا في فلوات القلق ، فمن خايف مستجير ، ومن واخذ يقول ، ومن
سكران ييث .

إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

طالت عليهم بادية الرياضة ، ثم بدت بعدها الرياضة ، استوطنوا
فردوس الانس في قلة طور الطلب .

شقيننا في الهوى زمناً فلما تلاقينا كأننا ما شقيننا
سخطنا عندما جنت الليالي فما زالت بنا حتى رضينا
فمن لم يجيبى بعد الموت يوماً فانا بعد ما متنا حيننا

وقفت على قبر بعض الصالحين فقلت : يا فلان ، بماذا نلت تردد
الاقدام إليك ؟ فقال : أقدمت على رد الهوة بلا تردد ، فترددت إلى الاقدام ،
كان عطر إخلاصي خالصاً فعبق نشره بالارواح .

(للمهيار) : (١)

جرت مع الرسم لي محاورة فهمت منها ما قاله الرسم
هل لك بالنازلين أرض منى يا علم الشوق بعدنا علم

أدلج القوم طول الليل في السرى ، وخافوا عوز الماء فتمموا المزاد
بالبكاء .

سلوغيرطرفي ان سألتهم عن الكرى فما بلحفون العاشقين منام

(١) من قصيدة كتبها إلى الأستاذ أبي طالب بن أيوب ، أنظر ديوان شعره ٤ / ٢٢ - ٢٧ .

سكن الخوف قلوبهم فإذا بها ، فإذا بها في محلة الامن ، نحلوا المعرفة
فتحلوا فعمر قصر القلب للملك ، وقنعت الحراشي في القاع بالحيم .
وكم ناكل بين تلك الخيام تحسبه بعض أطناها
يا هذا ، سرادق المحبة لا يضرب إلا في قاع فارغ نزه « فرغ
قلبك من غيري ، اسكنه » .

(للشريف الرضى) : (١)

تركوا الدار ^(٢) فلما	نزلوا القلب أقاموا
يا خليلي اسقياني	زمن الوجد مدام ^(٣)
وصفاً لي قلعة الركب	ولليل مقام
ومنيّ أينَ منيّ	مِنِّي لقد شط المرام
هل على جمع نزول	وعلى الخيف خيام

بحق لا بد أن المحبين تذوب ، ولسماء أعينهم تهمي وتصوب ،
لو حملوا جبال الارض مع كركروب ، كان ذلك قليلاً في حب
المحجوب .

(لابن المعتز) :

رأى خضوعي فصداً عني	فازددتُ ذلاً فزادتها
قلت له خاليا وعيني	قد أحرق الدمع ما يليها
هل لي في الحب من شبيهه	قال : وابصرت لي شبيها

(١) كتب به إلى الملك قوام الدين ينتجز وعداً له عليه عام ٣٩٧ ، أنظر الديوان ٢ / ٢٨٢ .

(٢) في الديوان « بدلوا الدور »

(٣) في الديوان « سقام » .

الفصل الثالث والعشرون

أخواني . شمروا عن سوق الدأب في سوق الادب ، واعتبروا
بالراجلين وسلوا السلب قبل أن يفوت الغرض بالمرض إن عرض
فكأنكم بمبسوط الامل قد انقبض ، وبمشيد المنى قد انتفض .

يا ساكن الدنيا تأهّب وانتظر يوم الفراق
واعد زاداً للرحيل فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب يا دمع تنهل من سحب المآق
يا من اضاع زمانه أرضيت ما يفني بياق

أين عزائم الرجال ؟ ، أين صرائم الابطال ؟ ، تدعي وتتواني ،
هذا محال .

اشتاقكم ويحول العزم دونكم فادعي بعدكم عني واعتذر
واشتكى خطراً بيني وبينكم وآية الشوق أن يستصغر الخطر

إن هممت فبادر ، وإن عزمت فثابر ، واعلم أنه لا يدرك المفاخر
من رضي بالصف الآخر . قال عمر بن عبد العزيز : خلقت لي نفس
تواقة ، لم تزل تتوق إلى الإمارة ، فلما نلتها تآقت إلى الخلافة ، فلما
نلتها تآقت إلى الجنة .

(لابي فراس) :

بدوت واهلي حاضرون لانني أرى ان داراً لست من أهلها فقير
وما حاجتي في المال ابني وفوره اذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفير
وقال أصيحابي الفرار أو الردى فقلت هما امران احلاهما مر

سيدكرني قومي اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به وما كان يغلو الثبر لو نفق الصبر
ونحن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحساء لم يغله المهمر

إبتليت الهمم العالية بهشق الفضائل ، شجر المكاره يثمر المكارم ،
متى لاحت الفريسة قذفت الغابة السبع ، إذا استقام للجواد الشوط لم
يجوج راكبه إلى السوط ، من ضرب يوم الوغى وجه الهوى بسهم ،
ضرب مع الشجعان يوم القسمة بسهم ، من اشتغل بالعمارة استغل
الخراج ، إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة ثم ردفه قمر العزيمة
(أشرفت الأرض بنور ربها) (١) يا طالباً للبدعة أخطأت الطريق ، علة
الراحة التعب ، إن لم تكن أسداً في العزم ولا غزالاً في السبق فلا
تثعلب ، يا هذا الجدد جناح النجاة وكسلك مزمزمن ، من كد كد
العبيد تنعم تنعم الاحرار ، من امتطى راحلة الشوق لم يشق عليه بعد
السفر .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

يا هذا ركائب الرحيل قد أنيخت بالجناب ولم تنحرج ، وناقد
البايح قائم على الباب ونفدك بهرج ، كيف ياحق السابقين كسلان
أعرج ؟ ، لو تنقلت على عيطموس (٢) العزم وهو جاء (٣) الطلاب
وبميسجور (٤) القصد ، وجعلباة (٥) السير ، وهشمعلة (٦) الجدد ،
ووصلت الديقور بالضحي لانقطعت الديمومة القذف ، ولكنك استوطأت
مهاده الكسل ولابر النحل دون العسل .

قيل لبعض أهل الرياضة : كيف غلبت نفسك ؟ ، فقال : قمت
في صف حربها بسلاح الجدد ، فخرج مرحب الهوى بدافع ، فعلاه على

(٤) الصلبة من النوق .
(٥) الطويل من النوق في عجرة .
(٦) النشيطة من النوق .

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٦ .
(٢) التامة الخلق من الإبل .
(٣) المرعة من الإبل .

العزم بصارم الحزم ، فلم تمض ساعة حتى ملكت خبير . وقيل لآخر :
 كيف قدرت على هواك ؟ فقال : خدعته حتى أسرته واستلبت
 عوده فكسرتة وقيدته بقيد العزلة ، وحفرت له مطمور الخمول في
 بيت التواضع ، وضربته بسياط الجوع ، فلان يا فلان ، ألك ؟ في مجاهدة
 النفس نية أم النية نية ، أتعبتني وأنت أنت ، يا خنشليلا (١) في كل
 درديس (٢) ، إلى متى تجول في طلب هجول (٣) ؟ ما نفقت
 غم العيون النواظر في زروع الوجوه النواضر إلا وأغير على السرح ،
 من تعرض للعنقير (٤) لقي الامرين (٥) ، المتعرض للنباة أبله ، ما عزّ
 يوسف إلا بترك ما ذل به ما عز (٦) ، لو ركذ كدر دهن الذهن
 سمت ذبالة المصباح .

أخواني إلى متى سكر عن المقصود ؟ إلا صحو ساعة ؟ أريقوا
 قرقف الهوى قبل هجوم صاحب الشرطة ، إكسروا الظروف ظرفاً
 ليعلم حسن قصدكم للتوبة ، وليشغلكم ذكر صوت النأي عن صوت
 الناي ، والفكر في خراب المغاني عن لغات الاغاني ، فكم من شاب
 ماشاب ، وكم من راج راج (٧) له أن خاب ، ما أسرع افتراق الصاحبين
 إذا صاح بين ، (فمفترق جاران دارهما عمر) .

مثل أهل الدنيا في غفلتهم وطول آمالهم كمثل الحاج ، نزلوا
 متزلاً فقام أقوام يقطعون الصخور وبينون البيوت ، فقال المتيقظون :
 ويحكم ما هذا البله ؟ الرحيل بعد ساعة . لو علم الورد قصر عمره ما
 تبسم ، بينما هو ينشر بزريجه ، في شمال البكور بزه الناطور فإذا به
 في زجاجة الزور (٨) ، فانتبه أنت ولا تغتر بزور نسيم الدجى يفتح
 مستغلق الجنب ، ويخوف سموم النهار يعيد اللينوفر إلى الماء ، لسمع
 يا من لا يحركه تشويق ، ولا يزعبه تخويف .

-
- (١) الماضي في الأمور .
 (٢) الداهية .
 (٣) جمع هجل . وهو المغازاة الواسعة .
 (٤) الداهية .
 (٥) بكسر الراء للشر والأمر العظيم .
 (٦) ابن مالك المرجوم في الزنا .
 (٧) حصل وتبياً .
 (٨) مجلس الغناء .

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

تزوج صلة بن أشيم فأدخله ابن أخيه الحمام ، ثم ادخل إلى المرأة
وقد طيب فقام يصلي فمد الصلواة إلى الفجر ، فعاتبه ابن أخيه فقال :
إنك أدخلتني أمس بيتاً ذكرتني به النار ، ثم أدخلتني بيتاً ذكرتني به
الجنة ، فما زال فكري فيهما حتى أصبحت .

كفى حزناً ان لا أعين بقعة من الارض الا ازددت شوقاً إليكم
واني متى ما طاب لي خفض عيشة تذكرت أياماً مضت لي لديكم

مر بعض الفقراء بامرأة فأعجبته فتزوجها ، فلما دخل البيت نزعوا
خلقانه وألبسوه ثياباً جدداً ، فلما جن عليه الليل طلب قلبه فلم يجده
فصاح : خلقتني خلقتني ، فأخذها ورجع .

(للشريف الرضى) :

ما ساعفتني الليالي بعد بعدهم
ولا استجد فؤادي في الزمان هوى
لا تطلبن لي الابدال بعدهم
الا ذكرت لياليها بذي سلم
الا ذكرت هوى أيامنا القدم
فان قلبي لا يرضى بغيرهم

الفصل الرابع والعشرون

يا طويل الامل في قصير الاجل ، أما رأيت مستلباً وما كمل ؟
أتؤخر الإنابة وتعجل الزلل .

يا من يعد غداً لتوبته أعلى يقين من بلوغ غد
المرء في زلل على أمل ومنية الانسان بالرصد
أيام عمره كلها عدد ولعل يومك آخر العدد

يا أخي التوبة التوبة قبل أن تصل إليك التوبة ، الإنابة الإنابة
قبل أن يغلق باب الإجابة ، الإفاقة الإفاقة فيا قرب وقت الفاقة ، إنما
الدنيا سوق للتجر ومجلس وعظ للزجر وليل صيف قريب الفجر ،
المكنة مزنة صيف ، الفرصة زورة طيف ، الصحة رقدة ضيف ، الغرة
نقده زيف ، الدنيا معشوقة وكيف ، البدار البدار فالوقت سيف .

يا غافلاً عن مصيره ، يا واقفاً في تقصيره سبقك أهل العزائم
وأنت في اليقظة نائم ، قف على الباب وقوف نادم ، ونكس رأس الذل
وقل أنا ظالم ، وناد في الأسحار مذنب وواجم ، وتشبه بالقوم وإن
لم تكن منهم وزاحم ، وأبعث بريح الزفرات سحب دمع ساجم ،
قم في الدجا نادبا ، وقف على الباب تائباً ، واستدرك من الغمر ذاهباً ،
ودع اللهو والهوى جانباً ، وإذا لاح الغرور رأى راهباً ، وطلق الدنيا
إن كنت للأخرى طالباً (ولكن بلا قلب إلى أين أذهب) .

يا من قد ضاع قلبه إطلبه في مظان انشاد الضلال ، الضايغ إنما
ينشد في الجامع ، فاطلب قلبك في مجالس الذكر ، أو بين أهل المقابر ،
وربما دخلت بيت الفكر فرأيتته فأني موضع غلب على ظنك وجوده

فلا تقصر في البحث عنه ، هذه النور والرخم على كثافة طبعها إذا
 رأته جيشاً تبعته لما ترجو من قتال يوجب قتلى وأخداج حامل ، أفما
 ترجو أنت في المجلس إجابة دعوة أو حضور قلب ؟ يا نائماً طول الليل ،
 سارت الرفقة ، رحل القوم كلهم وما انتهت من الرقدة ، ويحك
 أتدري ما صنعت بنفسك ؟ دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك ، كنت
 أمس قلب أمس فتراك تصحيف ترى ^(١) ، لاحت لك العاجلة ، فهمت
 كأنك ما فهمت فلما تبدلت تبدلت أخبرني عن تخليطك فالطبيب لا يكذب ،
 سجيتك تعلمني فاسمع أحدثك ، إستكثرت من برودات الغفلة فقعد
 نشاط العزم ، فلو قاومتها بجرارات الخدر لقام المقعد ، أما تعلم أن
 مطاعم المطامع تولد سداً في كبد الجسد ، المحنة العظمى موافقة الهوى
 من غير تدبر ، أنت ترى ما تشتهي فتضرب الحد .

يا أسيراً في قبضة الغفلة ، يا صريعاً في سكرة المهلة ، أما يخطر بقلبك
 ، خطر أمرك ، ويحك قد وهن العظم العظيم وما شابت همة الامل ،
 لإخلق برد الحياة وما انكفت كف البطالة ، قربت نوق الرحيل وما
 في المزداد زاد قدمت معابر العبور وأنت تلهو على الساحل ، أكثر
 العمر قد مر ، وأنت تتغلغل في تضييع الغابر ، أترجع الغاني على الباقي ؟
 تثبت ، ففي الميزان عين ، إن حركك حظ من حظ فالحظ الحظ الاخط ،
 والله لو شغلك نيل الجنة عن الحق لحظة كان في تدبيرك وكس ،
 ويحك أنا بدك اللازم فالزم بدك ، خاصمت عنك قبل وجودك
 (إني أعلم) واعتذرت عنك في زلل (فدلاهما) ولقتتك العذر (ما
 غرك بربك) ^(٢) وواصلتك برسائل «هل من سائل» .

إذا لم يكن بيني وبينك مرسل فريح الصبا مني إليك رسول

كان بعض الاغنياء كثير الشكر ، فطال عليه الامد فبطر وعصى
 فما زالت نعمته ولا تغيرت حالته ، فقال: يارب تبدلت طاعتي ،

(١) يريد كنت سا وهو مقلوب أمس فصرت ترى وهو مصحف ترى .

(٢) سورة الإنفطار الآية ٦ .

وما تغيرت نعمتي ، فهتف به هاتف : يا هذا لإيام الوصال عندنا
حرمة حفظناها وضيعتها .

(للمهيار) : (١)

سَلَّ « بسلع » سكتنا^(٢) كان وكنا لیت شعري ما الذي الهاك عنا
أهوى أحدثته أم كاشح دَبَّ أم ذنبٌ سرى أم تتجى

تاب رجل ممن كان قبلكم ثم نقض ، فهتف به هاتف في الليل :

سأترك ما بيني وبينك واقفاً فان عدت عدنا والوداد سليم
تواصل قوماً لا وفاء لعهدهم وترك مثلي والحفاظ قديم
يا ناقضي العهود أنظروا لمن عاهدتم ، تلافوا خرق الخطاء
قبل أن يتسع .

عودوا إلى العهد عودوا فالهجر صعب شديد
تذكرونا فما عهد نا لديكم بعيد
هل يرجع البان يوماً وهل تعود زرود

يا هذا أقبل علينا ، تر من إقبالنا عليك العجب ، إحفظ الله
يحفظك ، إطلب الله تجده أمامك^(٣) ، من كان لنا عينا على قلبه ، أجرينا
له جامكية امين .

انت على البعد همومي اذا غبت اشجاني على القرب
لا اتبع القلب إلى غيركم عيني لكم عين وعلى قلبي

يا هذا حفر النهر إليك وإجراء الماء ليس عليك ، إحفر ساقية
(فاذكروني) إلى جنب بحر (أذكركم) فإذا بالغ فيها معول الكد ،
فاضت عليك مياه البحر ، « فبي يسمع وبني يبصر »^(٤) إلق بذر الفكر في

(١) مطلع قصيدة كتبها إلى عميد الرؤساء ابن أيوب في المهرجان ، أنظر ديوان شعره ٤ /

١٦٨ - ١٧٢ .

(٢) في الديوان « شجناً » .

(٣) قسم من الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس .

(٤) حديث قديم .

أرض الخلوة وسق إليه ساقية من ماء الفكر ، لعلها تثبت لك
شجرة « أنا جليس من ذكري »

(للشريف الرضي) : (١)

يُرْتَحْنِي اليك الشوقُ حتى أميلُ من اليمين إلى الشمالِ
كما مال المُعَاقِرُ عاودتهُ حُمَيَّا الكأسِ حالاً بعد حالِ
ويأخذني لذكراك ارتياحُ كما نشطَ الاسيرُ من العقالِ
وابسرُ ما ألقى ان همًّا يُغصِّصني بذا الماءِ الزلالِ

هبّت رياح الخوف فقلقت قلوب الخائفين فلم تترك ثمرة دمع في
فن جفن ، إذا نزل آب في القلب ، سكن اذار في العين .

لا تبلي بجزفاً يزيد خضوعي يكفيك ان النار بين ضلوعي
وحياة سقمي في هواك فانه قسم الهوى ووحق فيض دموعي
لاوكلن عليك عيني بالبكاء ولاعشقتن عليك طول هلوعي

كانت مع هشام بن حسان جارية في الدار فكانت تقول : أي ذنب
عمل هذا ؟ من قتل هذا ؟ فتراه الليل كله يبكي .

تركت الفؤاد عليلاً يعاد وشردت نومي فما لي رقاد

كان فتح الموصل يبكي الدموع ثم يبكي الدم ، فقيل له : على ماذا بكيت
الدم ؟ فقال : خوفاً على الدموع أن تكون ما صحت لي .

يا من لفؤاد وامق ما يصحو قد طال لعظم ما عناه الشرح
والعين لها دم ودمع سمح ذا يكتب شجوه وهذا يححو

(١) من قصيدة طويلة له ، أنظر الديوان ٢ / ١٧٤ - ١٧٨ .

الفصل الخامس والعشرون

يا من يعظه الدهر ولا يقبل ، وينذره القهر بمن يرحل ، ويضم
العيب إلى الشيب وبئس ما يفعل ، كن كيف شئت فإنما تجازي بما تعمل :
دعي . فان غريم العقل لازمني وذا زمانك فامرح فيه لازمني
ولى الشباب بما أحببت من منح والشيب جاء بما ابغضت من محن
فما كرهت ثوى عندي وعنفي وما حرصت عليه حين عن فني

يا جبيراً ، كلما قيل أقسط قسط ، يا نازلاً ، فسطاط الهوى ، على
شاطيء الشطط ، يا مهملاً لا مهملاً ما عند الموت غلط ، كم سلب
وضيعاً وشريفاً سلباً عنيفاً وخبط ، أما مضغ الارواح؟ فلما طال المضغ
استرط ، أما يكفي نذيرهم ؟ بلى قد خوف الفرط ، تالله ما يبالي حمام
الحمام أي حب لقط ؟ ، أما خط الشيب خط النهي عن الخطاء
لما وخط ، أما آذن الشباب بالذهاب فماذا بعد الشمط ؟ .

ما أن يطيب لذي الرعاية للا يام لا لعب ولا لهو
اذ كان يطرب في مسرته فيموت من أجزائه جزو

يا مدعراً إلى نجاته وهو يتواني ، ما هذا الفتور ؟ والرحيل قد
تداني ، يا مقبلاً على هفواته لا يألو بهتانا ، كأنك بالدمع يجري
عند الموت تهتانا ، وشغل التلف قد أوقد من شعل الاسف نيرانا ،
وأنت تبكي تفريطك حتى لقد أقرحت أجفانا ، والعمل الصالح ينادي
من كان أجفانا ، إحذر زلل قدمك ، وخف حلول ندمك ، واغتم
وجودك قبل عدمك ، واقبل نصحي ولا تخاطر بدمك .

إذا ما نهالك امرؤ ناصحٌ عن الفاحشات انزجر وائته
وأما علوت الى رتبة فكُن حذراً بعدها ان تسمى
وأما ترى مهجة في الثرى فلا تغترر بالمى انت هي

خاصم نفسك عند حاكم عقلك لا عندي قاضي هـواك ، فحاكم
العقل يدين وقاضي الهوى يجور . كان أحد السلف إذا قهر نفسه
بترك شهوة أقبل يهتز اهتزاز الرامسي إذا قرطس (١) ، لما عرف القوم
قدر الحياة ، أماتوا فيها الهوى فعاشوا ، إنتهبوا بأكف الجدد من الزمن
ما نثره زمن البطالة .

وركب سروا والليل ملق رواقه على كل مغبر الطوالع قائم
حدوا عزمات ضاقت الارض بينها فصار سراهم في ظهور العزائم
تربهم نجوم الليل ما يبتغونه على عاتق الشعري وهام النعائم
إذا طردوا في معرك الجدد قصفوا رماح العطايا في صدور المكارم

هان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد ، وحلت لهم مرارات
البلا حياً لعواقب السلامة ، فيا بشراهم يوم (هذا يومكم) .

قف بالديار فهذه آثارهم نبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا عن أهلها أو صادقاً أو مشفقاً
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فغز الملتقى

يا ربوع الاحباب أين سكانك ؟ ، يا مواطن الالباب أين قطانك ؟
يا جواهر الآداب أين خزانك ؟

(للمهيار) : (٢)

(١) أصاب القرطاس .

(١) من قصيدة قالها وكتب بها إلى أبي طالب بن أيوب في النيروز ، أنظر ديوان شعره ٣ /

٢٥٧ - ٢٦١ .

يطربني للمنازل اليومَ ما أسأر عندي أيامها القُدُمُ
وتطيبني^(١) على فصاحة شكواي إليها ربوعها العُجُمُ
علي يا دار جهدٍ عيني وما علي عارٌ أن تبخلَ الدِيمُ^(٢)
لك الرضا من جِمام^(٣) أدمعها أو دمها ان سقي ثراكِ دمُ
أما وعهد الغادين عنكِ وأ شجان بواقٍ لي فيكِ بعدهمُ
وما أطال المنى^(٤) واعرض من عيشٍ كأن اختلاسه حُلُمُ
هل هو الا ان قيل: جن بهم نَعَم ! على كل جالة نَعَمُ
بتنا واطواقنا يد ويد ورسل أشواقنا فم وفم

يا هذا تنزهه في اخبار المحبين إن لم تكن منهم ، إن أهل الكوفة
يخرجون للتفرج على الحاج ، إقعد على جانب وادي السحر لعل لأبل
القوم تمر بك .

خذني على قطن يمينا فعسى أريك به القطينا
مني تعلمت الحمام النوح والابل الحينا

وأسف المتقاعد عنهم ، واحسرة البعيد منهم .

سلو عن فؤادي ساكني ذلك الوادي
فقد مر مجتازاً على يمنة الوادي
مضى يطلب الاحباب والقوم قد سروا
فضل ومروا مسرعين مع الحادي
فها أنا ابكيهم وابكيه بعدهم وتطلبهم عيني مع الراح الغادي
واحاجتنا إلى روية القوم ، ويا شدة إيثارهم البعد عنا ، إن رأينا
شخصاً فأعلمتنا الفراسة أنه منهم كانت همته الهرب منا ، وما ذلك
إلا للتباين بين أفعالنا وأعمالهم فلنبتك على هذه الحال .

(١) تطيبني : تستملي .

(٢) الديم : المطر الدائم .

(٣) الجمام : معظم الماء .

(٤) في الديوان « الصبا » .

عجبت لما رأيتني	أندب الربع المحيلا
واقفاً في الدار ابكي	لا ارى الا الطلولا
كيف نبكي لأناس	لا يملون الذميلا
كلما قلت اطمانت	دارهم صاحوا الرجيلا

كان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال له :
والله ما أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني ، فإني قد عرفت تسترك ، فسجد
وجعل يقول في سجوده « اللهم سترك » فمات .

اسميك سعدى في نسبي تارة	وأونة اسما وأونة لبني
حذاراً من الواشين أن يسمعوا بنا	والا فمن سعدى لديك ومن لبنا

الفصل السادس والعشرون

يا مخلوعاً قد فتن ، يا مغروراً قد غبن ، من لك إذا سوى عليك
اللبن ؟ في بيت قط ما سكن ، سلب الرفيق نذير والعامل فطن .

أنت في دار شتات	فتأهب	لشتاتك
واجعل الدنيا كيومٍ	صمته	عن شهواتك
وليكن فطرك عند	الله في يوم	وفاتك

إياك والدنيا فإن حب الدنيا مبتوت ، واقنع منها باليسير فما يعز
القوت ، يا قوت الندم يغني عن الياقوت ، لإحذر منها فلإنها أسحر
من هاروت وماروت ، ليس للماء في قبضة ممسك ثبوت (وإن أوهن
البيوت لبيت العنكبوت) (١) أين من جمع المال وملاً التخوت ، تساوي
تحت اللحد السادات والتخوت ، ما نفعه إن جال في البأس جالوت
ولا رد عنه إن طال القوم طالوت ، ولا منع أصحابه حلول التابوت ،
لقد أخرج الموت من قعر اليم الحوت ، قل للذين تديرُوا تديرُوا ، أين
البيوت ؟ ، جوزوا على الذين جوزوا ، فقد وعظ الخفوت ، كم مشول
عن عذره في قبره مبهوت ، لقد أنطق الوعظ الصخور الصبوت ، أما
يكفي زجراً أنك تموت ، باذر عمراً في كل يوم يفوت ، قل أنا تائب
إلى كم سكوت ؟ ، قد تعودت منك النفس في المجلس ، النطق بالتوبة
فهي تسخر بالكلام لعلمها أنه على غير أصل ، ولو تيقنت صدق عزمك
لتوقفت عن القول ، هذا العصفور إذا كان على حائط فصحت به لم
يرح فإذا أهويت إلى الارض كأنك تناول حجراً يلحم يمدك فارغة

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

فلم ينفر ، فإذا وضعت يدك على حجر رأي الجدف فر ، يا هذا ، قولك أنا تائب من غير عزم ، نفخ في غير ضرم ، بيض التراب لا يخرج منه فرخ .
أخواني . العمر أنفاس تسير بل تطير ، الأمل منام لا ترى فيه إلا الاحلام ، هذا سيف الموت قد دنا ، فإن ضرب قدنا ، هذا الرحيل ولا زاد عندنا ، إنتهبوا من رقاد الغفلة ، تيقظوا من نوم العطلة ، عرجوا عن طريق البطالة ، إبعدوا عن ديار الوحشة ، الفترة حيفض الطباع ، ووقوع العزيمة ، روية النقا فحينئذ يتوجه الخطاب بالتوجه إلى محراب الجدد ، أول منازل الآخرة القبر ، فمن مات فقد حط رحل السفر ، وسائر الوري سائر ، من كان في سجن التقي فالموت يطلقه ، ومن كان هائماً في بوادي الهوى فالموت له حبس يوثقه ، موت المتعبدين عتق لهم من استرقاق الكد ورفق بهم من تعب المجاهدة ، وموت العصاة سباء يرقون به لطول العذاب ، من كان واثقاً بالسلامة من جنانية فرح بفك باب السجن ، لما توعد فرعون السحرة بالصلب أساهم أمل لقاء الحبيب مرارة الوعيد (إنا إلى ربنا منقلبون) (١) يا فرعون غاية ما تفعل أن تحرق الجسم ، والركب قد سرى (لا ضير) (٢) من لاحت له منى ، نسي تعب المدرج .

(للمهيار) : (٣)

متى رفعت لها بالغور نار وقرّ بندي الأراك لها قرار (٤)
فكل دم أراق السير منها بحكم الشوق مطلول جبّار (٥)

لا بد للمحجوب من اختبار المحب (ولنبلونكم) (٦) . أسلم أبو جندل ابن سهيل فقيده أبوه ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديدية خرج أبو جندل يرسف في قيده ، فدخل في الصحابة ، فقال سهيل :

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٥٠ .

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها شرف المالقي القناني ، أنظر ديوان شعره ٦/٢ .

(٤) الغور وذو الأراك : إسم موضعين .

(٥) الجيار : المدر .

(٦) سورة البقرة الآية ١٥٥ وسورة محمد الآية ٣١ .

هذا أول من أفاضيك عليه ، فاستغاث أبو جندل : يا معشر المسلمين ،
أرد إلى المشركين ، فيفتنوني عن ديني ، فقال الرسول : لا بد من
الوفاء ^(١) فرد إليهم ، فقدمه يسعى نحوهم وقلبه يجهز جيوش الحيل ،
في الخلاص .

(للمهيار) : (٢)

أندرتني أم سعد أن سعدا دونها ينهد لي بالشر نهذا
وعلى ما صفحوا أو نقموا ما ارى لي منك يا ظبية بدأ

لما أسلم مصعب بن عمير حبسه أهله ، فأفلت إلى الحبشة . ثم قدم
مكة ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلت إليه أمه ،
يا عاق أتدخل بلدا أنا فيه ولا تبدأ بي ؟ فقال ما كنت لابدأ بأحد قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرادت حبسه ، فقال : والله لئن حبستني
لاحرصن على قتل من يتعرض لي ، فركته .

وعاذلين لحوبي في مودتكم يا ليتهم وجدوا مثل الذي أجد
لما أطالوا عتابي فيك قلت لهم لا تفرطوا بعض هذا اللوم واقتصلوا

جمع حبس التعذيب بين بلال وعمار ، مصادرين على بذل الدين
فزوروا نطق عمار على خط قلبه ، فلم يغرفوا التزوير ، وأصر بلال
على دعوى الإفلاس فسلموه إلى صبياتهم في حديدة يصهرونه في
حر مكة ، ويضعون على صدره وقت الرمضاء صخرة ولسان محبته يقول :
بعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللشوق ما لم يبق مني وما بقى

واعجبا ، إيلام ذو حس على عشق يوسف ؟

قدم الطنيل بن عمر والدوسي مكة فقالت له قريش : لا تدن من محمد

(١) قال صل الله عليه وسلم : إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك
وأعطونا عهد الله وإنما لا نغدر بهم ، راجع سيرة ابن هشام ٢ / ٣١٨ .

(٢) مطلع قصيدة بنى ، فيها الوزير أبا المعالي بالنيروز ، أنظر ديوان شعره ١ / ٣٢٢ - ٣٢٦

فإننا نخاف أن يفتنك ، فسد أذنيه بقطنتين ثم تفكر ، فقال : والله ما يخنى
على الحسن من القبيح : فانطلق فسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم .

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق
قطعت قريش لحم خبيب ، ثم حملوه إلى الجذع ليصلب : فقالوا :
أنجب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن
محمداً شيك بشوكة ، ثم نادى واحمداه . (١)

ان في الاسر لصبا دمعه في الخد صب
هو بالروم مقيم وله بالشام قلب

لما بعث معاذ إلى اليمن ، خرج الرسول يودعه : ودموع معاذ ترش
طريق الوداع .

ولما تزايلنا من الجزع وانتأى مشرق ركب مصعد عن مغرب
تبينت أن لا دار من بعد عالج تسر وان لا خلة بعد زينب
كانت الدنيا بمثلهم عسلاً فتعلقمت بمثلكم ، خلت الديار من
الاحباب فلما فرغت ردم الباب .

(للنايعة) :

وقفتُ فيها أصيلاً كي (٢) أسألها
أضحت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا
أعيت (٣) جواباً وما بالربع من أحدٍ
اخنى عليها الذي أخنى على لُبْدٍ

حن ببعض أنديتهم ونادبها ، وابك فقد الاحباب ونادبها .

(للبحري) :

إذا جزت بالغور اليماني مغرباً وحاذتلك صحراء الشواجر ياسعد
فناد ديار العامرية باللسوى سقت ربعك الانواء ما فعلت هند

(١) أنظر قصته في يوم الرجيع ، سيرة ابن هشام ٢ / ١٧٢ .

(٢) وفي ديوانه « أصيلاً لا » تصغير أصلان جمع أصل للعدد الكثير . ص ٢ .

(٣) وفي الديوان « عيت » بحذف الألف .

الفصل السابع والعشرون

إن الدنيا مذ أباتت محبها أباتت حالها ، لقد روت وما روت ،
فارت مآلها ، لقد عرف ادبارها من قد ألفت إقبالها ، وما اطمأنت
أرضها . إلا زلزلت زلزالها .

قل لمن فاخر بالدنيا وحامي قتلت قبلك ساماً ثم حاماً
ندفنُ الحِلِّ وما في دفننا بعده شك ولكن نتعامى
ان قدامك يوماً لو به هددت شمس الضحى عادت ظلاماً
فانتبه من رقدة اللهو وقم وانف عن عين تماديك المناما
صاح صبح بالقبر يخبرك بما قد حوى وأقرأ على القوم السلاما
فالعظيم القدر لو شاهدته لم تجد في قبره الا العظاما

تالله لقد ركض الموت فاسرع في الركض ، بث الجنود
وطبق الارض : ما حمل على كتيبة إلا وفض ، ولا صاح بجيش إلا جاش
وارفض ، ولا لوح إلى طائر في البرج إلا انقض ، إذا تكلمت قوسه
بالنبض أسكنت النبض ، بينا الحيوة تعرب بالرفع جعل الشكل
الخنض . أين مصون الحصون ؟ أزعج عنها ، أين مقصور القصور ؟ اخرج
منها ، نقله هادم اللذات نقلاً سريعاً ، ومقله في بحار الآفات مقلماً
فظيحاً ، وفرق بينه بالبين وبين بنيه ، وطرقه بطارق التقض فأنتقض ما
كان بينه ، لقد ولي ولاء ذي ود ينفعه ، وبان فبان لباني الدنيا مصرعه ،
هجره والله من هاجر إليه ، ونسيه نسيه وقد كان يخنو عليه ، فلا
صديقه صدقه في مودته ، ولا رفيقه أرفقه في شدته ، حلوا والله بالبلاء
في البلى ، وودعهم من أودعهم ثم قلى ، وانفردوا في الاخذود
بين وحش الفلا ، وسالوا الإقالة فقيل : أما هذا فلا : لو نطق الموتى

بعد دفنهم لندموا على غيهم وافنهم ، ولقالوا : رحلنا عن ظلم شرورنا
إلى ظلم قبورنا ، واخلونا عن الاخلاء بترابنا في آفات لا ترى بنا ،
أفترى محبنا إذ ظعننا ، بمن اعتاض عنا ؟

وهذا مصيرك بعد قليل ، فتأهب يا مقيم للتحويل ، يا سليما يظن أنه
سليم ، جوارحك (١) جوارحك ، سور تقواك كثير الثلم ، وأعداؤك
قد أحاطوا بالبلد ، ويحك ، قبل الرمي تراش السهام ، وبين العجز
والتواني ينتج التوى ، يا قالي القائل للنصائح إداؤك داؤك ، كيف
تجتمع همتك مع غوغاء المنى وضوضاء الشهوات ، كيف تتصرف
في مصالحك والشواغل (٢) للشوي غل ، كم صادفت الهوى فصدفت ؟
لقد خدع قلبك الهوى فاسترق (٣) فاسترق ، اضرمًا عليك سوء
تدبيرك ، آه للابس شعار الطرد وما يشعره وأسفًا ، المضروب
ما يحس صوت الشوط ، عجباً لمن أصيب بعقله وعقله معه ، يا معثر
الاقدام مع إشراق الشمس ، يا فارغ البيت من القوت في أيام
الحصاد .

أملي من أملي ما ينقضي	وغرامي من غرامي قاتلي
كلما أفنيتُ عاماً فاسداً	جاء عامٌ مثله من قابل
كلما املت يوماً صالحاً	عرض المقدور لي في أملي
وارى الايام لا تُدني الذي	ارتجى منك وتدني أجلي

يا جرحى الذنوب قد عرفتم المراهم ، إخرجوا من قصر مصر
الهوى وقد لاحت مدينة مدين ، إطلبوا بئر الشرب وإن صد الرعاء
فلعل حضور موسى يتفق ، متى استقامت لكم جادة البكاء فلا تعرجوا
عنها كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصل يبيكان الدم .

(١) الأول بمعنى الأعضاء والثانية بمعنى الآلات الجارحات .

(٢) الأول جمع شاغله والثانية مركبة من الشوي وهي اليدان والرجلان والأطراف ومن
الغل بضم الغين للقيد المعروف .

(٣) الأول من الإستراق . والثانية من الإسترقاق

قولوا لسكان الحي تبدل الدمع دما
وكل شهد بعدكم قد صار مرأ علقما

إذا تكاثفت كثران الذنوب في بوادي القلوب ، نسفها نسف أسف
في نفس ، يا أهل الزلل قوموا نفس أنفسكم فقد جمع قسر القهر ،
بين الناقص والتام لقد تاب الله على المؤمنين (وعلى الثلاثة الذين
خُلِقُوا) (١)

لست وان أعرضتم أياس من أن تعطفوا
فلا برى وجدني بكم ولا أفاق الشغف
وصبر يعقوب معي حتى يرد يوسف

يا من كان له وقت طيب وقلب حسن ، فاستحال خله خمراً ،
إبكِ على ما فقدت في بيت الاسف .

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجدان يظني نجى البلايل

ما أحسن ما كنتَ فتغيرت ، ما أجود جادتك فكيف تعثرت

وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور

البكاء على الفايث معول الحزين .

(لابي تمام) :

وانجدم من بعد آهام داركم فيا دمع انجدمني على ساكني نجد
لعمري قد اخلقتم جدة البكا عليّ وجددتم به خلق الوجد

يا معاشر المطرودين عن صحبة أهل الدين .

تعالوا نقم ماتماً للفراق ونندب اخواننا الظاعينا

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٨ .

هلموا نرق دمع تأسفنا على قبج تخلفنا ، ونبعث مع الواصين
رسالة محضر لعلنا نخطى بأجر المصيبة ، انجع المراهم لجراحات الذنوب
البكاء ، هتكة الدمع ستر على الذنب .

قد كنت أصون دمعتي في الاماق سترأ للحب وهو ما ليس يطاق
حتى صاح الوجدهن صحيح الأشواق ما حيلة من بلى بمهجر وفراق

كان محمد ابن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية من
القرآن أبكتني (وبدآ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) (١) كيف
لا تذهب العيون من البكاء ؟ وما تدري ما قد أعد لها .

سبقت السعادة لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل كونه ، وهضت
الشقاوة لابي جهل قبل وجوده ، وخوف العارفين من سوابق الاقدار
قلقل الارواح هيبة (لا يسئل) (٢) . مع تحكم (ولو شئنا لآتيننا
كل نفس هنداها) (٣) قوي قلق العلماء .

أترى سألوا لما رحلوا	ماذا فعلوا ام من قتلوا
أحليف النوم اقل اللوم	فعندي اليوم بهم شغل
ادنى جزعي لم يبق معي	قلب فيعي منذ احتملوا
جلدي سلبوا جسدي نهوا	كمدي وهبوا كبدي تبلوا
لما ذرفت عيني وقفت	أترى عرفت ما بي الابل
ولحا اللاحي وهو الصاحي	وهو راحي وأنا الثمل

(٣) سورة السجدة ، الآية ١٣ .

(١) سورة الزمر ، الآية ٤٧ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٣ .

الفصل الثامن والعشرون

تيقظ لنفسك يا هذا وانتبه ، واحضر عقلك وميز ما تشتهه ،
أما هذا منزلك اليوم ؟ وغداً نلت به .

إذا ما انجلى الرأي فاحكم به ولا تحكمن بما يشبهه
ونبه فؤادك من رقدة فان الموفق من يتبّه
وان كنت لم انتبه بالذي وعظت به فانتبه انت به

لقد أمكنت الفرصة أيها العاجز ، ولقد زال القاطع وارتفع
الحاجز ، أين الهمم العالية وأين النجايز (١) ؟ أما تخاف هادم اللذات
والمنى الناجز ؟ أما اعوجاج القناة دليل على الغامز ؟ أما الطريق طويلة
وفيها المفاوز ، أما القبور قنطرة العبور فمن المماز ، أما يكفي في
التنغيص حمل الجنائز ؟ أما العدو محارب فهل من مبارز ؟ أما الامن
بعيد والهلك ناشز ، والقنا مشرع والطنن واخز ، تالله تطلب
الشمجاعة من بين العجايز ، وتروم لإصلاح فارك وتقويم ناشز ، إن
لم يكن سبق الصديق فلتكن توبة ماعز (٢) ، ما هذه الغفلة والبلى
مصيرك ! وكم هذا التواني فلقد أودى تقصيرك ، أما صاح بك في سلب
نذيرك ، أفلا تتأهب لقدساء تدبيرك .

إبْ يا شارذ الطبع مسن سفر الهوى ، وأذب جامد الدمع بنيران
الاسى : لعل شفيح الإعتراف يسئل في أسير الإقتراف ، نق عينيك
من عيوبك ، وخلص ذنوبك (٣) من بحر ذنوبك ، وصن صندوق

(٣) دلوك .

(١) جمع نجيزة . وهي الطبيعة .

(٢) هو الذي جلد ثم تاب في صدر الإسلام .

فمك بقفل صممتك ، واطو طيلسان لسانك عن بذلة نطقك ،
واغمض عينك عن عيبك حفظاً لدينك ، واكفف كفك مكثفياً
بما كفك ، وابن منبر التذكير لواعظ القلب في ساحة الصدر ، وناد
في شجعان العزائم ورهبان الفكر ، هلموا إلى عقد مجلس الذكر ،
واحذر عين العدو أن يوقع تشتيت الهم في جمع العزم ، فإن رماك
القدر بسهم الفتور عن قوس الحكمة من يد « لكل عامل فترة »
فاتق بجنة الإعتذار ، فإن ألقى كرة قلبك إلى صوبخان التقلب في
بيداء « المؤمن مفتن » فجل في ميدان الدل فإن دب ذئب الهوى
فعاث في مزرعة التقى فأقم ناطور القلق ، فإن أفلت دجال الطبع
فأقام صليب الزلل واطلق خنزير الشره فالجأ إلى حرم التوبة
واستغث بعيسى العون لعله ينزل من سماء اللطاف فيهلك الدجال
ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، إجلس ليلة على مائدة السخر وذق
طعام المناجاة تنسيك كل لذة ، أرواح الاسحار لا يستشققها من
كوم غفلة ، إنها لتأتي باللطاف الحبيب ثم تعود فيحاء تطلب رسالة ،
فمن لم يكتب كتاباً فماذا يبعث ؟ ، لو وقفت على جادة التهجد ليلة
لرأيت ركب الاحباب لو سرت في أعراض القوم لحرك قلبك صوت
الحدادة ، أقبلت رياح الاسحار فاحتشمت تقبيل أقدامهم ، وذكت
أذيال أثوابهم .

(للشريف الرضى) : (١)

وامستِ الرِّيحُ كالغُيرى تجاذبنا على الكئيبِ فضولَ الرِّيطِ واللِّمِّ (٢)
يشي بنا الطيبُ أحياناً وآونةً يُضِيئنا البرقُ مجتازاً على أضمِّ (٣)
يُولعُ الطلُّ بُردَينا وقد نسمت رويحةُ الفجرِ بين الضالِّ والسلمِ (٤)

(١) أنظر الديوان ٢ / ٢٧٤ .

(٢) الرِّيط ، جمع ربطة : ملاءة من نسج وكل ثوب رقيق ، واللِّم جمع لمة : الشعر
المجاوز شحمة الأذن .

(٣) أضم : واد فيه المدينة المنورة .

(٤) يولعه : يجعل فيه لمع البياض ، الضال والسلم : من الشجر .

حديث القوم مع الدجى يطول ، يسبحون في فلات خلواته ،
يندبون أطلال الحب ويرتاحون إلى تنسمة لشدة الطرب .

واني لاستنشي الشمال اذا جرت حيننا إلى آلاف قلبي واحبابي
واهدى مع الريح الجنوب اليهم سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي

واعجباً الرسايل تحمل في الاسحار ، لا يدري بها الفلك ، والاجوبة
ترد إلى الاسرار لا يعلمها الملك .

يا حبذا رند العقيق وبأنه سقى العقيق واهله وزمانه
راقت خمائله ورق نسيمه وصفت على عصبائه غدرانه
وشكت تباريح الصباة ورقه وتمايلت بيد الصبا أفئانه
يا مفرداً في حسنه صل مفردا في حزنه لعبت به أشجانه
صباً اذا ذكر العقيق واهله صابت مدامعه وجن جنانه

إجتمع المحبون في مساجد التعبد أول الليل ، فرماهم الوجد في
آخره على قوارع الطرق .

مشوا إلى الراح مشى الرخ فانصرفوا والراح تهشي بهم مشى الفرازين

أرواح أزعجها الحب ، وأقلقها الخوف ، سبحان من أمسكها
باللطف .

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا ماتوا وإن عاد من يهونه بعثوا
ترعى المحبين صرعن في ديارهم كفتية الكهف يدرون لا كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم موتى من الحب أو قتلى لما حثوا

مجلسنا بحر ، يرده الفيل والعصفور (١)

كل اناس مشربهم اطيوار
صناعتها في الجو بالقلب .

(١) محو في الأصل بمد هذه الفقرات الثلاثة .

فأين الطروب ، سحائب التفهيم قد هطلت بودق البيان ، افتراها
 أنحضرت رياض الاذهان ؟ ، نحن في روضة طعامنا فيها الخشوع
 وشرابنا فيها الدموع ونقلنا هذا الكلام المطبوع ، نداوي أمراضاً
 أعجزت بنخيشوع ، وورقى الهاوي وورقى الملسوع ، فليتة كان كل
 يوم لا كل أسبوع .

(لصدر) : (١)

يا صحابي وأين مني صحي
 كلمات (٢) اسماؤهن استعارات
 أرني ميتة تطيب بها النفس
 لا تزل بي عن «العقيق» ففيه
 لا رعبت السوام ان قلت للصحة
 فتننتهم (٢) عيون ذلك السرب
 وما هن غير طعن وضرب
 وقتلا يلدن غير الحب
 وطري ان قضيتته أو نخي
 خفي عني وللعيس : هبي

وحدي أتكلم ، وجدي يتألم ، ألا مريد يتعلم ؟ ألا دموع
 تتسلم ؟

(لابن المعلم) :

هو الحمى ومغانبه معانيه
 ما في الصحاب اخو وجد تطارحه
 اليك عن كل قلب في أماكنه
 يوهي قوى جلدي من لا أبوح به
 يبلى فما في لساني ما يعاتبه
 فاحبس وعان بليلي ما تعانیه
 حديث نجد ولا صب تجاربه
 ساه وعن كل دمع في مآقيه
 ويستبيح دمي من لا أسميه
 ضعفا بلي في فؤادي ما يداريه

(١) قاله في مدح الوزير أبي نصر محمد بن محمد بن جهير ويهنته بيد الأضحى والمهرجان ،

أنظر الديوان ص ٩٣ .

(٢) في الديوان « صرعتهم » .

(٣) في الديوان « لحظات » .

الفصل التاسع والعشرون

أخواني ، تفكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا ، صيرهم
أين انطلقوا ؟ واعلموا أن القوم انقسموا وافترقوا ، قوم منهم سعدوا
ومنهم قوم شقوا .

والمرء مثل هلال عند طلعه
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه
كان الشباب رداءً قد بهجت به
وبات منشمرًا يحدو المشيب به
عجبتُ والدهرُ لا تفتي عجائبهُ
وطال ما نغصوا بالفجع ضاحية
دار تغر بها الآمال مهلكة
يا للرجال المخدوع بزخرفها
أقول والنفس تدعوني لباطلها
أين الدين الى لذاتها ركنوا
أمست مساكنهم قفرا معطلة
يا أهل لذات دار لا بقاء لها
يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسق
كر الحديدين نقصاً ثم ينمحق
فقد تطاير منه للبلبي خرق
كالليل ينهض في اعجازه الفلق
للاكتين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطال بالفجع والتنغيص ما طرقوا
وذو التجارب فيها خائف فرق
بعد البيان ومغرور بها يثق
أين الملوك ملوك الناس والسوق
قد كان فيها لهم عيش ومرتفق
كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
ان اغتراراً بظل زایل حمق

أين من كان في سرور وغبطة ؟ أين من بسط اليد في بسيط البسطة ؟
لقد أوقعهم الموت في أصعب خطة ، جسروا على المعاصي فانقلبت على
الجيم النقطة ، بينهم في الخطأ خطأ إليهم صاحب الشرطة ، هذا دأب
الزمان فان صفا فغلطة ، كم تخون الموت منا اخوانا . وكم قرن في
الاجداث اقرانا ، كم مترف ابدله الموت ديدانا ، وهذا أمر إلينا قد
تداني . كم معد عوداً لعيده ؟ صارت ثيابه أكفانا . وما شاهدنا

مصرعها وما كفانا * كم مسرور بقصره عوض من قبره أعطانا *
افتراناً ، هذا الأمن ، من أعطانا ؟

لنمنا وصرف الدهر ليس بنائم خزمنا له قسراً بغير خزائم

من سعى إلى شهواته مستعجلاً تعثر بحسك الاسف * تلمح العواقب
قبل الفعل أمان من الندم ، قد عرفتم عقابيل قاييل وعلمتم حسن
سراييل هابيل :

الشرى يوجد في أعقابه ضرب خير من الارى في أعقابه لسع

الهوى مطمورة ضيقة في حبس وعر « ومذ خلق الهوى خلق الهوان »
لا يتصرف الهوى الا بربع قلب فارغ من العلم ، الجهل خندق يحول
بين الطالب والمطلوب والعلم يدل على القنطرة ، كتابة العلم في ليل
الجهل تفتقر إلى مصباح فطنة ودهن الذهن غال ، ما قدر لص قط
على فطن ، ومتى نام حارس الفكر انتبه لص الهوى ، من ثبت قلبه
في حرب الشهوات لم يتزلزل قدمه ، أول ما يهزم من المهزوم عقله ،
ما دمت في حرب العدو فلا تبال بالجراح * فانه قد يصاب الشجاع ،
انما المهادنة دليل الذل ، تأثيرات الذنوب على مقاديرها ، وقعت غلطة
من يوسف فقد القميص وقويت زلة آدم ، فخرج عريانا من الثياب *
أين عزيمة توبة ما عز ؟ لا عزيمة توبة^(١) * أين هم أويس لا غم
قيس^(٢) * ما لم يكن لك محرّك من باطنك فالخلق تضرب في حديد بارد .

(لصردر) :

ظلت أكر عليه الرقي وتأبى عربكته أن تلتينا

ويحك ، من زم جوارحه ولازم الباب كان على رجاء الوصول *
فكيف بمن لازم ولا لازم * طوبى للزهاد لقد مروا في المطلق * من

(١) أراد به توبة الحميري صاحب ليل الأخيلية .

(٢) أراد به قيس بن الملوّح صاحب ليل العامرية .

يرافقني إلى ديار القوم ؟ ما أجوز على البلدان إنما امضى على السماوة •
وهذه خيام ليلى فأين ابن الملوح :

هذي منازلهم ومالي بعدُ بعد القوم خبر
ويلى احطى كله من دونه صد وهجر

كان سري يدافع أول الليل فاذا جن أخذ في البكاء إلى الفجر :

اقطع ليلى وجيش وجدي من عن شمالي وعن يميني
تالله لو عادني رسول لعاد عن مدنف حزين
ما حيلتي فيك أغبير أني أسرق من زفرتي أنيني

ذلوا له ليرضى • فاذا رأيتهم قلت مرضى .

(للصدر) (١) :

مرض بقلب (٢) ما يعاد وقتيل حب ما يقاد
يا آخر العشاق ما ابصرت أولهم يذاد
يقضي المتيم منهم نخباً ولو ردوا لعادوا

يأنسون في الدجى بالظلام ، ويطربون بنوح الحمام ، مرضى الابدان
من طول الغرام ، أصحاب القلوب مع السقام ، اذا ذكرت حبيبهم
رأيت المستهام قد هام .

(للمهيار) (٣) :

وانت ان كنت رفيقاً فأعد ذكر الحمى اطيب ما غنينا
أعد فمّن آية سكان الحمى وذكرهم أن يذهب الشجونا
شجواً كشجوى يا حمام ساعدي ان الحزين يسعد الحزينا
كم من دموع ردها صوب دم تخلج البرق على بيرينا

(١) كتب به إلى الشريف أبي جعفر البيضاوي يداعبه ، أنظر الديوان ص ١٥٨ .

(٢) في الديوان « بقليل » .

(٣) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة ، الديوان ٤ / ٩٣ .

قال الشبلي : لقيت جارية حبشية، فقلت : من أين ؟ فقالت : من عند الحبيب * قلت : وإلى أين؟ قالت : إلى الحبيب * قلت : ما الذي تريد من الحبيب؟ قالت : الحبيب * قلت : فكم تذكرون الحبيب؟ فقالت : ما يسكن لساني عن ذكره حتى القاه :

وحرمة الود ما لي عنكم عوض . و ليس لي في سواكم بعدكم غرض
ومن حديثي بكم قالوا به مرض . فقلت لا زال عني ذلك المرض

رأى معروف في المنام كأنه تحت العرش * فقال الله عز وجل :
ملائكتي من هذا؟ فقالوا : أنت أعلم ، هذا معروف قد سكن من حبك ،
فلا يفيق الا بلقائك :

فداو سقماً يجسم أنت متلفه . و ابرد غراماً بقلب أنت مضرمه
ولا تكني على بعد الديار إلى . صبري الضعيف فصبري انت تعلمه
تلق قلبي فقد أرسلته فرقا . إلى لقائك والاشواق تقدمه

الفصل الثلاثون

اخواني ، البدار البدار * والجد الجد ، فالخصم معد * والقصم مجد :

مكر الزمان علينا غير مأمون
بل المخوف علينا مكر أنفسنا
ان الليالي والايام قد كشفت
وحدثنا بأننا من فرائسها
واستشهدت من مضي منا فانبانا
وام سوء اذا ما رام مرتضع
ونحن في ذاك نصيفها مودتنا
نشكو الى الله جهلا قد أضّر بنا
اغوى الهوى كل ذي عقل فلست ترى
حتى متى نشري دنيا بأخرة
نبي المعامل والاعداء كامنة
ونجمع المال نرجو أن يخلدنا
نظل نستفق الاعمار طيبة
وما تأخر حسي بعد مية

فلا تظن أمراً غير مزنون
ذات المنى دون مكر البيض والحنون
من مكرها كل مستور ومكنون
نواطقاً بفصيح غير ملحون
عن ذاك كل لقي منا ومدفون
أخلافها صد عنها صد مزبون
تباً لكل سفیه الرأي مغبون
بل ليس جهلا ولكن علم مفتون
الا صحيحاً له أفعال مجنون
سفاهه ونبيع افوق بالدون
فيها بكل طرير الحد مسنون
وقد ابى قبلنا تخليد قارون
عنها النفوس ولا نسخر بما عون
الا تأخر نقد بعد عربون

يا من دعى إلى نفعه نبا ونشر ، يا جامعاً لغيره ما جمع وكثر ، يا
مثبطاً في الخير فاذا لاح الشر جمز ، كأنك بالالم وقد الم ، فنكى
ونكز (١) ، وكذ التبار (٢) الروح بالتباريح ، واشتد العلز (٢) وأخذ النفس

(٢) الذلق والهاع والخفة التي تصيب المريض

(١) نكس .

(٢) الهلاك من تبر هلك .

النفس فاضطرها وحفز ، ودارت في فلك القوت فاذا ملك الموت قد برز ، فسماك بالمقبور وبالمشهور قد نبز ، فتأهب فالسعيد منا من تأهب للخير وانتهز ، لقد علت سنك وانتهيت . وما انتبهت ولا انتهيت * اتعبت الف رايض ولم تؤد الف رايض .

كم ضيبت عمراً طويلاً حملت فيه وزراً ثقيلاً * كم نصب لك الموت دليلاً اذ ساق العزيز ذليلاً ، لقد حمل إلى القبور جيلاً جيلاً ، ونادى في الباقيين رحيلاً رحيلاً ، لكن الهوى أعاد الطرف كليلاً ، وما كان الذي رأيت قليلاً ، يا مرضاً عجيباً كم أتعبت طبيياً ، لقد تنوع ضروباً فأخذ كل عضو نصيباً الام يبقى الغصن رطيباً ؟ من يرد برد الصبي قشيباً ، لقد أمسى الموت قريباً وستبصر يوماً غريباً .

عجباً لك ، لا الدهر يعظك ولا الحوادث تنذرك والساعات تعد عليك والأنفاس تعد منك ، وأحب امريك إليك * أعودهما بالضرر عليك .

يا هذا ، من جلا بصيرته من قذى الهوى جلى على بصره عرائس الهدى * الصور تراحم المعاني فمن حلها حل بمغنى المعنى فتعلم حلها بالتدرج * كل ذرة من الكون تخبر بلغة بليغة عن حكمة الفاطر ، غير أنه لا يفهم نطق الجوامد إلا العقل نظر الابصار اليوم إلى الصانع بواسطة المصنوع تدرج إلى رفع الوسائط غداً ، يا محبوساً في سجن غفلته أخرج من ديار ادبارك واعبر في معبر اعتبارك ، قف على بعض بقاع قاع ترى كيف نمت خضرة حضرته بأسرار الخالق اذ تمت * تلمح أصناف النبات في ثياب الثبات قد برزت في عيد الربيع تيمس طربساً بالري ، تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد فان صباغ القدرة صناع * اسمع غناء الورق ، على عيدان^(١) العيدان * لعل مقاطع السجوع توجب رجوع المقاطع :

ولقد تشكو فما أفهمها ولقد اشكو فما تفهمني

(١) الأولى جمع عود لآلة الغناء والثانية كذلك للغصن .

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

الحمائم نوائح المشتاقين قد رضيت من خلعهم بجران الدموع :

ناحت سحراً حمامة في غصن قد جرعتها الفراق كأس الحزن
تبكي شجناً تلقته مني ما يبكي بك إلا وبروي عني

واعجباً ، متى يثمر لك وجود الثمر معرفة النعم * كم تنضج الثمار
وتتناولها وثمره عرفانك بعد فجة * ليس حظك من النبات إلا الأكل *
أين التدبير لعجيب الصنعة والصنع * يا مؤثراً ضنك الحس ، على فضاء
العقل * كيف تبيع صفاء للتأمل بكدر الإهمال ؟ من العجب أن
ندعوك إلى تلمح العبر في الغير وأنت ما تبصر نفسك ، تدبر قطرة
قطرة من ماء * صبت على إيقاد نار الشهوة * كيف ظهرت فيها عن
حركات اللذة ؟ رقوم نقوش عقدتها يد القدرة * كما تظهر الصورة في
ثوب السقلاطوني^(٢) عن حركات الشد .

تأمل نطفة مغموسة في دم الحيض ، ونقاش القدرة يشق سمعها
وبصرها من غير مساس * كيف تربي في حرر مصون عن مشعب ، بينا
هي ترفل في ثوب نطفة اكتست رداء علقه * ثم اكتست صفة مضغة ، ثم
انقسمت إلى عظم ولحم * فاستترت من يد الأذى بوقاية جلد * ثم
خرجت في سربال الكمال تسحب مطارف الطرائف * فبينما هي في
صورة طفل درجت درجة الصبي * فتدرجت إلى النطق وتشبثت بذيل
الفهم * فكم من صوت بين أرجل النقل من تحريك جلاجل العبر *
في خلاخل الفكر ، كلما رنت غنت السن الهدى في مغاني المعاني * وكيف
يسمع اطروش الغفلة ؟ هذا بعض وصف الظاهر ، فكيف لو فهمت معنى
الباطن ؟ الأدمى كتاب مسطور * وشخصه رق منشور * قلبه بيت معمور *
همه سقف مرفوع * علمه بحر مسجور * من ينتفع بأسماعكم بعدي ؟ وما
تحسن الايام تكتب ما املى .

(١) منسوب إلى سقلاطون بلد بالروم .

المصل الحادي والثلاثون

يا جامعاً المال لغيره • تاركاً للتزود في سيره • أمحطى بشر كسبك ،
ويحصل سواك بخيره :

سابق إلى مالك ورائه ما المرء في الدنيا بلباث
كم صامت يخنق أكياسه قد صلح في ميزان ميراث

أين جامع الدنيا؟ طرحها واطرح • أين اللاهي بها؟ حزن بعد أن فرح •
جال في وصف الحرب عنها فاغتيل وجرح • وظن الأمر سهلاً فاذا
الرجل قد ذبح • بينا هو في لذاته يفتيق ويصطبح برح به أمر مرهل ،
فما برح نزل والله لحدأ ضيقاً فما ينفسح ، وصمت تحت الثرى فكأنه
لم ينطق ولم يصح ، وكتب على قبره ما أخر خسر ، وما قدم ربح •
وعدل إلى قصره بعد الدفن فافتتح ، وأصبحت سهام الوارث في ماله
تنتطح ، يا معرضاً عن الهدى والأمی متضح ، أو ما حالك كهذا الحال؟
الذي شرح • كأنك بك في ضيق خناقك تبكي على قبيح أخلاقك ،
وحبل الدموع تجري في حلبات آماقك ، وقد تجيرت عند التفاف ساقك
بساقك ، وأسرت لا بقيد عن حركات اطلاقك • وناداك تفرطك : هذا
بعض استحقاقك .

لا تكذبني فاني لك ناصح لا تكذبه
فاعمل لنفسك ما استطع ت فأنها نار وجنة

اخواني ، كم من حريص قد جمع المال جمع الثريا ؟ فرقته الاقدار
تفريق بنات نعش • يا ذا اللب ، حدثني عنك ، اتفق العمر الشريف في
طلب الفاني الرذيل ؟ ويحك ، إن الهوى مرعاد مبراق بلا مطر ، الدنيا

لا تساوي نقل اقدامك في طلبها ، أرابت غزالاً يغدو خلف كلب ؟ الدنيا
مجاز والأخرى وطن ، والأوطار في الأوطان أطوار . ايثار ما يفني على
ما يبقى برسام حاد .

يا أبناء الدنيا انها مدمومة في كل شريعة * والولد عند الفقهاء يتبع
الام * يا من هو في حديثها انطق من سبحان ، وفي انتقاد الدنانير
أنسب من أغفل ، فاذا ذكرت الآخرة فابله من باقل * حيلتك في
تحصيلها أدق من الشعر * وأنت في تديرها أصنع من النحل * وعين
حرصك عليها ابصر من العقاب * وبطن أملك اعطش من الرمل *
وفم شرهك أشرب من الهيم * تجمع فيها الدر جمع الدر * يا رقيقاً
في البله لدود القز * ما انتفعت بموهبة العقل :

كدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غمماً وسط ما هو ناسجه

ويحك ، إن سرورها أقتل من السم ، وإن شرورها أكثر من النمل
لأنها في قلبك أعز من النفس ، وسنصير عند الموت أهون من الارض ،
حرصك بعد الشيب أحر من الجمر ، أبقى عمر ؟ يا أبرد من الثلج ،
يا من هو عن نحاته أنوم من فهد ، ضيقت عمراً أنفس من الدر ،
أنت في الشر أجرى من جواد ، وفي الخير أبطأ من أعرج ، تسعى
إلى العاجل سعي رث ، ويمشي في الاجل مشي فرزان ، الزكوة
عليك أثقل من أحد ، والصلوة عندك كتنقل صخر على ظهر ،
وطريق المسجد في سبحان كسلك كنرسخي دير كعب ، صدرك
عن حديث الدنيا أوسع من البحر ، ووقت العبادة أضيق من
تسعين ^(١) ، معاصيك أشهر من الشمس ، وتوبتك أخفى من السهي ،
إن عرضت خطيئة وثبت وثوب النمر ، فإذا لاحت طاعة رغبت
روغان الثعلب ، تقدم على الظلم أقدام السبع ، وتخطف الامانة
اختطاف الحداة ، يا أظلم من الجلندي ما تأمنك غزلان الحرم ،
يا كنعان الامل ، يا نمرود الخيل ، يا نعمان الزلل ، أنت في حب المال

(١) عند التسعين أن تجعل الأئمل النيابة في أصل الابهام .

شبه الحياحب ، وفي تبذير العمر رفيق حاتم ، تمشي في الامل على طريق
 أشعب ، وستندم ندامة الكسعي ، يا عذري الهوى في حب الدنيا ،
 يا كوفي الفقه في تحصيلها ، يا بصري الزهد في طلب الآخرة ، إنما
 يتعب في تعلم البازي ليصيد ماله قدر ، ولما تعلم بازي فكرك ، أرسلته
 على الجيف .

ويحك تفكر قبل سلوك طريق الهوى ، في كثرة المعائر والصدمات
 أوما المكروهات في طي المحبوبات كوامن ؟ يا مطلقاً نفسه في محظور
 شهواتها ، أذكر الغمس في الرمس ، يا ذا البال الناعم فوق الارض ،
 أذكر الناعم البالي تحتها ، أتلقق ؟ والزمان يفرق ، أتؤلف ؟ والحدثان
 يمزق ، أتصفي ؟ والدهر يرنق ، أتؤمل ؟ والموت معوق ، ويحك إن
 القاصد قاصم ، وما للعاصي عاصم ، أنت في أرباب الذنوب غريق ،
 وفي روم الهوى بطريق ، فاحذر عقاب الاكابر ، يا قليل الخبرة بالطريق
 أطلب رفقة ، إذا لم تعرف القبلة بالعلامات ، ففي المساجد محاريب ، إذا
 رأيت قطار التائين متصلاً فعلق عليه .

أهل	الغرام	تجمعوا	فاليوم	يوم	عتابنا
نعق	الغراب	بيننا	فغرابنا	اغرى	بنا
ان	الذين	نحبهم	قد	وكلوا	بعذابنا
قوموا	بنا	بجياتكم	نمضي	إلى	أحبابنا
قوم	إذا	ظفروا بنا	جادوا	بعق	رقابنا

من مشى إليّ هرولت إليه ، دعوناك بالوسائط فلم تخضر ،
 فأنت المرسل ينزل إلى السماء ، النظر متشابه والذوق محكم .

ولما رأيت الحب قد مد جسره ونودي بالعشاق قوموا بنا فاسروا
 خرجت مع الاحباب كيما احوزه فصادفني الحرمان وانقطع الجسر
 ومالت بنا الامواج من كل جانب ونادى مناد الحب قد غرق الصبر

الفصل الثاني والثلاثون

يا هذا . لو عاينت قصر أجلك لزهدت في طول أملك ، وليقتلنك
ندمك إن زلت بك قدمك .

(للمتنبئ) : (١)

الى كم ذا التواني في التواني ؟ وكم هذا التماذي في التماذي ؟
وما ماضي الشباب بمسرد* ولا يوم* يمر بمسرعار
متى لحظت بياض الشيب عيني فقد وجدته منها في السواد
متى ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازديادِ

الى متى تحرص على الدنيا وتنسى القدر ؟ ، من الذي طلب ما لم يقدر
فقدر ؟ ، لقد أذاك إذ ذاك النصب ، وأوقعك الحرص في شرك
الشرك إذ نصب ، أتحمّل على نفسك فوق الجسد ؟ ولو قنعت أراحك
الزهد فلماذا تحمل ما آذى ولمن ؟ ، ومن ينفعك إن قتلت نفسك يا
هذا ، ومن ؟ ، تحمل على الهم الهم ، لا امر لو قضى تم ، أحرصاً على
الدنيا ؟ لا كانت ، أم شكاً في عيوبها ؟ فقد بانت .

رأيت ظنوني بها كالسراب فأيقنت ان سراي سراي

كم غرت الدنيا فرخها ؟ فعرت ، ثم ذبحته بمدية ما مرت ، إنها
لتقتل صيادها ، وتقتل أولادها .

عزيز على مهجتي غرني وسلم لي الوصل واستسلما

(١) من قصيدة قالها في ملح علي بن إبراهيم التنوخي ، أنظر الديوان ص ٧٨ .

فلما تملكني واحتوى على مهجتي سل ما سلما

والله لو كنت من رياشها أكسى من الكعبة ، لم تخرج منها إلا أعرى
من الحجر الاسود .

قيل لراهب : ما الذي حجب إليك الحلوة وطرده عنك الفترة ؟
قال : وثبة الاكياس من فخر الدنيا .

وقيل لآخر : لم تخلت عن الدنيا ؟ فقال : خوفاً والله من الآخرة أن
تتخلي عني .

من غرس في نفسه شرف الهمة فنبت ، نبت عن الاقدار ، ومن
استقر ركن عزمته وثبت ، وثبت نفسه عن الاكدار .

قد انقضى العمر وانت في شغل فاجسر على الأهوال ان كنت رجل

يا زمن الهمة ، يا مقعد العزيمة ، يا عليل الفهم ، يا بعيد الذهن .

أما اشتقت مغنى الهوى حين طاب ومنبت غصن الصبي حين مالا
أما آن من نازح ان يحسن وللوصل من هاجر أن يدالا

سار المجدون وتركوك ، ونجا المخفون وخلفوك ، نادهم إن
سمعوك ، واستغث بهم إن رحموك .

أيها الراحلون من بطن خيف وركاب النوى بهم تترامى
ان أتيتم وادي الاراك فاهدوا لحبيبي نخبتي والسلاما
وردوا ماء ناظري عوض الغدر ان وارعوا بين الحشى لا الخزامى
ونطلبوا إلى قلبي وآيته ان تجدوا فيه من هواهم سهاما

يا من أبعدته الخطايا عنهم ، أدرج مرحلة الهوى وقد وصلت
أنت تتعلل للكسل بالقدر فتقول : لو وفقني ، ولكسب الشهوات
بالندب إلى الحركة (فامشوا في منّاكيبها)^(١) أنت في طلب الدنيا

(١) سورة الملك ، الآية ١٥ .

قدري ، وفي طلب الدين جبيري ، أي مذهب وافق غرضك ثمذهبت
به ، أو ليس في الإجماع (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا) (١) جسّدك عندنا وقلبك في البيت ، نحن في واد وأنت
في واد .

بكرت صباحاً عواذله	ورسيس الحب قاتله
هوى في واد ولسن به	والهوى عنهن شاغله
يتمنين السلو له	ومناه من يواصله

لا بد والله من قلق وحرقة أما في زاوية التعبد أو في هاوية
الطرد ، إما أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير والشوق إلى لقاء
الحبيب ، وإلا فنار جهنم أشد حراً :

شجاك الفراق فما تصنع	أتصبر للبين أم تجزع
إذا كنت تبكي وهم جيرة	فما ذا تقول إذا ودعوا

الفاق القاق يا من سلب قلبه ، والبكاء البكاء يا من عظم ذنبه .

كان الشبلي يقول في مناجاته : ليت شعري ما إسمي عندك يا
علام الغيوب ، وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟ ، وبم تحم
عملي يا مقلب القلوب ؟ وكان يصيح في جوف الليل : قرّة عيني ،
وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك ؟ ، أقلت هذا فراق بيني
وبينك ؟

هجرائك قاتلي سرعاً	والهجر من الجيب قاتل
ان كنت نسيني فعندي	شغل بك لا يزال شاغل
قلبي يهواك (٢) ليت شعري	ما أنت بذو المحب فاعل
حقاً قد قلت يا حبيبي	قام على قولي الدلائل

(١) سورة فصلت ، الآية ٤٦ .

(٢) هذا البيت وما يليه من الأبيات لا تستقيم وزناً فلتنظر .

تذكي بعظام البلابل
لا يبرح بالبكاء سائل
فجئة القلب في الرسائل
والحزن تهيجه المنازل
لا ابرحه ولا ازايل
بعد الاعراض من اواصل
والجود مقدم الوسائل

شوق وجوى ونار وجد
سائل دمعي فجفن عني
ان جن لي الليل يا حبيبي
ابكي ما كان من وصال
هذا خدي على ثراكم
ان انت طردتني فويلي
كلا والجود لي شفيع

الفصل الثالث والثلاثون

يا من بين يديه الاهوال والعجائب ، وقدماً نوى له الدهر النوائب ،
أما سهم المصائب كل يوم صائب ، أحاضر فتحمل من عتبنا كلا ؟
بل أنت غائب .

وكيف قرّت لأهل العلم أعينهم
والموتُ يندهم جهراً علانية
والنار ضاحية لا بد موردهم
قد أمسّت الطير والانعام آمنة
والادمي بهذا الكسب مرتين
حتى يوافيه يوم الجمع منفرداً
اذ النيون والاشهاد قائمة
وطارت الصحف في الأيدي
فكيف سهوك والانباء واقعة
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له
تهوى بساكنها طوراً وترفعهم
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم
لينفع العلم قبل الموت عالمه

أو استلذوا لذيد النوم أو هجعوا
لو كان للقوم اسماع لقد سمعوا
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
والنون في البحر لن يغتالها فزع
له رقيب على الاسرار يطلع
وخصمه الجلد والابصار والسمع
والجن والانس والاملاك قد خشعوا
منشرة فيها السرائر والابخار تطاع
عما قليل ولا تدري مما يقع
ام الجحيم فلا تبقى ولا تدع
اذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
هيهات لا رقة تنغي ولا جزع
قد سأل قوم بها الرجعي فما رجعوا

يا من عمره يقدر بالساعات ويعد بالانفاس ، يا خل الامل خل
أحاديث الوسواس ، يا طويل الرقاد إلى كم ذا النعاس ؟ ، قد بقي
القليل لا ريب وهذا الشيب يقلع الاغراس ، إن في المقابر عبراً ،
وما أدراك ما الادراس ؟ ، تالله لو سكن اليقين القلب ، لضربت أحماساً

في أسداس ، هل نجد لماضي العمر لذة ؟ والباقي على القياس ، ماذا
التحول في البوار ، وجسر الاذيسال في الحسار ، كأنك لم تسمع بجنة
ولا نار ، لهيب حرصك ما يطفئ ، وشر شرهك ما يخفي ، أترى هذا ؟
على ماذا ، أليس لما إذا ؟ قيل آذى .

أنتَ في طلب الدنيا أحيراً من صب ، تبيت في عشقها أسهر
من صب ، أين ما حلا في الفم وحلى في العين ، ذهب الكل وأنت تدري
إلى أين ، ما أصعب السباحة في غدِير التمساح ، ما أشق السير في
الارض المسبحة ، إن المفروح به هو المحزون عليه ، غير أن عين
الهوى عميا ، طاير الطبع يرى الحبة لا الشرك ، ضيعت سهادك
بسعادك ، رمتك إلى الهند هند ، صيرت نهارك ليلا ليلى ، ويحك
ربات الظلم ظلم ، كم أراق الهوى دماً في دمن ، ويحك دع
سلمى وسل ما ينفعك ، دعة لمثلك ترك دعد للنوى ، وسعادة لك
هجرة لسعاد ، قطع الطمع من خضر الدنيا بموسى الياس ، تجمع
للقلب عزم الخضر وموسى والياس .

يا معشر الفقراء الصادقين قد لبستم حلة الفقر ، فنجملوا بحلية
الكتمان ، إصبروا على عطش الزهد ، ولا تشربوا من مشربة من ، فالخرة
تجوع ولا تأكل بثدييها ، لا تسألوا سوى مولاكم فسؤال العبد غير
سيده تشنيع عليه ، إن الفقير ترك الدنيا إنفة رآها قاطعاً فقاطع ،
جاز على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع ، الانف الاشم
لا يشم رذيلة بينا هو في قطع فياني القناعة ، وقع بكثر ما وجدته
الإسكندر ، فقلبه أغنى من قارون ، وبيته أفرغ من فؤاد أم موسى .
كان إبراهيم ابن أدهم يعطي عطاء الاغنياء وهو فقير ، ويستدين
عليه ثم يؤثر به (للشريف الرضى) : (١)

وهم يُنفذون المالَ في أول الغنى ويستأنفون الصبرَ في آخر (٢) الصبر

(١) قاله يرثي قوماً من عشيرته انقرضوا ، عام ٣٨٣ ، أنظر الديوان ١ / ٥٠٢ .

(٢) في الديوان « أول » .

مغاويرُ في الجليِّ مغايرُ في الحمى (١)
 وتأخذهم في ساعة الجود هزةٌ
 فتحسبهم فيها نشاوى من الغنى
 عظيم عليهم أن يمنوا بلا يدٍ
 إذا نزل الحيِّ الغريبُ تقارعوا
 يميلون في شقِّ الوفاء مع الردى

مفاريحُ للغميِّ مداريكُ للوترِ
 كما خايل المطرابُ عن نزوةِ الخمرِ
 وهم في جلايبِ الحِصاصةِ والفقرِ
 وهينٌ عليهم أن يبيتوا (٢) بلا وفرِ
 عليه فلم يدر المقل من المثري
 إذا كان محبوب البقاء مع الغدرِ

أحكم القوم العلم فحكم عليهم بالعمل ، فقاطعوا التسوييف
 الذي يقطع أعمار الاغمار ، وانتبهوا فانتبهوا الليل والنهار ، أخرجوا
 قوى العزائم إلى الافعال ، فلما قضوا ديون الجلد قضت علومهم
 بالخذل من الرد ، أقدامهم على أرض التعبد قد ألفت الصفون تعتمد
 على سنابك الخنجر ، فإذا أثر عندها النصب ، راوحت بين أرجل الرجاء
 قلوب كالذهب ذهب غشه ، أنفاسهم لا تخفى ، نفوسهم تكاد تطفى ،
 لون المحب غماز ، دمع المشوق تمام .

اخفي كدي ودمع عيني في الخد على هواك شاهد
 فالجنن بلوعي مفر للعاذل واللسان جاحد

إشدد الخوف يوماً بإبراهيم بن أدهم ، فسأل الراحة فعوتب .
 لو شئت داويت قلباً انت سقمه وفي يدك من الباوى سلامته
 علامة كتبت في خد عارفكم من كان مثلي فقد قامت قيامته

ضجت الناقة لثقل الحمل ، رأت عظامها قد فرغت ففرغت
 فم الشكوى فرغت .

يا حادي العيس قد براها حمل هموم لها عظام
 رفقاً بها انها جلود ملصقات على عظام

(١) في الديوان « الحمى » .

(٢) في الديوان « يبيتوا » .

أشواقها خلفها وشوقي وخلاف أشواقها أمامي

تمادى في قلب العارف جبل الخوف وجبل الحزن ، فلما وصل
إسكندر الفكر عبي زبر الهموم ، حتى إذا ساوى بين الصدفين
صاح بجنود الفهم . إنفخوا ، فاستغاث الواجد لتراكم الكرب .

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد روحها أو تشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
لان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس مكروب تجلت همومها

الفصل الرابع والثلاثون

أخواني ، رحيل من رحل عنا نذير لنا عنا ، وما جرى على من
تقدمنا وعظ لنا .

(للشريف الرضى) : (١)

ما أسرع الأيامَ في طيننا
في كل يومٍ أملٌ قد نأى
اندرنا الدهرُ وما نرعوي
تعاشياً والموت في جده
والناس كالاجمالِ قد قُرِّبتُ
تذنو إلى العشبِ ومن خلفها
ابن الأولى^(٢) شادوا مبانيم
لا مُعدِمٌ يحميه إعدامه
كيف دفاعُ المرءِ أحداثها
حط رجالٌ وركبنا الذرى
والحازم الرأي الذي يَغْتَدِي
لا يَأْمَنُ الدهرَ على غيرةٍ
كم غارسٍ أملٌ في غرسه

تمضي علينا ثم تمضي بنا
مرامه عن أجلٍ قد دنا
كأنما الدهر سوانا عنا
ما أوضح الامرَ وما ابيننا
تنتظرُ الحي لان يظعنا
مقامرٌ يطردها بالقنا
تهدموا قبل انهدامِ البنا
ولا يقي نفسَ الغيِّ الغينى
فرداً وقرانُ الليالي ثني
وعقبةُ السير لمن بعدنا
مُسْتَقْلِعاً يندرُ مستوطننا
وعزَّ لَيْثُ الغابِ أن يؤمنا
فاعجل المقدار أن يُجتنى

(١) قاله يعزى الوزير أبا علي الحسن بن أحمد عن ولد له عام ٤٩٦ ، أنظر الديوان ٢ /

(٢) في الديوان « إن الألى » .

ما هذا التقصير في العمر القصير ؟ ما هذا الزهو يا من إلى البلى يصير ، كم فرق الموت أميرة أمير ؟ ، كم ازار الالحاد من وزير ؟ ، وسوى في القبور بين من هجر وزير ، أين الابطال الذين خاطرهم خطير طال ما اقتتلوا ، حتى كسروا القنا على القناطير ، تالله لقد أمسوا حتى أصبحت خييل الموت تعثي وتغير ، ونزلوا لحداً كبيراً غير كبير ، ورأوا كل منكر من منكر وكل فكير من فكير ، فهم مفترقون في القبور ، فإذا اجتمعوا بنفخة الصور ، عاد شراب الفراق قد أدير (فريق في الجنة وفريق في السعير) (١) .

يا غافلاً والموت يسعى في طلبه ، يا مشغولاً بلهوه مفتوناً بلعبه ، يا مشرباً راحة تفتى بطول تبعه ، أما عللت مريضاً ورأيت كرب كربه ، أما شيعت ملكاً فرجعت إلى سلبه ، أما تخلى عن ماله وتخلي بمكتسبه ، انفعه غلو عزه أو علو نسبه ، لقد ناجاك قبره وناداك أمره ، فانبه ، ولقد ضره هواه ، فلا تلهج أنت به ، لا تغرنك السلامة فمع الخواطي سهم صائب .

نظر شباب إلى شيخ ضعيف الحركة فقال : يا شيخ ، من قيدك ؟ فقال : الذي خلفته يفتل قيدك .

من أخطأته سهام الموت قيده طول السنين فلا هو ولا غزل وضاق من نفسه ١٠ كان متسعاً حتى الرجاء وحتى العزم والأمل

الشباب باكورة الحيوية والشيب رداء الردى ، إذا قرع المرء باب الكهولة فقد استأذن على البلا ، يا رهين الإثم على العقوبة ، ليس لك من يستفكك إلا التوبة ، المنقطع في قيد يتلقى الحجاج منكس الرأس ، رب خجلة تمت الناقص ، كان بعض الاشياخ يقول : لطي ، من عادة المملوك ، أنهم إذا كبر لهم مملوك أعتقوه ، وقد كبرت فأعتقني . وقف أعجمي عند الكعبة ، والناس يدعون وهو ساكت ، ثم أخذ بلحيته فرفعها ، وقال : يا خداه شيخ كبير .

(١) سورة الثوري ، الآية ٧ .

لما اتونا والشيب شافعهم وقد توالى عليهم الحجل
قلنا لتلك الصحائف انقلي بيضاً فان الشيوخ قد عقلوا

يا معاشر الشباب إنتهوا القوي ، في التقوى ، فلو قد حل
المشيب حل التركيب ، إذا هلك أمير الشباب وقع الشتات في
العسكر ، الشباب رياض والشيب قاع فقر ، فاستصحبوا الزاد
قبل دخول الفلاة .

يا قومنا ، الفوائد فوايت ، كف من تبذير يوذني ، فكيف يبيلر
من رعونة ؟ ، إذا كانت القلوب عقماً عن الفكر ، وانفقت عنة الفهم
فلا وجه لنسل الفضائل ، الخوف ذكر والرجاء أنثى ونمخت البطالة
إلى الأناث أميل ، من زرع بذر العمل في أرجاء الرجا ولم تقع
عليه شمس الخلر جاءت ثماره فجة ، الجاهل ينام على فراش الامن
فيثقل نومه ، فتكثر أحلام أمانيه ، والعالم يضطجع على مهاد الخوف
وحارس اليقظة يوقظه ، من فهم معنى الوجود علم عزة النجاة ،
النفس طائر قد أرسل مسن عبادان التعبد محملاً كتاب الامانة الى
دار الملك والعدو قد نصب له صنوف الاشراك ، يلوح في ضمنها
الحب المحبوب ، فإن تم كيده فهو صيده ، وإن خبر الخبر خبر ،
يا أطيّار القهوم احذري مراعي الهموم فثم عقبان التلف ، ومن نجا
منها بعد المحاربة أفلت مكسور الجناح ، واعجباً لبلبل الفطنة
كيف اغتر بفتح الفتنة . (للشريف الرضى) : (١)

يا قلب كيف علقت في اشراكهم ولقد عهدتكَ تُفَلِّتُ الاشراكا
لا تشكُونُ إليَّ وَجَدًا بعدها هذا الذي جرّت عليك (٢) يداكا

من حدق بصره إلى طرف الدنيا طرفت عينه ، من أصغى إلى
حديث الهوى أورثه الصدم عن النصائح ، خست همة فرعون
فاستعظم الحقيير (أليس لي ملك مصر) (٣) يا دني النفس حمارك ينهق

(١) أنظر الديوان ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ . (٢) سورة الزخرف ، الآية ٥١ .

(٢) في الديوان « علي » .

من كف شعير يراه ، الدنيا كلها كجناح بعوضة فما نسبة مصر إليها .
صبي الفهم يشغله لون الصدفة والتميقظ يرى الدرّة . يا هذا ، إذا
لاحت لك شهوة فقف متدبراً عواقبها وقد بردت حرارة الهوى
فبين النجاة والهلاك فواق . واعجباً أنفقت المال المسروق وبقي
القطع :

أبكي زللي واشتكي آثامي في سفك دمي تقدمت اقدمي
ما ابصرت الا والبلا قدامي ما أسرع ما أصاب قلبي الرامي

ضر والله التخليط آدم ، ونفعت الحمية يوسف ، ملك هواه
فملك زليخا ، أمرضها حبه فأرادت تناول مقصودها في زمان الحمية
فصاح لسان طبه (معاذ الله) (١) فخلطت في بحران المرض (ما جزاء
من أرادَ بأهْلِكَ سوءاً إلا أن يُسْجَنَ) (٢) فلما صحح الذهن قالت :
(الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) (٣) . لما نظر يوسف في عواقب الذنب
ونهاية الصبر فكف الكف اطلع بتعليم التأويل على عواقب الروثيا ،
دخل اليوم موسى وعظى إلى مدينة مدين قلبك فوجد فيها رجلين
يقتتلان ، القلب والهوى ، فاستغاثه الذي من شيعته وهو القلب على
الذي من عدوه وهو الهوى ، فوكزه موسى ففضى عليه ، فكان
قتل الهوى سبباً للخروج من قصر مصر الغفلة إلى شعب شعيب (٤)
اليقظة ، فالآن يناديك لسان المعاملة ، هل لك في بلوغ عرضك
على أن تأجرني ، فإن وفيت انقلبت إلى لذاتك مسروراً ، واسترجع
لك التكليم على طور الجنة ، فإن صحبت فرعون الهوى غرقت بعبورك
يوم اليم .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٢٥

(٣) سورة يوسف ، الآية ٥١ .

(٤) سبق التعليق على هذه المسألة فلتنظر .

الفصل الخامس والثلاثون

يا هذا . إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتعبرها لا لتعمرها ، فاقتل هواك المايل إليها ، واقبل نصحي لاتعول عليها .
(لورقة بن نوفل) :

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويؤدي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له والانس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها من كل أرب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من رده يوماً كما وردوا

الدنيا مزرعة النوائب ومشرفة المصائب ، ومفرقة المجامع
ومجرية المدامع ، كم سلبت أقواماً أقوى ما كانوا ، وبانت أحلى ما
كانت أحلاماً فبانوا ، فتنكر في أهل التصور والممالك ، كيف مزقوا
بكف المهالك ثم عد بالنظر في حالك ، لعله يتمجلى القلب الحالك ، إن
لذات الدنيا لفوارك ، وإن موج بلائها لمتدارك ، كم حج كعبتها قاصد
فقتلته قبل المناسك ، كم علا ذروتها مغرور فإذا به تحت السنايك ،
كم غرت غراً فما استقر ، حتى صيد باشك ، خلها واطلب خلة ذات
سرور وسرر وأرائك ، تالله ما طيب العيش إلا هنالك .

أخواني ، ما قعودنا وقد سار الركب ، ما أرى النية الانية ،
يا مسافرين من عزم تزود ، يا راحلين بلا رواحل وطنوا على
الإنقطاع ، ليت المحرز نجا فكيف المهمل ؟ ، يا أقدام الصبر
تحملني فقد بقي القليل ، تذكري حلاوة الدعة بين عليك مر
السرى ، قد علمت أين المنزل ؟ فاحلها تسير

(للمهيار) : (١)

تغنّ بالجرعاء يا سائقها فإن ونت شيئاً فزدها الأبرقا
واغنّ عن السياط في أرجوزة بحاجرٍ تر السهامَ المُرقا
واستقبال الريح الصبا بَحْطِمِهَا (٢) تجِدُ سُرَى ما وجدتَ منتسقا (٣)
إن لها عند الحمى واهله تعلقاً من حبها وعلقاً (٤)
وكل ما تزجره حدتها رعى الحمى ربُّ الغمام وسقى
حواملا منها هموماً ثقلت حواملا وانفساً لم تبق الا رَمَقاً
تحملنا وان عرين قصباً وإن دميين أذرعاً وأسوقا
دام عليها الليل حتى أصبحت تحسب فجرَ ذاتِ عرقٍ شفقا (٥)
عرج على الوادي قتل عن كبدي ما شئت للبان الجوى والحرقا

الجنة ترضى منك بالزهد ، والنار تندفع عنك بترك الذنب ، والمجبة
لا تقع إلا بالروح .

ان سلطان حبه قال لا اقبل الرشا

ما سلك الخليل طريقاً أطيب من الغلاة التي دخلها ، لما خرج من
كفه المنجنيق ، زيارة تسعى ، فيها أقدام الرضا على أرض الشوق ،
شابهت ليلة « فرجني في النور ، وقال ها أنت وربك » .

زرناك شوقاً ونو ان النوى بسطت فرش لافلا بيننا جمرأ لزرناك

رآه جبريل وقد ودع بلد العادة ، فظن ضعف أقدام المتوكل

(١) من قصيدة كتب بها إلى الأستاذ أبي الحسن المختار بن عبيد الله بن الذهبي الكاتب ، أنظر

ديوان شعره ٢ / ٣٢١ - ٣٢٦ .

(٢) الحطم جمع خطام : وهو جبل يوضع في أنف الدابة .

(٣) في الديوان « منطلقاً » .

(٤) في الديوان « إن حملت لعلقاً وعلقاً » والعلق جمع علقه : ما يتعلق به .

(٥) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

فعرض عليه زاد « ألك حاجة » فرده بأنفة « أما إليك فلا » قال فسل مولاك ، قال : علمه بحالي يغنيني عن سؤالي .

تلكوا	واحتكموا	وصار قلبي لهم
تصرفوا في ملكهم	فلا . يقال ظلموا	أو قطعوا لهم هم
ان وصلوا محبهم	وحدثني عنهم	وتشكيتهم
يا أرض سلع اخبري	زمرم	أنجدوا ام اتهموا
تبكيهم أرض مني	لو وقفوا فسلموا	
يا ليت شعري اذ غوا		
ما ضرهم حين سروا		

أبدان المحيين عندكم وقلوبهم عند الحبيب ، طرق طارق باب أبي يزيد فقال : ها هنا أبو يزيد ؟ فصاح من داخل الدار : أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما يجده .

(للمهيار) : (١)

وبجرعاء الحمى قلبي فجع	بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترجلت وتحدث عجباً	أن قلباً سار عن جسم أقاماً
قل بخيران الغضا آه على	طيب عيش بالغضا لو كان داما
حملوا ريح الصبا نشركم	قبل أن تحمّل شيحاً وتاماً (٢)
وابعثوا لي بالكرى طيفكم	ان أذنتم لعيوني أن تناماً

بلغت بالقوم المحبة إلى استحلاء البلى ، فوجدوا في التعذيب عذوبة لعلمهم أنه مراد الحبيب .

ارضاء اسخط أو ارضي تلونه وكل ما يفعل المحبوب محبوب ضنى سويد بن مشعبة . على فراشه ، فكان يقول : والله ما أحب أن الله نقصني منه قلامة ظفر .

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن في النبروز ، أنظر ديوان شعره ٣ /

٣٢٧ - ٣٣١ .

(٢) التمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص .

تعجبوا من نمني القلب مؤله وما دروا أنه خلو من الالم

أمر الحجاج بصلب ما هان العابد ، فرفع على خشبة وهو يسبح
ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين فبقي شهراً بعد موته ،
ويده على ذلك العقد مضمومة .

لتحشرن عظامي بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم علق

مروا على مجنوم قد مزقه الجذام ، فقالوا له : لو تداويت ، فقال :
لو قطمني إرباً إرباً ما ازددت له إلا حياً .

ان	كان	جيرانُ	الغضى	رضوا	بقتلي	فرضاً
والله	لا	كنت	لما	يهوى	الحبيب	مبغضاً
صرت	لهم	عبداً	وما	للعبد	أن	يعترضاً
هم	قلبوا	قلبي	من	الشوق	على	جمر الغضا
يا	ليت	أيام	الحمى	يعود	منها	ما مضى
من	لمريض	لا	يسرى	الا	الطبيب	المرضاً

كان الشبلي يقول : أحبك الناس لنعمائك وأنا أحبك لبلائك .

من	لقتيل	الحب	لو	رد	عنيه	القاتل
يجرحه	النبيل	ويهوى	ان	يعود	النابل	

قلبهم الزهد في قفر الفقر على أكف الصبر ، فقلع أوداج
أغراضهم بسكين المسكنة ، والبلاء ينادي أتصبرون ؟ والعزم يجيب :
لا ضير ، سقامهم رحيق القرب فأورثهم حريق الحب فغابوا بالسكر
عن روية النفس فعربدو على رسم الجسم وهاموا في فلوات الوجد
يستأنسون بالحمام والوحش .

يا	منية	القلب	ما	جيدي	بمنعطف	إلى	سواكم	ولا	حبي	بمنقاد
لولا	المحبة	ما	استعملت	بارقة	ولا	سألت	حمام	الدوح	اسعادي	
ولا	وقفت	على	الوادي	اسائله	بالدمع	حتى	رثي	لي	ساكن	الوادي

الفصل السادس والثلاثون

أيها المغتر بالدنيا كم خدعت ، ما واصل وصلها محب إلا قطعت ،
ولا ناولت نوالاً إلا ارتجفت ، اختبأت مريرها فلما اعتقلت
أسيرها جرعت ، متى رأيتها قد توطنت فاعلم أنها قد أزمعت .

يا محب الدنيا الغرور اغترارا
بيتني وصلها فتأبى عليه
خاب من بيتني الوصالَ لديها
كم محب ارته انساً فلما
شيب حلوا اللذات منها بمر
في اكتساب الحلال منها حساب
ولباغي الأوطار منها عناء
كل لذاتها منغصة العيش
ولياللي الهموم فيها طوال
وكفى أنها تظن وان جادت
واذا ما سقت خمور الاماني
كم ملك مسلط ذلته
ونعيم قد أعقبته ببوس
أيها المستعير منها متساعا
عد عن وصل من يعيرك ما
قد ارتك الامثال في سالف اند

راكباً في طلابها الاخطارا
وترى انسه فتبدي نقارا
جارة لم تزل تسيء الجوارا
حاول الزور صيرته ازورارا
ان حلت مرة أمرت مرارا
واكتساب الحرام يصلى النارا
سوف يقضي وما قضى الاوطارا
وارباحها تعود خساراً
ولياللي السرور تمضي قصارا
بتزر افنت به الاعمارا
صيرت بعدها المنايا خمارا
بعد عز فما أطاق انتصارا
ومغان قد غادرتها قفارا
عن قليل تسترجع المستعارا
يفني ويبقى اثماً ويكسب عارا
هر وما قدراتك فيك اعتبارا

وجدير بالعذر من قدم الا عذار فيما جناه والاندادا
فتعوض منها بخلة صدق والتمس غير هذه الدار دارا
والبدار البدار بالعمل الصا لح ما دمت تستطيع البدارا

إلى متى في طلبها ؟ ، إلى كم الإغترار بها ؟ ، تدور البلاد منشداً
ضالة المنى ، وتلك ضالة لا توجد أبداً ، فسيفتلك الحرص غريباً ولكن
لا في فياني « فيا طوبى للغرباء » .

أظن هواها تاركى بمضلة من الارض لا مال لدي ولا أهل
ولا أحد افضى إليه وصيبي ولا وارث الا المطية والرحل

أيها المتعب نفسه في جمع المال : عقاب الوارث على مرقب
الانتظار ، أفهمت أم أشرح لك ؟ ، العقاب لا تعاني الصيد وإنما
تكون على موضع عال ، فأى طائر صاد صيداً انقضت عليه فإذا
رآها هرب وترك الصيد ، ومالك تجمع مالك ؟ وما لك منه إلا ما
تخلف ، والزمان يشترك للذهاب وأنت للاذهاب تؤلف ، المال إذا
وصل إلى الكرام عابر سبيل وإكرام عابر السبيل تجهيزه للرحيل ،
جسم البخيل كله يعرق إلا اليد كفه مكفوفة ما ينفق منها
خرزة .

تحلى بأسماء الشهور فكفه جمادى وما ضمت عليه المحرم

يا فرعوني الكبر تفرح بمال سيسلب منك ، فتستعير كلمة
(أليس لي) يا نمرودي الجهل ، تشد أطناب الخيل على الدنيا في
أرجل نسور الامل ثم ترمي نشاب الاغراض ، إن وقف لك غرض
فتستغيث الاكوان من يدك (وإن كان مكرهم) من فهم علم التوحيد ،
تجرد للواحد بقطع العلائق ، أما ترى كلمتى الشهادة مجردة عن نقط .
إذا أعرضت عن الدنيا أقبلت إليك الآخرة ، من ترك شيئاً لله عوضه الله
خيراً منه ، عقر سليمان الخيل (فسخرنا له الريح) ، لما عقدت الخنصر
على التوحيد ميزت على باقي الاصابع بالحاتم .

يا أطفال التوبة ما أنكر حينكم إلى الرضاع ، ولكن ذوقوا
مطاعم الرجال وقد نسيتم شرب اللبن ، إذا تحصن الهوى بقلعة
الطبع فانصبوا مجانيق العزائم وقد انهدم السور ، أنتم تخرجون لقتل
سبع ما أذاكم . ليقال عن أحدكم ما أجلده ، فكيف تتركون سبع
الهوى وقد أغار على سرح القلوب ؟ إنما تتحف الملوك بالباكورة .
فافهموا يا صبيان التوبة إذا أهديتم فالرطب لا الحشف ، يا أطيار
الشباب . إما عبادان التعبد وإلا استفراخ العلم وإلا فالذبح ،
تريدون نيل الشهوات وحصول المراتب ، والجمع بين الاضداد لا
يمكن .

هواك نجد وهواي الشام وذا وذا يامي لا يكتم

ما زلت أعالج مسمار الهوى . في قلب العاصي ، أميل به تارة
إلى جانب التخويف ، وتارة إلى ناحية التشويق ، فلما ضعف الماسك
بإزعاجي له ، إتسع عليه المجال فجذبته ، أنفت لصبي اللعب من
بيع جوهر العمر النفيس بصدف الهوى ، فشددت عليه في الحجر
ليعلم بعد البلوغ (أني لم أخنه بالغيب) (١) .

(١) سورة يوسف الآية ٥٢ .

الفصل السابع والثلاثون

أخواني ! جدوا فقد سبقتم ، واستعدوا فقد لحقتم ، وانظروا
بماذا من الهوى علقتم ؟ ، ولا تغفلوا عما له خلقتم ، ذهبت الايام وما اطعمتم
وكتبت الآثام وما أصغيتم ، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا وانقطعتم ،
أهذا التوبيخ لغيركم أو ما قد سمعتم ؟

(لصدر) : (١)

ما ضاع من أيامنا هل يُغرمُ هيهات والأزمانُ كيف تقومُ
يومٌ بأرواحٍ يباع ويشترى وأخوه ليس يُسامُ فيه درهم
لي وقفة في الدار لا رجعت بما أهوى ولا يأسى عليها يُقدم
وكفك اني للنواب عاتبٌ ولصمُ أحجار الديار اكلم (٢)
ومن انبلادة في الصباة اني مستخبر عنهن من لا يفهم
واذا البليغ شكاً إليه بثه عبناً فما بال المطايا تُرزِمُ
كل كنى عن شوقه بلغاته ولربما ابكى لفصيح الاعجم
نرجو سلوكاً في رسوم بينها الأغصان سكر ، والحمام متيم
هذي تميل اذا تتسمت الصبا والورق تذكر إلقتها فترتم

آه على زمان فات ، وعلى قلب حي مات ، كيف الطمع فيما
مضى ؟ هيهات ، (رداً على ليالي التي سلفت) أين الزمان الذي بان ؟
أتراه بان ، أين القلب الصافي ؟ كان وكان .

(١) قاله في مدح الوزير أبي المعالي بن عبد الرحيم ، أنظر الديوان ص ٣٤ .

(٢) في الديوان « مكلم » .

سقياً لمنزلة الحمى ومكثيها اذ لا أرى زمناً كأزماني بها
ما اعرف اللذات الا ذاكراً هيهات قد خلفت أوقاتي بها

يا من كان له قلب فانقلب * قيام السحر يستوحش لك * صيام
النهار يسأل عنك * ليالي الوصال تعاتبك :

أين أيامك والدهر ربيع والنوى معزولة والقرب وال

يا من كان قريباً فطرد * يا من كان مشاهداً فحجب * يا عزيزي
ما الفت الشقاء ، فكيف تصبر ؟ أصعب الفقر ما كان بعد الغنى *
وأوحش الذل ما كان بعد العز وأشدهما على الكبر * يا هذا بت
بيت الاحزان من قبل البيات * وثب إلى الميثب وثبة ثبات * ولا
تجاوز الجناب ودر حول الدار * واستقبل قبلة التضرع وقل في
الاسحار :

قد قلق الحب وطال الكرى واظلم الجو وضاق الفضاء
لا يعطش الزرع الذي نبتة بصوت أنعامك قد روضا
ان كان لي ذنب تجرمته فأستأنف العفو وهب ما مضى
لا تبر عوداً أنت ريشته حاشي لباني المجد أن يقضيا
كيف لا أبكي لاعراض من أعرض عني الدهر اذ عرضا
قد كنت أرجوه لنيل المنى فاليوم لا أطلب الا الرضا

يا من فقد قلبه وعدم التحيل في طلبه * تنفس من كرب الوجد
فبريد اللطف يحمل اللطافات * ريح الاسحار ركابي الرسائل * ونسيم
الفجر ترجمان الجواب .

(للمهيار) : (١)

فيا ريح الصبا اقترحي على الاحشاء واحتكمي

(١) من قصيدة كتب بها إلى العميد علي بن المزرع يعاتبه على تأخير رسه ، أنظر ديوان شعره

أراك نَسَمْتُ مُخْتَبِرِينَ ما عهدي وما ذهبي
 فهدي في يدي كبدي وذا في وجنتي دمي
 سلامٌ كلما ذُكِرْتُ ليالينا بذني سلام

اخواني ، صعداء الانفاس واصل لا يمنع . لسان الدمع افصح
 من لسان الشكوى ، شجو التائب يطرب سمع الرضا ، حزن النادم
 يسر قلب التعبد ، قلق المسكين محبوب الرحمة ، آسى من اسأ فرح
 العفو ، بكاء المفرط يضحك سن القبول ، دمع المحزون مخزون
 لخزانه الخاص ، ريح نفس آسف أطيب من ندى ، قطرة من الدمع على
 الخد أنفع من ألف مطرة على الأرض :

ضمنت حالي للقصة ورفعتها فأتاني التوقيع يشرح حاله
 فأتيت ديوان الهوى فلكثرة العشاق لم ينهي لي ايصاله
 حتى اذا أوصلتها نظروا إلى شخص تبقى للعيون خياله
 قلت ارحموا هذا الفقير فانه من حين هجركم تمزق حاله

يا دائرة الشقاء أين أولك ؟ يا أرض التيه متى آخرك ؟ يا
 أيوب البلاء إلى كم على الكناسة ؟ متى ينسخ الزمن ؟ زمن (اركض) :
 سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنّت إلى ألف بعيد
 فازعجت القلوب وقلقتها فما زلنا نقول لها أعيدي
 أرى ماءً وبني عطشٌ شديد ولكن لا سبيل إلى الورود

تعلق بالليل فهو شفيع مشفع ، تمسك بالبكاء فهو رقيق صالح ،
 ادخل في زمرة المتهجدين على وجه التطفل في فلووات الخلوات
 بلسان التذلل :

يا راحم عبرة المسيء المحزون دمي مبذول وحزن قلبي مخزون
 شوقي يسعى إليك والصبر حرون من تهجره أنت ترى كيف يكون

أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي ولا بالحجارة بل بنفس محتاج :

(المهيار) (١) :

آه والشوق ما تأوهت منه ليال « بالسفح » لو عدنّ اخرى
قلّبوا ذلك الرماد تصيبوا فيه قلبي ان لم تصيبوا الجمر

يا هذا ، إذا رأيت نفسك متخيلة لا مع المحبين ولا مع التائبين
فابسط رماد الأسف واجلس مع رفيق اللهف وابعث رسالة القلق
مع بريد الصعداء لعله يأتي بالجواب بكشف الجوى :

ولي زفرات لو ظهرنّ قتلتي لشوق لبيلائي التي قد تولت
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت فمن لي بأخرى مثل تيك أظلمت
حلفت لهم بالله ما ام واحد إذا ذكرته آخر الليل أنت
وما وجدا عرايبة قد فت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة بنجد فلم يقدر لها ما تمت
إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه وبرد حصاه آخر الليل حنت
لها أنه وقت العشاء وانه سحيراً فلو لا انتاها بلحت
بأكثر مني لوعة غير اني أجمجم أحشائي على ما اجنت

نيران الخوف في قلوب التائبين ما تحبو * وقلق المذنبين مما جنوا لا
يسكن * وضجيج المحبين في جيوش الشوق ما يفتر :

واهاً لزماننا الذي كان صفا ابكي مرضي وليس لي منه شفا
ذابت روحي وما أرى غير جفا هذا رمقي تسلموه بوفا

(١) من قصيدة كتبها إلى صديق ، أنظر ديوان شعره ١ / ٤٠٦ - ٤١١ .

الفصل الثامن والثلاثون

ألا يعتبر المقيم منكم بمن رحل؟ ألا يندم من يعلم عواقب الكسل؟
آه لغافل كلما جد الموت هزل، ولعاقل كلما صعد العمر نزل.

اعد على فكرك أسلاف الامم	واقف على ما في القبور من رمم
ونادهم أين القوي منكم	القاهر أم أين الضعيف المهتمم
تفاصلت أوصالهم فوق الثرى	ثم تساوت تحته كل قدم
قبرُ البخيل والكريم واحدٌ	ما نفع البخل ولا ضرر الكرم
واعجباً لغافل أمامه	هجوم ما لا يتقي اذا هجم
اذا تحطاه على عهد الصبي	أو الشباب لم يفته في الهرم
أما كفى الانسان موتٌ بعضه	وهو المشيب المستطير في اللمم
أي خليلين أقاما أبداً	ما افترقا وأي حبل ما انصرم
ان النجوم الدائرات ابداً	تضحك من مبتسم اذا ابتسم

اخواني ، بادروا آجالكم • وحاذروا آمالكم • آمالكم عبرة فيمن
مضى؟ آمالكم ، ما هذا الغرور الذي قد امالكم؟ ستركون على رغم
آمالكم مالكم .

اخواني ، صدقتم الأمل فكذبكم • وأطعمتم الهوى فعذبكم • أما
أنذركم السقم بعد الصحة • والترحة بعد الفرحه ، في كل يوم يموت من
أشباحكم ما يكفي في نعي أرواحكم • ويحل بعقوقكم وفنائكم ما
يخبركم عن شتاتكم وفنائكم • فخذوا حذركم قبل النوائب • فقد
تبتتم من كل جانب ، وتذكروا سهر أهل النار في النار • واحذروا فوت

دار الابرار • وتخوفوا يوم الفصل بين الفريقين أن يصيبكم من بين
البيين .

اخواني ، أبصاركم قوية وبصائرکم ضعيفة • ومن ترائي هواه
توارى عنه عقله • سبحان من ظهر لخلقه بخلقه • غير ان عالم الحس لا
يرونه ، أما قلبك من نطفة إلى علقة وأنت كالجناد • كلما نفخ فيك
الروح بعث الزاد يساق إليك من دم الأم فتتناوله باجتناب السرة •
إذ لو طرق الحلقوم تلفت • فلما خرجت إلى فلاة الدنيا رأيت أدواتي
التديين معلقتين لشربك • وكانت عمور الاسنان تكفي في اجتذاب
المشروب • فكلما اعتصرته خرج مغربلا لثلا يقع شرق • فلما قويت
المعا وافتقرت إلى غذاء فيه صلابة أنبت الاسنان لتقطع والاضراس
لتطحن ومن العجائب ، أنه أخرجت غيباً لا تعلم شيئاً • فلو أخرجك
عاقلاً لرأيت من اطم المصائب تقلبك في الحرق والمصائب • ثم جعل
بكاءك حينئذ متقاضياً بالمصالح وبث القوى في باطنك ففوة تطلب
الغذاء وثانية تجتذبه إلى الكبد وثالثة تمسكه لها حتى تطبخه فيصير دماً •
ورابعة تهضمه وخامسة تفرق بين صفوه وكدره وسادسة تتولى
قسمته • فلو بعثت إلى الخلد ، ما تبعث إلى الكخذ صار بمقداره •
وسابعة تدفع ثقله .

أفيحسن بعد تفرقة الجاهلية على العسكر ، أن يشوا في المخالفة للمنعم ؟
ثم انظر إلى هذا الهواء الذي قد ملئ به الفضاء كيف تنتصب منه
النفس إلى النفس ؟ ثم هو للاصوات من حيث المعنى كالقرطاس •
يرقم فيه الحوائج ثم يمتحي فيعود نقياً • فأقوام يرقمون فيه الذكر
والتسبيح • وآخرون يرقمون كل قبيح • وكم بين من يرقم تلاوة
القرآن • وبين من يرقم أصوات العيدان ؟ ثم تأمل آلات الأصوات •
ترى الرثة كالزرق • والحنجرة كالأنبوب • فاذا ظهر الصفر أخذ
اللسان والشفتان في صناعته الحاناً • فهو كالأصابع المختلفة على فم
المزمار .

ثم تأمل الأرض ، كيف مدها بساطاً وأمسكها عن الاضطراب

لتصيح السكنى • ثم يزلها في وقت ليفطن الساكن بقدره المزيج •
وجعل فيها نوع رخاوة ليقبل الحفر والزرع • ورفع جانب السماء
لينحدر الماء • وفرق المياه بين الجزائر ليرطب الهواء • وأودع المعادن
كما تودع الحاجات في الخزائن ، ولما بث الطير صان عنها السنبل ،
لأنه قوتك بقشور صلبة قايمات كالابر لثلا تستفه فتموت بشماء ،
فيفوت الحظان ، ثم تأمل الرماية كيف حشيت بالشحم بين الحب •
ليكون غذاءاً لها إلى وقت عود المثل • ثم جعل كل حشوتين لفاقة لثلا
يتصاك فيجري الماء ، ثم جاء بالشمس سراجاً ومنضجاً للثمر تجري
لتعمر الاماكن ثم تغيب ليسكن الحيوان ، ولما كانت الحوائج قد
تعرض بالليل جعل في القمر خلفاً ولم يجعل طلوعه في الليل دائماً •
لثلا تنبسط الناس في أعمالهم كانبساطهم بالنهار • فيؤذى الحريص
كلاله ، ولما قدر غيبة القمر في بعض الليل جعل أنوار الكواكب
كشعل النار في أيدي المقتبسين ، ولما كانت حاجة الخلق إلى النار
ضرورية أنشأها وجعلها كالمخزون • تستهض وقت الحاجة فتمسك
بالمادة ، قدر مراد المسك ، ثم انظر إلى الطائر ، لما كان يختلس
قوته خوف اصطياده ، صلب منقاره لثلا ينسحج من الإلتقاط
لان زمان الإنتهاب لا يَحتمل المضغ ، وجعل له حوصلة يجمع فيها
الحب ثم ينقله إلى القانصة في زمان الامن ، فإن كانت له أفراخ
أسهمهم من الحاصل في الحوصلة قبل النقل ، فإن لم يكن له حنة على أفراخه
أغنوا عنه باستقلالهم من حين انشقاق البيضة كالفراريج .

واعجباً كيف يُعصى من هذه نعمه ، وكيف لا تموت النفس
حياً لمن هذه حكمه ، إن دنت همتك فحذف من عقوبته ، وإن علت
قليلاً فارغب في معاملته ، وإن تناهت فتعلق بمحبته ، (على قدر
أهل العزم تأتي العزائم) إن قصرت همتك فأثرت قطع الشوك
صحبك حمار ، وإن رضيت سياسة الدواب رافتمك بغل ، وإن
سدت بعض الثغور أعطيت فرساً ، فإن كنت تحسن السباق
كان عربياً ، فإن عزمت على الحج ركبت جملاً ، وإن شمخت
همتك إلى الملك فالقيل مركب الملوك .

رأيت عليات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الاساود

ليس كل الخليل للسباق ولا كل الطيور تحمل الكتب ، من الناس
من تشغله في الدنيا سوداء ، ومنهم من لا يلهيه في الجنة قصر ، ولا يسليه
عن حبيبه نهر ، قوته في الدنيا الذكر وفي الآخرة النظر .

يقول اناس لو تناسى وصالها وواصل أخرى غيرها لسلاها
فلا نظرت عين تلذ بغيرها ولا بقيت نفس تحب سواها

الفصل التاسع والثلاثون

أيها الغافل في إقامته عن نقلته ، الجاهل وقد ملا بما يملي بطن صحيفته ، ألك زاد لسفرك على طول مسافته ؟ .

خف الله وانظر في صحيفتك التي حوت كلما قدمته من فعالكا
فقد خط فيها الكاتبان فاكثروا ولم يبق الا أن يقولوا فذالكا
والله ما تدري اذا ما لقيتها أتوضع في يمينك أو في شمالكا
فلا تحسبن المرء يبقى مخلداً فما الناس الاهاك فابك هالكا

يا من تحصى عليه اللفظة والنظرة ، مزق بيد الجد أثواب الفترة ،
وتأهب فما تدري السير عشاء أو بكرة ، واعتبر بالقرباء فالهبرة
تبعث العبرة ، وتزود لسفرة ما مثلها سفره ، واقنع باليسير نالحساب
عسير على الذرة ، وإياك والحرام وانظر من أين الكسرة ؟ ، قبل أن
تلقى ساعة حسرة وتلقى بعدها في ظلمة حفرة .

لا يغرثك الزمان بيسر وسرور ولا يرعك بعسره
ان مر الزمان يمحق عسر المرء في لحظة ويذهب بسره
وسواء اذا انقضى يوم كسرى في نعيم ويوم صاحب كسره

أترى في عين العبرة رمد ؟ ، أما تبصر انسلاخ الامد ؟ يا دائم
المعاصي ما غيره الابد ، تصلي ولو التعود لم تكد ، القلب غايب
إنما جاء الجسد ، الفكر يجول في طلب الدنيا من بلد إلى بلد ، يا معرضاً
عن بحر برناء لا تقعع بالثمد ، يا مقتول الهوى ولكن بلا قود . بين الهوى
والمنى ، ضاع الجلد ، أما يجول ذكر الموت في الخلد ؟ أرايت أحداً

من قبلك خلد ؟ رب يوم معدود وليس في العدد ، إنما الروح عارية
في هذا الجسد ، هذا بحر الغرور يقذف بالزبد ، كم ركبته جاهل فغرق
قبل البلد ، هذا سهم المنون يفري حلق الزرد ، أخواني دنا
الصباح فقولوا لمن رقد : أين الوجوه الصباح ؟ مرت على جدد ،
أين الظباء الملاح ؟ اغتالها الاسد ، هذا هو المصير . أما يرعوي أحد ؟

قال عمر بن عبد العزيز لابي حازم : عظمي ، فقال : اضطجع . ثم
اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة
فجد فيه الآن وما تكره أن يكون فيك فدعه الآن .

أيها الطالب للدنيا وما يجد ، كيف تجد الآخرة وما تطلب ؟ ما
مضى من الدنيا فحلم ، وما بقي فأمني ، سبعة يظلمهم الله في ظله ،
منهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخشى الله .

إسمع يا من أجاب عجوزاً على مزبلة ، ويحك إنها سوداء ،
والكن قد غلبت عليك ، عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم بطحاء
مكة ذهباً فأبى ، يا محمد ممن تعلمت هذه القناعة ؟ قال لسان حاله :
من عجة أبي ، الحريص دائم السرى وما يحمد الصباح ، من لا همة
له سوى جمع الحطام معدود في الحشرات .

يا أطيبار القلوب إلى كم في مزبلة الحبس ؟ أكسري بالعزم
قفص الحصر ، واخرجني إلى فضاء صحراء القدس ، روحي خماصاً
من الهوى تعودني بطاناً من الهدى ، بين أبي الحركة وأم القصد
ينتج ولد الظفر ، لا ينال الجسيم بالهويننا . حمل النفس على حمل المشاق
مدرجة إلى الشرف ، واعجباً من توقف الكأالي والدرينثر ، أشهود
كثياب ؟ أكانون في آب ؟ ، الحرب خصام قائم وأنت غلام نائم
إدخل بسلامتك لابس لامتك ، ليس في سلاح المحارب أحد من
نبلة عزم ، أجرأ الليوث أجرها للصيود .

ليس عزمًا ما مرض العزم فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام

طر بجناح الجلد من وكر الكسل ، تابعاً آثار الاحباب تصل .

(للشريف الرضى) : (١)

تَلَقَّتْ حَتَّى لَمْ يَبَيِّنْ مِنْ دِيَارِهِمْ (٢) جناب (٣) ولا من نارهن وقود
وان الثفات القلب من بعد طرّفه طوّال الليالي نحوهم (٤) ليزيد
ولو قال لي الغادون: ما أنت مُشْتَهة غداة جزعنا الرمل قلت : أعود
أصبر والوعساءُ بيبي وبينهم (٥)

يا مخنث العزم أين أنت والطريق ؟ سبيل نصب فيه آدم ، وناح
لاجله نوح ، ورمى في النار إبراهيم الخليل ، وأضجع للذبح إسماعيل ،
وبيع يوسف بدراهم ، وذهبت من البكاء عين يعقوب ، ونشر بالمنشار
زكريا ، وذبح الحصور يحيى ، وضنى بالبلاء أيوب ، وزاد على المقدار
بكاء داود ، وتنغص في الملك عيش سليمان ، وتحير برد (لن)
موسى ، وهام مع الوحوش عيسى ، وعالج الفقر محمد صلى الله عليه
وسلم .

فيا دارهم بالخزن ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

أول قدم في الطريق بذل الروح ، هذه الجادة فأين السالك ؟
هذا قميص يوسف فأين يعقوب ؟ ، هذا طور سينا فأين موسى ؟
يا جنيد احضر ، يا شبلي اسمع .

بدم المحب يباع وصلهم فمن الذي يتاع بالسعر

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٣٩٠ .
(٢) في الديوان « بلادكم » .
(٣) في الديوان « بينكم » .
(٤) في الديوان « نحوكم » .
(٥) في الديوان « دخان » .

الفصل الرابعون

أخواني ، إعتبروا بالذين قطنوا وخزنوا ، كيف ظعنوا وحزنوا ؟ وانظروا إلى آثارهم تعلموا أنهم قد غبنوا ، لاحت لهم لذات الدنيا فاغترروا وفتنوا ، فما انقشعت سحب المنى حتى ما تواروا ودفنوا .

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا وبنوا مساكنهم فما سكنوا فكأنهم كانوا بها ظعنًا لما استراحوا ساعة ظعنوا

يا من قد امتطى بجعله مطا المطامع ، لقد ملا الوعظ . في الصباح والمساء المسامع ، أين الذين بلغوا آمالهم ؟ فما لهم في المنى منازع ،

ما زال الموت يدور على بدور الدور حتى طوى الطوالع ، صار الجندل فراشهم بعد أن كان الحرير فيما مضى المضامع ، ولقوا والله البلا في تلك البلاقل ، قال شداد بن أوس : لو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم .

وقال وهب ابن منبه : لو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الارض لوسعهم ألاماً .

وكان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء كل ليلة فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون ، حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال يحيى بن معاذ : لو ضربت السماء والارض بالسياط التي ضرب بها ابن آدم لانقادت خاشعة للموت والحساب والنار .

يا هذا الشيب أذان والموت إقامة ولست على طهارة ، العمر صلوة والشيب تسليم ، يا من قد خيم حب الهوى في صحراء قلبه أقلع الاطناب

فقد ضرب بوق الرحيل ، أما تسمع صوت السوط في ظهور الإبل ؟
أما ترى عجلة السلب وقصر العمر ؟ شارف الركب بلد الإقامة
فاستحث المطي ، يا مشاهدة ما تمت بغيتها حتى وقع النهب فيها ، إستلب
منك لك قبل أن تستلب الجملة ، الايام تسرع في تبذير مجموع صورتك
وأنت تسرع في تبذير مهانك .

يا شباب الجول ، يا كهول التفريط ، يا شيوخ الغفلة ، إجلسوا معنا
ساعة في مآثم الاسف يا سحائب الاجفان . إمطري على رباع الذنوب ،
يا ضيف الندم على الإسراف أسكن شغف التلوب ، يا أيام الشيب
إنما أنت بين داع ووداع ، فهل لماض من الزمان ارتجاع .

قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن تودعا
فليس عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
تلفت نحو الحمى حتى وجدني وجعت من الاصغاء ليئا واخذعا
واذكر أيام الحمى ثم انثى على كبدي من خشية أن تصدعا

أخواني ، سكران الهوى بعيد الإفاقة ، فلو تذكر إقامة الحد طار
السكر ، من تحسى مرق الهوى احترقت شفتاه ، من أكل من الظلم ثمرة
أداها قوصرة . ويحك ، إغسل العثرة بعبرة ، وادفع الحوبة بتوبة ما دام
في الوقت مهلة وفي زمن السلامة فسحة ، قبل أن تموت وتفوت
وتعلو بعد الخيل على تابوت ، قبل أن ترى السمع والبصر قد كلا ،
وتقول (رب ارجعون) فيقال كلا ، قبل أن يصير دمع الاسى من
جفن من أسى ، ويقال هلا كان هذا قبل هذا ، هلا .

أترك من تحب وانت جار وتطلبه اذا بعد المزار
وتبكي بعد تأبهم اشتياقا وتساءل في المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور وترجو أن تحبرك الديار
فنفسك لم ولا تلم المطايا ومت كدأ فليس لك اعتذار

يا من أجله يذوب ذوبان الثلج في الحر، أينقشع غيم العمر ؟ لا عن
هلال الهدى ، أنتؤثر الفاني المرذول على النفيس الباقي ؟

ارضينا بشيائ اللوى عن زرود يا لها صفقة غبن

ما يخفى علامات الإدبار عليك ، يفتش دارك فلا يرى سواك
للطهارة ، بلى ملاعق الأكل ، ليس في البيت مصحف بل تقويم ،
أبضع وجود التقويم ؟ ، يا مهتماً بالنظر في الطالع طالع ما قد خبي لك
كأنك بالموت قد طلع ، وما طالع فكرك عاقبة ، إسمع حسابي حقاً وما
ارجم ، ودع لكلماتي هذي قول الهاذي المنجم ، إن ضم الندم على
التفريط إلى العزيمة على الإنابة فساعة سعد ، وإن اجتمع في القلب
حب الدنيا على إيثار الكسل فقران نحس .

الفصل الحادي والاربعون

ما هذا الحب للدنيا والصبابة ؟ وإنما يكفي منها صبابة ، فقل للنفس الحريصة ، لقد بعث الأخرى رخيصة .

يا نفس ما الدهر الا ما علمت فكم الست حدثني اني أتوب فلم
اياك اياك من سوف فكم خدعت . واهلكت أمماً من قبلها وأم
توبي يكن لك عند الله جاه تقى وقدمي من فعال الصالحين قدم
يا راقد للبلبل حث المشيب به الا فكن خائفاً لا تقعدن وقم

يا من قد أخذ الهوى بأزمته ، وأمسك الردى بلمته ، يا رهين ديون تعلقت في ذمته ، هذا أو أن جدك إن كنت مجدداً ، هذا زمان استعدادك إن كنت مستعداً .

(للشريف الرضى) : (١)

يا نفس قد عز المرادُ فخذني ان كنت يوماً تأخذين أو ذرى
نُهزةً مجدٍ كنتُ في طلابها مثلها ينصفُ ساقى مثرري
عمر الفتى شبابه وانما آونة الشيب انقضاء العُمر

رض مهر النفس يتأت ركوبه ، أمت زئبق الطبع يمكن استعماله ، تلمح فجر الاجر بين ظلام التكليف : إحذر حية الفم فإنها براء ، إذا خرجت من شفة غدرك لفظة سفه فلا تلحقها بمثلها تلحقها ، ونسل الحصام مذموم ، أوثق سبع غضبك بسلسلة حلمك ، فإنه إن

(١) قاله مفتخراً ، أنظر ديوان شعره ٤٧٥ / ١ .

أفلت أثلّف ، متى قمت بجدة الغضب انظفي مصباح الحلم ، بحر
الهوى إذا مد أغرق ، وأخوف المنافذ من الغرق فتحة البصر فلا يشتغل
زمان الزيادة إلا باحكام القورح .

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

لو حضرت مع الاحباب الباب ، لسامح الناقد بهرجك ، رحلت
رفقة (تنجاني) ، ومطروود النوم في حبس الرقاد ، فما فك عنه السجان
قيد الكرى حتى استقر بالقوم المنزل ، فقام يتلمح الآثار بباب الكوفة
والاحباب قد وصلوا إلى الكعبة .

(لصردر) : (١)

من يطّلع شرفاً فيعلم لي هل روح الرعيان بالابل ؟
ام قعقت عمد الخيام أم ارتفعت قباهم على البزل ؟
ام غرد الحادي بقافية منها غرابُ البين يستلمي ؟
فضلت دموعي عن مدّي حزني فبكيّت من قتل الهوى قبلي
ما مر ذو شجن يكتّمه الا اقول : متيم مثلي

من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا
يوليه ، الزهاد عين العارفين ، الارواح في الاشباح كالاطيار في
الابراج ، وليس ما أعد للإستفراخ كما هي للسباق ، من حدق بعين
الفكر إلى مطلع الهدى لاح له الهلال ، كم أداوي بصر بصيرتك وما
يتجلى ، ما أظن الضعف إلا في الوضع ، ضعف عين الخفاش ليس
برمد ، وحدة ناظر الهدهد خلقة ، مصابيح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة
مبيرة ، قبل الشرايع (يتكاد زيتها يضيء) (٢) وحدث قس (٣)

(١) قاله ليمض الرؤساء ، أنظر الديوان ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) سورة النور ، الآية ٢٥ .

(٣) قس بن ساعدة .

وما رأى الرسول ، وكفر ابن أبي وقد صلى معه ، مع الضب ري يكفيه ، ولا ماء ، وكم من عطشان في الموجة ، إذا سبق الانعام في القدم فذلك غنى الابد ، لما تقدم اختيار الطين المنهبط صعد على النار المرتفعة ، وكانت الغلبة لآدم في حرب إبليس ، فاكتفت جهنم بما جرى فسلمت يوم « جزيا مؤمن » سبق العلم بنبوة موسى وإيمان آسية فسبق تابوته إلى بيتها ، فجاء طفل منفرد عن أم ، إلى امرأة خالية عن ولد ، قرينان مرتعنا واحد .

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى بيت يهودي يعود (١) فقال له أسلم ، فنظر المريض إلى أبيه فقال : له أجب أبا القاسم ، فأسلم (٢) ، فكان ذلك قريباً من نسب (سلمان منا) فصاحت ألسنة المخالفين : ما لمحمد ولنا ؟ ، والقدر يقول : مريضنا عندكم (كيف انصرافي ولي في داركم شغل) .

لما عم نور النبوة آفاق الهدى رآه سلمان دون العم ، قويت ظلمات الشرك بمكة فتخبطت قريش في الضلال ، فلاح مصباح الفلاح من سجف دار الخيزران ، فإذا عمر على الباب ولقد أنارت لإبليس شمس البيان يوم (انبئهم باسمهم) ، غير أن النهار ليل عند الاعشى ، رجع الخفاش إلى عشه ، فقال : أوقدوا المصباح فقد جن الليل ، فقالوا : الآن طلعت الشمس ، فقال : ارحموا من طلوع الشمس عنده ليل ، فسبحان من أعطى ومنع ولا يقال لم صنع ؟ سلسم التوفيق قريب المراقبي ، وبئر الخلدان بلا قعر ، ربما أدرك الوقفة أهل مصر وفاتت أهل نخلة ، لا بد والله من نفوذ القضاء فاجنح للسلم .

كم بالمخصب من عليل هوى طريح لا يعلى
وقتيل بين بين خيف مني وجمع ليس يعقل

(١) هو غلام كان يخدمه .

(٢) وتماه (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار) رواه البخاري عن أنس .

كيف تنتمي نبال القدر والقلب بين إصبعين .

لا تغضبني على قوم تحبهم فليس ينجيك من أحبابك الغضب
ولا تخصمهم يوماً إذا حكموا ان القضاة اذا ما خوصموا غلبوا

كان إبليس كالبلدة العامرة فوقعت فيها صاعقة الطرد فهلك
أهلها (فتلك بيوتهم خاوية) (١)

من لم يكن للوصال اهلا فكل احسانه ذنوب

أخذ كساء ترهبه فجعل جلاً لكلب أصحاب الكهف ، فأخذ
المسكين في عداوة آدم فكم بالغ واجتهد ؟ وأبى الله أن يقع في البئر
إلا من حفر ، ويحك ما ذنب آدم ؟ أنت الجاني على نفسك ، ولكنه
(غيظ الاسير على القد) .

لقي إبليسُ عمرَ بن الخطاب فصارعه فصرعه عمر ، فقال بلسان
الحال : أنا مقتول بلسان الخذلان قبل لقائك « فإياك عني لا يكن بك
ما بيا » ، يا عمر أنت الذي كنت في زمان الخطاب لا تعرف الباب
وأنا الذي كنت في سدة السيادة وأتباعي الملائكة موصل منشور
« لا يسئل » فعزني وولاك فكن على حذر من تحول الحال .

فان الحسام الصقيل الذي قتلت به في يد القاتل

لما تمكنت معرفة عمر بتقليب القلوب لعب القلق بقلبه ، خوفاً
من قلبه ، فبادر بطريق باب البريد بالعزل والولاية ، يا حذيفة يا
حذيفة المحبة العظمى ، ارتباط أمرك بمن لا يبالي بهلاكك ، فكم قد
أهلك قبلك مثلك ، كم مشارف بسفينة عمله ؟ على شاطئ النجاة ،
ضربها حرق الخذلان فغرقت وما بقي للسلامة إلا باع أو ذراع ،
أي تصرف بقي لك في قلبك ؟ وهو بين إصبعين .

(١) سورة النمل ، الآية ٥٢ .

يا قلب إلام تطالبي
أرسلتك في طلي لهم
سلم واصبر واخضع لهم
ما احسن ما اعقلت به

بلقا الاحباب وقد رحلوا
لتعود فضعت وما حصلوا
كم مثلك قبلك قد قتلوا
أما لك منهم لو فعلوا

الفصل الثاني والاربعون

يا من قد أسره الهوى فما يستطيع فكاكاً ، أفق قبل الومى ، وها
هو قد أدركك إدراكا قبل أن لا ينفع البكاء الباكي ولا التباكي
من تباكى .

(لابي العتاهية) : (١)

كفأكَ نذير الشيب فيك كفاكا بليتَ وما تبلى ثيابُ صباكا
مقامَ الشبابِ الغَضِّ ثم نعاكا ألم تر أنَّ الشيبَ قد قام ناعياً
بأهلاكه للمالكين عناكا ولم تر يوماً مر الا كأنه
أتطمع أن تبقى فلست هناكا ألا أيها الفاني وقد حان حينه
كأني بداعٍ قد أتى فدعاكا تسمعُ ودعُ من أفسد الغي سمعهُ
المنية فيما بينهن شراكا ورب امان للفتى نصبت له
ويوشك أن تهدي هديت كذاكا أراك وما تنفك تهدي جنازة
وينسلك من خلفته هو ذاكا ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى
وهبُ واذا الكربُ الشديد علاكا ألا ليت شعري كيف انت اذا القوى
وتنسى ويهوى الحى بعدُ هواكا تموتُ كما مات الذين نسيتهُم
عليك اذا الخطب الجليل آناكا كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة
غلقت فلم يقبل لمن فكاكا ترى الارض كم فيها رهون دفينه

كم سكن قبلك في هذه الدار ، فحام الموت حوم حماهم ودار ،

(١) لم اجد هذه القصيدة بكاملها في الديوان ، أنظر ديوان شعره ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

ثم ناهضهم سريعاً وثار ، كأنه ولي يطلب الثأر ، وقد خوفك بأخذ
الصديق وسلب الجار ، ومن أذدر قبل هجومه فما جار .

يا هذا ، العمر عمر قليل وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تعرض
البقية للتأويل ، وقد آن الآن أن يرحل النزير ، ما أرخص ما يباع
عمرك وما أغفلك عن الشرا ، والله ما يبيع أخوة يوسف يوسف بشن
بخس ، يا عجب من يبعك نفسك بمعصية ساعة ، متى ينتهي الفساد؟
متى يرعوي الفؤاد ؟ .

يا مسافراً بلا زاد ، لا راحلة ولا جواد ، يا زارعاً قد آن الحصاد ،
يا طائراً بالموت يصاد ، يا بهرج البضاعة أين الجياد ؟ يا مصاب
الذنوب أين الحداد ؟ ، لو عرفت المصاب فرشت الرماد ، لو
رأيت سواد السر لبست السواد ، جسمك في واد وأنت في واد ،
نثر الدر لديك وما تنتقي ، وقربت المراقبي إليك وما ترتقي ، لقد
ضيعت ما مضى وشرعت في ما بقي ، يا واقفاً في الماء الغمر وما
ينقى .

ان قلت قم قال رجلي ما تطواعني أو قلت خذ قال كفى ما تواتيني

واعجباً لنفاسة نفس رفعت بسجود الملك لما ، كيف نزلت
بالخساسة حتى زاحمت كلاب الشره ، على مزابيل الذن ، هيئات
لن تفلح الاسد إذا أنفقت عليها الميتات الفساد .

يا هذا ، جسدك كالناقة يحمل راكب القلب ، فلا تجعل القلب
مستخدماً في علف الراحلة ، تالله إن جوهر معنك يتظلم من سوء
فعلك ، لانك قد ألقيته في مزابيل الذل ، ماء حياتك في ساقية عمرك
قد اغدودق ، فهو يسيل ضايحاً إلى مهاوي الهوى ، وينسرب في أسراب
البطالة ، فقد امتلأت به خربات الجهل ومزابيل التفريط ، وشربته
أدغال الغفلات ، ويحك ، أرده إلى مزارع التقوى لعله يمدق نور
حديقة ، إلى متى يمتد ليلي الغفلة ؟ ، متى تأتي تبشير الصباح ؟ .

هل الدهر يوماً بوصل يجود وأيامنا باللوى هل تعود

زمان تفضي وعيش مضى بنفسي والله تلك العهود
ألا قلّ لكان وادي الحبيب هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وأنتم ورود

لما سبق الإختيار لاقوام في القدم ، جذبوا بعد الزلق في
هوة الهوى إلى نجوة النجاة . يا عمر ، كيف كانت حالك ؟ قال :
كنت مشغولاً بهبل فسمعت هتاف (فَفَرِّوْا إِلَى اللَّهِ) (١) فخرجت
على المنادي ، فإذا أنا في دار الخيزران يا فضيل ، من أنت ؟ قال
أخذت من قطع الطريق ، فاخذت في قطع الطريق . يا عتبة الغلام ،
من أنت ؟ قال كنت عبد الهوى فحضرت مجلس عبد الواحد ، فصرت
عبداً للواحد يا سبي من أنت ؟ قال كنت ابن الرشيد فعرض لي
رأي رشيد فإذا عزمي قد أخذ المرومر . يا ابن أدهم ، من أنت ؟
قال أخذني حبه من منظرتي فصيرني ناطور البساتين . يا رابعة ، من
أنت ؟ قالت كنت أضرب بالعود فما سمع غيري .

بالله يا ربيع الصبا	مري على تلك الربا
وبلغي رسالة	يفضها أهل قبا
واحربا وهل يرد	فاتيا واحربا

يا طفلاً في حجر العادة محصوراً بقمط الهوى ، مالك ومزاحمة
الرجال ؟ تمسكت بالدنيا تمسك الموضع بالظئر ، والقوم ما أعاروها
الطرف ، ما لك والمحبة وأنت أسير حبة ؟ كم بينك وبينهم ؟ ،
وهل تدري أين هم ؟ .

سلام على تلك المعاهد أنها شريعة وردي أو مهب شمالي
ليالي لم نخدر حزون قطيعة ولم نمش الا في سهول وصال
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلب برق أو بطيف خيال
سار القوم ورجعت ، ووصلوا وانقطعت ، وذهبوا وبقيت ، فإن
لم تلحتهم شقيت .

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٠ .

لبس البياض بذات عزق معشر ولبست من حزن ثياب حداد
وصلوا إلى عرقات يبغون الرضا وبقيت منكسراً بطن الوادي
رفعوا أكفهم وضجوا بالدعا وضممت من كمد يدي بفؤادي

يا من كلما استقام عثر ، يا من كلما تقرب أبعد ، إستسلم
مع الحرية واستروح إلى دوام البكاء وصح بصوت القلق على
باب دار الاسف .

ليس لي فيك حيلة غير صبري على القضا
وبكائي على الوصال الذي كان وانقضى
ليتني تبت توبة وقضى الله ما قضى

الفصل الثالث والاربعون

يا هذا ، من اجتهد وجدَّ وجَدَّ ، وليس من سهر كمن رقد
والفضائل تحتاج إلى وثبة أسد .

(للمهيار) : (١)

خاطرُ فإما عيشةٌ حسرةٌ يُرغدها العزُّ وإما الحيامُ
زاحمٌ على باب العلى واجتهد لا بد أن تدخلَ بين الزحامِ
رام بها الليلَ فما يُسفر المصباحُ الا عن نقابِ الظلامِ
مَوارقاً عن عَقْلِ أشطانها مروقٌ فوق السهم عن قوسِ رامِ
مَيِّزٌ من الناس على ظهرها نفسك لا ميزةَ تحت الرخامِ (٢)
من طلب الغايةَ خطأً على ظهر الهوينا رامَ صعبَ المرامِ

لقد رضيت الغبن والغبن ، وبعث عمرك بأقل ثمن ، وأنفقت فيما
يرد بك الزمن ، وفترت في الصحة ولا فتور الزمن ، يا مغروراً
بخضراء الدمن ، يا جامعاً مانعاً قل لي لمن ؟ ، كيف ينال الفضائل
مستريح البدن ، سلع المعالي غاليات الثمن ، وإن ساومتها فبزهد
اويس وفقه الحسن .

يا هذا أوقد مصباح الفكر في بيت العلم ، تلح لك الأعلام ،
من سد ثغور الهوى بجند الجلد ملأ عين راحته من نوم الطمأنينة ، من
دق صراط ورعه عن الشبهات عرض الصراط له يوم الجواز ، لله در

(١) من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين ، أنظر ديوان شعره ٣ / ٣١٨ - ٣٢٢ .
(٢) في الديوان « إحتشام » .

أقوام تأملوا الوجوب ففهموا المقصود ، فالناس في رقادهم وهم
في جمع زادهم ، والخلائق في غرورهم ، وعيونهم إلى قبورهم .

قال الإمام أحمد لقد رأيت أقواماً صالحين ، رأيت عبدالله بن
ادريس وعليه جبة من لبود قد أتت عليها سنون ، رأيت أبا داود
الحفري وعليه جبة محرقة قد خرج منها القطن وهو يصلي فيترجع
من الجوع ، ورأيت أيوب النجار ، وقد خرج من كل ما يملكه .

وكان في المسجد شاب مصفر يقال له العوفي ، يقوم من أول الليل
إلى الصباح يبكي .

إذا ما الخيام البيض لاحت لدى منى فخرج فانا بعدها بقليل
ترانا لدى الاطناب صرعى من الهوى نكفكف دمعاً لافتقاد خليل
وكم أنه أردفتها بتنفس وكم عبرة أتبعتها بعويل
قفوا وانظروا ذلي وعز معذبى تروا عجباً من قاتل وقتيل

عملت في قلوبهم معاول الحزن معاً ، فانبعثت من كل ركية ، ركية
ماء اسي ، فجرى من طرف طرفين ماء فجرى وسخاً فغسل وسخاً .

قد كنت اطوي على الوجد الضلوع ولا ابدى الهوى وأسوم القلب كتماناً
فخاني الصبر اذ ناديته ووفت لي الشئون فعاد السر اعلاناً
أكم الوجد والعينان تظهره للحب أعظم مما رمته شانا

قال أبو عمران الجربي : أرثني أُمي موضعاً من الدار قد انحفر ،
فقلت هذا مرضع دوع أهلك .

وكان حسان بن أبي سنان : يحضر مجلس مالك بن دينار ، فيبكي
حتى يبيل ما بين يديه ولا يسمع له صوت . (للهندي) : (١)

أجاب دمعي وما الداعي سوى طائرٍ دعا قلبه قبل الركب والإبل
ظلت بين أصيحابي اكفكفه فظل يسفح بين العُذر والعدل

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام ٣٤١ ، أنظر الديوان ص ٣٢٨ .

وما صبابة مشتاق له أمل من اللقاء كمشاق بلا أمل

دموع المحبين ، غدران في صحاري الشوق ، من عادة القوم ألف
البراري والجلوس إلى الشجر فإن سمعوا هتاف الحمام استغنوا عن نايح .

شوقي إليك مجاوز وصفي وظهور وجدي دون ما اخفي
ما دار ذكر منك في خلدي الا طرفت بدمعي طرفي

إذا تمكنت المحبة استحال السلو ، تعلقت يد المحبة بتلايب القلب
فلا يمكنه التخلص ، فيدور معها في دار المداراة .

ليكفكم ما فيكم من جوى نلقى فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقاً
وحرمة وجدي لا سلوت هواكم ولا رمت منه لا فكاكا ولا اعتقا

وهل للمحب قلب ، هيهات مزقته المحبة ، برائن أسود في شلو
ضعيف ، على شدة جذب مع وام التقلب .

ان ترحلت أو أقمت فعندي فيض دمع يجري ووجد مقيم
وقوادي ذاك الفؤاد المعنى وغرامي ذاك الغرام القديم

إنكشف اليوم السر ، إفتضح العاصي والعارف .

(لتوبة) :

خليلي قد عم الاسى وتقاسمت فنون البلى عشاق ليلى ودورها
وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقت فقد رابني منها الغداة سفورها

وقع الحريق في زوايا المجلس رشوا عليه من مزاد الدمع ،
يا كثيف الطبع بيض الحمام يفرق من صوت الرعد ولا حس له ،
أفميت أنت وهذه الصواعق حولك ؟

لو ترى العاشقين في مآتم الذل وقد شققت جيوب الوصال

لعلرت الذي بلى بفراق . ورحمت المحب في كل حال
هبت اليوم نسمة من أرض كنعان إلى مصر ، غنت حمامات
اللوى في أرض نجد ، تنفس المشتاق فانقشع غيم الهجر ، سعى
سمسار المواعظ في الصلح .
(للغزي) :

هبت لنا وبرود الليل أسمال ريح لها من جيوب الوصل أذبال
مرت بسفح اللوى والشح متشح بلؤلؤ الطل والجرباء معطال
مريضة في حواشي مرطها بلل يهدي لكل مريض منه ابلال
دع جمرة لسويدا القلب محرقة يا لأمني ثم قل لي كيف احتال
حدثت عن منحني الوادي وساكنه كرر حديثك لا حالت بك الحال
وامزج بماء المنى قلت : من خبر فان اخبار ذلك الحى جريال

الفصل الرابع والاربعون

أخواني ، شحم المنى هزال ، وشراب الآمال سراب وآل ،
ولذات الدنيا منام وخيال ، وحربها قتل بلا قتال .

والمرء يبليه في الدنيا ويخلقه حرص طويل وعمر فيه تقصير
يطوق النحر بالآمال كاذبة ولهزم الموت دون الطوق مطرور
جدلان ييسم في اشراك ميته ان افلت الناب أردته الأظافر

تيقظ لنفسك واذكر زوالك ، ودع الامل ولو طوى الدنيا
وزوى لك ، فكأنك بالموت قد حيرك وأبدى كلالك ، ونسيك
الحبيب ، لانه أرادك له لا لك ، وخلوت تبكي خلالك في زمان
خلا لك ، وشاهدت أمراً أفضلك وهالك ، تود أن تفتديه بالدنيا
لو أنها لك ، فتنبه من رقاد الهوى لما هو أولى لك ، واحذر أن
أعمالك ، أعمى لك وأفعالك كالافعى لك .

لو كان لك باعث من نفسك ، ما احتجت إلى محرك من خارج ،
هذا الديك يصيح في أوقات معلومة من الليل لا تختلف ، يؤدي
وظائفها يباعث الطبع وإن لم يكن في القرية ديك غيره ، وأنت
تؤخر وظائف صلواتك ، وتنقص من واجبات عباداتك ، فإن
بكيك في المجلس فلبكاء الجماعة ، فإذا خلوت خلوت من محرك ،
هيهات من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، إذا لم يكن للدجاجة
همة الحظن لم تنفع تغطيتها بمنخل الحاضن ، تصابر الشقاء لما تأمل
من العواقب والرعاء تكسر البيض قصداً .

الحصائص أوضاع والسوابق خواص « هؤلاء في الجنة ولا أبالي

وهؤلاء في النار ولا أبالي « المغناطيس يجذب الحديد بخاصية فيه ، العظيم
يبتلع الحصى والحجارة فيذيبها حرّاً قانصته حتى يجعلها كالماء الجاري ،
ولو طبخ ذلك بالنار لم ينخل ، ذنب الجرادة يشق الصخرة وليس بالقوى ،
إبرة العقرب تنفذ في الطشت ، خرطوم البعوضة يغوص في جلد الجاهوس ،
من تعلق عليه برادة الحديد لم يغط في نومه ، إذا ترك الرصاص أو الزينق
في تنور سقط الخبز كله ، فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم ،
إذا كان الزعفران في دار لم تدخلها وزغه ، إذا دفن الحديد في الدقيق
زال عنه الصدا ، إذا ترك سراج على شيء في نهر سكنت ضفادعه ،
إذا دفنت ذبّة في قرية لم تدخلها الذئب ، إذا نظر صاحب الثأليل
إلى كوكب ينفض فمسح بيده حينئذ على ثأليله ذهب ، إذا عسرت
الولادة فصاحت بالمرأة بكر يا فلانة أنا جارية عذراء وقد ولدت
وأنت لم تلدي ولدت في الحال للنملة ، فضل حسن في الشم تدرك
الاراييح البعيدة ، لما شق ختام نافجة النبوة ملأت ريحها الارض ،
فاستنشقها أهل العافية ، فوصل إلى خياشم سلمان في فارس وصهيب
في الروم وبلال في الحبشة ، وكان ابن أبي مزكوماً فما نفعه قرب
الدار ، كم من نفر دخلت مجلسي وهي حامل جنين الاصرار ، فلما
استنشقت ريح المواعظ أسقطت .

أيها التائب من حركك ؟ وقد كان تحريك الجبل دون إزعاجك
(صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ) (١) أتدرون هذا التائب لم انزعج ؟
أما تجدون في نفسه حرّاً وهج .

صبا لنسيم الصبا اذ نفح	وارقه لمع بسرق لمع
واذكره عيشه بالحمى	وعهداً تقادم سرب سنخ
فحن إلى السفح سفح العقيق	فسح له دمه وانسبح
وكان كتماً لسر الهوى	ولكن جرى دمه فافتضح
فدعه ينادي طول الحمى	ويسأل رامة عن نرح

يا غائباً عنا ، وهو حاضر اما لك ناظر ناظر ؟ اما دموع الوجد

قد ملأت المحاجر ؟ ، أف لبدوي لا يطربه ذكر حاجر ، أقل أحوال
الزمن أن يبكي إذا رأى المشاة ، أنظر إلى التائبين وحرقتهم ، والتفت
إلى العارفين وقلقهم .

اسمع أنين العاشقين ان استطعت له سماعا
راح الحبيب فشيئته مدام تجري سراعا
لو كلف الجليل الأصم فراق الف ما استطاعا

كلما بكى الخائفون أزعجونى ، وكلما استغاث الواجدون ألهفونى
واني لمجلوب لى الشوق كلما تنفس بك أو تألم ذو وجد
تعرض رسل الشوق والركب هاجد فيوقظني من بين نوامهم وحدي

يا صبيان التوبة . إرفقوا بمطايا أبدانكم فقد ألفت الترف (ولا
تضاروهن لتضيّقوا عليهن) (١)

هب لها من النسيم رائد فعادها من الغرام عائد
نوق نفى عنها الحمى طيب الكرى فهي كما شاء السرى سواهد
انحلها تحت الدؤب اينها فمارت الانساع والقلائد
فلا تخالفها اذا ما التفتت شوقاً إلى بان الحمى يا قائد
وقل لها لعا اذا ما عثرت فهي لحمل وجدها تكابد
مذ حكم اليبين عليها لم تزل تبكي عليها اليد والقدافد

يا صبيان التوبة ، للنفس حظ وعليها حق (فلأ تَميلوا كلَّ
المَيْلِ) (٢) خذوا ما لها . واستوفوا ما عليها (وزنوا بالقسطاسِ
المُسْتَقِيمِ) (٣) فإن رأيتم من النفوس فتوراً فاضربوهن بسوط الحجر
(فإن أظعنكم فلا تبيغوا عليهن سيلا) (٤) على أني أوصي صبيان
التوبة بالرفق ، وبعيد أن يقر خائف أو يسمع العذل محب .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٣٥ .

(١) سورة الطلاق ، الآية ٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٢٩ .

ليت شعري هل أرى في طريقي
قد رماني الحب في لجج بحر
حل عندي حبكم في شغافي
عفت دنياي اشتياقاً اليكم
ورفضت الكل شغلاً بوجدني
يا صديقي عندي اليوم شغل
يبدان تذكر لي حب قلبي
غصني الشوق إليهم برريقي

سعة تفسح كرب المضيق
فخذوا يا قوم كف الغريق
حل مني كل عقد وثيق
وتساوى خامها والديقي
فانجلي لي كل معنى دقيق
فاله عني واشتغل يا صديقي
فاعد ذكرهم يا رفيقي
واحريقي في الهوى واحريقي

الفصل الخامس والاربعون

أخواني . البدار البدار فما دار الدنيا بدار ، إنما هي جلبة لجريان
الاعمار ، وكم تبقى الفريسة بين النيوب الاظفار .

ما دار دنيا للمقيم بدار	وبها النفوس فريسة الاقدار
ما بين ليل عاكف ونهاره	نفسان مرتشفان للاعمار
طول الحياة اذا مضى كقصيرها	واليسر للانسان كالعاسار
والعيش يعقب بالمرارة حلوه	والصفو فيه مخلف الاكدار
وكأنما تقضي بنيات الردى	لفنائنا وطراً من الاوطار
ويروقتا زهر الاماني نضرة	هدم الاماني عادة المقدار
والمرء كالطيف المطيف وعمره	كالنوم بين الفجر والاسحار
خطب نضاءت الخطوب لهوله	أخطاره تعلق على الأخطار
تلقى الصوارم والرماح لهوله	ونلوذ من حرب إلى استشعار
ان الذين بنوا مشيداً واثنوا	يسعون سعي الفاتك الجبار
سلبوا النضارة والنعيم فاصبحوا	متوسدين وسائد الاحجار
تركوا ديارهم على أعدائهم	وتوسدوا مدرأ بغير دثار
خلط الحمام قويمهم بضعيفهم	وغنيهم ساوى بذى الاقتار
والدهر يعجلنا على آثارهم	لا بد من صبح المجد الساري
وتعاقب الملونين فينا نائر	بالكر ما نظما من الاعمار

تالله ما صبح من يطلبه مرضه ، ولا سر من سير وصل حل غرضه
ولا استقام غصن يلويه كاسره ، ولا طاب عيش الموت آخره ، إن
الطمع لعذاب ، وحدث الأمل كذاب ، وفي طريق الهوى عقاب ،

وآخر المعاصي عقاب ، فلا يُدعئك ضياء شباب ، ولا يطعمنك شراب
سراب ، فمجيء الدنيا على الحقيقة ذهاب ، وعمارة الفاني إن فهمت
خراب ، وفرح الغرور ثبور واكتئاب ، وذنو الشيب ينسخ ضياء الشباب
وكلما نادى الامل (فابلغه مأمته) ^(١) صاح الاجل (فضرب الرقاب) ^(٢) .
ياتاها في ظلمة ظلمه .

يا موزلاً في مفازة تيهه ، يا باحثاً عن مدينة حثفه ، يا حافراً زبية
هلكه ، يا معمقاً مهواة مصرعه ، بثس ما اخترت . لأحب الانفس إليك ،
ويحك ، تطلب الحادة ولست على الطريق ، كم فغر الزمان بوعظه
فماً ، فما سمعت (لينذر من كان حياً) ^(٣) كيف تطيب الدنيا ؟ لمن لا يأمن
الموت ساعة ، ولا يتم له سرور يوم إذا كان عمرك في إدبار ،
والموت في إقبال : فما أسرع الملتقى ، لقد نصبت لك اشراك الهلاك ،
والانفاس أدق الحبائل ، يا ماشياً في ظلمة ليل الهوى لو استضئت
بمصباح الفكر فما تأمن من بئر بوار ، الشهوات مبثوثة في طريق
المتقين ، وما يسلم من شرها شره الاولياء في حرم التقوى (ويتخطفُ
الناسُ من حَوْلِهِمْ) ^(٤) الدنيا مثل منسام والعيش فيها كالأحلام ، قيل
لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمراً كيف وجدت الدنيا ؟ قال : كدار
ذات بايين ، دخلت من باب وخرجت من باب .

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً
يا ثقیل النوم ، أما تنبهك المزعجات ؟ ، الجنة فوقك تزخرف ،
والنار تحتك توقد ، والقبر إلى جانبك يحفر وربما يكون الكفن قد غزل
(أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم) يا . اضراً يرى التائبين ، وهو في عداد
الغائبين .

واقف في الماء عطشان ، ولكن ليس يسقي
عاتب نفسك على هواها فقد وهاها ، قل لها ادرجي درج المدرج
وقد لاحت مني ، لا يوقفتك في الطريق طاقة من أم غيلان ، فالخبط

(١) سورة التوبة ، الآية ٦
(٢) سورة محمد ، الآية ٤
(٣) سورة يس ، الآية ٧٠
(٤) سورة المنكوت ، الآية ٦٧ .

في المنزل مهيو لك ، تلمح عواقب الهوى بين عليك الترك ، تفكر في حال يوسف لو كان زل من كان يكون ؟ ، هل كانت إلا لذة لحظة وحسرة الابد ، عبرت والله اجمال الصبر سليمة من مكس وبقيت مديحة (إنه عن عبادنا المخلصين) (١) .

يا هذا . إحسب صبر يومك ساعة نومك تحظ في غمك برغتك ، البدار إلى الشهوات والندامة فرسا رهان ، والتواني عن التوبة والحياة رضيعا لبان ، واعجبا غرتك جبة فنج فحصلت وما حوصلت ، اليوم واطربا للكاس ، وغدأ واحربا للإفلاس ، آه من حلالة لقم أورثت مرارة نقم ، تأمل العاقبة لا يحصل إلا لنا قد بصير ، من تلمح إذا تلا (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) (٢) وعرف قدر مدح (فآتمهن) علم أنه لم يبق في فيه شيئا من مرارة البلى مرارة (وإذا ابتلى) ضجت الملائكة حين هموا بإلقائه في النار ، فقالوا ائذن لنا حتى نطفي عنه ، فقال تعالى : إن استغاث بكم فأغيثوه وإلا فدعوه ، فلما ألقى عرض له جبريل ، وهو يسوي في الهواء فأراد أن ينظر هل للهوى فيه أثر ؟ ، فقال ألك حاجة ؟ قال اما إليك فلا ، فأقبل بمنشور (وإبراهيم الذي وفى) (٣) .

قالت لطيف خيال زارها ومضى بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظماء وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته يا برد ذلك الذي قالت على كبدي

(٣) سورة النجم ، الآية ٣٧ .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

الفصل السادس والاربعون

يا مجتنباً من الهدى طريقاً واضحاً ، إفتح عين الفكر تر العلم لأثماً ،
إحذر بئر الغفلة فكم غال سائحاً ، وتوق بحر الجهل فكم أغرق ساجحاً .

يا غادياً في غفلة ورائحاً إلى متى تستحسن القبائح
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً يستنطق الله به الجوارح
يا عجباً منك وانت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ في غد صحيفة قد حوت الفصائح
وكيف ترضى أن تكون خاسراً يوم يفوز من يكون رابحاً

يا معدوماً في الامس ، فانياً في الغد ، عاجزاً في الحال ، من أنت حتى
تغتر بسلامتك ؟ وتنسى حتفك ؟ وأملك بين يديك وأجلك خليفك ،
وكتابك قد حوى تفريطك ، كم نهيته عن أمر ؟ فما كفك النهي
أن تبسط كفك ، يا من قد طال زلله وتعثيره ، تفكر في عمر قد مضى
كثيره ، يا قلباً مشتتاً قل نظيره ، كم هذا الهوى ؟ واكم هوى أسيره ؟
أيها القاعد عن أعالي المعالي ، سبق الابطال والبطال ما يبالي ، ستعرف
خبرك يوم عتسابي وسؤالي ، وستقول عند الحساب مالي ومالي ، أعمالك
إذا تصفحت لهواك لآلي ، لو أشر فيك وعظي ومقالي لكنت لحر
الحسرات على حر المقالي .

إلى أي حين أنت في زي محرم وحتى متى في شقوة وإلى كم
فالا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسي الذل غير مكرم
فنب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجاجنى النحل في القم

ويحك ، إنما يكون الجهاد بين الامثال ، ولذلك منع من قتل النساء والصبيان ، فأبي قدر للدنيا حتى يحتاج قلبك إلى صمارة لها ؟ أما علمت شهواتها جيف ملقاة ، أفيحسن بياشق الملك أن يطير عن كفه إلى مية ؟ مهلاً (لا تمدن عينيك) لو علمت أن لذة قهر الهوى أطيب من نيله لما غلبك ، أما ترى الهرة تتلاعب بالفأرة ولا تقتلها ليبين أضرار اقتدارها وربما تغافلت عنها ، فتمعن الفأرة في الحرب فتشب فتسدر كها ولا تقتلها إثارةً للذة القهر على لذة الاكل ، من ذبح حنجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق القلب من أسر الرق ، من ردم خنادق الحرص بسكر القناعة ظفر بكيمياء السعادة ، من تدرع بدرع الصدق على بدن الصبر هزم عسكر الباطل ، من حصد عشب الذنوب بمنجل الورع طالبت له روضة الاستقامة ، من قطع فضول الكلام بشفرة الصمت وجد عنوية الراحة في القلب ، من ركب مركب الحذر مرت به رخاء الهدى إلى رجاء النجاة ، من أرسى على ساحل الخوف لاحت له بلاد الامن ، إلا عزيمة عمرية ، إلا هجرة سلمانية جاءت بمركب عمر ، جنوب المجانية للحق إلى دار الخيزران ، فلما فتح له الباب انقلب شمالاً ، مد يده لتناول خمر الفتك فاستحالت في الحال خلا ، جاء وكله كدر ، فلما دنا من الضفا صفا ، كان ماء قلبه لما جنى ملحاً آجنا فلما تلقاه النذير بالعذاب عذب .

يكون اجاجاً دونكم فاذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

سقم قلب سلمان من معاناة أمراض المجوس ، فخرج إلى أودية الادوية فالتقطته يد ظالم ، وما عرفت . فهان على يوسف البيع ليلتي العزيز ، فيينا هو في نحلة يحترفها قدم مخبر بقدم الرسول ، فتزل ليصعد وصاح به : حدثني .

نزلوا جبال تهامة فلأجلهم يهوى الفؤاد تهامة وجبالها
يا صاحبي قفا علي بقدر ما أسقي بواكف عبرتي اطلالها

واعجباً . أطلب الشجاعة من حسان ، وأسأل عن الهلال لمن أم

مكثوم ، أتسلو سورة يوسف على روبييل ، أستملي الفصاحة من باقل ،
وأنتظر الوفاء من عرقوب ، لقد رجعت إذن بحفي حنين ، يا من نقده
مردود ، وعقله محلول ، نيتك في الحيرية لو أنضجتها نيران خوف
أو شوق لانتضعت بها .

ولي قوادم لو اني جذب بها لا نهضتني ولكن افرخي زغب

غمض عينيك على الدواء يعمل ، وافتحها لروية الهدى تبصر ،
حجر المعصية تطحطح اناء القلب ، وضبة التوبة شعاب ، يا من عزمه في
الإنابة جزر بلا مد ، وقفت سفينة نجاتك ، ليل كسلك قد طبق آفاق
التردد ، وقد طلبت فيه أطيبار الهمة أوكار الدعة ، فلو قد طلعت
شمس العزيمة في نهار اليقظة لانبث عالم النشاط في صحراء المجاهدة
يا صبيان التوبة ، تزودوا للبادية تأهبوا لحاجر ، إنعلوا الإبل قبل
زرود ، ولا تنسوا وقت تناول الزاد جما لكم .

بين العقيق والكثيب الفرد علاقة لي من هوى ووجد
سل هضبات الرمل من جزع اللوى يوم النوى عن قلقي ووجدي
واستخبر الانجم عن صبابتي بساكني نجد وأرض نجد
فمن مجبري أو ممن استعدي وليس عند عاذلي ما عندي

الفصل السابع والاربعون

واعجباً ، لنفس تدعى إلى الهدى فتأبى ، ثم ترى خطأها بعين
الموى صواباً ، كم أذهبت زمناً وكم أفنت شباباً ، وكم سودت في
تبييض أغراضها كتاباً .

استغفر الله من نفس طغت وأبت
جابت لي الشيب أوقات الشباب فما
خانت فخابت وما طابت ولا سعدت
ودأبها في أمور غير نافعة
همت بخير فلم تعزم ورزقها
أما طريق المعالي فهي واضحة
والعالمون جميعاً عالمون بها
ألا يسائل أملاك الورى فطن
ان الذي طلبته لا يدوم لها
ألم يروا دول الماضين قبلهم
لا تفرحوا بهيات من زمانهم
لو اعلمت علمنا الغبراء ما ركدت
وام دفر اذا ميزت حالتها
وكيف ترجو صلاحاً من خلقتها

أبت إلى هذه الدنيا فما أتأت
أجابت النصح لكن سيئاً جلبت
وكم أرابت ورابت ثم ما رأبت
ولو توافق أمست للنقي دابت
خطب اذا هي في غير التقى ربت
لكل طرف سرى عنه الكرى لحبت
على ركائب عن معروفها نكبت
علام جمعت الاجناد واحتربت
ولا مسرة ان فازت بماء طلبت
كانوا باحسن ما كانوا بها ذهبت
ستمرد الليالي كلما وهبت
تحت الانام أو الخضراء ما ثقبت
كام صل اذا ما عضت انقلبت
كلما الناس فيه من أذى جلبت

لله در أقوام تأملوا غيبها وما زالوا حتى رأوا عيبها ، نزلوا من
من الدنيا منزلة الاصياف ، أخذوا الزاد وقالوا ما زاد إسراف ،
وقفوا عند الموم والمؤمن وقاف ، رموا فضول الدنيا من وراء قاف

لو رأيتهم في الدجى ، يراعون النجوم ، وخيل الفكر قد قطعت حلبات
الهموم يشكون جرح الذنوب ويكـون الكلوم ، أحرقت أجزائهم
أجسامهم ، وبقيت الرسوم بلغتهم البلغ ورمتك التخم في التخوم ،
سكروا من مناجاة الكريم ، لا من بنات الكروم ، أصبحت عليهم آثار
الحبيب والطيب نموم ، هذه سلع الاسحار من يشري ؟ من يسوم ؟
أين قلبك الغائب ؟ قل لي لمن تلوم ؟ ، جسمك في أرض العراق وقلبك
في أرض الروم ، مهر الطبع ما ريفض ، أهاب البشرية ما دبع ، في عين
البصيرة عشا ، عرائس الموجودات ترفسل في حلل مختلفة الصنعة
والصبغة والصبغة ، تعبر إلى المعبر في معبر الإعتبار ، فهل حظك حظها
من النضارة أن تحظى من النظر بحظ .

واعجباً لك لو دخلت بيت ملك لم تزل تتعجب من رقوش نقوشه
فارفع بصر التفكير واخفض عين البصيرة ، فهل أحسن من هذا الكون ؟
تلمح نجم السقف كيف مسدّ بلا أطناب ؟ ، ثم زخرف نقشه برقم
النجوم ، والهلال دملوج في عضد السماء ، فإذا جن الليل كحلت
العيون بأتمد النوم ، واجتلاها أهل (تَتَجَافَى) (١) فإذا جلى ركب
الدجى ، جلا ضوء الشمس عن الابصار رمد الظلام ، أنظر إلى الارض
إذا تابت من زوج القطر ، ووجدت لفقده إنفاقه مس الجذب ، كيف
تحد في ثياب (وتَرَى الارضَ خَاشِعَةً) (٢) طالما لازمت حبس الصبر
وسكنت مسكن المسكنة لولا ضجيج أطفال البئر ، فإذا قوي فقر القفر
إمتدت أكف الطلب تستعطي زكاة السحاب ، فهبت الجنوب من
جناب اللطف ، فسحبت ذيل النسيم على صحصح الصحاري ، فتحررت
جوامد الجلاميد وانته وسان العيـدان لقبول تلقيح اللواقيح ، فإذا
لبس الجـو مطرفه الادكن ، أرسل خيالة الفطر شاهرة أسياف البرق
وأندر بالاقدام صوت الرعد ، فقام فراش الهواء يرش خيش النسيم ،
فاستعار السحاب جفون العشاق وأكف الاجواد ، فامتلات الاودية
أنهاراً ، كلما لمستها كف النسيم حكى سلساها سلاسل الفضة ، فالشمس

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٩ .

(١) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

تسفر وتنتقب ، والغمام يرش وينسكب ، فانعقد بين الزوجين .
 عقد حب الحب ، فلا يزال السحاب يسقي ذر البدر . بندي الندى ،
 وكلما احتاج إلى فضل قوت كر الرك ، وشط الطش ، ودق الودق (١)
 فطم إلى أن فطم الطفل ، فإذا وقعت شمس الشتاء في الطفل ، نشأ أطفال
 الزرع فارتبع الربيع أوسط بلاد الزمان ، فأعار الارض أثواب الصبا
 وروح كربها بنسيم الصبا ، فانتبهت عيون النور من سنة الكرى ،
 فكم نهضت من الغروس عروس بسين يديها الاوراق كالوصائف
 فصافحت ريحها الخياشم ، ومنظرها الخدق ، فكان عين الزرجس عين
 وورقه ورق ، فالشقايق تحكي لون الحجل والبهار يصف حال
 الوجل ، والنيلوفر يغفى ويتبه ، والاغصان تعتنق وتفترق ، وقد
 ضرب الربيع جل ناره في جلناره ، وبثت الاراييح أسرارها إلى النسيم
 فتم ، فاجتمع في عرس التواصل فنون القيان ، فعلا كل ذي فن على
 فن ، فطارخت الاطيسار مناظرات السجوع ، فأعرب كل بلغته عن
 شوقه إلى الفه ، فالحمام يهدر ، والليل يخطب ، والتمري يرجع ، والمكاء
 يغرد ، والاغصان تتمايل ، كلها تشكر الذي بيده عقدة النكاح ، فحينئذ
 تجد خياشم المشوق ضالة وجده .

لي بذات البان أشجان	حبذا من أجلها البان
حبذا رياه يوقظه	من نسيم الفجر ريعان
حبذا ورق الحمام اذا	رنحتها منه أغصان
داعيات بالهديل لها	فيه اسجاع والحان
اعجميات اذا نطقت	ليس الا الشوق تبيان
كلما غنيتني هزجاً	هاجني للذكر أحزان
ما لي بي ميل الغصون بها	طربي فالكل نشوان
يا حمام البان يجمعنا	وجدنا اذ نحن جيران
يحن بالشكوى إلى فما	بين أهل الحب كتمان

(١) الرك والطش والودق أنواع المطر .

يتشاكى الواجدون جوى
أنا مخلص القرين وانن
وبعيد الدار عن وطن
آه من داء أكاتميه
لا تزدي يا عدول جوى
واحدأ والوجد الوان
أزواج واقران
شاقه للبان أوطان
والهوى سر واعلان
أنا بالأشواق سكران

الفصل الثامن والأربعون

من علم أن هبات الدنيا هبا حل من غل ذل .

الدهر مستعجل يحب	فاختم وطين الكتاب رطب
ان الذي انت فيه حلم	وسوف تنساه اذا تهب
توق مكر الزمان واحذر	ولا تثق فالزمان خب
جميع أفعاله غرور	وكل ما نحن فيه لعب
وليس يبقى عليه شيء	يكرهه المرء أو يحب
أسمع أحاديث من تقضي	بما من له ناظر وقلب

الدنيا تعطي تفاريق وتسترجع جملاً ، وترضع أفاريق وتقطع
عجلاً ، يراني خيرا وإن واتي لمعا ، ثم يأتي شرها حين يأتي دفعا
فترى العبرات عند فقدها تراق ولا ترقا ، والزفرات عند سلبها تهد
ولا تهدأ ، ويحكم أن المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه ،

إخواني : ذودوا هممكم عن مرعى المنى فإنه يزيدا عجفاً ، ولا
تولوا الهوى على ميدان الابدان (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن
يُظهِرَ في الارض الفساد)^(١) الهوى وثن ينصب في جاهلية الشباب
فإن صح إسلام العزم جعل أصنام الشهوات جذاداً ،

يا معاشر الشباب زيدوا في سلاسل الهوى فإن شيطان الهوى
مارد ، زنوا حلوى المشتبهى بمر العقاب بين لكم التفاوت ، إلى متى
يقودكم الهوى ؟ إلى متى تستعبدكم الدنيا . ؟

(١) سورة غافر ، الآية ٢٦ .

(١) : (للشريف الرضى)

كم اصطباراً على ضيمٍ ومنقصةٍ وكم على الذل اقراراً واذعاناً
ثوروا لها وكتهن فيها نفوسكم ان المناقب للارواح اثماناً

إلى متى جمود الاناث ؟ أين الحركة الرجولية ؟ .

(٢) : (للمهيار)

قم فانتشطها حسبها أن تُعقلا ودع لها ايديها والارجلا
لا يطرحُ الذل وراء ظهره إلا فتي يُنضي المطايا الذُّللا

الجد الجدد فالطريق طويلة ، دار الناقة بذكر الدار عللها بصوت
الحدأة ، فإذا لاح لها المنزل فشوقها يسوقها .

(للمهيار) :

ارخ لها زمامها والانسعا وارم بها من العلى ما شسعا
وارحل بها مغترباً عن العدى توطك من أرض العدى متسعا
يا رائد الظعن بأكتاف اللوى بلغ سلامي ان وصلت لعلعا
ماذا عليهم لو رثوا لساهر لولا انتظار طيفهم ما هجعما

إخواني : انبعث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالاجر ،
فإذا حصل تسليم النفوس في الجهاد إلى القتل كان النهاية في كمال
اليقين ، فإذا وقع الفرح بأسباب التلف دل على كمال المحبة ، كما قال
عبدالله بن جحش اللهم سلط على غداً عدواً يبقر بطني ويجدع
أنفي ، فإذا لقيتك قلت هذا فيك ومن أجلك .

وطعن حرام بن ملحان ، فنفا فيه الرمح فقال : فزت ورب الكعبة .

(١) من قصيدة قالها يصف الأسد ، أنظر الديوان ٢ / ٤٤٨ - ٤٥٣ .

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شهاب الدولة بن بيبس ، أنظر ديوان شعره ٣ / ٢٠٠ - ٢٠٦ .

لو رأيتهم والمعترك قد اعتكرو وقد تقدموا في القدموس^(١) فانبلج الامر
 وجاش جأش الجيش في افرة^(٢) فلم يتميز الملقام^(٣) السرعرع ،
 من القلهزم^(٤) الخنزقرة ، وإذا الغضنثر^(٥) الدمكمك والقخر^(٦)
 العلندي والضباضب^(٧) الدلامر كلهم في مقام اجفيسل^(٨)
 فلما انزعجت الطباع تذكروا قبيح الجناية ، فمدوا أيدي التسليم
 للودايغ ، فحضب الدماء محاسن وجوه ، طال ما صبرت على برد الماء
 وقت الاسباغ ، وحصدت مناجل السيوف زروع روس طال ما
 أطرقت في الاسحار ، وعادت خيولهم خلية عنهم فوططتهم بعد السنا
 تحت السنايك ، واقتسم لحومهم عقبان السماء وسباع الارض ، فكم
 من رجل رجل ، طالما قامت فصلت فصلت ، وكم من يد بالدعاء
 رفعت وقعت ، وكم من بطن حمل بالصيام ما شق شق ، وكم من
 عين كانت تعين الخزين بالفيض وقعت في منقار طائر هذا حديث
 الاجسام فأما الارواح ففي دار السلام ، والله ما كانت إلا غفوة
 حتى أعطاهم العفو عفا عفوهم ، وكأنكم بأجسادهم التي تفرقت قد
 تلفقت ، وبالقبور التي جمعتهم قد تشققت ، وقد قاموا بالسلاح
 حول العرش ينادون بلسان الحال ، عن صاحبه حاربنا ولاجله قتلنا ،
 وكلومهم يومئذ قد انفجرت فجرت ، اللون لون الدم والريح ريح
 المسك ، فليعلم الشهداء حينئذ أنهم الشهداء ، لسمع يا من لا يحارب
 الهوى ولا ساعة فلو فانتك الغنائم وحدها قرب الامر ، وإنما لقب جبان
 قبيح ، أين أرباب العزائم القوية ؟ إمتلأت بالابرار البرية ، رحلوا عنها
 وفاتوا ، ونحن متنا وهم ما ماتوا .

خَلَّتِي طَرْفِي وَالْبِكَاءُ ان كُنْتُ خَلِي
 فالحمي اقفر من جار واهل
 والح من لم يدر ما طعم الاسي
 انا عن لومك في اشغل شغل

-
- (١) الملك الضخم .
 (٢) بضم الهمزة والفاء وتشديد الراء الإختلاط
 (٣) أي الصلب الضخم .
 (٤) أي الضخم الطويل .
 (٥) أي القوي العظيم .
 (٦) أي الجبان .
 (٧) أي الأسد الشديد .

واعترضات الهوى باباً لعذل
للتأسي أو تسلي للتسلي
أم قلوب بين حصباء ورمل
والتجاني عن بلى الاطلاب يبلي
في فؤادي أهله لا في المحل
مستهام والمي جهد المقل
من لعيني أن ترى النوم ومن لي
بسفاهي فاشتروا عزي بذلي
جفوة منكم فرقوا للأقل
وارحموا من ما له طاقة ثقل
بان غني بين بانات وائل
ناه قلبي في حماها ضل عقلي
غير أن ما شكلها في الحزن شكلي
وهي في غير اضطرار فيه مثلي
وحماه الغيث من ظل ووبل
وأراح العيس من شد وحل
ولعلي أن أرى الخيف لعلي

لم يدع وقر الهوى في سمعي
غير قلبي أن تأسي عاشق
أثاف ما ترى تشكو الصلا
هذه من بعدهم آثارهم
ما وقوفي في محل ساكن
يتمنى طيفكم صب لكم
والذي يستجلب الطيف الكرى
بعث حلمي طائماً لا كارهاً
وانقضى أكثر عمري في القلى
حملوني الخف من هجركم
عجياً لي ولقلب ضائع
سل بقلبي عن خيام باللوى
ذات طوق مثل شجوى شجوها
أنا في النوح اضطراراً مثلها
حرم الله على البان الصبا
ما على السائق لو حل التقى
فعسى تدنى المني مني مني

الفصل التاسع والاربعون

عجباً لراحل عن قليل غافل عن زاد الرحيل لا يعتبر بأخذ الجليل
وإنما هو تأخير وتعجيل ، أين التريل ؟ أزيل . أين القويم ؟ اميل . أين
المطمئن ؟ اغتيل .

إن الليالي لا تبقى على حال والناس ما بين آمال وآجال
كيف السرور باقبال وآخره إذا تأملته مقلوب إقبال

تفظوا فالايام دائبة ، وتحفظوا فالسهام صائبة ، واحذروا دنياكم
فما هي موآتية ، واذكروا اخراكم فما هي آتية ، أما رأيتم الدنيا
فقد أبانت خدعها ومكرها ، إذا بان من جمعها مكرها ، أين الارتياح
للسلامة غدا ، أين الاستعداد ؟ قبل الندامة أبدا ، كأنكم بالمسير عن
الربيع قد أذف ، وبالكثير من الدمع قد نزف ، وبالمقيم قد ابين مما
الف ، وبالكريم قد أهين لما تلف .

يا طالب الدنيا دنا فراقها تزويجها أسرع أم إطلاقها

ودين من يخطها صداقها

عباد الله من تعلق قلبه بالجنة لا يصلح لنا ، فكيف بمن يهوى
الدنيا ، ؟

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

السلطان لا يزاحم في داره ، « لا يسعني شيء ويسعى قلب عبدي المؤمن » (١)

غيم عن العين القريحة فيكم وسكنتم في القلب دار مقام
وسلبتم جلدي التصبر عنكم فالصبر أول راحل بسلام

خرج المرید الصادق من ديار الهوى إلى بادية الطلب ، فجن
عليه ليل التحير فجن ، فإذا نار القرى تلوح إن حملت رجل الرجل .

(للمهيار) : (٢)

قد ابصرتُ حقاً منها في « الحمى » وظنَّها « بحاجر » يقيناً
فبَلَّغْتُ - أدعو لها - وبلَّغْتُ وخانني من لم يقل : آمينا

كرب المحب بالنهار يشنده لمزاحمة رقباء المخالطة ، فبلبل بلباله
يتبلل في قفص الكتم ، فإذا هبت نسيمُ السحر وجد بروحه روحاه
يصل من قصر مصر المنى إلى أرض كنعان الامل ، فيقدم ركب الشوق
يتجسس النسيم ، من فرج الفرج وآهٌ وآهٌ ، فنهض توق الشوق فتكلم
قلم الشكوى ، ورقم وصف القوم وحكى ما حاكى ، وكنى عن ما
كنى .

عاودَ القلبُ غرامه	وجفا	الجفن	منامه
كلما قلت جوى الشوق	خبا	زاد	اضطرامه
أنا في أسرك والماصور	قد	يرعى	ذمامه
آه من عتبك في الليل	إذا	جن	ظلامه
سيدي هائمك الحيران	قد	زاد	هيامه
هو ميت غيران لم	تبل	في الترب	عظامه
كنهاري منذ فارقتك	ليلي	لا	أنامه

(١) ليس له أصل ، راجع إحياء علوم الدين مع التخريج ١٥ / ٣ .

(٢) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة بن المزرع ، أنظر ديوان شعره ٩٣ / ٤ - ٩٧ .

إذا اعتكرك الليل اعترك الهم ، طال الدجى على الأبدان وقصر
على القلوب .

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقتصر الليل عندنا

لو رأيت رواحل الأبدان قد أنصاها طول السهر وأضناها ، فلما
هبت نجديّة السحر مدت أعناق الشوق فزال كل الكلال .

(لصردر) : (١)

تراورن عن « اذرعات » يمينا نواشزَ ليس يُطعنَ البرينا (٢)
كلّفنَ « بنجد » كأنّ الرياضَ اخذنَ « لنجد » عليها يمينا
وأقسمنَ يحملنَ إلا نحيلا إليه ويُبْلغنَ إلا حزيننا
ولما استمعنَ زفيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركزنَ الحينا
إذا جتتا بانه « الواديين » فأرخو النسوع وحلّوا الوضينا (٣)
فتمّ علائقُ من أجلها ملاءُ الدجى والضحي قد طوينا
وقد انبأتهم مياهُ الجفون بان بقلبك داء دفيننا

دموع الخافين يجسها بالنهار مراقبة الخلق ، فإذا جن الليل
إنفتح سكر الدموع (فسالت أودية بقدرها) (٤) أرواح الاسحار
أقوات الأرواح ، رقت فرقت حرجد الوجد ، وبلغت رسائل الحب
ومكروب الشوق يرتاح للرياح .

يا نسيم الريح هل من وقفة تطغي الغلة أو تشفي الاواما
كن رسولاً بسلام عائداً نحو من أنقذني فيك السلاما
لم تُر شجوى حمامات اللوى بل غرامي علم الشجو الحماما

(١) مطلع قصيدة يمدح بها رئيس الرؤساء ابن المسلمة عام ٤٤٨ ، أنظر ديوان شعره ١٥ .

(٢) آذرعات : بلد في أطراف الشام ، البرين : حلقة تجمل في أنف البعير يكون فيها
زمانه .

(٣) النسوع : حبل يشد به الرجل . الوضين : بطان مريض منسوج يكون للهودج .

(٤) سورة الرعد ، الآية ١٧ .

كانت بردة العابدة تنادي في جوف الليل : غارت النجوم ونامت
العيون ونحلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك يا خير محبوب ،
أفراك تعذبني ؟ وحبك في قلبي لا تفعل يا حبيباه .

إن شئت سألت دمع عيني عني يخبرك بأنني أسير الحزن
منك الغفران والخطايا مني ظني حسن فيك فحقق ظني

يا غافل القلب ، ما هذا الكلام لك ؟ ، ليس على الخراب خراج ،
لا يعرف البر إلا سائح ، ولا البحر إلا سايح ، ولا الزناد إلا قادح .

ضمنا يوم تنادوا للقسا موقف يعرفه من عشقا

لما عشقت اللبابة الشجر ، تقلمت طلباً لاعتناق الرؤس ولثم
الحدود ، فقيل لها مع الكثافة لا يمكن ، فرضيت بالنحول ، فالتفت
فالتفت .

حبي والوجد أورياني سقسما هذا جسمي يعد عظماً عظما
دعني والشوق قد كفاني خصما يا سهم البين قد أصبت المرمى

الفصل الخمسون

إخواني : من تفكر في ذنوبه بكى ، ومن تلمح سير السابقين وانقطعه
شكا ، ولا أقلق القلب مثل الحزن ولا نكا .

عند قلبي علاقة ما تقضي وجوى كلما ذوى عاد غضا
وبكاء على المنازل ابلتهن أيدي الأيام بسطاً وقبضا
من معيد أيام ذي الاثل او ما قل منها دبنا علي وقرضا
سامحا بالقليل من عهد نجد ربما أقنع القليل وأرضى
مهدياً لي من طيب أرواح نجد ما يداوي نكس العليل المنضى

إخواني : تفكروا في ذنب أبيكم ونزوله بالزلزل ، ويكفيكم
رمز إلى آدم بأنك عبد ، في قوله (أن لك أن لا تجوعَ فيها ولا تعمرى) (١)
لان العبد ليس له إلا ما سد الجوعَة وستر العورة ، فجاء إبليس
يطمعه في الملك ، فلما خرج إلى الطمع خرج . نام في الجنة فانتبه
وقد خلقت له حوى ، فقال : ما هذا ؟ قيل : من يريد النوم يخاق
له ضجيج كفى بالثوق مسهرا ، فلما وقع في الزلزل طار النوم .

متى شق جيب الجنح بالبارق الومض وهبت قبول فالسلام على الغمض

بالامس جبريل يسجد له ، واليوم يجر بناصيته للاخراج ،
ولسان حاله يستغيث .

حداة العيس رفقا بالأسير ليغم نظرة قبل المسير

(١) سورة طه ، الآية ١١٨ .

ويا بان الحمى هل فيك ظل
ويا ربح الشمال بحق حبي
وهل سحبت على شيخ ورنند
فعند حشاي مزدحم الزفير
وصدق هل مررت على الغدير
ذبولك يا مبللة الضمير

بكى على زلته ثلثمائة عام حتى
يا من يضحك عند المعاصي .
سالت الاودية من دموعه ، اسمع

سلوا بعدكم وادي الحمى ما أساله
وهل ما أراه الموت أم حادث النوى
دمي ودموعي في هواكم أم القطر
وهل هوشوق في فؤادي أم الجمر

كان يقول لولده : يا بني طال والله حزني على دار أخرجت منها ،
فلو رأيتها زهقت نفسك .

قف	فتلك	الطلول
واقر	عني	سلامي
رب	سكان	دار
فاسأل	الدار	عنهم
لي	وللين	فيهم
قد	كفاني	غرامي
لست	أدري	إذا ما
خلفوني	معنى	
وابكها	يا	رسول
من	عليها	نزول
في	فؤادي	حلول
واستمع	ما	تقول
شرح	حال	يطول
لا	ترد	يا عدول
لمتني	ما	أقول
والمعنى		حمول

قيل له : رد إقطاعنا فحل الإقطاع بجنابة لقمة ، فاما غسل آدم
جنابة الجنابة رد الإقطاع عليه ، لولا لطف (فتلقى) لقتله الاسف .

من لي من لي بوصل حب نازح
صالح من عاش بالأمانى صالح
لو بيع بمهجتي لكنت الزابح
سامح في النقد يا حبيبي سامح

يا من جرى عليه ما جرى على أبيه ، إسلك طريقه من البكاء .

نخل دمع العين ينهمل بأن من تهواه فاحتسوا
كل دمع صانه كلف فهو يوم البين مبتذل

أكتب قصة الندم بمداد الدموع ، وابعثها مع ريح الزفرات ، لعل
الجواب يصل برفع الجوى .

كيف لا أبكي على عيش مضى بعث عمري بحقير الثمن
كيف أرجو البرء من داء الهوى وطيبني في الهوى أمرضني

إنته لنفسك يا من كلما تحرك تعرقل ، فيك جوهريّة السباق
ولكن نحتاج إلى رائف ، قلبك محبوس . في سجن طبعك ، مقيد بقيود
جهلك ، فإذا ترنم حاد تنفس مشتاق إلى الوطن ، فالبس لامة عزمك
وسر بجد جدك ، لعلك تخلص هذا المسلم من أيدي الفراعنة .

أبالغوا يشاق تلك النجودا رميت بقلبك مرمى بعيدا
فؤاد أسير ولا يفند لي وجفن قتيل البكا ليس بودي

لك الحديث يا معرض : أنت المراد يا غافل ، يا مستلذاً برد
العيش تذكر حرقة الفرقة ، يا من يسلمه موكلان إلى موكلين ، ما
لانساطك وجه ، إنما تملي عليها رسالة إلى ربك ، وما أراك تمل ، قَبِحَ
ما تمل ، يا جامد العين اليوم ، غداً تدنو الشمس إلى الرأس ، ففتتح
أفواه مسام العروق فتبكي كل شعرة بعين عروقها ، يبرز يوسف
المية فيقد قميص الكون ، نفخ الريح اليوم يحرك الشجر ، ونفخ
النور غداً يعمل في الصور ، ريح الدنيا بين مثير لاقح تثير
دقائق النبات وتلقح الأشجار وتثير دقائق الأعمار ، وريح الأخرى
تلقح الأشباح للأرواح لقراءة دفاتر الأعمار ، أين الذين نصبوا الآخرة
بين أعينهم فنصبوا ، وندبوا أنفسهم لمحو السيئات وندبوا ، كان داود
الطائي ينادي بالليل ، همك عطل على الموم ، وحالف بيني وبين
السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك حال بيني وبين اللذات ، فأنا في سجنك
أيها الكريم مطلوب .

يا مالك مهجتي ووالي ديني كم ينشرني الهوى وكم يطويني
هجرانك مع محبي يفضيني هل تدركني بنظرة تحميني

إذا جن الغاسق جن العاشق .

طال ليلى دون صحي سهرت عيني وناموا

كانوا يتراسلون بالمواعظ لتتفع المساعدة على اليقظة ، كصياح
الحارس بالحارس . يا نيام السحور :

(للمصنف) :

عرجوا بالرفاق نحو الركب
وخذوا لي من النقيب لماظاً
فهبوب الرياح من أرض نجد
يا نسيم الصبا ترنم على الدوح
من معيد أيامنا بلوى الجزع
وقفوا وقفة لأنشد قلبي
أوردوا بي إلى العذيب وحسي
قوت روحي وحبذا من مهب
بصوت يشجي وإن طار ليلى
وهيهات أين مني صحي

الفصل الحادي والخمسون

أين اللاهون بالمزاج زاحوا ؟ أين شاربوا الراح راحوا ؟ وبك وبك
يا صاح ، لقد ندبوا في قبورهم على الونى وناحوا .

يا أيها الواقف بالقبور بين أناس غيب حضور
قد سكنوا في جلدت معمور بين الثرى وجندل الصخور
ينتظرون صيحة النشور إنك عن حظك في غرور

أين أرباب المناصب ؟ ، أبادهم الموت المناصب ، أين المتجبر الغاصب ؟
أذله عذاب واصب ، لفت والله الاكفان كالعصائب ، على تلك العصائب ،
وحلت بهم آفات المصائب إذ حل بلباتهم سهم صائب ، فيا من يأمن
هذه النوائب ، أحاضر أنت أم غائب ؟ كم عاص بات في ذنوبه ،
يتقلب على فراش عيوبه ، مزمار ومزهر ومسكر ومزكر ، فجاءه الموت
فجاءة فأنساه ولده ونسائه ، وجلب مساوئه ما ساءه ، فنقل إلى اللاحد
ذميما ، ولقي من غب المعاصي أمراً عظيما .

بيننا تراه غادياً رائحاً في نعم غادية رائحة
إذا بيوم طالع مخرج من خبئه آماله الصالحة
كم سالم صحته موته وقائل عهدي به البارحة
أمسى وأمست عنده قينة فأصبحت تندبه نائمة
فكن من الدنيا على صيحة واينا ليست به صائحة
من كانت الدنيا به برة فلإنها يوماً له ذابحة

واعجباً ، لمن رأى هلاك جنسه ولم يتأهب لنفسه قال البازي

لديك : ليس على الارض أقل فاء منك ، أخذك أهلك بيضة نحضرك
فلما خرجت جعلوا مهدك حجورهم ومائدتك أكفهم ، حتى إذا
كبرت صرت لا يدنون منك أحد إلا طرت ها هنا وها هنا وصحت ،
وأنا أخذت مسناً من الجبال فعلموني ثم أرسلوني ، فجئت بصيدي
فقال له الديك : إنك لم تر بازياً مشوياً في سفود . وكم رأيت في سفود
من ديك ؟

أخواني الزهد في الدنيا زيد ، مخض مخض الفكر ، حظ الحريص على
الدنيا في الحضيض ، والقنوع في أعلى الدرى ، سائق الحرص يضرب
ظهر الحريص بعصا التحريض ، فلو قد عصى الهوى كفت العصا ،
كلما زاد على القوت فهو مستخدم الكاسب يا موعلاً في طلب الدنيا
الحساب حبس . فإن صح لك الجواب تعوقت بمقدار التصحيح ، وإن
لم يصح فمطورة جهنم .

ويحك ، طالع دستور عملك ترى كل فعلك عليك ، من وقف
على صراط التقوى وييده ميزان المحاسبة ومحك الورع يستعرض
أعمال النفس ، ويرد البهرج إلى كبير التوبة سلم من رد الناقد يوم
التقيض .

ويحك ، سلطان الشباب قد تولى ، وأمير الضعف قد تولى ، ومعول
الكبر يعرقل حيطان دار الاجل ، « وحسبك داء أن تصح وتسلما » ،
قف على ثنية الوداع نادياً قبل الرحيل على ديار الإلقة .

يا متزلاً لم تبل أطلاله حاشى لأطلاك أن تبلى
والعشق أولى ما بكاه الفتي لا بد للمحزون أن يسلى
لم أبك أطلاك لكنني بكيت عيشي فيك إذ ولى

كان ثابت البناني يستوحش لفقد التعبد بعد موته ، فيقول : يا
رب إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي .

وكان يزيد الرقاشي يقول في بكائه : يا يزيد من يبكي بعدك عنك ؟
من يرضى ربك لك ؟ ،

احبكم ما دمت حياً وإن أمت فواكبدي من ذا يحبكم من بعدي

لما علم المحبون إن الموت يقطع التبعيدات كرهوه لتدوم الخدمة ،
جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبضه فطمع عينه ، فإذا
قامت القيامة بآء إلى العرش طالت غيبته فاستعجل استعجال مشوق
كانوا يحبون أماكن الذكر ومواطن الخلوة ، والمؤمن ألوف للمعاهد
عهد عند المحب لا ينساه ، « أسكن حراء » .

احبسا الركب بوادي سلم فبذاك المنحنى طل دمسي
وانشدا قلبي في سكانه فمن السكان أشكو ألمسي
أخذوا قلبي وأبقوا جسدي فوجودي بعده كالعدم
صل محباً جفته لم ينم وابلائي أن خصمي حكمي

واعجباً للمحب يستر ذكر الحبيب . بذكر المنازل ، وما يخفى مقصوده
على السامع « احد جبل يحبنا ونحبه » . (١)

الا اسقني كاسات دمعي وغثي بذكر سليمان والرباب وتنعم
ولياك واسم العامرية إنسي أغار عليها من فم المتكلم

رياح الاسحار تحمل الرسائل وترد الجواب .

(للخفاجي) :

أني نجد تحاورك القبول أظن الريح تفهم ما تقول
تغنت في رحال الركب حتى تشابهت الذوائب والذبول
صبحنا في ديارهم صباها يناوبها التنفس والنحول
وأمطرنا سحب اللمع حتى حسبنا أنها مهج تسييل
وعجنا ذاهلين فما علمنا أنحن السائلون أم الطلول

ديار الاحباب درياق هموم المحبين « على أنني منها استفدت
غرامي » . كان قيس إذا رحلت ليلي تعلل بالاثار واستشفى بالدمن ،
واستنشق الصبا وشام برق بني عامر .

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وابن حنبل .

اقتل ادواء الرجال الوجد
حيث الرياض والنسيم أنف
إن الصبا إذا جرت قاذحة
تعدى المحيين الصبا كأنما
لا تتلق نفحة نجدية
دع الصبا فعل الهواء كالهوى
ما كبدي بعدك إلا جذوة
يسترها الجلد ولولا أدمعي
كيف يرثي والطيب ممرض
النار قلبي والسموم نفسي
قد كدت أخفى عن عيون عندي
وق نجداً فالغرام نجد
ودنف ما يستفيق بعد
نار الغرام فقوادي الزند
لها على أهل الغرام حقد
هزلا فهزل النفحات جد
سيان منه قصره والمد
لها بترجيع الحنين وقد
ما كان قط ستر نار جلد
يصد والداء العضال الصمد
والماء طرفي والتراب الخد
كذا وجود العاشقين فقد

الفصل الثاني والخمسون

العزلة حمية البدن والمناجاة : قوت القلب ، ومن أنس بمولاه
إستوحش من سواه .

يا منتهى وحشي وأنسي كن لي إن لم أكن لنفسي
أوهني في غد نجاتي حلمك عن سيئات أمسي

خلق القلب طاهراً في الاصل ، فلما خالطته شهوات الحسن
تكدر ، وفي العزلة يرسب الكدر ، الحيوان المميز على ثلاثة أقسام ،
فالملائكة خلقت من صفاء لا كدر فيه ، والشياطين من كدر لا
صفاء فيه ، والبشرى . مركب من الضدين فالعجب أن تقوى عنده
التقوى ، تقديس الملائكة . يدور على السنة لا تشتاق بالطبع إلى الفضول
سبح تسييحهم عقود ما نظمها كلف التكليف ، تمرات زروعهم ،
نشأت لا عن تعب ، سقاها سيح العصمة ، فكثرت في زكوات تعبدهم
قدر الواجب (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) (١) .

كانت أقدم تعبدهم سليمة فاستبطنوا سير زمي الهوى ، فقيل :
(إذا رأيتم أهل البلاء ، فسلوا الله العافية) (٢) واعجباً من منحدر في
سفن التعبد يستبطئ مصاعداً في الشمال ، سمعوا بيوسف الهوى
وما رأوه ، فأخذوا يلومون زليخا الطبع من حبس عتب (تراودُ
فتأها) (٣) فلما قالت الدنيا يوم هاروت وماروت (أُخْرِجْ عليهن) (٤)

(١) سورة الشورى ، الآية ٥ .

(٢) لم اجد هذا الحديث بنصه ، انظر موطأ مالك

(٣) سورة يوسف ، الآية ٣٠ . (٤) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

قطعوا أكف الصبر وصاح في تلك المواقف مواقف (أَسْجَعْلُ فِيهَا)^(١)
« إن للحرب رجالاً خلقوا » أهم أنين المذنبين ؟ أو خلوف الصائمين ،
أو حرقة المحبين ، أما عب بحر الامانة يوم (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ)^(٢)
توقفت الملائكة على الساحل ، ونهضت عزيمة الآدمي لسلك سبيل
الخطر ، بلى لاقدام المحب أقدام ،

يغلبني شوقي فأطوي السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

لا نحتاج أن نناظر الملائكة بالانبياء ، بل نقول. هاتوا لنا مثل عمر ،
كل الصحابة. هاجروا سرأ وعمر هاجر جهراً ، وقال للمشركين قبل
خروجه ها أنا. على عزم الهجرة فمن أراد أن يلقاني فليلقني في بطن
هذا الوادي (فليت رجالاً فيك . قد نذروا دمي) مذ عزم عمر على
طلاق الهوى أحد أهله عن زينة الدنيا .

وعزيمة بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

لما ولي عمر بن عبد العزيز خيّر النساء ، فقال : من شاءت
فلتقم ومن شاءت فلتذهب ، فإنه قد جاء أمر شغلني عنكن .

(للمهيار) : (٣)

أَسَمَ بِالْعَفَةِ : لِاتِّسَامِهِ ظِيٌّ رَنَا أَوْ غَصْنٌ تَأَوَّدَا
وَكَلَّمَا قِيلَ لَهُ : قِفْ تَسْرُحْ جَزَتْ الْمَدَى قَالَ : وَهَلْ نَلْتُ الْمَدَى

للغزائم رجال ليسوا في ثيابا ، وطنوا على الموت فحصلت
الحياة .

إذا ما جررت الريح لم يثنني أب ملح ولا أم تصيح ورائي
وشيعني قلب إذ ما أمرته أطاع بعزم لا يروغ ورائي

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

(٣) من قصيدة يهني فيها الوزير أبا المعالي في النيروز ، أنظر ديوان شعره في ٣٣٢ - ٣٣٦

يا مختار التمدر أعرف قدر قدرك، فإنما خلقت الاكوان كلها لاجلك .
يا خزانة الودائع يا وعاء البدائع ، يا من غذي بلبان البر وقلب بأيدي
الايادي ، يا زرعاً تهى عليه سحب اللطاف ، كل الاشياء شجرة
وأنت النمرة ، وصور وأنت المعنى ، وصدف وأنت الدر . ومخضبة
وأنت الزبد ، مكتوب اختيا نالك . واضح لخلط ، غير أن استخراجك
ضعيف ، متى رمت طلبي فاطلبي عندك .

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فاذكره
غاب عن سمعي وعن بصري فسو يدا القلب تبصره

ويحك لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي ، إنما أبعدنا إبليس
لاجلك لانه لم يسجد لك ، فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا ؟
رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى حفظنا له الود القديم فضيعا
وواصلت قوماً كنت أنهاك عنهم وحقك ما أبقيت للصالح موضعا

يا جوهرة بمضيعة ، يا لقطسة تداس ، كم في السموات من ملك
يسبح ؟ ما لم مرتبة (تتجافى) (١) لا يعرفون طعم طعام ، وما لم
مقام (واخلوف) (٢) أنين المذنبين عندنا ، أو في من تسيبهم ، سبحان
من اختارك . على الكل وجادل عنك الملائكة قبل وجودك (إني أعلم) (٣)
خاق سبعة أبحر واستقرض منك دمعة ، له ملك السموات والارض
واستقرض منك حبة ،

الماء عندك مبذول لسوارده وليس يرويك إلا مدمع الباكي

كانت الامتعة المثمنة واللاليء النفيسة تباع بمصر فلا ينظر
إليها يوسف فإذا جاءت اجمال صوف من كنعان لم تحل إلا بين يديه
« لا تسئل عن عبادي غيري » .

(١) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

(٢) من حديث الصيام (واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(للخفاجي) :

لاح وعقد الليل مسلوب برق بنار الشرق مشبوب
اسأله عنكم وفي طيه سطر من الأحباب مكتوب

لو كان في قلبك حجة ، لبان أثرها على جسدك ، عجب ربنا من رجل
ثار عن وطائه ولخافه إلى صلاته ، تلمح معنى ثار ، ولم يقل قام ، لان
القيام قد يقع بفتور ، فأما الثوران فلا يكون إلا بالإسراع حذراً من فائت

إذا هزنا الشوق اضطربنا لهزه على شعب الرحل اضطراد الأرقام
فمن صبوات تستقيم بمائل ومن اريحيات تهب بناأم

أنخواني من- ناقره الوجد نافرته النوم قال سفيان الثوري : بت
عند الحجاج ابن الفرافصة إحدى عشرة ليلة ، فما أكل وما شرب ولا
نام .

اسأل عيني كيف طعم الكرى علالة وهو سؤال محال
وكيف بالنوم على الهجر لي والنوم من شرط ليالي الوصال

الفصل الثالث والخمسون

يا طويل الامل في قصير الاجل ، يا كثير الزلل في يسير العمل ،
خلا لك الزمان وما سددت الخلل ، أفما عندك وجل من هجوم الاجل ؟
تجهز إلى الاجداث ويحك والرمس^(١) جهازاً من التقوى لا طول ما حبس
فإنك ما تدري إذا كنت مصباحاً بأحسن ما ترجو لعلك لا تسمى
سأتعب نفسي أو أصادف راحة فإن هوان النفس أكرم للنفس
وازهد في الدنيا فإن مقيمها كظاعنها ما أشبه اليوم بالأمس

يا معاشر الاصحاء إغثموا نعمتي السلامة والإمهال ، واحذروا
خديعتي المنى والآمال ، قد جربتم على النفس تذييرها في بضاعة العمر ،
فانتبهوا لانتهاج الباقي (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)^(٢) الدنيا حلم
يقظة ، ويوم الحساب تفسير الاضغاث ، أيام معدودة وسيبقى العدد
وطريق صعبة على قلة العدد ، وقد سار الركب ولاح الجدد ، أترى
تظن أن تبقى على الابد ؟ ، أما يعتبر بالوالد الولد ، أين المتحرك في الهواء
همد ، أين اضطرار تلك النار ؟ خمد ، أين ماء الاعراض الجاري ؟ جمد ،
تساوي في الممات الثعلب والاسد ، وشارك الوهي بين الحديد والمسد
وجمع التلف عنقاء مغرب والصرد ، واستقام قياس النقص للكل
وأطرد ، أفلا ينتبه من رقدته من قد رقد ؟ .

يا شاربين من منهل ابوى شرب الهيم ، يا جاعلين نهار الهدى

(١) الرمس : الدفن والقبر .

(٢) سورة النساء ، الآية ٥ .

كالليل البهيم ، مقيمين على الدنس وليس فيهم مقيم ، سالمين من
أمراض البدن وكلهم سليم ، أتعمرن ربوع النعم برتوح النعم ؟
وتستبدلون بالقرآن . محرمات النعم ، وقد توطنم ناسين تروح التروح
فلم تذكروا المات . تروح الروح ، تالله ليعودن المستوطن في أهله
غريباً ، والمغتبط بفرحه مغبطاً كثيراً (إنهم يرونه بعيداً ونراه
قريباً ،) (١) .

أين أرباب البيض والسمر ؟ ، والمراكب الصفر والحمر ، والقباب
والقب الضسر ما زالوا يفعلون فعل الغمر إلى أن تفضي جميع العمر ،
يا من عمره قد رحل وولى ، كأنك بك تدم وتثقل ، والسمع والبصر
للموت قد كلا ، ويد التناول للتوبة شلا ، والعين تجري وابلاً لا طلا ،
وعصافير الندم قد أنضجها القلا ، وأنت تستغيث (رَبِّ ارْجِعُونِ) (٢)
فيقال (كلا) ألا كان هذا قبل هذا .

ألا يا ثقليل النوم ، يا بطيء اليقظة ، يا عديم الفهم ، أما ينبهك الاذان ؟
أما تزعجك الحدأة ؟ ، أتري نخاطب عجباً ؟ . أو نكلم صمّاً ، كم
نريك عيب الدنيا ؟ ولكن عين الهوى عوراء ، كم تكشف للبصر قصر
العمر ؟ ، ولكن حدقة الامل حولاء .

ليس في الدنيا سرور إنما الدنيا غرور
ومآتم إذا فكرت فيها وقبور

يا من شاب وما تاب ولا أصلح ، يا معرضاً إلى ما يؤدي عن
الأصلح ، ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح ؟ ، ما أشنع الخطايا في
الصبا وهي في الشيب أقبح ، إذ نزل الشيب ولم يزل العيب فبعيد
أن يبرح .

(١) سورة المخرج ، الآية ٩ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٩٩ .

(للبحري) . (١)

وإذا تكامل للفى من عمره خمسون وهو إلى التقى لا يمنح (٢)
عكفت عليه المخزيات، فماله متأخر عنها ولا مترحزح (٣)
وإذ أرى الشيطان (٤) غرة وجهه حى وقال فدبت من لا يفلح

أخواني ، فتشوا احمال الاعمال ، قبل الرحيل (وَلَئِن نَّظُرْ نَفْسٌ
مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (٥) يا مطلقى النواظر ، في محرم المنظور (لَتَتَرُونَ
الْحَجِيمَ) (٦) لا يغرزنكم إمهال العصاة (إن إلينا إيابهم) (٧) يا من
عاهدناه من يوم (أَلَسْتَ) لا تحن عقد العهد بأناهل الزلل فما يلدق
بشرف قدرك خيانة .

بجرمة الود الذي بيننا لا تفسد الاول بالآخر

أذكر ملازمة المطالبة بانوفاء في أضيق خناق . يا منكر ويا تكبير
إنزلا إلى الخارج من بساتين الارواح فانظرا ، هل استصحب وردة
من اليقين أو شوكة من الشك ؟ ،

قفوا سائلوا بأن العقيق هل الهوى على ما عهدنا فيه أم حال حاله

استنكها فمه : الذي قال به (بلى) يوم (أَلَسْتَ) هل غير طيبه
طول رقاد الخفلة ؟ ، هل انجاس زلله ؟ مما يدخل قليلها تحت العنقو ، هل
معرفته في قلبه يبلغ قلتين ، أن مقيم له على الوفاء في كل حال ،
فانظر إلى حاله هل حال ؟

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٤٨٢ .

(٢) في الديوان « وإذا مضى للمرء من أحواله - خمسون هو وعن الصبا لم يبرح » .

(٣) في الديوان « عكفت عليه المخزيات وقلن : قد اضمحكتنا وسررتنا لا تهرح » .

(٤) في الديوان « إبليس » .

(٥) سورة الحشر ، الآية ١٨ .

(٦) سورة التكاثر ، الآية ٧ .

(٧) سورة الفاشية ، الآية ٢٥ .

(لتييس المجنون) .

ألا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عويرضتي قبا بطول الليالي هل تغيرتا بعدي
وعن علوبات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد

المعرفة غرس في القلب والتذكار ماء ، ومتى جفت المياه عن الغروس
جفت شجرات (ألت) تسقي من مياه « هل من سائل » .

إذا مرضنا أتيانكم نزوركم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

العقل ما ينسى إنما الحس مغفل، سبب النسيان أمراض من التخليط
في مطاعم الهوى عقدت، بخاراً في هام الفهم ، فإذا عاجلها طيب الرياضة
تحللت فذكر ما نسي من عهد (ألت)
قيل لذي النون : أين أنت من يوم (ألت) ؟ قال كأنه الآن في أذني .

(للمهيار) . (١)

سل « ابرق الحنان » واحبس به أين ليالينا على الابرق ؟
وكيف بانات « بسقط اللوى » ما لم يُجدّها الدمعُ لم تورق ؟
هل حملت لا حملت بعدنا عنك الصبا عرقاً لمستشقي ؟
يا سائق الاطعان رفقاً وإن لم يُغن قولي للعسوف : ارفق
لولا زفيري خلف أجملهم وحر أنفاسي لم تشق
سميت لي نجداً على بعدها يا وله المشم بالمعرق

(١) في قصيدة يحيى بها عميد الدولة أبا طالب بالعيد ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٣٧٧ .

الفصل الرابع والخمسون

أيها القائم على سوق الشهوات ، في سوق الشهات ناسياً سوق الملمات
إلى ساقى المات ، إلى كم مع الخطأ بالخطوات إلى الخطيئات ، كم
عابنت حياً فارق حياً ؟ وكفا كفت بالكفات .

(١) (للشريف الرضى) .

وأشدّ اغترارنا بالأماني	ما أقل اعتبارنا بالزمان
م على مزلق من الحدّثان	وقفات على غرور وأقدا
اليوم في هدنة مع الأزمان	في حروب من الردى وكأننا
علمنا أننا من الحيوان	وكفانا مذكراً بالمنايبا
ووقع من الردى بفلان	كسل يوم رزية في فلان
للسير واستبلي ^(٢) عن الاغطان	قل لهذي الهواميل استوثقي
وغنى وراءك الحاديان	واستقيمي قد ضمك اللقم النهج
خلج البرى وجذب العنان	كم متحيد عن الطريق وقد صرح
أو معين بساعد أو بتان	هل مجير بذابل أو حسام
ورأينا البنا فأين البان	قد مررنا على الديار خشوعا
أم أين صاحب الإيوان	أين رب السدير والحيرة البيضاء
والقنا الصم من بنى الديان	والسيوف الحداد من آل بدر
في إباء وعاجز في هوان	ليس يبقى على الزمان جريء

(١) قاله يرثي صديقاً له من بني العباس هو ابن الإمام المنصورى الذى توفى سنة ٣٩١ ،

أنظر ديوان شعره ٢ / ٤٥٩ .

(٢) فى الديوان « واستشزي » .

يا عاصياً بالامس أين الإلتذاذ؟ يا مطالباً بالجرم أين المعاذ؟ ،
يا متمسكاً بالدنيا حبليها جذاذ ، ما راعت من راعت من المحبين
ولا الشذاذ ، بل ساوت في الهلاك بين الفقير وكسرى بن قباد . تخلص
من أسرها قبل أن يعز الإنقاذ ، وقبل أن تجري دموع الاسى بين
وبل ورذاذ ، إذا نبذوك في القبر انتبذوا أي نبذ وأي انتبذ ، فتذكر
ضمة ، ما نجا منها سعد بن معاذ ، ألا يلين القلب؟ أصخر أم فولاذ ،
تدعي العجز عن الطاعة وفي المعاصي أستاذ ، وتوثر ما يفنى على ما يبقى
وأنت ابن بغداد (١) يا مستلباً عن أهله وماله يا خالياً في القبر بأعماله
ليته خلاك ما منه تخليت ، ليته ولي عنك أثم ما عنه توليت ، وأسفاً
من حالة حيلتها ليت .

وكل غن يتيه به اغناه فمرئيج بموت أو زوال
وهب جدي زوى لي الأرض طياً ليس الموت يطوي ما زوى لي

إذا اخضر الربيع ناح الهزار وندب القمري وأنت تعتقده غناء ،
إنما هو بكاء على انتظار التكدير ، لا يفرنك صفو العيش فالرسوب
في أسفل الكاس ، من يسمع كلام الصامت ولم يسمع عبارة الجاحد
فليس بفظن .

قال أحمد ابن أبي الحواري : رأيت شاباً قد انحدر عن مقبرة ،
فقلت من أين؟ فقال: من هذه القافلة النازلة، قلت: وإلى أين؟ قال: أتروء
لاحقها ، قلت: فأى شيء قالوا لك؟ وأي شيء قلت لهم؟ ، قلت: متى
ترحلون؟ فقالوا . حتى تقدون ،

وكم من عبرة أصبحت فيها يلين لها الحديد وأنت قاس
إلى كم والمعاد إلى قريب تذكر بالمعاد وأنت نساس

ويحك تلمح عاقبتك بعين عقلك فإنها سليمة من رمد ، العقل
محتسب إذا وقع بميزان اذوى كسر العلاقة . يا صبيان التوبة ، قد

(١) مدينة السلام ، ويقال لها بغداد وبغدان وبمهلتي ومجعتين وتقديم كل منهما وبغدان
وبغدين وبغدان .

عرفتم شُرور اعطان الهوى فرحلتم طالبين ريف التقى ففتحوا مطايا
الجد (ولا يلتفت منكم أحداً وامضوا حيث تُؤمرون) (١) كلما شرف
المطلوب طالت طريقه ، الهرة تحمل خمسين يوماً ، والخنزيرة أربعة
أشهر ، والخف والحافرة ستة ، فأما الفيل فسبع سنين ، عموم الشجر
يحمل في عامه ، والصنوبر بعد ثلاثين سنة ، شرف النمل يوجب
القلة ، الشاة تلد واحداً أو اثنين ، والخنزيرة تلد عشرين ، وأم الصقر
مقلات نزور ، يا هذا ينبغي أن تكون همتك على قدرك ولك قدر
عظيم لو عرفته .

إنما خلقت الداران لاجلك ، أما الدنيا فلتتروذ ، وأما الاخرى
فلتتوطن ، أفتراك تعرف مكانة (اذْكَرْكُمْ) (٢) أو قيمة (يحُبهم) (٣)
أو مرتبة « وإنا إلى لقائهم أشد شوقاً » « تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا » إذا
صعدت الملائكة عن مجلس الذكر ، قال الحق : أين كنتم ، فيقولون : عند
عبادك يسبحونك ويمجدونك ، فيقول : ما الذي طلبوا ومما استعاذوا :
يا من يسائل عني القادمين إذا ما كنت بي هكذا صبا فكيف أنا

يا من كان في رفقة (تتجافى) (٤) ، فصار اليوم في حزب أهل النوم
(للشريف الرضي) (٥) :

يا ديارَ الاحباب كيف تغيرتِ
هل تولى (٦) الذين عهدي بهم فيك
ويا عهدُ ما الذي أبلاك
على عهدهم وأين أولاك
الذميلَ الذميلَ (٧) يا ركبُ إني
لضمنُ أن لا تحيبَ سراكا

(١) سورة الحجر ، الآية ٦٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٤) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

(٥) قاله في مدح بهاء الدولة عام ٣٩٧ ، أنظر ديوان شعره ٩٩/٢ - ١٠٢ .

(٦) في الديوان « أولاك » .

(٧) الذميل ضرب من السير السريع .

يا هذا ، لا تجزع من ذنب جرى قرب زلة أورثت تقويماً ،
« لو لم تذبوا »

من لم يذق مرارة الفراق لم يدر ما حلوة التلاقي

ما لم يقع سهم في مقتل فالعلاج سهل ، إنحاء القوس ركوع
لا اعوجاج ، كانت صحبة آدم للحق أصلية وتبعد إبليس تكلفاً
والعرق نزاع (كَانَ مِنَ الْجِنَّةِ) (١) وإنما يعالج الرمد لا الاكمة ،
تأملوا خمسة همة إبليس إذ رضي بعد القرب من السدة بالتقاط القمامة
(إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ) (٢) إنه ليهجم على ساحة الصدر فيأخذ
في حديث الوسوسة فيصبح به حراس الايمان من شرفات قصر
« ويسعني » فيرجع بقلب الخناس ، فضائل بني آدم خفيت على الملائكة
يوم (انبتهم) (٣) فكيف يعرفها إبليس ؟ صعد إلى السماء منا ،
إدريس وعيسى ، وجال في مجاهم محمد ، ونزل منهم هاروت وماروت
وتدير عندنا إبليس ، لو علم المتدير ما قد خبي له من البلايا ؟ ما سأل
الانظار ، كلما غلب صاحب معصية وجلس يقسم في تقواه صدرت
عن التائب نشابة ندم ، فوقعت في صدر إبليس ، اطم ما على إبليس
مجلسي ، ما من مجلس أعقده إلا ويقلق لما يرى من النفع ، واليوم يغشى
عليه ويله ، ما علم أن الجنة إقطاعنا وإنما أخرجنا عنها مسافزين ، كتب
ديارنا تصل إلينا ، ورسائلنا تصل إليهم ويا قرب اللقاء . كان فتح
بن شخرف ، يقول قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك .

(للمهيار) . (٤)

تُمدُّ بالأذان والمناخير
أرضٌ بها السائح من ربيعها
سارت يمينا والغرام شامة
« لحاجر » انى لها « بحاجر » ؟
وشوقها المكنون في الضمائر
يا سير بها يا « ابن الحداة » يا سر (٥)

(١) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ١٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .

(٤) مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب بن أيوب ، أنظر ديوان شعره ٢٠ / ١٦ - ٢٢

(٥) في الديوان « يا بن رواج » .

الفصل الخامس والخمسون

يا من شاب وما تاب ، أموتن أنت أم مرتاب ؟ ، من آمن بالسؤال
أعد الجواب .

فخذ للسير إهبتة وبادر وجود جمع رحلك للذهاب
فقد جد الرحيل وأنت ممن يسير على مقدمة الركاب

أما أنذرك بياض الشمط ؟ أما يبيكيك قبح ما منك فرط ؟ إلى
متى تجري في الهوى على نمط ؟ إلى متى تضع وقتاً مثله يلتقط ؟ ، لقد
أحاط بك المنون وها أنت في الوسط ، واستل التلف سيفه عليك
سريعاً واخترط ، يا من يهفو وينسى والملك قد ضبط ، يا منفقاً نعم
المولى على العصيان هذا الشمطط ، إمع باعترافك قبح اقترافك
وقد انكشط ، وقم في اللجى والليل قد سجي فرب عفو هبط ،
قد نصحتك بما أسهمتك وقد أوقعتك على النقط .

يا مغموراً بالنعمة معدوم الشكر ، كلما لطفنا بك قابلتنا بالمخالفة
لأنه لا عجب من ترك الشكر إنفاق النعم في مخالفة المنعم ، هذا عود
العنب يكون يابساً طول السنة فإذا جاء الربيع دب فيه الماء فاخضر
وخرج الحصرم ، فإذا اعتصر الناس منه ما يحتاجون إليه طول السنة
قلب في ليلة خلا ، فبانقلابه يوجب للعقل الدهش ، من صنع صانعه ،
وقدرة خالقه فينبغي أن يفرغ العقل للتفكير فيأخذ الجاهل العنب فيجعله
خمرأ ، فيغطي به العقل ، الذي ينبغي أن يحسر عن رأسه قناع الغفلة
(وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)^(١) ويحك ، قد أطعمتك إياه

(١) سورة غافر ، الآية ٢٢ .

حصراً وعبأً وزيباً وخلاً ، فدع الخامس لي ، فقد سمعت في كلامي
(فإنَّ لله خُمسةٌ) (١) .

أيها الضال في بادية الهوى ، إحذر من بئر بوار ، وليس في كل
وقت . تنفق سيارة ، ليل الصبا مرخي السدفة ، وبخار الاماني يعقد
دواخن الكسل ، فانهض عن حفش الكسل واستنطق ألسن الحكم
من موضوعات المصنوعات يمل عليك كلما في دستورهِ يا منتولاً
ماله طالب ثأر يريد الموت ، مطلق الاعنة في طلبك وما يخفيك حصن ،
ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك . والانفاس تسلب ، ذرات
ذاتك وحركات الزمان ، قوية في النسج الضعيف ، فيا سرعة التمزيق
آن الرحيل وما في مزادتك قطرة ماء ، ولا في مزود عملك قبضة زاد ،
وقد أحلت ناقتك على ما تلقى من العشب والجذب عام في العام ،
ويحك « عش ولا تغر » . يا رباطاً مناه بخيط الامل إنه ضيف القتل ،
صياد التلف قد بث الصقور ، وارسل العقبان ونصب الاشرار ،
وقطع الجواد فكيف السلامة ؟ تهباً لصرعة الموت وأشد منها فلت
القلب ، فليت شعري إلى ماذا يؤول الامر ؟

(للحرثي) .

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه
فإن استطع أغلب وان يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

آه من تأوه حينئذ لا ينفع ، ومن عيون صارت كالعيون مما تدمع .

(للمهيار) . (٢)

ولما خلا التوديع مما حذرته ولم يبق إلا نظرةٌ تُتَغَنَّمُ
بكيتُ على الوادي فحُرمتُ ماءه وكيف يحل الماء أكثره دم

نقلة إلى غير مسكن ، وسفر من غير تزود ، وقدم إلى بلد ربح
بلا بضاعة ،

(١) سورة الإنفال ، الآية ٤١ . (٢) الديوان ٣ / ٣٤٤ .

ولما تيقنا النوع لم يدع لنا مسيل غروب الدمع جفناً ولا خنا
فلا صفوة إلا وقد بدلت قذي ولا راحة إلا وقد قلبت كدا
فوالله ما أدري وقد كنت داريا اغورت الاظعان أم طلبت نجدا

يا لساعة الموت ما أشدها ، تمنى أن لو لم تكن عندها ، وأعظم المحن
ما يكون بعدها ،

ولم أنس موقفنا للوداع وقد حان ممن أحب الرحيل
ولم يبق لي دمعة في الشؤون إلا غدت فوق خدي تسييل
فقال نصييح من القوم لي وقد كاد يأتي على الغليل
تأن بدمعك لا تفنه فين يديك بكاء طويل

تقسم الصالحون عند الموت ، فمنهم من صابر هجير الخوف ، حتى
قضى نجه ، كعمر كان يقول عند الرحيل : الويل لعمر إن لم يغفر له
ومنهم من ألقه عطش الخدر فيبرده بماء الرجاء كبلال . كانت زوجته
تقول : واحرباه ، وهو يصيح : واطرباه ، غداً نلقى الاحبة محمداً
وحزبه ، علم بلال أن الإمام لا ينسى المؤذن ، فمزج كرب الموت
براحة الرجاء في اللقاء ،

بشرها دليلها وقالوا غدا ترين الطلح والجبالا

قال سليمان التيمي لإبنة عند الموت : اقرأ علي أحاديث الرخص
لألقى الله وأنا حسن الظن به . إلى متى تتعب الرواحل ؟ لا بد من مناخ .

رفقاً بها يا أيها الزاجر قد لاح سلع ودنا حاجر
فخلها تخلع أرسانها على الربي لأراعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالي منى لا عدم المذكور والذاكر

كان أبو عبيدة الحواص يستغيث في الاسواق وينادي : واشوقاه
إلى من يراني ولا أراه .

جاء بها قالصة عن ساق تحن والحنة للمشتاق
ما أولع الحنين بالنياق تذكري رمل النقى واشتاقني

الفصل السادس والخمسون

يا من أيام عمره في حياته معدودة ، وجسده بعد مماته مع دودة .
رأيتك في النقصان مذ أنت في المهد تقربك الساعات من ساعة اللحد
ستضحك سن بعد عين تعصرت عليك وإن قالت بكيت من الوجد
أتطمح أن يشجى لفقديك فاقد لعل سرور الفاقدين مع الفقد

يا من عمره يقضي بالساعة والساعة ، يا كثير التفريط . في قليل
البضاعة ، يا شديد الإسراف يا قوي الإضاعة ، كأنني بك عن قليل
ترمي في جوف قاعة ، مسلوباً لباس القدرة وبأس الإستطاعة ، وجاء منك
ونكبر في أفطع الفطاعة ، كأنهما أخوان في الفطاعة من لبان الرضاعة ،
وأسميت تجني ثمار هندي الزراعة ، وتمنيت لو قدرت على لحنطة لطاعة
وقلت (رَبِّ أَرْجِعُونِي) ^(١) ومالك كلمة مطاعة ، يا متخلفاً عن أقرانه
قد آن أن تلحق الجماعة .

يا ساهياً لاهياً عما يبراد به آن الرحيل وما قدمت من زاد
ترجو البقاء صحيحاً سالماً أبداً هيهات أنت غداً فيمن غدا غاد

مركب الحياة تجري في بحر البدن برحاء الانفاس ، ولا بد من
عاصف قاصف تفككه وتغرق الركاب .

حكم المنية في البرية جبار ما هذه الدنيا بدار قرار
جبلت على كدر وأنت تريدها صفواً من الاقدار والأكدار
فاقضوا ما ربكم عجلاً إنما أعماركم سفر من الأسفار

(١) سورة المزمون ، الآية ٩٩ .

يا لقم الآجال يا أشباه الدجال ، أما تسمعون صريف أنياب
 الصروف ؟ كم غافل وأكفانه عند القصار ؟ وابن قبره قد ضرب ،
 يا سخنة عين قرت بالغرور ، يا خراب قلب عمر بالمنى ، العمر زاد
 في بادية ، يوخذ منه ولا يطرح فيه ، يا من عمره يذوب ذوبان الثلج
 توائيك أبرد ، كان بعض من يبيع الثلج ينادي عليه : إرحموا من
 يذوب رأس ماله يا مؤخرأ توبته حتى شاب وقت الإختيار ، يا ابن
 السبعين لقد امهل المتقاضي ، البدار البدار فتقاضى البدن قد عرقب
 الاساس .

ولم يبق من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أماني
 بادر التوبة من هفواتك قبل فواتك ، فالمايا بالذنوس فواتك ،
 أعجب خلائق الخلائق . محسن في شبابه ، فلما لاح الفجر فجر ، آه
 لموسم فاتك ، لقد ملاً الأكياس الاكياس ، رجلت الرباحة فألحقهم
 في المترن ،

وكم وقفت وأصحابي بمنزلة بيت يقظانها ولهان وهلانا
 فهاجنا حين حيانا النسيم بما سقناه يوم النقى بالجزع أحياناً
 نبكي وتسعدنا كوم المطي فهل نحن المشوقون فيها أم مطايانا
 فلا ومن فطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لبلوانا

يا هذا عتلك يَحْتَكِ على التوبة وهوأك يمنع والحرب بينهما ،
 فلو جهزت جيش عزم فر العدو ، تنوي قيام الليل فنتام ، وتحضر
 المجلس فلا تبكي ، ثم تقول ما السبب ؟ (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِكُمْ) (١) عصيت النهار فتمت بالليل : أكلت الحرام فاظلم
 قلبك ، فلما فتح باب الوصول للمقبولين طردت : ويحك ففكر القلب
 في المباحات يحدث له ظلمة ، فكيف في تدبير الحرام ؟ إذا غير المسك الماء
 منع الترضوء فكيف بالنجاسة : متى تغيق من خمار الهوى ؟ متى
 تنته من رقاد الغفلة ؟

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦٥ .

(للشريف الرضى) . (١)

يا قلب ما أطولَ هذا الغرامُ . يوم نوى الحميَّ ويومَ المُقامِ
مَتَى تُفِيقُ اليَوْمَ من لوعةٍ . وأنتَ نشوانٌ بغيرِ المُدامِ
أين أنتَ من أقوامٍ كَشَفَتْ عن أبصارِ بصائرهم أغطيةَ الجهلِ ؟
فلاحت لهم الحادة فجدوا في السلوكِ . كان مسروق يصلي حتى تتورم
قدماه ، فتقعده . رأته تبكي مما تراه يصنع بنفسه .

أَمسى وأصبح من تذكاركم قلقاً يرثي لها المشفقان الأهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم واعتادني المضيان الشوق والكمد
وغاب عن مقلتي نومي فنافرها وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه وتحتته والخافقان القلب والكبد
كأنما مهجتي نضو ببلقعة يعتاده الضاريان الذئب والأسد
لم يبق الاخفى الروح من جسدي فداؤك الباقيان الروح والجسد

يا هذا ، أول الطريق سهل ثم يأتي الحزن ، في البداءة إنفاق البدن
وفي التوسط إنفاق النفس ، فإذا نزل ضيف المحبة تناول القلب . فأملق
المنفق قاق القوم بلا سكون ، إنزعاجهم بلا ثبات ، خلقت جفونهم
على جفاء النوم ، فلو سمعت ضجيجهم في دياجى الليل .

من لقلب يألف الفكر را ولعين لا تذوق كسرى
ولصب بالغرام قضى ما قضى من حبكم وطرا

احصر القوم في سبيل المحبة ، فأقعدتهم عن كل مطوب (لا يستطيعون
ضرباً في الارض) (٢)

رأيت الحب نيراناً تلظى قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت إذا احترقت تفتت ولكن كلما نضجت تعود

لاحت نار ليلي ليلاً فنهض المجنون ، فخبث فضل فضج .

ردوا الفؤاد كما عهدت إلى الحشى والمقلتين إلى الكرى ثم اهجرُوا

(١) من قصيدة طويلة قالها في ذم الزمان في عام ، ٣٩٢ ، أنظر ديوان شعره ، ٣١٣-٣١٧

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

الفصل السابع والخمسون

أخواني ، قد كفت الكفات في العبر ، ووعظ من عبر من غير ،
وقد فهم النطن الامر وخبر ، وما عند الغافل من هذا خبر .

يا أيها الناس أين أولكم
إعتبروا فالمقدمون خلوا
تعبير بالمصر عابراً فإذا
إصبر على العسر في الزمان فكم
والصبر أولى بكل من . صحب
يرفع شأن الكرام فعلمهم
كادت شخوص في الأرض بالية
بالأمس كنا من الأنعام فأما
أما أتاكم للذاهبين خبر
وكلهم للمؤخرين عبر
سألت عن تود قيل عبر
عسر ويسر أنك ثم مر
العيش ومن جرب الزمان صبر
والفعل إن خالف الحميل حذر
تنطق حقاً إذا المقال غدر
اليوم في تربنا فنحن مدر

إبك على نفسك قبل أن يبكي عليك ، وتفكر في سهم قد صوب
إليك ، وإذا رأيت جنازة فاحسبها أنت ، وإذا عاينت قبراً فتوجهه
قبرك وعد باقي الحياة ربحاً .

(لمتعم بن نويرة) .

لقد لامني عند القبور على البكا
فقال أتبكي كل قبر رأته
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فدعني فهذا كله قبر مالك

يا بعيد التيقظ والموت منه قريب ، يا من هو عما قليل في القبور

غريب ، يا راكباً عجز الهوى وفي يده جنيب ، يا ماراً على وجهه
 قل لي متى تنيب ؟ ألا تأخذ قبل الفوت بعض النصيب ؟ ألا تزود
 اليوم شره شر حصيب ؟ ، ألا تخرج عن وادي الجذب إلى الربع
 الخصب ؟ أحاضر أنت قل لي ، ما أكثر ما تغيب ، الا مريض لبيب
 يقبل رأي الطبيب ، إن الرحيل بلا عدة فجع ، فكيف به على بعد الفجع ؟
 أحرم عن الحرام وقدر أنه حجج ، واسكب دموع الاسى واحسبه
 ثج ، واستغث من الزلل ومثله العج ، وبادر ، فقد تقوت الوقفة أهل
 وج (١) ، إقبل نصحي فمثل نصحي لا يمج . كم فهم وعظي ذو
 فطنة فهج ، يا من يقول إذا شئت تبت .

اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد

إن خرجت اليوم ولم تبت ، خرجت من أولى الفهم .

لاي مرمي تزجر إلا يانقأ إن جاوزت نجداً فليست عاشقاً

وقوع الذنب على القلب كوقوع الدهن على الثوب ، إن لم تعجل
 غسله وإلا انبسط (وإن منكم لبيطن) (٢) .

يدي في قائم العضب فما الإبطاء بالضرب

ما دامت نفسك عند التويخ تنكسر ، وعينك وقت العتاب تدمع ،
 ففي قلبك بعد حياة . إنما المعاصي أوجبت سكتة ، فانشق «واك حراق
 التخويف وقد عطس ، يا من قد أبعدته الذنوب عن ديار لانس ،
 إبلك وطر الوطن عساك ترد .

قال بعض السلف : رأيت شاباً في سفح جبل عليه آثار القلق
 ودموعه تتحادر ، فقلت : من أين ؟ ، فقال آبق من مولاه ، قلت : فتعود
 فتعثر ؟ فقال : العذر يحتاج إلى حجة ولا حجة للدفراط ، قلت : فتتعلق
 بشفيع ؟ قال : كل الشفاء يخافون منه ، قات من هو ؟ ، قال : مولى

(١) وج : إسم وادي الطائف . (٢) سورة النساء الآية ٧٢

رباني صغيراً فعصيته كبيراً ، فواحيائي من حسن صنعه وثبح فعلي ،
ثم صاح فمات ، فخرجت عجوز فقالت : من أعان على قتل البائس
الخيران ؟ فقلت : أقيم عندك أعينك عليه ، فقالت : خله ذليلاً بين يدي
قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه .

بالله عليك يا فتى الاعراب إن جزت على مواطن الأحباب
فاشرح سقمي وقل لهم عما بي ذاك المضي يموت بالأوصاب

أيها التائبون بألسنتهم ولا يدرون ما تحت نطقهم ؟ ، لا يحكم
بإقراركم (حَسَى تَعَلَّمُوا مَا تَقُولُونَ) (١) متى صدقت توبة التائب
بنى بيت التعبد بصخور العزائم ولم يتنه في أساسه دون الماء ، ما ضرب
بسيف العزيمة قط إلا قط ، التوبة الصادقة تفلح آثار الذنوب ، إذا
قرىء على التائب عهد (أَلَسْتُ) (٢) ذكر الاقرار وعرف الشهود ،
فخجل من الخيانة فجرت العين وأطرق الرأس ، إن التائبين كاتبوا
الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب .

يا حادي الاطعان عج متوقفاً وانظر دموع العاشقين تراق
صبروا على ألم التهاجر والقلبي وتجرعوا مر الفراق وذاقوا

يا معاشر التائبين من أقامكم وأقعدنا ؟ من قربكم أبعدنا ؟ (إن
نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ) (٣) قفوا لاجل زمن ، إرحموا من قد عطب .

ردوا المطايا وإلا ردها نفسي وأدمعي فهما سيل ونيران
يا سائق الظعن قلبي في رحالمهم امانة رعيها والحفظ ايمان

يخيل لي . أن الحيطان تبكي معنا إن النسيم قد رق لحزننا .

فلا ومن فطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لبلوانا

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ١١ .

(١) سورة النساء ، الآية ٤٣ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٧٢ .

ما أحسن هؤلاء التواب ، ما أذل وقوفهم على الباب فاعتبروا (يا
أولي الالباب) .

بما بيننا من حرمة هل رأيتما أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفصح من عين المحب لسره ولا سيما إن أطلقت عبرة تجري

وجوههم أضوا من البدر ، جباههم أنور من الشمس ، نوحهم
أفضل من التسيح ، سكوتهم أبلغ من فصيح ، لو علمت الارض قدر
خوفهم تزلزنت ، لو سمعت الجبال ضجيجهم تقلقت .

(لابن المعتز) .

إسني فاليوم نشوان	والربي صاد وريان
وندامي كالنجوم سطوا	بالمى والدهر جذلان
خطرنا والسكر يفضهم	وذبول القوم أردان

كلما رأيت تقلقلهم ، تقلقل قلبي ، وإلا لمحت اصفرارهم تبليل
لبي ، وإذا شاهدت دموعهم زاد كربني ، وإذا سمعت حنينهم تبدد
ماء عيني ،

ما ناح في البان الحمام	الا ورنخي الغرام
فكأنني ثمل تمت	في مفاصله المدام
مالي وبانات اللوى	لولا الصبابة والهيام

الفصل الثامن والخمسون

ما زالت المنون ترهني عن أفواس حتى طاحت الجسوم والانفس ،
وتبدلت النعم بكثرة الايوس ، واستوى في القبور الاذئاب
والاروش ، وصار الرئيس كأنه قط لم يروى .

قل للمفرط يستعد	ما من ورود الموت بد
قد أخلق الدهر الشباب	وما مضى لا يسترد
فإلى م يشتغل الفتى	في لهوه والأمر جد
والعمر يقصر كل يوم	بي وآمالي تمد

لقد وعظت الدنيا فأبلغت وقالت ، ولقد أخبرت برحيلها قبل
أن يقال زالت ، وما سقطت جدرانها حتى أذريت ومالت ، قرب
الإغتراب في التراب ، ودنا سل السيف من القراب ، كم غنت رباب
برباب ثم نادت على الباب بتباب يا من زمانه الذي يمضي عليه : عليه ،
يا طويل الأمل وهو يرى الموتى بعينيه ، يا من ذنبه أوجب أن
لا يلتفت إليه ، قد مزجت لك كأس كربة ولا بد والله من تلك الشربة ،
يا منقولا بعد الانس إلى دار غربة ، يا طين تربة ، وهو يطاب في الدنيا
رتبة ، هذا مجلس ابن زيد فأين عتبة ؟ ، أتلهو برند الصبا وبانه ؟
ويروقك برق الهوى بلمعانه ، وتغتر بعيش في عنفوانه ، فتمد يد الغفلة
إلى جنى أغصانه ، وتنسى أنك في حريم خطره وامتحانه ، أما لقمة أليك
أخرجته من مكانه ؟ أما نوذي عليه بالقطر في رمضان ؟ أما شأنه
شانه لولا وكف شاناه ؟ أما يستدل على نار العقاب بدخاناه ؟ نزل آدم
عن مقام المراقبة درجة فنزل فكان يبكي بقية عمره ديار الوفا ،

برد النفس بالهوى لحظة أتمر حرارة القاق ألف سنة ، فاعتبروا ، سالت
من عينيه عيون إستحالت من الدماء دهوع شغلته عن ذات الدنيا
هميم .

(للمهيار) . (١)

هل بعد مفترق الاطعان مجتمَعُ
تحملوا تسعُ البيداءُ ركبَهُمُ
الليل بعدهمُ كالهجر متصل
إشتاق نعمان لا أرضى بروضته
أم أهل زمان بهم قد فات مرتجعُ
ويحمل القلبُ منهم فوق ما يسعُ
ما شاء والنومُ مثل الوصل منقطعُ
داراً وإن طاب مصطافُ ومرتبِعُ

كان آدم كلما عاين الملائكة تنزل تذكر المرتبِع في الربع
فتأخذ العين أعلى في إعانة الحزين .

رأى بارقاً من نحو نجد فراعه
هل الأعصر اللاتي مضين يعدن لي
فبات يسح الدمع وجدأ على نجد
كما كن لي أم لا سبيل إلى الرد
ما أمر البعد بعد القرب ، ما أشد الهجر بعد الوصل ، يا مطروداً
بعد التقريب أبلغ الشافعين لك البكاء .

(للمتنبيء) : (٢)

وكيف التذاذي بالاصائل والضحى
ذكرتُ به وصللاً كأن لم أفزبه
إذا لم يعد ذلك النسيم الذي هباً
وعيشاً كأني كنت أقطعه وثباً

كان لقوم جارية ، فأخرجوها إلى النخاس فأقامت أياماً تبكي ،
ثم بعثت إلى ساداتها تقول بجرمة الصعبة ردوني فقد ألفتكم .
يا هذا قف في الدياجي وامتد يد الذل ، وقل قد كانت لي خدمة ،
فعرض تفريط أوجب البعد ، فجرمة قديم الوصل ردوني فقد
ألفتكم ،

(١) مطلع قصيدة يصف فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أنظر ديوان شعره

١٨١ ، ٢ - ١٨٤ .

(٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، أنظر الديوان ص ٣١٨ .

عللونا بوصال نافع إننا للبعد كالشيء اللقا
أو خذوا أرواحنا خالصة أو ذروا في كل جسم رمقا
وارحموا من تنقضي أيامه غمرات والليالي أرقا
ويح قلبي ما لقلبي كلما خفق البرق اليماني خفقا

يا هذا ، لا تبرح من الباب ولو طردت ، ولم تنزل عن الجنب
ولو أبعدت ، وقل بلسان التماق إلى من أذهب ؟

يا ربع إن وصلوا وإن صرموا فهم الأولى ملكوا الفؤاد هم
شغلوا بحسنهم نواظرننا وعلى القلوب بجهم ختموا
اتبعتهم نظراً فعاد جوى ومن الشفاء لذى الهوى سقم
تمحو دموعي وسم إبلهم وزفير أنفاسي لها يسم

كان الحسن شديد الحزن ، طويل البكاء سئل عن حاله ، فقال :
أخاف أن يطرحني في النار ، ولا يبالي .

يعز علي فراقني لكم وإن كان سهلاً عليكم يسيراً

يا من كان له قلب فمات ، يا من كان له وقت ففات ، إستغث في
بوادي القلق (ردوا عليّ ليالي التي سلفت) أحضر في السحر فإنه وقت
الإذن العام ، واستصحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور ، وابعث
سائل الصعداء فقد أقيم لها من يتناول .

(للمصنف) :

عبرت برمحكم الصبا سحراً فارتاح قلبي المدنف الحرض
ما لي أراك سقيمة بهم يا ربيع عندي لابلك المرض
اتبعتها نفساً أشيعها فإذا جروح القلب تنتفض
قف صاحبي إن كنت تسعدني عند الكئيب فثم لي غرض
وانشد فؤادي عند كاظمة في كل ركب راح يعترض
أشكو ومني مبتدى ألمي عيني رمت وفؤادي الغرض
فرضوا على الأجنان إذ هجروا لا تلتقي فاصبر لما فرضوا
كيف اصطباري بعد فرقتهنم يا جيرة ما عنهم عوض

الفصل التاسع والخمسون

يا من سيب قلبه في مراعي الهوى ، وألقى جبله على الغارب ،
سلم من يطول نشدانه للضلال ؟ .

(للمهيار) : (١)

دع ملامي بالحلمي أو رح ودعني . واقفاً أطلب قلباً ضاع مني
ما سألتُ الدار أبغي رجعها رب مستول سواها نم يجيني
أنا يا دار أخو وحشِ الفلا فيك من خان فزمني لم يجني
ولئن غال مغانيك البلى عادة الدهر فشخصُ منك يُغني
إن خبَّتْ نارٌ فهذي كبدي أو جفا الغيثُ فهذا لك جفني

أكثر فساد القلب من تخليط العين ، ما دام باب العين موثقاً بالغض
فالقلب سليم من آفة ، فإذا فتح الباب طار طائر وربما لم يعد ، يا
متصرفين في إطلاق الابصار جاء توقيع العزل (قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا
مِنْ أَبْصَارِهِمْ) (٢) إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور
والقلب كعبة (ويسعني) وما يرضي المعبود بمزاحمة الاصنام .

عيناى أعاننا على سفك دمي يا لذة لحظة أطالت ألمي
كم أندم حين ليس يغني ندمي وبلي ثبت الهوى وزلت قدمي
يا مطلقا طرفه لقد عقلك ، يا مرسلأ سيع فمه لقد أملكك ، يا

(١) مطلع قصيدة كتبها لمعيد الكفاة في النيروز ، الديوان ٤ ، ٧٢ - ٧٧ .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٠ .

مشغولاً بالهوى مهلاً قتلك ، بادر رمقك فقد رمقك ، بالرحمة من
عذلك .

(للمهيار) : (١)

عثرت يوم العذيب فاستقل ما كل ساع يحس بالزلزل
ما سلمت قبلك القلوب على الحسن ولا الراجمون بالمقل
سافر طرفي يوم الظعائن بالسفح وآب الفؤاد بالخبيل
نظرة غر جنت مقارعة يفتك فيها الجبان بالبطل
حصلت منها على جراحتها واستأثر الظاعنون بالنفل

إذا لاحت للتائب نظرة لا تحل ، فامتدت عين الهوى ، فزلزلت أرض
التقى ونهض معمار الإيمان (وألقتني في الأرض رواسي أن تميد
بكم) (٢) لاحت نظرة لبعض التائبين ، فصاح :

حلفت بدين الحب لا خنت عهدكم وتلك يمين لو علمت غموس

إذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب ، بث جنده في بقاع البدن ،
فصارت السباخ رياضاً لرياضة « ساكن في القاب يعمره » إذا نزل
الحبيب ديار القلب لم يبق فيه نزالة .

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببعده منك إن كنت كاذباً وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

أول منازل القوم ، « عزفت نفسي عن الدنيا » وأوسطها « لو
كشف الغطاء » ونهايتها « ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه » .

(١) مطلع قصيدة كتبها لعبيد الكفاة أبي سعد بن عبد الرحيم في النيروز ، أنظر ديوان

شجرة ٣ / ٨٧ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٥ .

وما تطابقت الأجنان عن سنة
وهل ينام خزين موجع قلق
شغلت نفسي عن الدنيا ولذتها
فلم تعذبها بالصد يا أملي ؟
إلا وجدتك بين الجفن والحدق
أجفانه وكلت بالسهد والأرق
فأنت والروح شيء غير مفترق
إرحم بقية ما فيها من الرمق

أرواح المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العادات ، وهي في
حواصل طير الشوق ترفرف على أطلال الوجد ، وتسرح في رياض
الانس عند المحبين شغل عن الجنة فكيف يلتفتون إلى الدنيا ؟ ، ما
ترى عين المحبين إلا المحبوب ، « فبي يسمع وبني يبصر » :

أنت عين العين إن نظرت
أنت سمعي إن سمعت به
ما بقي لي فيك جارحة
كلها يا قاتلي أسرا
ولسان الذكر إن ذكرا
أنت سر السر إن خطرا

باتت قلوبهم يتلقها الوجد ، فأصبحت دموعهم يسترها الجفن ،
فإذا سمعوا ناطقاً يهتف بذكر الحبيب ، أخذ جزر الدمع في المد ، من
أقلقه الخوف ، كيف يسكن ؟ من أنطقه الحب ، كيف يسكت ؟ ،
من ألمه البعد ، كيف يصبر ؟ سل عنهم الليل فعنده الخبر ، أتدري
كيف مر عليهم ؟ أبلغك ما جرى لهم ؟ (أيعلم سال كيف بات المتيم)
افترشوا بساط قيس ، وباتوا بليل النابغة ، إن ناحوا فأشجى من متيم ،
وإن ندبوا فأفصح من خنساء ، إجتمعت أحزاب الاحزان ، على قلب
الحنائف ، فرمت كبداء الخوف الكبد فوصل نصل القلق ففلق حبة
القلب فانقلب فصاح الوجد من شاء اقتطع ، فلو رأيت فعل النهاية
لرحمت المتمزق .

(للسهيار) (١)

أيها الرامي وما أجرى دماً لا تجنب قد أصبت الغرضاً

(١) من قصيدة كتبها في النيروز إلى عميد الرؤساء أبي طالب ، أنظر ديوان شعره ١٥٢/٢

إطلبوا للعينِ في اثنائه نظرةً تكحلُّها أو غمُّضا

طال حبس المحبين في الدنيا عن الحبيب ، فضجت ألسن الشوق
فلو تيقظت في الدجى سمعت أصوات أهل الجبوس .

(للمصنف) .

طال ليلى وداما	ومنعت المناما
وجد الوجد عندي	منذ بانوا مقاما
ليتهم حين راحوا	ودعوا مستهما
سار قلبي وجسمي	لم يسر بل أقاما
لست أدري فؤادي	إذ غدوا أين هاما
حبهم قرت قلبي	منذ كنت غلاما
حملوا ضعف قلبي	يذبلوا وشاماما
كم رموني برشق	واحدوا سهاماما
ما لعيني تبكي	إن سمعت حماناما
كلما ناح رشت	فظننت الغماما
هل نسيم لكربي	أين ربح الخزامي
هجركم يا حبيبي	كان موتاً زواما
أكل اللحم مني	ثم أبلى العظاما
صار ليلى نهارا	ونهارى ظلاما
إنما بت أشكو	لوعتي والغراما
فاعذروا أو فلواموا	ما أبالي الملاما
إفرجوا عن طريقي	قد خلعت اللجاما
ورميت سلاحي	وكشفت اللثاما
أسعدوني فإني	قد فنت سقاما

الفصل الستون

أخواني ، تفكروا في الذين رحلوا ، أين نزلوا ؟ ، وتذكروا أن القوم نوقشوا وسئلوا ، واعلموا أنكم كما تعذلون ، عدلوا ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا .

(لابي العتاهية) . (١)

سألت الدار تخبرني	عن الأحباب ما فعلوا
فقلت لي أناخ القوم	أياما وقد رحلوا
فقلت فأين أطلبهم	وأي منازل نزلوا
فقلت بالقبور وقد	لقوا والله ما فعلوا
أناس غرهم أمل	فبادرهم به الأجل
فنوا وبقي على الأيام	ما قالوا وما عملوا
وأثبت في صحائفهم	قبيح الفعل والزلل
فلا يستعقبون ولا	لهم ملجا ولا حيل
ندامي في قبورهم	وما يغني وقد حصلوا

أين من كانت اللسن تهذي بهم لتهديبهم ، وأصبحت فلك الإختبار تجري بهم لتجريبهم ، أقامت قيامتهم منادي الرحيل لتغري بهم لتغريبهم ، فباتوا في القبور وحدانا لا أنيس لغريبهم ، أين أهل الوداد الصافي في التصافي ، أين الفصيح الذي إن شاء أنشأ في القول الصافي ، أين قصورهم التي تضمنتها مدايح الشعراء صار ذكر القوى في القوافي ،

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوانه .

لقد نادى الموت أهل العوالي والقصور العوالي الطوافي ، تأهبوا لقدومي
فكم غرثان^(١) طوى في طوافي ، رحل ذو المال وما أوصى في تفريق
كدر أوصاني ، ولقي في مره أمراً مرأ لا تبلغه أوصاني ، ذاقوا طعام
الامال فانتزع من أفواههم يوم المآل ، وعاد الخوى في الخوافي ،
عوى في ديارهم ذئب السقام . بتكذيب العوافي ، إنقطعت آماهم .
وصار كل المنى في دفع المناني ، تزلزل ود أحبابهم والتوى وبت ألتوي
في التوافي ، تالله لقد نال الدود والبلى . ما أرادا منهم وألفيافي الفيافي .

آلت قبورهم إلى الخراب أولاً ، فلا يدري أهذا قبر المولى أو لا ،
وهم سواء في السوافي ، كم أعرضوا عن نصيح وقد رفعوا ما تلافى
التلافى ، كم ندموا على ضياع زمانهم الذي خلا في خلافي ، كم رأيت
عاصيهم قد أعرض عني إلى عدوى والتجا في التجافي ، أما أخبرتهم
بوصف النار إنها (نزاعة للشوى)^(٢) في الشوافي ، فاعتبر بحالمهم
فإنه يكف كف الهوى وهو الواعظ الكافي ، أين الابصار الحدائد
قبل إحضار الشدائد ، أما استلبت القلائد من ترائب الولايد ، لا بد من
إزعاج هذا الراقد ، فيقع الفراق بين فريق الفراق ، يا موثقاً في حباله
الصائد ، والله ما كذبك الرائد ، يا عمي البصيرة ولا قائد ، كم أضرب
في حديد بارد .

أليل وكل أصبح ابن ملوح ولبنى وما فينا سوى ابن ذريح

ذهبت أعماركم في طلاب الشهوة والموت قد دنا ، فما هذه السهوة
والقلوب غافلة فالام القسوة ؟ والصالح معرض فختام الجفوة ؟ ،
أين رب المال ابن ذو الثروة ؟ ، أما فرس الموت ذا الفرس ؟ واخلى
الصهوة .

طوبى للمتيمطين إنهم لقدوة ، علموا عيب الدنيا فما أمسكا
عروة ، وأذت في حبها كتميس وعروة ، أيحسن بعد الشيب لهو وصبوة ،

(٢) سورة المعارج ، الآية ١٦ .

(١) الغرث : الجوع .

أبقى نأي الزمان طيب ناي وقهوة ؟ قربت نوق الرحيل ، مساء
وغدوة ، جذبت أيدي المنون كرها وعتوة ، يا قليل التدبير ولا عقول
النسوة ، إلى كم عيب وعتب . أما فيكم نخوة ؟ واعجباً لتاجر يرضى
بتعب شهر ليتمتع بربحه سنة ، فكيف لا يصبر أيام عمره انقلاباً
ليلتذ بربحها أبداً .

يا من يروح ويغدو في طلب الأرباح ، ويحك لإربح نفسك ، يا
أطفال الهوى طال مكثكم في مكتب التعاليم ، فهل فيكم من أنجب ؟
أقروا أدلة التوحيد من ألواح أشباحكم ، وتلقفوها من أنفاس أرواحكم ،
قبل أن يستلب الموت من أيدي اللاهين ألواح الصور ، ويمحو سطور
التركيب بكف البلى وما فهم المكتوب بعد ، كم يلبث مصباح
الحياة على نكباء النكبات ، من رأى بعين فكره معاول النقص ،
في هذا المنزل ناح على السكان .

يا هذا مشكاة بدنك في مهاب قواصف الهلاك ، وزجاجة
نفسك في معرض الانكسار ، فاغتم زمان الصنفو فأيام الوصل قصار ،
كم يلبث قنديل الحياة على عواصف الآفات ، أنفاس الحي خطاه
إلى أجله ، درجات الفضائل كثيرة المراقبي وفي الاقدام ضعف وفي
الزمان قصر ، فمتى تنال الغاية ؟ .

وقف قوم على راهب ، فقالوا : إنا سائلوك أفهجيننا أنت ؟ قال :
سلوا ولا تكثروا ، فإن النهار لن يرجع والعمر لن يعود ، والطلاب
حديث في طلبه ذو اجتهاد ، قالوا : فاوصنا ، قال : تزودوا على قدر
سفركم فإن خير الزاد ما أبلغ البغية .

إخواني ، الأيام صحائف الأعمار فخلدوها أحسن الأعمال ،
الفرص تمر مر السحاب والتواني من أخلاق الخوالب ، من استوطأ
مركب العجز عثر به ، تزوج التواني بالكسل فولد بينهما الخسران
كان غير وعائشة يسردان الصوم ، وسرد أبو طلحة أربعين سنة ،
وصام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها ، وكان عامر بن عبدالله
يصلي كل يوم ألف ركعة ، وختم أبو بكر بن عياش في زاوية بيته

عاشي عشر ألف ختمة : وكان لكهمش في كل شهر تسعون ختمة ،
وكان عمير بن هاني يسبح كل يوم مائة ألف تسيحة :

صافحوا النجم على بعد المنايا واستطابوا القيظ من برد الظلال
واستدلوا الوعر من أخطارها إنما الأخطار أمان المعالي
كبوا الضر إليها ربما صحت الأجسام يوماً بالهزال
جروا يوماً إلى غاياتها بالعوالي السمر والقب العوالي

وكان الاسود بن يزيد يصوم حتى يخضر ويصفر : وكان ابن أدهم
كأنه سفود من العبادة : وكانت رابعة كأنها شن بال ، ومات حسان
بن أبي سنان فكان على المغتسل كالخيط : وكان محمد بن النضر لو كشط
جميع لحمه لم يبلغ رطلاً :

جزى الله المسير إليه خيراً وإن ترك المطايا كالمراد

أكبر دليل على الحب نحول الجسم واصفرار اللون :

(للحارثي) :

سلبت عظامي كلها ففركتها مجردة تضحي لديك وتخضر
وأخليتها من مخها فكأنها أنابيب في أجوافها الريح تصفر
إذا سمعت باسم الحبيب تفعمت مفاصلها من خوف ما تنتظر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب تنظري ضني جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روح تذوب فتقطر

قال الجنيد : دخلت على سري السقطي فمد جلدة ذراعه وقد يبست
على العظم . فما امتدت ، فقال : والله لو شئت أن أقول هذا من محبته
لقلت :

وهواك ما أبقي هواك على فيك ولا ترك
أيلومني فيك الذي يزري علي ولم يرك
رفقاً بعبدك سيدي هذا عبيدك قد هلك

الفصل الحادي والستون

يا من أيامه تعظه ، حين تبنيه وتنفضه ، يا من صحته تمرضه ، وسلامته
تخرضه ، يقرض عمره فيفنى ومن يقرضه :

أرى الدهر أغنى خطبه عن خطابه	بوعظ شفى البابنا بلبابه
له قلب تهدى القلوب صواديا	إليها وتعمى عن وشيك انقلابه
هو الليث إلا أنه وهو خادر	سقا فأغاب الليث عن أنس غابه
وهيهات لم تسلم حلاوة شهده	لصاب إليه من مرارة صابه
مبيد مباديه تفر وإنما	عواقبه مخنومة بعقابيه
ألم تر من ساس الممالك قادراً	وسارت ملوك الأرض تحت ركابه
ودانت له الدنيا وكادت تحله	على شهبها لولا خمود شهابه
لقد أسلمته حصنه وحصونه	غداة غدا عن كسبه باكتسابه
فلا فضة أنجته عند انفضاضه	ولا ذهب أغناه عند ذهابه
سلا شخصه ورائه بترائه	وافرده أترابه بترابه

كم دارس عليك إن الرابع دارس ، كم واعظ ناطق وآخر
هامس ، كم غمست حبيياً في الثرى كف رامس ، كم طمس وجهاً
صيحاً من البلى طامس ، تالله ما نجأ بطبه بقراط ولا أرسطا طالس ،
صاح الموت بالقوم فنكس الفارس ، أين الفطن الليب أين اليقظ
القائس ؟ . أتشتري أخس الحسائس يا نفس النفائس ؟ أتؤثر لذة لحظة
تجني حرب اليسوس وداحس ؟ يا مقترين من التقى بل يا مفالس ،
يا منهمكين في الخطايا ما تنفع الملابس ، إشتروا نفوسكم عن الذنوب
تشتروا لها السنادس . أخواني ، لو ذكرتم أنكم تبادون ما كنتم

بالمعاصي تبادون ، لقد صوت فيكم الحادون وما كأنكم للخير ترادون ،
واعجباً تصادون المواعظ ولا تصادون ، إلى متى تراوحون الذنوب
وتعادون ؟ يا مقيمين وهم حقاً غادون ، أتعادون من يقول إنكم
تعادون ؟ ، كأنكم بكم تعادون إلى مقام فيه تعادون ، أما سمعتم كيف
نادى المنادون ؟ كل شيء دون المني دون :

يا نائم الليل تنبه للتقى وانهض فقد طال بك القعود
بين يديك حادث لمثلته يغسل عن أجفانه الرقود
ما جحد الصامت من نشأه ومن ذوي النطق أتى الجحود

الدهر خطيب كاف ، والفكر طيب شاف ، كم قطع زرع قبل
التمام فما ظن المستحصد ، من عرف الستين أنكر نفسه ، من بلغ
السبعين اختلفت إليه رسل المنية ، عواري الزمان في ضمان الإرتجاع ،
يوسف العقل ينظر في العواقب ، وزليخا الهوى تتلمح العاجل ، يا
مقدمين على الحرام أنتم بعين من حرم ، ينبغي لمن ألبس ثوب العافية
أن لا يدنسه بوسخ الزلل ، زرع النعم مفتقر إلى دوران دولاب الشكر ،
فإذا فتح القلب سكر الإعتراف بالعجز صار السقي سبجاً .

هذا اليوم يقول : ارضني وعلى رضا أمس ، السكون بالبلادة
أصعب من التحريك بالهوى ، إذا رآك عقلك ، وقد تولى حسك تدبيرك
تولى ، ويحك لا تأمن حسك على عقلك فإنه عكس الحكمة ، العقل
نور والحس ظلمة ، الحس أعشى والعقل عين الهدى ، الحس طفل
والعقل بالغ ، العقل يدخل في المضائق والحس أبله ، الحس لا يرى إلا
الحاضر والعقل يتلمح الآخر ، الصبر عن الاغراض صبر غير أن
الحازم يجعل مراقبة العواقب تقوية ، ما خلاقط وجه سرور من تعبس
مكروه ، ولا سلمت كأس لذة ، من شائبة نغصة :

(للمتنبي) : (١)

فذي الدارُ أخونُ من مومسٍ واخذخُ من كيفةِ الحابل

(١) ختام قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، الديوان ٢٥٨ - ٢٦٤ .

تَفَانَى الرَّجَالِ عَلَى حَبِّهَا وَمَا يَحْمِلُونَ عَلَى طَائِلِ

كُلِّ صَافٍ مِنَ الدُّنْيَا ، مَقْرُونٌ بِكُدْرٍ ، حَتَّى أَنَّهُ فِي الغَيْثِ عَيْثُ ،
أَتْرِيدُ أَنْ لَا يَنْعَكْسُ لَكَ غَرَضٌ ؟ فَمَا هَذَا مَوْضِعُهُ ، الْمَهَابَاتُ ذَاهِبَاتُ ،
وَالْيَابِلِي مَنَاهِبَاتُ ، الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ وَاسْتَيْطَانُ الْقَنْطَائِرِ بَلَهُ .

هَلْ نَجِدُ إِلَّا مَتْرَلًا مَفَارِقًا وَوَطْنَ فِي غَيْرِهِ يَقْضِي الْوَطْرَ

الهِمُّ فِيهَا أَكْثَرُ مِنَ الفَرْحِ ، وَالسَّرُورُ أَقْلُ مِنَ الحَزْنِ (وَأَنَّ
الدَّارَ الآخِرَةَ لِمِي الحَيَّوَانِ) (١) يَا مَجْتَهِدًا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، إِجْعَلْ
عَشْرَ اجْتِهَادِكَ لِلآخِرَى ، جَهِّزْ البِنَاتِ وَتَزَوَّجْتَ البَنِينَ ، فَأَنْتَ
بِمَاذَا تَجْهِّزُ لِلرَّحِيلِ ؟ .

يَا مُتَقَاعِدًا عَنْ أَوْامِرِ الرَّبِّ ، إِحْذَرُ أَنْ يَقْعِدَكَ عَنْ نَهْضَاتِكَ تَرْمَنُ ،
وَاعْجَبًا إِنْ حَرَكْتَ إِلَى الطَّاعَةِ ، فَزَحَلْ وَإِنْ لَاحَ لَكَ الْهُوَى نَعْمَطَارِدُ
عَيْنِكَ قَدْ اسْتَرْقَاهَا الْمَنْظُورُ ، وَلِسَانِكَ يَنْصَرِفُ فِيهِ اللَّغْوُ ، وَيَدُكَ .
يَحْرِكُهَا الزَّلْزَلُ ، وَخَطَا أقدامِكَ إِلَى الخَطَا ، ثُمَّ قَدْ اسْكَنْتَ الْهُوَى قَلْبَكَ ،
فَأَيْنَ يَكُونُ الْمَلِكُ ؟ « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلًا مِنْ مَتْرَلٍ » .

وَيَحْكُ إِنْ الْإِنْسَانَ يَشُدُّ فِي إِصْبَعِهِ خَيْطًا يَتَذَكَّرُ بِهِ حَاجَتَهُ ، وَهَلْ
فِي جِسْمِكَ عَرَقٌ أَوْ شَعْرَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَذَكَّرُ بِالخَالِقِ ، فَمَا وَجْهَ هَذَا
النَّسِيَانِ البَارِدِ ، يَا مَنْ بَاعَنَا نَفْسَهُ ثُمَّ مَاطَلَ بِالتَّسْلِيمِ ، لَا أَنْتَ مِمَّنْ يَفْسَخُ
العَقْدَ وَلَا مِمَّنْ يَمْضِي البَيْعَ ، تَدْعِي الرِّحْلَةَ إِلَى دَارِ الحَبِيبِ ، وَدَهْلِيْزِ
سَرَادِقِكَ إِلَى بَلَدِ الْهُوَى ، هَيْهَاتَ لَا يَدْرِكُ عِلْمَ الرِّبَانِيَّةِ إِلَّا مَنْ رَبَّى فِيهِ .

(للمهيار) : (٢)

يَا قَلْبَ مَا أَنْتَ وَأَهْلَ الحِمَى وَإِنَّمَا هُمْ أَمْسُكَ الذَّاهِبِ
دُونَ نَجْدٍ وَطِبَاءِ الحِمَى أَنْ يُقْرَحَ الْمُنْسِمُ وَالغَارِبُ

(١) سورة التَّكْوِيْنِ ، الآيَةُ ٦٤ .

(٢) مِنْ قَصِيدَةِ يَمْلِحُ بِهَا عَمِيدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، الدِّيْوَانُ ١ - ١٣٦ .

لا بد في سلوك الطريق من مصابرة رفيق ، البلاء له خلق صعب
فاصبر على مداراته ، البلاء ضيوف فأحسن قراها لترحل عنك إلى
بلد الجراء مادحة لا قادحة ، من حك بأظفار شكواه جلد عيشه أدهى
دينه ، البلاء ظلمة غبش ويا سرعة طرع الفجر ، اللهم أعن أطفال التوبة
على ما ابتلوا به من جوع شديد ، فإذا أعد قرص الإفطار نزل ضيف
(ويؤثرون) (١) فزاحم ، فأراح (أحسب الناس أن يتركوا) (٢)

إن هواك الذي بقلبي صيرني سامعاً مطيعاً
أخذت قلبي وغمض عيني سلبتني النوم والهجو عا
فذر فؤادي وخذ رقادى فقال لا بل هما جميعاً

فإذا تمكنت قدم المرید وطاب له ارتضاع ندي الوصال قطع
عنه في اهنأ ، كان يراد منه زيادة القاق ، في الحديث يوحى الله تعالى
إلى جبريل عليه السلام اسلب عبدي حلاوة مناجاتي فإن تضرع لى
فردها ، فلو سمعت استغاثة المحبين ، لاورثك القاق :

على بعدك لا يضبر من عادته القرب
ولا يقوى على حجيك من تيمه الحب
فمهلاً أيها الساقى فقد يشهدك القلب
فلن لم ترك العين فقد يشهدك القلب

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ١ .

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

الفصل الثاني والستون

يا من قد غلبته نفسه وبطش بعقله حسه ، إستدرك صبابة اليقظة
وصح في سمع قلبك بموعظة .

يا نفس توبيي فإن الموت قد حانا
أما تروينا المنايا كيف تلقطنا
في كل يوم لنا ميت نشيعه
يا نفس ما لي وللأموال أتركها
أبعد خمسين قد قضيتها لعباً
ما بالنا نتعamy عن مصائرنا
نزداد حرصاً وهذا الدهر يزجرنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا
خلوا مدائن كان العز مفرشها
يا راكضاً في ميادين الهوى مرحاً
مضى الزمان وولى العمر في لعب

واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا
لقطاً وتلحق أحرانا بأولانا
نرى بمصرعه آثار موتانا
خلفي وأخرج من دنياي عريانا
قد آن أن تقصري قد آن قد آنا
نسى بغفلتنا من ليس ينسانا
كان زاجرنا بالحرص أغرانا
كانت تخر له الأذقان إذعانا
مستبدلين من الأوطان أوطانا
واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا
ورافلاً في ثياب الغي نشوانا
يكفيك ماقد مضى قد كان ما كانا

أين الزاد يا مسافر ؟ ، أين درع التقوى يا سافر ؟ لقد أنشب الموت
فيك الاظافر ولا تشكن إنه ظافر ، هذه النبيل فأين المغافر ؛ كيف
تصنع إن غضب الغافر ؟ ، يا مبارزاً بالقبيح أمؤمن أنت أم كافر ؟
إن قمت سدلت من ثياب كبرك وإن أقمت سدرت من شراب خمرك ،
إصطفقت أبواب المواعظ . وما استفقت ، تقف في الصلوة بغير خضوع
وتقرأ التخويف وما ثم خشوع ، يا نائماً عن صلاحه كم هذا المهجوع ؟

يا دائم الحضور عندنا هل عمرك إلا أسبوع ؟ ، إن لنجم الحياة لأفول ،
ولشمس الممات لطلوع ، أين أبوك أين جدك ؟ السيف قطوع ، كيف
تبقى مع كسر الاصول ضعاف الفروع ؟ تعاق الدنيا بقلبك وتعندر
بلفظ مصنوع ، إصرارك كالصحيحين وإقلاعك حديث موضوع ،
مزق أملك . فالعمر قصير ، حقق عملك فالناقد بصير ، زد زاد سفرك
فالطريق بعيد ، ردد نظر فكرك فالحساب شديد ، صح بالقباب لعاه
يرعوي ، سلمه إلى الرائف عساه يستوي ، يا مؤثر البطالة عالم الهوى
دنس ، عاشق الهوى جامد الفكر فلو ذاب ما ذاب .

سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير وصلك باطل

يا هذا وجه ناقتك إلى بادية الزيارة ، فإن لها بنسيم نجد معرفة ،
قفها على الجادة وقد هب لها نسيم الشيخ من الحجاز ، إن أعوزك في
الطريق ماء فتمم مزادتك بالبكاء .

(لعل بن أفلح) :

دعها لك الخير وما بدا لها من الحنين ناشطاً عقلمها
ولا تعللها بيجو بابل فهو أهاج بالجوی بلبها
ولا تعقها عن عقيق رامة فلإنها ذكراه قد أمالها
نشدتك الله إذا جثت الربى فرد اضامها واستظل ضامها
وناوح الورق بشجو ثاكل أطفى لها ريب الردى أطفالها

بدأ آدم في طريق ابتلائه ثلاثمائة سنة ، وعام نوح في دمه ثلاثمائة
عام ، وضج داود من دائه حتى ذوى ، كان كلما هاج حر الحزن
هاج نبات الفرج ، فحالت الحال دمعا فأجذب البصر وأعشب الوادي
فلو وزنت دموعه بدموع الخلائق لرجحت .

(للشريف الرضى) : (١)

(١) من قصيدة له قالها في مدح أبيه عام ٣٨٧ ، أنظر ديوان شعره ١ / ٢٤٣ .

عندي من الدمع ما لو كان وارده
غادرَنَ اسوانَ ممطوراً بعبيرته
هل تبلغنهم النفس التي تلفت (١)
إن هان سفحُ دمي بالبين عندهمُ
مطيُّ قومِك يوم الجزع ما نزحاً
ينحو مع البارق العُلوي أين نحا
فيهم شعاعاً أو القلب الذي قرحاً
فواجبٌ أن يهونَ الدمعُ إن سفحاً

كان يحيى بن زكريا يبكي حتى رق جلدة خده وبدت أضراسه ،
هذا وقد كان على الجادة فكيف بمن ضل ؟ ، واعجباً من بكائه وما
ثم ماتم ، فكيف بمن ما أنقضى يوم إلا وماتم ما تم ؟ ، يا هذا إن كان قد
أصابك داء داود ، فنج نوح نوح يحيى حياة يحيى .

لا تحسن ما العيون فإنه لك يا لديغ هواهم درياق
شنوا الإغارة في القلوب بأسهم لا يرتجى لأسيرها إطلاق
واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسرار حتى درت الأماق

كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصل يبيكان الدم ، وقليل في
جنب ما نطق به لسان الوعيد إذا خلا الفكر باليقين ، ثارت عجاجة
الدمع ، فإذا أقرح الحزن القلب استحالت الدموع دماً .

(للمهيار) : (٢)

أجارتنا بالغور والركبُ منهمُ
أيعلم خالٍ كيف بات المتيمُّ ؟
بنا أنتمُ من ظاعنين وخلّفوا
قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهمُ
ولما انجلى التوديع عما حذرته
ولم يبق إلا نظرةٌ تغنمُ
بكيتهُ على الوادي فحرمتُ ماءه
وكيف يحلُّ المرءُ أكثره دم؟

واعجباً اطار حكم حديث العذيب وأنتم من وراء النهر، يا منقطعين
عن الاحباب تعالوا نمشي رفقة ، فمجمعنا ماتم الاسى ، موعدنا مقابر
الاسف .

(١) في الديوان « ذهبت » .

(٢) مطلع قصيدة يمتدح فيها الكافي الأرحد ، أنظر ديوان شعره ٣ / ٢٤٤ - ٢٤٧ .

تعالينا العين
وتودع نظرة عينا
عسانا نعطف البينا
لحاجاً ما تباكيننا
يا سائقها الاينا
وسطا بين ما بينا
وعين الرمل حيننا

تعالين تعالج زفرة
نزود إذناً شكوى
ونبكي من يد العين
فما زاد النوى إلا
إلى أين أما تعلم
إذا عرست بالجرعاء
فحبي الله يبرين

الفصل الثالث والستون

يا هذا ، عاتب نفسك على تفريطها ثم حاسبها على تخليطها ، حدثها بما بين يدها وأخبرها ، أشر عليها بمصاحتها ودبرها .

إستمدى للموت يا نفس واسعي لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت أنه ليس للحي خلود ولا من الموت بد
أي ملك في الأرض أو أي حظ لامرئ حظه من الأرض لحد
كيف يهوى امرؤ للذادة أيام عليه الأنفاس فيها تعد

آه لنفوس بغرور هذه الدنيا يحدغن ، فإذا فاتهن شيء من فان
توجعن ، شربن من مياه الغفلة وتجرعن ، فلما بانث حبة الفخ أسرعن ،
فما انجلت ساعة التفريط حتى وقعن ، أما علمن أنهن يحصدن ما
يزرعن ، أما تيقن أنهن في هلاكهن يشرعن ، يا قلة ما تمنعن ، ويا
احتقار ما تمتعن ، أما هن عن قليل في الالحد يضجعن ، أين تلك الاقدام
المشيعة هن ؟ تصدعن ، بشس حافظ الاجساد تراب يقول دعهن لما
أودعن ، طال ما كن يوترن الذنوب ويشفعن ، فلو رأيتهن بعد الموت
يتضرعن (رَبِّ أَرْجِعُون)^(١) لا والله لا يرجعن ، يا عجباً هذه الآفات
لهن ويهجعن ، وهذا الحبس الشديد ويرتغن ، يا لها من مواعظ فهل
اثرن أو نجعن ؟ .

يا هذا ، اخل بنفسك في بيت الفكر ، واعلها في الهوى فإن لم تلن
فاخرج بها على عسكر المقابر ، فإن لم ترعوي فاضربها بسوط الجوع .

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٩٩ .

يا هذا ، العزلة . تجمع الهم ، والمخالطة نهاية ، الهوى مرضع كثير
التخليط ، فهذا طفل قلبك كثير المرض ، عجل فطامه وقد صح ،
العزلة والقناعة والصبر والعفة والتواضع عقاير كيمياء النجاة يباغن
بمستعملهن مرتبة الغنى ، والحرص والشره والغضب والعجب والكبر
كلهم مجانين في مارستان العقل وهو القيم عليهم ، فليحذر الغفلة عنهم
فإنه إن أفلت مجنون حل الباقيين .

يا هذا حصن السلامة العزلة ، أقل ما في الخروج منه من الأذى ،
مصادمة الهواء المختلف المهاب في بادية الشهوات ، وقد عقبته جنوب
المجانبة للصواب ، فصار وباء . وإياك أن تتعرض لهواء الوبي مغترأ بصحة
مزاجك ، فإنك إن سلست من فضول الفتن من التلف لم تأمن زكمة ،
ومتى تمكنت زكمة الهمة لم تشم الفضائل .

يا قلب الأم لا يفيد النصيح عمر ولى وقد توالى القبيح
جرح دام وقد تبدى جرح ما تشعر بالحمار حتى تصحو

لما انقشع غيم الغفلة عن عيون أهل اليقين ، لاح لهم هلال الهدى
في صحراء اليقظة ، فبيتوا نية الصوم عن الهوى على عزم (عزفت نفسي
عن الدنيا) . دخل محمد بن كعب القرظي على عمر بن عبد العزيز
وقد غيره الزهد فأنكره ، فقال يا ابن كعب فكيف لو رأيتني بعد ثلاثة
أيام في قبري ؟ .

لم تبق فيهم حرارات الهوى وجوى الأحزان غير خيالات وأشباح
تكاد تنكرهم عين الحبير بهم لولا تردد أنفاس وأرواح

كان وهيب بن الورد قد نحل من اتعبد ، فكانت خضرة البقل
تبين تحت جلدة بطنه .

(للمهيار) : (١)

(١) من قصيدة كتبها إلى صاحب ابن عبد الرحيم في عيد النحر ، الديوان ٣ / ٣٢ - ٣٤

زعمت لا يُبلي هواك جسدي بكتي وحسي بكم لقد بلي
دارك تدري أنه لولا الهوى ما ظل دمع مقلي في طلكل

إخرواني من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل .

(لصردر) : (١)

وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه بعض أطنابها (٢)

انضى القوم رواحل الابدان في سفر الشوق حباً لتعجيل اللقاء ،
فكم طروا متزلاً على الظماء حتى كل كل المطي بتلك الجمعية ،
ورفيق الرفق يصبح بهم .

(للمهيار) : (٣)

دعوها ترد بعد خمس شروعا وارخوا أزمته والنسوعا (٤)
وقولوا دعاء لها : لا عُصرت حملن نشاوى بكأس الغرام
إذا أجدبوا خصمهم جد بهم طوال السواعد شم الأنوف
أحببوا فرادى ولكنهم على صيحة البين ماتوا جميعا
حموا راحة النوم أجفانهم ولفوا (٦) على الزفرات الضلوعا
أسكان « رامة » هل من قيرى فقد دفع الليل ضيفاً قنوعا
كفاه من الزاد أن تمهدوا له نظراً أو حديثاً وسيعا

(١) من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن رضوان ، أنظر الديوان ١٢٩ .

(٢) أطناب : جمع طناب وهو حبل الخيمة .

(٣) من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعد بن عبد الرحيم بهته بالنيروز ، أنظر ديوان

شعرة ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٦ .

(٤) النسوع جمع نسع : حبل من آدم تشد به الرحال .

(٥) في الديوان « مريماً » .

(٦) في الديوان « وشدوا » .

قيل لابي بكر النهشلي وهو في الموت إشرَب قليلاً من الماء
فقال : حتى تغرب الشمس .

(للمهيار) : (١)

نفرها عن وردّها « بحاجر » شوقٌ يعوقُ الدمعَ في المحاجر (٢)
وردّها على الطوى سواغباً ذلُّ الغرام وحنينُ الذاكر (٣)

واشوقاه إلى تلك الاشباح ، سلام الله على تلك الارواح .

ها إنها منازل تعودت مني إذا شارفتها التسليما
وقفت فيها سالماً راد الضحى ورحت من وجد بها سليما
يا نفحة الشمال من تلقأها ردي على ذلك النسيما

يا هذا إن أردت لحاق السادة فخل مخاللة الوسادة ، واجعل جلدتك
بردتك ، وحد عن الخلق والزم وحدتك ، أكحل عينيك بالسهر والدمع
وضع على قروح الجوع مرهم الصبر ، وتزود للسير زاد العزم ،
واقطع طريق الدنيا بقدم الزهد ، واخرج إلى خصب الاخرى عن
ضنك الدنيا ، وسح في بوادي التقى لتنزّل بوادي الفخر ، فإن وصلت
إلى دوائك تناولته من يد (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (٤) وإن مست
بدائك فمقابر الشهداء (في مَقْعَدِ صِدْقٍ) (٥) .

(١) مطلع قصيدة كتب بها إلى عيد الرؤساء أبي طالب في المهرجان ، أنظر ديوان شعره

. ٦٦ - ٦٣ / ٢

(٢) في الديوان (الماء في الحناجر » .

(٣) في الديوان « ذل الغريب وحنين الزاجر » .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٥٤ . (٥) سورة القمر ، الآية ٥٥ .

الفصل الرابع والستون

يا مشغولاً بتفريق ماله عن تحقيق أعماله : من خطر ذكر الرحيل
بباليه قنع بالبلغ ولم يباليه .

مسالك للحادثات نهب أو للذي حازه ورائه
أولك أن تتخذ ذخراً فلا تكن أعجز الثلاثة

لا بد والله من العبور إلى منزل القبور ، يسفي عليك الصبا والديبور
وأنت تحت الأرض تبور ، آه من طول الثبور ، بعد طيب الجبور ،
يا لكسر بعيد الجبور ، لا ينفع فيه صبر الصبور ، يندم على عثرته العثور
ويفرش الدثور حتى يثور ، أين كسرى وبهرام جور أين المتقلبون
حجور الفجور ؟ ، أين الحلیم أين الضجور ؟ ، أين المهر العربي ،
والناقة العيسجور . اين الظباء الكنيس والأتراب الحور كن يزين
در البحور بالنحور ، غرق الكل في يم من التالف زخور ، واستوى
الوضيع والفخور ، تحت الصخور ، لا فرق بين ذات الایماء وذوات
الحدور في ذلك المهبط الحدور ، لقد بان للكل أن الدنيا غرور ،
وعرفوا في المصير . شرور السرور ، وتيقنوا أن تزوير الامل للخلد زور
وتفصات أعضاؤهم ولا تفصيل لحم الجزور ، ودكت بهم الأرض
ولا كما دك الطور ، وبانت حساباتهم وفيها قصور وتأسفوا على
مساكنة القصور في مساكن القصور ، وهذا المصير ولو عمرتم عمر
النسور ، والرامي مصيب وما يدفع السور ، فإذا انقضت بعده تلك
العصور ونفخ في الصور ، وخرجت أطيوار الارواح من أعجب
الوكور ، وبانت الأرض تموج والسماء تمور ، ولقي الكفور ناراً
تلتهب وتفور ، لزعج الخليل والكليم . فمن بشر وطيفور .

كم للمنايا في بني آدم توسع منه تضيق الصدور
فالوقت لا تحدث ساعاته إلا الردى المحض بوشك المرور
أيامنا السبعة أيسارنا وكلنا فيها شبيهه الجزور
طهرت ثوباً واهياً ثم ما قلبك إلا عادم للطهور
لو فطن الناس لدنياهم لا اقتنعوا منها اقتناع الطيور

ويحك إن الدنيا نغر ولا بد لك منها ، فخذ قدر الحاجة على حذر ،
أما ترى الطائر كيف يختلس قوته ؟ هذا العصفور يألف الناس فلا
يسكن داراً لا أهل بها وهو مع هذا الانس شديد الخدر ممن جاور ،
هذا الخطاف يقطع البحر لطلب الانس بالانس ثم يتخذ وكره في
أحصن مكان من البيت ، ولا يحمله الانس بهم على ترك الخدر منهم ،
بل يعطي الانس حقه والحزم حقه .

أما عرفت أدب الشرع في تناول المطعم ، ثلث طعام وثلث
شراب وثلث نفس ، شره الحرص يعنى بلا غم البلادة ، ولا يسهل
شرب المسهل إلا على من تأذى بحركات الاخلاط ، لا يقدر على الحمية
إلا من تلمح العافية في العاقبة ، شغل العقل النظر في العواقب ، فأما
الهوى فإيثاره لذة قليلة تعقب ندامة طويلة ، فملبس في قضاياه ،
المؤمن بين حرب ومحراب وكلاهما مفتقر إلى جمع الهم ، ويريد
المحراب القيام باشرط الوضوء والدنيا في مقام امرأة واللمس ناقض
طريق المتيقن تفتقر إلى رواحل ، وابل عزائمكم كلها كال ، إنما
يصلح للملك قلب فارغ ممن سواه .

وقلبك خان كل يوم وليلة يفارقه ركب وينزله ركب

في كل يوم ترهن قلبك على ثمن شهوة فيستعمله المرتهن فقد
اخلق ، أنت توقد نار التوبة في المجلس ، في الحلفاء ، فإذا أردت منها
قبساً بعد خروجك لم تجد ، تبكي ساعة الحضور على الخيانة والمسروق
في جيبيك ، يا مظهراً من الخير ما ليس له لا تبع ما ليس عندك ، كم
هناك عن نظرة وتعلم إنه بالحضرة ، أفلا تراقب الناظر برد الناظر ،

وكانك ما تعرف أن الحاضر حاضر ، واعجباً لك . تعد التسيح بسبحة ،
فهل جعلت لعد المعاصي أخرى ، يا من يختار الظلام على الضوء ، الذباب
أعلى همة منك ، متى أظلم البيت خرج الذباب إلى الضوء ، أما ترى
الطفل في القمط ؟ يناغي المصباح ، ويحك ، خذ بتلايب نفسك ، قبل
أن يجذبها ملك الموت ، وقل أيتها النفس الحقاء ، إن كان محمد صادقاً
فالمسجد وإلا فالدير .

الناس من الهوى على أصناف هذا نقض . العهد وهذا واف
ميهات من الكدور تبغي الصافي لا يصلح للحضرة قلب جاف

يا هذا ، أكبر دليل لك علينا ، إنك كنت مبدداً في ظهور الاصول
فنظمت بالقدرة نظماً عجيباً خالياً عن العبث ، فما تنقض إلا لامر هو
أعجب منه ، مدت أطناب العروق ، وحضرت خنادق الاعصاب ،
وضربت أوتاد المفاصل ، وأقيم عمد الصلب ، ثم مد السرادق ، فنصب
سرير القلب في الباطن للملك « ويسعني قلب عبدي المؤمن » (١)

إذا لم يجد صب على النأي مخبراً عن الحي بعد البين أين أقاموا
فعند النسيم الرطب أخبار منزل به لسلمي بالعقيق خيام

يا هذا ، إن كنت محباً فحبيبك معك في كل حال ، حتى عند
الموت ، وفي بطن اللحد .

(للغزي) .

يا حبذا العرعر النجدي والبان ودار قوم بأكناف الحمى بانوا
وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى سم الحياط مع الأحباب ميدان

إذا أفقر قلبك من ساكن « ويسعني » فتحت النفس باباً لعناكب
العفلة ، فسجت في زواياه من لعاب الامل ، طاقات المنى ، اللهم اجر
القلوب من جور النفوس ، يا سلطان القلب ، نشكو إليك النزلة .

(١) لا أصل له وقد مر .

الفصل الخامس والسقون

أخواني ، اعرفوا الدنيا وقد سلمتم ، ثم اعملوا فيها بما عملتم ، لا
يغرنكم منها الوفر ، فإنكم فيها سفر ، أما بعد توطئة المهاد الحفر ؟ ،
أتوطن مني وتنسى النفر ؟ .

أرى الدنيا وما وصفت ببر متى أغنت فقيراً أرهقته
إذا خشيت لشر عجلته وإن رجيت لخير عوقته
تعلقها ابن جهل في صباه فهم بفارك ما علقته
سقته زمانه مقراً وصاباً وكأس الموت آخر ما سقته
أبادت قصر قيصر ثم جازت بليون ابن هرمز فارتقته
أما افتحت له في الأرض بيتاً فأوته التريل وأطبقته
إذا انفلت إبنها عنها بزهد ثنته بزخرف قد نمقته

أترى لم تنفع التجارب ؟ ، أما ترون الدنيا كيف تحارب ؟ ، ألا
تلقون حبلها على الغارب ؟ ، أما سيف الهلاك في يد الضارب ؟ ، تالله
لقد جلا صبح اليقين ظلام الغياهب ، الاعزم زاهد ، يتوكأ على عصا
راهب .

ودنياك إن وهبت باليمين يسار الفتى سلبت باليسار

أخواني ، احذروا الدنيا ، فإنها أسحر من هاروت وماروت ، ذانك
يفرقان بين المرء وزوجه ، وهذه تفرق بين العبد وربيه ، وكيف لا ،
وهي التي سحرت سحرة بابل ، إن أقبلت شغلت ، وإن أدبرت قتلت .

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهما ثم اثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه إن عرضت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن اليم

كم في جرع لذاتها من غصص • طالبها معها في نغص •
بكي عليها حتى إذا حصلت بكي عليها خوفاً من الغير

إنها إذا صفت حالاً ، كدرت الدين ، فكيف إذا أخذت من
حرام ؟ ، إن لحم الذبيحة ثقيل على المعاء ، فكيف إذا كان ميتة ؟ ،
الظلمة في الظلمة يمشون في جمع الحطام ، يصبحون ويمسون على فراش
الاثام (فَمَا رُبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) (١) من نبت جسمه على الحرام ،
فمكاسبه كبريت به يوقد ، الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب ، أترام
نسوا ؟ طي الليالي سالف الجبارين ، وما بلغوا معشار ما أتيناهم ، فما
هذا الإغترار (وقد خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُشَلَات) (٢) فهم ينتظرون
من لهم إذا طلبوا العود (فحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) (٣) كم
بكت في تنعم الظالم ؟ عين أرملة ، وأحرق كبد يتيم (وَكَتَعَلَّمُنْ
نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ) (٤) ما ابيض لون الرغيف حتى اسود وجه الضعيف
ما تروقت المشارب حتى ترنفت المكاسب ، ما عبل جسم الظالم حتى
ذوت ذواب ذات قوة ، لا تحتقر دعاء المظلوم ، فشر قلبه محمول بعجيج
صوته ، إلى سقف بيتك ، نباله مصيب ، ونبله غريب ، قوسه حرقه ،
ووتره قلقه ، ومرماته هدف (لانصرنك) وسهم سهمه الإصابة « وقد
رأيت وفي الايام تجريب » .

كم من دار دارت بنعم النعم ، دارت عليها دوائر النقم (فجعلناها
حصيداً) (٥) كم جار في حلبة المتى ؟ ، قد استولى طرفه على الامد ،
صدمه قهر عقوبة ، فألقاه أسرع من طرف ، بينا القوم ينسطون على
البيسطة ، كفت أكنهم بمتماع القمع ، لسبتهم عقارب ظلمهم
نفخ عليهم ثعبان جورهم ، عقرتهم أسود بطشهم ، نسفتهم عواصف
كبرهم ، وفي الغير عبر ، ويحك ، إذا كانت راحة اللذة تعقب تعب

(٤) سورة ص ، الآية ٨٨ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٣٤ .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٦ .

(٣) سورة سبأ ، الآية ٥٤ .

العقوبة ، فدع الدعة تمضي في شبر الدعة ، والله ما تساوي للذة سنة
غم ساعة ، فكيف والامر بالعكس ؟ ، كم في يم الغرور ، مسن تمسح
فاحذر يا غائض ، يا من قد أمكنه الزمان من حركات التصرف في العدل
فما يؤمن من الزمن الزمن .

ومنى بلغت إلى الرئاسة فاستلب كرة العلى بصوالج المعروف
كان عمر يخاف مع العدل ، يا من يأمن مع العدول ، روى بعد
موته بإثنتي عشرة سنة ، فقال الآن تخلصت من حسابي ، واعجباً ،
اقم أكثر من سنى الولاية ، أفيتبته بهذا راقد الهوى ؟ ، أحسن شعائس
الشرائع ، العدل ، الظلم ظلمة في نهار الولاية ، وجذب يرعى لحوم الرعية ،
والعدل ، صوت في صور الحياة ، يبعث به موتى الجور ، أيها الظالم ،
تذكر عند جورك عدل الحاكم ، تفكر حين تصرفك في سرفك ،
عجباً لك ، تدعي الظرف وتأخذ المظروف والظرف ، كلا ، أو في
الظرافة رافة ، ستعلم أيها الغريم قدر غرامك « إذا يلتقي كل ذي دين
وماطله » من لم يتبع بمنقاش العدل ، شوك الظلم من أيدي التصرف ،
أثر ما لا يؤمن تعديه إلى القلب .

يا أرباب الدول ، لا تعربدوا في سكر القدرة ، فصاحب الشرطة
بالمصاد ، سليمان الحكيم قد حبس آصف العقوبة ، في حصن (فلا
تَعَجَّلْ عَلَيْهِمْ) (١) وأجرى رخاء الرجاء (لئلاً يكون للناس على
الله حجةٌ) (٢) فلو قد هبت سموم الجزاء من مهب (ولئن مسَّتْهُمْ
نفحة) (٣) قلعت سكر (إنما نُصَلِّيْ لَهُمْ) (٤) فإذا طوفان التلف ، ينادي
فيه نوح (لا عاصم) فالخذر الخذر (قبل أن تقولَ نفسٌ يا حسرتنا) (٥)
(ولاتَ حينَ مَنَاصٍ) (٦) وأنت أيها المظلوم فتذكر من أين أتيت ؟
فإنك لا تلقى كدرأ ، إلا من طريق جنابة (لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى
يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم) (٧) .

(٥) سورة الزمر ، الآية ٥٦ .

(٦) سورة ص ، الآية ٣ .

(٧) سورة الرعد ، الآية ١١ .

(١) سورة مريم ، الآية ٨٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٦٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٧٨ .

كان لبان يخلط الماء بالبن ، فجاء سيل فذهب بالغم ، فجعل
يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً ، ولسان الجزاء
يناديه « يداك أوكنا وفوك نفخ » إذكر غفلتك عن الأمر والامر وقت
الكسب ، ولا تنسى اطراح التقوى عند معاملة الخاق ، فإذا انقض عاصف
فسمعت صوت سوطه يضرب عقد الكسب جزء الخيانة العقود ، فلا
تستطرف ذلك ، فأنت الجاني أولاً ، والبادي أظلم .

الفصل السادس والستون

يا مشغولاً بأمله ، عن ذكر أجله ، راضياً في صلاح خلاله بخلله
هل أتى المساكن لكسله إلا من قبله .

أضحى لك في قبضة المطامع آمال تـرجو دركاً والردي لعمرك مغتال
هل أنت معدٌ ليوم حشرك زاداً يوماً يجد الفوز بالقيمة عمال
إن أغفلك الدهر برهة فسيأتيه لك على غفلة بحتفك معجال
بدر بمتاب فربما طرق المرء تـتـبـهـم من المنية قتال
أين المتحامون عن زخارف دنيا إن أوطنت المرء عقبته بترحال
خلافة عقل يبطل متمسداً غرارة صاد رأى المطامع كالال
إن شيم سحاب لها فذاك جهام أوطن بها وابل فذلك خال
دع عنك حديث الركاب أين تولت أو ذكر ديار بها العفاء وإطلال
يا حسرة من أنفق الحياة غروراً قد باع لها الفرصة الرخيصة بالغال
لا تحقر الذنب فالصحائف تحصى ما كنت تناسيت من قبائح أفعال

يا ضاحكاً ملء فيه سروراً واغترباطاً ، وقد ارتبطت له المنون خيل
التلف ارتباطاً ، أما بسط الإنذار على باب الدار بساطاً ؟ ، أما الحادي
مجد . فما للتمنادي يتباطى ؟ ، أيحسن بالكبير أن يتمرس الهوى ويتعاطى ؟
عجباً لعالم يقسرب المنايا ، كيف لا ينتهب التقى التقاطاً ، ولجسد بال ،
جر بالعجب والرياء رباطاً ، إلى كم هذا الإسراع في الهوى والوجيف ؟
وباب البقاء في الدنيا قد سد وجيف ، إن الامن في طريق قد أخيف ،
رأي رذيل . وعقل سخيف ، يا من يجمع العيب إلى الشيب . ويضيف ،
لا الماء بارد . ولا الكوز نضيف ، إن إشار ما يفنى على ما يبقى لمزيف

لا ظريف ، كم أتى خريف وكم أناخ ريف ، ويكفي من الكل
كل يوم رغيف ، أيجوع بشر الحافي ؟ ويشع وصيف ، وبذل هذا
ويخدم هذا مائة وصيف ، وما أدرك هذا مد هذا . ولا النصيف ، إلا
أريب الالبيب إلا حصيف؟، لا يعجبكم استقامة غصن الهوى ، فالغصن
قصيف ها نحن قد شتونا ولعلنا لا نصيف .

سل الأيام ما فعلت بكسرى وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للموت طراً فلم تدع الحليم ولا السفهيا
دنت نحو الدنى بسهم خطب فأصمته وواجهت الوجيها
أما لو بيعت الدنيا بفلس أنفت لعاقل أن يشتريها

يا من عمره يذوب ، وما يتوب ، إذا خرقت ثوب دينك بالزلزل
فارقعه بالإستغفار ، فإن رغاء الندم صناع في جمع المتمزق .

يا هذا ، وإنما يضل المسافر في سفره يوماً أو يومين ، ثم يقع على الجادة
واعجباً من تيه خمسين سنة ، يا واقفاً مع الصور خالط عالم المعنى ، أما
علمت أن تغريد الحمام نياحة ، أنت تظن البلبل يغني ، وإنما يبكي على
أحبابه .

ليت شعري عن الذين تركنا بعدنا بالحجاز هل يذكروننا
أم لعل المدى تطاول حتى بعد العهد بيننا فنسوننا
أرجعوا حرمة الوصال فإننا لهم في الهوى كما عهدونا

لو صفت لك فكرة ، كان لك في كل شيء عبرة ، كل المخلوقات
بين مخوف ومشرق ، حر الصيف يذكر حر جهنم ، وبرد الشتاء
محذر من زمهريرها ، والخريف ينبه على اجتناء ثمار الاعمار ، والربيع
يحث على طلب العيش الصافي ، أوقات الاسحار ربيع الابرار ، وقوة
الخوف صيف ، وبرودة الرجاء شتاء ، وساعات الدعاء والطلب
خريف ، إذا استحر الحر تقحم القحل ، فطلق القسر الارض ، فلبست
سربال الجذب ، واحدت في حفش الذل ، فلما طالت أيام الائمة ، أو ما

إلى المراجعة الرجوع ، فبكت قطراته لطول الهجر ، فضحك لكثرة بكائه
روض الارض ، فبى البناء ريع الربيع ، فنهضت ماشطة القدرة ،
لإخراج بنات النبات من مخدر الثرى ، ففرشت الحلل بمصبغات
الحلل ، فسمع الورد هتاف العندليب ، وحين الدوايب ، ففتح فاه
مشتاقاً إلى مشروب ، فإذا الطل صبح ، فقال ألا منادم ؟ ، فأبت
الازهار مصاحبة من لا يقيم ، فأجابه بعد الياس ياسمين ، فقال انا نظيرك
في قصر العمر ، والموانسة في المجانسة ، فاشر أنت إلى المذنب ، باحمرار
الحجل ، حتى أشير أنا إلى الخائف ، باصفرار الوجل ، فرأى البلبل
طيب الإجتماع فغنى ، فرنت ديار اللهو ، فدخل الناطور والصيد ،
فاقتطف الناطور رأس الورد ، واختطف الصيد البلبل الوغد ، فذبح
في الحال العصفور ، وحبس الورد في قوارير الزور ، وقيل للياسمين .
لم اغتررت بزور ؟ (أَفَحَسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) (١) فلما
بكى الورد بكاء نادم على الاغترار ، صلح للمتطيين (أنين المذنين
أحب إلينا من زجل المسبحين) فانتبه ياخذوع ، فالعمر الورد ، والزجاجة
القبر ، والنفس البلبل ، والقفص اللحد .

(١) سورة المؤمنون ، الآية ١١٥ .

الفصل السابع والستون

أخواني ، المستقر يزول ، والمقيم منقول ، والاحوال تحول ،
والعتاب على الفاني يطول ، وكم نعدل وكم نقول ؟ .

سقط ريب الين بين الفريقين لكل اجتماع فرقة من يد الين
وكل يقضي ساعة بعد ساعة تخاتله عن نفسه ساعة الحين
وما العيش إلا يوم موت له غد وما الحشر إلا كالصباح إذا انجلي
وما الحشر إلا كالصباح إذا انجلي
أيا عجباً مني ومن طول غفلي
أمل أن أبقى وأنى ومن أين
لجميع اجتماع فرقة من يد الين
تخاتله عن نفسه ساعة الحين
وما الموت إلا رقدة بين يومين
يقوم له اليقظان من رقدة العين
أمل أن أبقى وأنى ومن أين

أين قطان الاوطان ؟ ، أين الاطفال والشيطان ؟ ، أين الجائع
والمبطان ؟ ، أين حطان وقحطان ؟ أين العبيد والسلطان ؟ ، أين الباني
وماطان ؟ ، أين السقوف والحيطان ؟ ، أين المروج والغيطان ؟ ، أين
المهاري والاشطان ؟ ، أين الآجال والحيطان ؟ ، أين المحب والحبيب
في الثرى خطان ، تعرف وتصدف (هذا من عمل الشيطان)^(١) الطريق
الهادية واسعة الفجاج ، والدليل ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج ، وأما
بحر الهوى فما يفارقه ارتجاج ، ما فيه ماء للشرب ، بل كله اججاج ،
والعجب من راكب فيه ، يتجر في الزجاج ، كم مزجور عنه غرفته
في لجة لججاج .

يا معاشر العصاة ، قد عم الجذب أرض القلوب ، وأشرفت زروع
التقوى على التوى ، فأخرجوا من حصر الذنوب ، إلى صحراء الندم ،
وحولوا أردية الغدر عن مناكب المهود ، ونكسوا رؤس الرياسة ،

(١) سورة القصص الآية ١٥ .

على أذقان الذل ، لعل غيوم الغموم على ما تلف تأتلف ، أخواني ،
قد بشر الرشاش فاثبتوا ، وقد سال الوادي .

واحبس الركب علينا ساعة نندب الربيع ونبكي الدنما
فلذا الموقف أعددنا البكا ولذا اليوم الدموع تفتني
زماً كان وكنا جيرة يا أعاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم ائيلات النقى كان عن غير تراض بيننا

إذا خرجت القلوب بالتوبة من حبس الهوى إلى بيداء الإنابة ،
جرت خيول الدمع في حلبات الوجد ، كالمرسلات عرفاً ، إذا استقام
زرع الفكر ، قامت العبرات تسقي ، ونهضت الزفرات تحصد ، ودارت
رحا التحير تطحن ، واضطربت نار القلق تنضج ، فحصلت للقلب بلة ،
يتقونها في سفر الحب ، يا من لم يصبر عن الهوى ، صبر يوسف ، تعين
عليك ، حزن يعقوب ، فإن لم تطق ، فذل إخوته ، يوم (وتصدق علينا) (١)
خوف السابقة ، وحذر الخاتمة ، قلقل قلوب العارفين ، وزادهم إزعاجا
(يحول بين المرء وقلبه) (٢) كلما دخلوا سكة من سكك السكون ،
شرع بهم الجزع في شارع من شوارع القلق ، لما حرك نسيم السحر
أغصان الشجر ، أخذت ألسن قلوبهم في بث القلق ، فكاد نفس النفس
يقطع الحيازيم ، لولا حزم التمسك .

(للشريف الرضى) : (٣)

وإني لأغرَى بالنسيم إذا سرى وتعجبي بالأبرقين ربوع
ويحني على الشوق نجدني مزنة وبرق بأطراف الحجاز لموع
ولا أعرف الأشجان حتى تشوقني حمام ورق في الديار وقوع (٤)

في كل الليل تهب الرياح ، ولكن لنسيم السحر خاصية ، ما أظنه
تعطر إلا بأنفاس المستغفرين ، لنفس المحب عطرية ، ثم على قدر طيبة :

(١) سورة يوسف الآية ٨٨ .

(٢) سورة الانفال ، الآية ٢٤ .

(٣) أنظر ديوان شمسه ١ / ٦٢١ .

(٤) الشعر الثاني في الديوان « حمام يبطن الواديين سجون » .

أحب الثرى النجدي من أجرع الحمى كأي لمن بالأجرعين نسيب
إذا هب علوي الرياح رأيتني أغض جفوني أن يقال مريب

المحبون على شواطئ أنهار الدمع تزول ، فلو سرت عن هواك
خطوات ، لاح لك الخيام :

وصلوا إلى مولاهم وبقينا وتنعموا بوصاله وشقينا
ذهبت شيبتنا وضاع زماننا ودنت مينتنا فمن ينجينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا نبكي شهوراً قد مضت وسنينا

إن بعض السلف يقول : اللهم إن منعتني ثواب الصالحين ، فلا
تحرمني أجر المصاب على مصيئته ، وكان آخر يقول إن لم ترضى عني
فأعف عني ، كان القوم زينة الدنيا ، فمذ سلبوا تسليت . خلت والله
الديار ، وباد القوم ، وارتحل أرباب السهر ، وبقي أهل النوم ، واستبدل
الزمان آكلي الشهوات بأهل الصوم :

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا
يا من كان له في حديث القوم ذوق ، أين اثار الوجد والشوق ؟ ،
إذا طالت لبث الطين في حافات الانهار تكامل ربه ، فإذا نصب الماء
عنه استلبت الشمس جميع ما فيه من رطوبة ، فيقوى شوقه إلى ما فارق
فلو تركت قطعة منه على لسانك لامسكته شوقاً إلى ما فارقت من رطوبة .
أشد الناس حباً لحديث الحجاز من سافر :

فكانت بالفرات لنا ليل سرقناهن من ريب الزمان
يا هذا كنت تدعي حبنا وتؤثر القرب منا فما هذا الصبر الذي قد
عن عنا ؟ كنت تستطيب رياح الاسحار وما تغير المحب ولكن دخل
فصل برد الفتور ، ولم تحزره ، فأصابك زكام الكسل ، كنت في
الرغيل الأول ، فما الذي ردك إلى الساقه ؟ قف الآن على جادة التأسف
والزم البكاء على التخلف فأحق الناس بالأسى من خص بالتعويق دون
الرفقاء :

يا صاحبي أطيباً في موانسي
وحدثاني حديث الخيف إن له
ما ضر ربح الصبالو ناسمت حرقى
داء تقادم عندي من يعالجه
يمضي الزمان وآمالى مصرمة
واضيعة العمر لا الماضى انتفعت به
بلى علمت وقد أيقنت يا أسفاً
وناشداني بخلائي وعشاقى
روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقى
واستنقذت مهجتي من أسراشواقى
ونفثة بلغت منى من الراقى
من أحب على مظل وإملاق
ولا حصلت على علم من الباقي
أني لكل الذي قدمته لاق

الفصل الثامن والستون

إخواني : من عامل الدنيا خسر ومن حمل في صف طلبها كسر
وإن خلاص محبها منها عسر وكل عاشقها قد قيد وأسر (فمنهم مَنْ
قَصَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) . (١)

أرى الشهد يرجع مثل الصبر فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادق في الحديث فإن شك في ذلك فليختبر
ودنياك فالتق بطول الهوان فهل هي إلا كجسر عبر

يا طالباً ما لا يدرك تمنى البقاء وما ترك كأنك بالحادى قد أبرك ،
وهل غير الحصاد لزرع قد أفرك ؟

وكيف أشيد في يومي بناء وأعلم أن في غد عنه ارتحالي
فلا تنصب خيامك في محل فإن القاطنين على احتمال

يا من أعماله رياء وسمعة ، يا من أعمى الهوى بصره وأضم سمعه
يا من إذا قام إلى الصلاة لم يخلص ركعة ، يا نائماً في انتباهه إلى متى
هذه الهجعة ؟ يا غافلاً عن الموت كم قلع الموت قلعة ؟ كم دخل
دارك فأخذ غيرك وإن له لرجعة ، كم شرى شخصاً بنقد مريض ؟
وله الباقون بالشفعة ، كم طرق جباراً فاشت شمله وأخرب ربهه ، أفلا
يتعظ البيذق ، بسلب شاه الرقعة .

يا عامر الدنيا إنما الدنيا دار قلعة كم مزقت قلباً بجها ، فرجع ألف

١ (سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

قطعة إن خصت بطيب المذاق أغصت وسط الجرعة يوم ترحها سنة وسنة
فرحها جمعة ، إنها لمظلمة ولو أوقدت ألف شمعة ، وهي مع هذا خائنة
ولو حلفت بربعة ، كم درست عليكم مجلدات ؟ تقول ما هذه الأنفس
مجلدات ، أين الأقارب ، أين اللذات ؟ أفلا روائد ذهن للأخبار
متسمات ، آه للقاعدين عن طلب المكرمات ، آه للمستريحين لقد
رضوا بمولات :

ذهب العمر وفات يا أسير الشهوات
ومضى وقتك في هو وسهو وسبات
بينما أنت على غيك حتى قيل مات

اخواني : ما لقلب العزم قد غفل ولنجم الحزم قد أفل ، مهلاً
فشمس العمر في الطفل ومن لم يحضر الوغي لم يحرز النفل :

ثواني هم فلم أقره اوائل من عزمي أو ثواني
فياهنلون عن المكرمات من لا يساور بالهند واني

يا معاشر العلماء أتقنن من الصفات بالأسماء ؟ اتؤثرون الأرض
على السماء ؟ أفي السكر أنتم أم في الإغماء أترضون بالثريا الثرى ؟
أتغمضون العيون من غير كرى ؟ أتنامون . فمن يحمد السرى ؟ أتحميدون
وفي الأنف البرى ؟ أتخلون عقد (إن الله اشترى) (١) إنكم لأحق بالحزن
فيما أرى ، احضروا ناحية ، لا تكلفكم الكرى :

يا قومنا هذي الفوائد جمعة فتخيروا قبل الندامة وانتقوا
إن مسكم ظماً يقول نذيركم لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا

يا معاشر العلماء قد كتبتم ودرستم ثم إن طلبكم العلم فلستم في
بيت العمل ، ثم لو ناقشكم الإخلاص لا فلستم ، شجرة الإخلاص
أصلها ثابت ، لا يضرها زعزع (أين شركائي) (٢) وأما شجرة الرياء
فاجتث عند نسمة (وقفوههم) (٣) كم متشبه بالمخلصين ؟ في تحشعه

(٣) سورة الصافات ، الآية ٢٤ .

(١) سورة التوبة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٢٧ .

ولباسه وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقه وأسفي ما أكثر الزور ؟ و أما الخيام فإنها كخيامهم » ليس كل مستدير يكون هلالا ، لا لا .
وما كل من أومى إلى العز ناله ودون العلى ضرب يدمي النواصيا
كم حول معروف من دفين ذهب اسمه كما بلى رسمه ومعروف
معروف :

فما كل دار أقفرت دائرة الحمى ولا كل بيضاء الترائب زينب
لريح المخلصين عطرية القبول وللمرائي سموم النسيم ، نفاق
المتافقين صير المسجد مزبلة (لا تقم فيه أبداً) (١) وإخلاص المخلصين
رفع قدر الوسخ (رب أشعث أغبر) . (٢)

أيها المرأى قلب من ترائيه بيد من تعصيه لا تنقش على الدرهم
الزائف لإسم الملك، فما يتبهرج الشحم بالورم، المرائي يتبرطل على باب
السلطان ، يدعي أنه خاص وهو غريب أتدرون ما ذنب المرائي ؟ (دعا
باسم ليلي غيرها) فيا أسفي ذهب أهل التحقيق وبقيت بنيات الطريق،
خلت البقاع من الأحباب وتبدلت العمارة بالخراب ، يا ديار الأحباب ،
عندك خبر المخلص يبهرج على الخلق بستر الحال ، وببهرجته يصح
النقد ، كان في ثوب أيوب السخنياني ، بعض الطول لستر الحال ،
وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول ما أشد
الزكام .

(لصردر) : (٣)

احبس دمي فيند شاردأ كأنني أضبطُ عبداً آبقسا
ومن محاشاة الرقيب خلتي يوم الرحيل في الهوى منافقا
كان أيوب يحمي الليل كله فإذا كان عند الصباح رفع صوته كأنه
قام تلك الساعة :

(لصردر) : (٤)

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) قاله يمدح عفيفاً القاسمي ، أنظر الديوان ص ١٤٩ .

(٤) قاله في مدح الوزير أبي نصر بن جهير ، وهو آخر شعر قاله ، أنظر الديوان ص ١٠٥ .

أكلف القلب أن يهوى وأكزمه
وأكتم الركب أوطاري^(١) وأسأله^(٢)
صبراً وذلك جمع بين أصدقاء
حاجات نفسي لقد أتعبت روائي
وكيف يعلم حال الرائح الغادي
هل مدلجٌ عنده من مبكر خبر
فمن نسيم الصبا والبرق اسنادي
إن رويت أحاديث الذين مضوا^(٣)

كان لإبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاءه. وكان
ابن أبي ليلى إذا دخل داخل وهو يصلي لضطجع على فراشه .

أفدى طباء فلاة ما عرفن بما مضى الكلام ولا صيغ الحواجيب

مرض ابن أدهم فجعل عند رأسه ما يأكله الاصحاء ، لئلا يتشبه
بالشاكين ، هذه والله بهرجة لصح من نقدك .

(للعباس بن الأحنف) : (٤)

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قوهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركمُ وصادقٌ ليس يدري أنه صدقا

إشتهر ابن أدهم ببلد فقيل هو في البستان الفلاني ، فدخل الناس
يطوفون ويقولون أين إبراهيم بن أدهم ؟ فجعل يطوف معهم ، ويقول
أين إبراهيم بن أدهم .

(للمهيار) : (٥)

ضناً بأن يعلم الناس الهوى ولمن وهبت للسر في لذة العلى
عرض بغيري ودعني في ظنونهم إن قيل من يك يخفي الحق في الظن

قرىء على أحمد بن حنبل في مرضه أن طاوساً كان يكره الأثين
فما أن حتى مات .

(١) في الديوان « أسراري » .

(٢) في الديوان « وأسأله » .

(٣) في الديوان « نأوا » .

(٤) أنظر ديوان شعره ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) مطلع قصيدة يمدح بها الوزير ابن أردشير ، الديوان ٤ / ٢٧ - ٢٩ .

(لصدر) : (١)

تفيض نفوسٌ بأوصابها وتكتم عوادها ما بها
وما أنصفت مهجةٌ تشتكي هواها إلى غير أحبابها

لما هم الطبع بالتأوه من البلاء كشفت الحقائق سجف المحبوب فلم
يبق لتقطيع الأيدي أثر :

بدا لها من بعد ما بدا لها روض الحمى إن تشتكي كلالها

رحل والله أولئك السادة • وبقي والله قرناء الرياء والوسادة .

ذم المنازل بعد مترلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

أسمع أصواتاً بلا أنيس وأرى خشوعاً أصله من إبليس .

(للمهيار) : (٢)

تشبهت حورُ الطباء بهم إذا سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامتُ بناطقٍ ونافرُ بآنسٍ وذو خلاً بذني شجن
مشتبهٌ أعرُفه وإنما مغالطاً قلت لصحبي : دارُ مَنْ
قفَ باكباً فيها وإن كنت أخاً موانساً فبكبها عنك وعن
لم يُبق لي يومُ الفراق فضلةً من دمةٍ أبكي بها على الدّمَن

(١) من قصيدة يمدح بها أبا القاسم بن رضوان ، أنظر ديوان شعره ص ١٣٨ .

(٢) من قصيدة أنشد بها ابن هرثمة الكاتب ، الديوان ٤ / ٤٧ .

الفصل التاسع والستون

التفكر في عجائب خلق الله

يا من قد أرخى له في الطول وأمهل له بمد الأجل ، إخل بنفسك
وعاتبها وخذ على يدها وحاسبها لعلها تأخذ عدتها قبل أن تستوفي مدتها :

وجدت أيامي لي رواحلاً وآن أن ينحط عنها الراحل
وصبح بي عرس فقد طال المدى وكل ركب في التراب نازل
تهدد الحين فهل من سامع وجاء بالنصح فأين القابل
وكل شيء زاجر محدث يفهم ما قال الحصيف العاقل

أخواني : بادروا قبل العوائق واستدركوا فما كل طالب لاحق ،
واشكروا نعمة من ستركم عن الذنوب ، واعرفوا فضله فقد أعطاكم
كل مطلوب ، ما أعم وجوده لجميع خلقه وما أكثر تقصيرهم في حقه
عم إحسانه الآدمي والبهائم والمستيقظ والنائم والجاهل، والعالم والمتقي
والظالم من تأمل حسن لطفه لخليقته حيره الدهش، خلق الجنين في بطن
الأم فجعل وجهه إلى ظهرها لئلا يجري الطعام عليه ، وجعل أنفه بين
ركبته ليتنفس في فراغ وسيق قوته في مصران السرة وليس العجب
تغذيه لأنه متصل بحي ، إنما العجب ، خلق الفرخ في البيضة المنفصلة
فإنه من البياض يخلق ومن المح يتغذى ، فقد هياً له زاد الطريق قبل سير
الإيجاد، إذا تفقت بيضة الغراب خرج الفرخ أبيض فتفر عنه الأم
لمبايته إياها ، فيبقى مفتوح الفم لطلب الرزق فيسوق القدر إلى فيه
الذباب ، فلا يزال يغتذي به حتى يسود ، فتعود أمه إليه ، خلق الطير
ذا جؤجؤ مخدّد لتجري سفينة طيرانه في بحر الهوى ، وجعل في جناحه

وذنبه ريشات طوال لينهض للطيران ولما كان يختلس قوته خوفاً من اصطياده ، جعل منقاره صلباً لثلاثاً ينسحج ولم يخلق له أسنان لأن زمان الإنتهاب لا يحتمل المضغ . وجعلت له حوصلة كالمخلاة ، فينقل إليها ما يستلب ثم ينقله إلى القانصة في زمان الأمن ، فإن كانت له فراخ أسهمهم قبل النقل كلما طالت ساق الحيوان طال عنقه ليتمكن تناول طعمه من الأرض ، هذا طائر الماء لا يقف إلا في ضحضاح ، فيتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى ما يريد خطا خطوات على مهل فيتناول ولو كان قصير القوائم ، كان حين يخطو يضرب الماء ببطنه فيهرب الصيد ، هذه العنكبوت تبنى بيتها بصناعة يعجز عنها المهندس إنها تطلب زاوية فجعلت فيها خيطاً ، ووصلت بين طرفيها بخيط آخر وتلقي اللعاب على الجانبين فإذا أحكمت المعاهد وربت القسط كالسدى أخذت في اللحمة فيظن الظان أن نسجها عبث ، كلا ، إنها تصنع شبكة لتصيد قوتها من الذباب والبق فإذا أتمت النسج لإنزوت إلى زاوية ترصد رصد الصائد ، فإذا وقع صيد قامت تجني ثمار كسبها فتغتذي به فإذا أعجزها الصيد طلبت زاوية ووصلت بين طرفيها بخيط ثم علقت بنفسها بخيط آخر ، وتنكست في الهواء تنتظر ذبابة تمر بها فإذا دنت منها دبت إليها واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها ، أفترأها علمت هذه الصنعة بنفسها ؟ أو قرأتها على بعض جنسها أفلا ينظر إلى حكمة من علمها ؟ وتثقيف من ألهمها .

فإن لم يكن لك نظر يعجبك منها فيعجب من عدم تعجبك ، فإن أعجب أفعال القدر (وَأَصْلَهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ) ^(١) القلب جوهر في معدن البدن ، فاكشف عنه بمعول المجاهدة ولا تطينه بتراب الغفلة ، رميت صخرة الهوى على ينبوع الفطنة ، فاحتبس الماء ، إنقب تحتها إن لم تطلق رفعها لعل الجرف ينهار .

في قربنا نيل المنى فتنهوا يا غافليننا
عجباً لقوم أعرضوا عنا وقوم واصلونا

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٣ .

نقضوا اليهود وبارزونا بالصلود كاشفونا
واستعذبوا طعم القطيعة والجفا حتى نسونا
يا ويحهم لو قد دروا ما فاتهم لاستعطفونا

إلهي ، ما أكثر المعرض عنك والمعرض عليك ، وما أقل المتعرضين
لك يا روح القلوب أين طلابك ؟ يا نور السموات أين أحبابك ؟ يا رب
الأرباب أين عبادك ؟ يا مسبب الأسباب أين قصائدك ؟ من الذي عاملك
بلبه فلم يربح ؟ من الذي جاثك بكرهه فلم يفرح ؟ أي صدر صدر عن
بابك ولم يشرح ؟ من ذا الذي لاذ بجملك فاشتهدى أن يبرح ؟ يا معرضاً
عنه إلى من أعرضت ؟ يا مشغولاً بغيره بمن تعوضت ؟ .

مت على من غبت عنه أسفاً لست عنه بمصيب خلفا
لن ترى قرّة عين أبداً أو ترى نحوهم منصرفا

بعث قيام الليل بفضل لقمة ، شربت كأس النعاس ففالك الرفقة ،
ضرب على أذنك لا في مرافقة أهل الكهف ، تناولت خمر الرقاد ،
فوقع بك صاحب الشرطة فعمل في حقلك بمقتضى « قم وانم » فجعل
حدك الحبس عن لحاق المهجدين ، والله لو بعث لحظة من خلوة بنا
بعمر نوح في ملك قارون لغبت لا بل بما في الجنان كلها ما ربحت ومن
ذاق عرف . أخواني: إسمعوا بجرمة الوفاء فما كل وقت يطلع سهيل ،
فإذا خرجتم من المجلس فاقصدوا المساجد الخراب ، وضعوا وجوهكم
على التراب وابعثوا أنفاس الأسف وكفى بها شفيعاً في الزلل فإن وجدتم
قلوبكم قد حضرت فاذكروني معكم .

(للشريف الرضى) : (١)

وقولوا لجيران على الخيف من منى تراكم من استبدلتم بجواريا
ومن ورد الماء الذي كنت واردا به ورعى العشب (٢) الذي كنت راعيا
فوا لهفتي كم لي على الخيف شهقة تدوب عليها قطعة من فؤاديا

(١) من قصيدة قالها عند توجه الناس إلى الحج عام ٤٠٠ ، أنظر ديوان شعره ٥٧٠ / ٢ - ٥٧١

(٢) في الديوان « الروض » .

الفصل السبعون

يا تأهياً في بوادي الهوى إنزل ساعة بوادي الفكر يخبرك بأن اللذة قصيرة والعقاب طويل واعجباً لمن يشترى شهوة ساعة بغم الأبد . كانت المعصية ساعة لا كانت فكم ذلت بعدها النفس وكم تصاعد لأجلها النفس وكم جرى لتذكارها دمع .

(للشريف الرضى) : (١)

قَضَيْتُ الْمَنَازِلُ يَوْمَ كَاطِمَةٍ	أَنَّ الْمَطِيَّ يَطُولُ مَوْقِفُهَا
سَبَقَتْ مَدَامَعُنَا بِرَشْتِهَا	مِنْ قَبْلِ أَنْ يُومِي مُكْفَكْفِهَا
إِنْ كُنْتُ أَنْقَذْتُ الدَّمْعَ بِهَا	فَالْوَجْدُ بَعْدَ الْيَوْمِ يُخْلِفُهَا
لَا تَنْشُدَنَّ الدَّارَ بَعْدَهُمْ	إِنِّي عَلَى الْإِقْوَاءِ أَعْرِفُهَا
رَفَقًا بِقَلْبِي لَا تَعَذِّبْهُ (٢)	الْعَيْنُ مِنْكَ وَأَنْتَ تَطْرِفُهَا
فِي الْقَلْبِ مِنْكَ جِرَاحَةٌ عَظُمَتْ	مَا زِلْتَ أَدْمَلُهَا وَتَقْرِفُهَا
هَلْ يَعْطِفَنَّكُمْ تَوَجُّعُهَا	أَوْ يُقْبِلَنَّ بِكُمْ تَلَهُّفُهَا

يا من قد هبت على قلبه جنوب المجانية فلفقت غيم الغفلة ، فاظلم أفق المعرفة لا تياس فالشمس تحت الغيم ، لو تصاعد نفس أسف دارت شمالاً فتقطع السحاب ، أنفع دواء أجده لك نقض أخلاط التخليط بالدموع ، بضاعة المذنب دمه رأس مال المقر حزنه ، راحة الأبواب قلقه ، عيشة التواب حرقه ، كان آدم يبكي بعد هبوطه حتى يجوض في دمه ، فكان جبريل يأتيه فيقول كم هذا البكاء ؟ ولسان حاله يجيب .

(للشريف الرضى) : (٢)

(١) من قصيدة قالها في معاتبة صديق له ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٣٠ - ٣٣ .
(٢) في الديوان « رفقا بقلبي يا أبا حسن » . (٣) أنظر ديوان شعره ٢ / ١٠٩ .

يا عاذل المشتاق دعه فإنه يطوي على الزفرات غير حشاك
لو كان قلبك قلبه ما لنته حاشاك مما عنده حاشاك

يا جبريل : ما تغير عليك أمر وأنا نقلت من برد عيش إلى حر ،
ما سكنت قط مسكني ولا توطنت موطني ، فاقراً على ربي سلامي
وقل له لا تنس أيامي .

(للمصنف) :

إذا جزت بالغور عرج يمينا فقد أخذ الشوق منا يمينا
وسلم على بانة الواديين فإن سمعت أوشكت أن تبين
ورو ثرى أرضهم بالدموع وخل الضلوع على ما طوينا
وصح في مغانيهم أين هم وهيات اموا طريقاً شطونا
أراك يشوقك وادي الارك أالدار تبكي أم الساكنينا
سقى الله مرتعنا بالحمى وإن كان أورث داءاً دفينا
وعاذلة فوق داء المحب رويداً رويداً بناقد بلينا
فمن تعذلين أما تعذرين فلو قد نفقت دفعت الاينا
إذا غلب الحب صح العتاب تعبت وأتعبت لو تعلمينا

ما زال آدم يشيم برق العفو فلما طال عليه الزمان حمل صعداً الوجد
رسالة شكوى ما علمت بمضمونها الرياح .

إذا بدا البرق من نجد طربت له وكدت من طربي أقضي لذكرهم
وتحمل الريح إن هبت شامية مني السلام إلى أطلال ربهم
فرض علي أراعيهم وأحفظهم على البعاد ويرعوني بفضلهم

يا معاشر المذنبين . تأسوا بأبيكم في البكاء ، تفكروا كيف باع
داراً قد ربي فيها وضاع الثمن لا تبرحوا من باب الذل فأقرب الخطائين
إلى العفو المعترف بالزلل ، ما انتفع آدم في بلية (وعصى) بكمال
(وعلم) . ولا رد عنه عز (اسجدوا) وإنما خلصه ذل (ظلمنا) . قال
سري : بت ببعض قرى الشام ، فسمعت طائراً على شجرة يقول طوال

الليل ، اخطأت لا أعود فقلت لأهل القرية : ما اسم هذا الطائر ؟
فقالوا فاقد إلفه .

(للمهيار) : (١)

تأوهت تأوه (٢) الأسير ورقاء ذات ورقٍ نصيرٍ
تنطق عن قلب لها مكسورٍ كأنها تنطق عن ضميرٍ
لييك يا حزينّة الصفيرٍ إن استجرت بي فاستجيري
لك الخيارُ انجدي أو غوري وحيشما صار هواك صيري
قصي جناحي زمن فطيري

أخواني : نفترق على هذه الحال غفلة شاملة ودموع جامدة لا بالله
لا تفعلوا .

يا حادي العيس لا تعجل بنا وقف نجري دموع هواهم ثم ننصرف
فما يزال نسيم من يمانية يأتي إلينا برياً روضة أنف

إذا رأيتم باكياً في المجلس فارحموه ، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه
لا تعجبوا من واجد ما لم تجدوه .

(لابن المعتز) :

دعوه ليظفي بالدموع حرارة على كبد حرى دعوه دعوه
سلوا عاذليه يعذروه هنيهة فبالعدل دون الشوق قد قتلوه

لا تلموا صاحب الوجد فما يرى بحضرته أحدا .

ظن الاراك لدى واديه أظعانا فما استطاع لما أخفاه كتماناً
فبان للركب ما قد كان يسره عن كل مستخبر عن حب من بانا

كان أبو عبيدة الخواص يمشي في الطريق ويصيح : واشوقاه إلى
من يراني ولا أراه .

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٣٤٥ . (٢) في الديوان « ترنمت ترنم » .

هذا ولهي وكم كتمت الوها صوناً لحديث من هوى النفس لها
يا آخر محنتي ويا أولها أيام عنائي فيك ما أطولها

ليس للمحب قرار ولا له من الحب فرار ، تعرقل وفات وخنق
فمات .

ولي عبرات تستهل صباية عليك إذا برق الغمام تألقا
ألقت الهوى حتى حلت لي صروفه ورب نعيم كان جالبه شقا
واذهل حتى احسب الصد والنوى بمعترك الذكرى وصالا وملتقى
فها أنا ذو حالين أما تلذذي فحي وأما سلوتي فلك البقا

لو أشرفت على وادي الدجى لرأت خيم القوم على شواطئ أنهار
الدموع ، خلوا والله بالحبيب وطال الحديث ، عين تبكي من المحبوب
وأخرى تبكي عليه ، لفضة تشكو منه وأخرى تشكو إليه . رى تام
لمحبته ، وعطش محرق إلى رؤيته .

(للمصنف)

الماء عندي قد طما وأنا الذي أشكو الظما
جسمي معي لكن قلبي عند سكان الحمى
واهاً لهم لو أنهم عادوا وجادوا لي فما
أرجو نوالاً منهم هيات هم حيي وما
ميلي إلى غير الأولى سكنوا فؤادي إنما
أشكو إليهم منهم كلما يزيد وكلما
هجروا تفاقم أمرهم يا ليتهم داواوا كما
جرحوا فلو طبوا شفوا هيات لولاهم لما
ذهب الزمان بأن أقول عسى وأرجو ربما
يا أيها المفضى بهم لم يبق منك سوى الدما
فاللما كان الوصال فعاد مرأً حلقما

تركوك بعد فراقهم متحيراً تبكي دما
يا بانه الوادي ارحمي من لا يزال متيماً
يا نسمة الريح الشمال ألا أبلغهم بعض ما
ألقى فحر سائم الا نفاس يكفي معلماً
نفسى تكابد وجدها بكم فما ففرت فما
لكن آثار المحبة ليس تخفى أينما

الفصل الحادي والسبعون

اخواني : ألا ناظر لنفسه قبل الموت ، ألا مستدرك زاد رسمه ؟
قبل الفوت ألا مزدجر بواعظ أمسه ؟ فقد أسمعته الصوت .

ما ضر عبد نفسه قبل خروج نفسه
هل يومه أو غده إلا نظير أمسه
وعله يلقي الردى قبل غروب شمسه
كم مدلج مهجر يسعى لبعل عرسه
واكيس الناس امرؤ جد ليوم رسمه

اخواني : حبال الآمال رثاث وساحر الهوى نفاث والأمانى على
الحقيقة أضغاث ، والمال المدخر رزق الوراثة ، عجباً لأجسام ذكور
وعقول إناث ، ألام الرواح في الهوى والتغليس ؟ وحتام السعي في صحبة
إبليس ؟ وكم بهرجة في العمل وكم تدليس ؟ أين الأقران هل لهم من
حسيس ، أما تعلم أنهم ندموا على إيثار الحسيس تالله لقد ودوا طلاق
الدنيا قبل المسيس ، لقد أسمعك الموت وعيدك وكأنك به قد ضعضع
مشيدك وأخلى منك دارك وملاً بك بيدك ، لقد أمرضك الهوى وفي
عزمه أن يزيدك هل لذت لذة الدنيا فصفت هل عافت ؟ إلا وعافت
وعفت هل تبعت عرضاً ؟ وقفت فوقفت هل أرشفت شفة من رضاها ؟
فشفت بينا محبها يناجيتها بألفاظ المنى ، خفت ما بلغ المراد منها إلا من
صد عنها والنفت .

عين المنية يفضي غير مطرفة وطرف مطلوبها مذكان وسانان
جهلاً تمكن منه حين مولده فالمرء صاح ولب المرء سكران

كم نرمي هدف سمعك برشق كلام ، كم نلدغ أصل قلبك بحمة
ملام لا تنفع الرياضة إلا في نجيب ، لو سقى الحنظل بماء السكر لن
يخرج حلواً، شجر الاثل وإن دام الماء تحته لم يثمر، سحاب الهدى قد
طبق بيد الأكوان ، وأظن أرض قلبك سبخاً إنما يغلب هذا على ظني
لبعد صلاحك وقد يستحيل الخمر خلا، كم تحضر المجلس وتخرج وما
علقت بشيء ويحك ، هذا البنفسج يطرح في الشيرح فيعقب به طول السنة
وكذلك الورد في الأشنان .

ومن البلية عدل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم

ويحك ، إلى كم تعدو خلف موكب الهوى وما تربح إلا الغبار،
دع جبل الرعونة من يد التمسك فإنه لا مرة له، ما قتل أحد بأحد من
سيف « سيوفي » ومواهب الأعمار مسترجعة بالأنفاس حتى تستوفي ،
ألست نقضت عهد (ألست) بعد عقد عقده فكيف حل لك الحل ؟
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الوصل إلا ما رجعت إلى الوصل
نحن لك على الوفاء ما زلنا ، وأنت ما ثبت يومين .

(لكثير) :

وكنا ارتقينا في صعود من الهوى فلما علوانه ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما توافينا شددت وحلت

واعجباً ، تنبه الحيوانات بالليل فتصوت وأنت غافل ويحك إذا
فتحت عينيك في الدجى فصح بقلبك .

قم بنا يا أخي لما نتمنى واطرد النوم بالعزيمة عنا
قم فقد صاحت الديوك ونادت لا تكون الديوك أطرب منا

أخواني : مصيبتنا في التفريط واحدة وأهل الأحران أهل .

انا ليجمعنا البكاء وكلنا نبكي على شجن من الأشجان

مجلس الذكر ماتم الأحزان هذا يبكي لذنوبه وهذا يندب لعيوبه
وهذا على فوات مطلوبه وهذا لاعراض محبوبه .

يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجد ألوان

يا نائح الفكر نضد ، يا نادب الحزن عدد ، يا لائم النفس شدد ،
يا رامى القلب سدد ، يا جامع الدمع بدد ، يا مطرب السر ردد .

(للمهيار) : (١)

نشدتك يا بانة « الاجرع » متى رفَع الحَيُّ من « لعلع »
وهل مر قلبي في التابعين أم حار ضعفاً فلم يتبَّعِ
رأيت له (٢) بين تلك القلوب إذا اشتبهت انة الموجعِ
أدر يا نديمي كأسَ الحديث (٣) فكأسي بعدهمُ مدمعي

يا مقيداً عن السير بقيود الشواغل أيطمع في لحاق الطير مقصوص
القوادم ؟ صوت في الاسحار بالسائرين لعل عطفاً ينمطف إليك في عطفة
رحمة ، فقد ترق الساعة لأهل الفاقة .

(للمهيار) : (٤)

رُدوا لنا يوماً ولو ساعةً على الغضا من عيشنا الزائل
لي ذلةُ السائل ما بينكم فلا تفتكم عزة الباذل

سل الليل عن الأحباب فعنده الخبر ، خلا الفكر بالقلب في بيت
التلاوة فجرت أوصاف الحبيب فنهض قلق الشوق يضرب بطون
الرواحل لينهر السهر فلا وجه لنوم القوم .

(للخفاجي) :

(١) من قصيدة طويلة كتبها الوزير ذي السادات ، أنظر ديوان شعره ٢٠٥ / ٢٤٢ - ٢٥٠ .

(٢) في الديوان « فأنته لك » .

(٣) في الديوان « المدام » .

(٤) من قصيدة يملح بها زعيم الدين أبا الحسن ، الديوان ٣ / ٢١٨ .

أترى طيفكم لما مرى أخذ النوم وأعطى السهرا
ما ظلوم الليل بل نعدره إنما طوله من قصرا
يا عيوننا بالغضا راقدة حرم الله عليكم الكرى
لو عدلتن تساهمنا جوى مثل ما كنا اشتركنا نظرا
حبذا فيك حديث باطن فطن الدمع به فانتشرا

من لم يكن له مثل تقواهم لم يعلم ما الذي أبكاهم ؟ من لم يشاهد
جمال يوسف لم يعلم ما الذي ألم قلب يعقوب ؟ •

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم بدر كيف تفتت الأكباد

لو دمت على سلوك البادية طابت لك ريح الشيح .

تقر لعيني أن أرى رملة الحمى إذا ما بدت يوماً لعيني قلاها
ولست وإن أحببت من يسكن الغضا بأول راج حاجة لا ينالها

الفصل الثاني والسبعون

يا من كانت له معنا معاملة ، وطالت بيننا وبينه المواصلَة ثم اختار
الهجر والمفاصلة إن، لم يكن جميل فلتنكن مجاملة ، تفكر تعرف قدر ما
فاتك وابك لذنب حرمك الفوز وافاتك ، أسكب دموع أسفك قرب
دم بالأسى سفك وانذب أطلال مألُفك لعلك تغاث في موقفك .

(للمهيار) : (١)

تظنُّ ليالينا عُوْدًا	على العهد من « برقيي شهدا »
ويا صاحبي أين وجهُ الصباح ؟	وأين غدٌ ؟ صيفٌ لعيني غدا
وخلفَ الضلوعِ زفيرٌ أبي	وقد برَدَ الليلُ أن يبرُدًا
خليلي ، لي حاجةٌ ما اخفَّ	« لرامة » لو حَمَلتْ مُسعدا
أريد لاكم وابن الاراك	يفضحها كلما غردا
أحب وإن اخصبَ الحاضرون	بيادية الرمل أن أخلدا
أرى كبدي قُسمتْ شعبتين	مع الشوق غور أو أنجدا
تمناك عيني وقلبي بَراك	بشوقي حاشاك أن تُفقدا

اللهم نور دنيانا بنور من توفيقك ، واقطع أيامنا في الإتصال بك
وانظم شتاتنا في سلك طاعتك ، فأنت أعلم بتلفيق المقررف ، اللهم
قوِّ من أطفال التوبة بلبان الصبر ، أرفق بمرضى الهوى في مارستان
البلاء ، إفتح مسامع الأفهام لقبول ما ينفع ، سلم سيارَة الأفكار من
قاطع طريق ، إحرس طلائع المجاهدة من خديعة كمين ، إحفظ شجعان

(١) من قصيدة قالها للكاتب أبي الحسين أحمد بن عبد الله مشرقاً أيام اجتماعه ومستوحشاً لبعده
أنظر ديوان شعره ١ / ٢٦٣ - ٢٦٧ .

العزائم من شر هزيمة، وقع على قصص الإنابة بقلم العفو، لا تسلط جاهل
 الطبع على عالم القلب، لا تبدل نعيم عيش الروح بجحيم حر النفس،
 لا تمت حي العلم في حي الجهل أخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام
 لا تجعلنا ممن رأى الصيغ فنام، لا تؤاخذنا بقدر ذنوبنا، فإنك قلت :
 (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (١) واعجباً لمن عرفك ثم أحب غيرك
 ولمن سمع مناديك ثم تأخر عنك .

حرام على العيش ما دمت غضباناً وما لم يعد غني رضاك كما كانا
 فأحسن فإنني قد أسأت ولم تزل تعودني عند الإساءة غفرانا

إلهي، لا تعذب نفساً قد عذبتها الخوف منك، ولا تحرس لساناً كل
 ما يروى عنك، ولا تقذ بصراً طالماً يبكي لك، ولا تخيب رجاءاً هو
 منوط بك، إلهي، ضع في ضعفي قوة من منك، ودع في كفي كفي
 عن غيرك، لإرحم عبرة تترقرق على ما فاتها منك، برد كبداً تحترق على
 بعدها عنك .

(للشريف الرضي) : (٢)

أشكو إليك مدامعا تكيفُ بعد النوى وجوانحاً تجيفُ
 ما كان أسرع ما نبأ زمنٌ وتكدرت من ودنا نطفُ
 جبلٌ ، غدا بأكفينا طرفٌ منه وفي أيدي النوى طرفُ
 لهفي على ذاك الزمانِ وهلْ يثني زماناً ماضياً لهفُ

وأسفي لمنقطع دون الركب متأخر عن لحاق الصحب يعد الساعات
 في متى ولعل ويخلو يفكر في عسى وهل .

(لقيس المجنون) :

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣٧ .

(٢) من قصيدة قالها في الوزير أبي علي الحسن بن أبي الريان عاتباً عليه ، أنظر ديوان شعره

. ٢٤ / ٢ - ٢٤ .

أعد الليالي ليلة بعد ليلة
وأخرج من بين البيوت لعلي
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن
ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما
وأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت
خليلي ما أرجو من العيش بعدما
وقد يجمع الله الشيتين بعدما
وقد عشت دهرها لا أعد الليالي
أحدث عنك النفس بالليل خاليا
شمالاً ينازعي الهوى عن شماليا
على الهوى لما تغنيتما ليا
أبالي بدمع العين لو كنت خاليا
لها وهج مستصرم في فؤاديا
أرى حاجتي تشري ولا تشري ليا
يظنان كل الظن أن تلاقيا

أيها المتخلف في أعقاب الواصلين إستغث بهم ، علّق على قطارهم
فلعل جملك يصل .

يا صاح والصاحب لا يدعى به
أخذ بيدي من سطوة. البين فما
أين ليالينا القصار بالحمى
إلا إذا لج الغرام واعتدى
أظن أن البين أبقى لي يدا
واكبداً على الحمى واكبدا

يا من قد مضت له ليالي مناجاة ثم طبق الدستور، وقطع المعاملة،
أندب زمان الوصال لعل حالاً حال يعود .

(للمهيار) : (١)

يا ليلي « بحاجر »
بتنا على الاحقاف (٢)
قالوا الصباح فانتبه
فقلت مخلوطاً أظن
حيران طرني دائراً
إن عاد ماضٍ فارجمي
تنهال بكل مضجع
فقال لي الطيف اسمع
البازل ابن الربيع (٣)
أطلب ما ليس معي

(١) من قصيدة كتبها للأستاذ أبي طالب ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٢٠٤ - ٢١١ .

(٢) الأحقاف جمع حقف : ما اعوج من الرمل واستطال ، وهي المنطقة المعروفة .

(٣) البازل : المسن من الإبل ، والربيع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول التناج .

أرضي بأخبار الرياح والبروق اللُمع
وأين من برق « الحمى » شائمة « بللع »
أفرشني الجمرَ وقال : إن أردت فاهجع

ذكر الوصال في زمان الهجر تلف ، خصوصاً إذا لم يكن للحبيب
خلف . قال ابن مسروق : كنت أمشي مع الجنيد في بعض دروب
بغداد ، فسمع منشداً يقول .

منازل كنت تهواها وتألّفها أيام أنت على الأيام منصور

فبكي الجنيد بكاءً شديداً وقال ما أطيب منازل الإلفة والأنس ،
وأوحش مقامات المخالفة لا أزال أحن إلى أول بدء إرادتي وجدة سعيي .

(للمهيار) : (١)

يا ليلتي بذات الشيخ والضال
ويا مرابع أطلالي بذي سلم
ويا مآرب نفسي والدين هم
قد كان قلبي بكم مأوى السرور فمذ
فلو شربت بعمرى ساعة سلفت
مالي أعلل نفسي بالوقوف على
من لي بكتمان ما ألقاه من ألم
قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلاً
وكيف أشغل قلبي عن محبتكم

ومنت البان من نعمان عودا لي
لهفي على ما مضى من عصرك الخالي
بالوصل والهجر أعلالي وأبلاي
نا يتم صار مأوى كل بلبال
من عيشتي معكم ما كان بالغالي
منازل أقفرت منكم وأطلال
وظاهري معرب عن باطن الحال
منا وذلك فعل الخائن السالي
بغير ذكركم يا كل أشغالي

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوان المهيار الديلمي

الفصل الثالث والسبعون

واشوقاه إلى أرباب الإخلاص واتوقاه إلى رؤية تلك الأشخاص ،
إني لأحضر ذكركم فأغيب وإن وقفي بتذكركم لطيب .
(للشريف الرضى) : (١)

إذا هزنا الشوق أضطربنا لهزه
فمن صبوات تستقيم بمائل
وأسئرف الأعلام حتى يدلني
وما أنسم الأرواح إلا لأنها
على شُعبِ الرحل اضطراب الأرقام
ومن أريحيات تهب بناثم
على طيبتها مر الرياح النواسم (٢)
تهب (٣) على تلك الربى والمعالم

الإخلاص مسك مصون في مسك القلب تنبه ريجه على حامله ، العمل
صورة والإخلاص روح ، المخلص يعد طاعته لاحتقاره لها عرضاً وقلم
القبول قد أثبتها في الجوهر خالصاً ، الإخلاص اليسير كثير ووجود
عمل الرياء عدم قراضة الأمانى لا تقف ، وصحيح الشبه مردود ، خليج
صاف أنفع من بحر كدر ، إذا لم تخلص فلا تتعب لا يكسر الجوز بالعهن ،
أتحدو وما لك بعير ؟ أتمد القوس وما لها وتر ؟ أنتجشاً من غير شيع ؟
واعجباً من وحشي بلا جبل كم بذل نفسه مرء ؟ لتمدحه الخلق .
فذهبت والمدح ولو بذها للحق لبقيت والذكر ، عمل المرآئي بصلة كلها
قشور ، المرآئي يحشو جراب العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه ، ربح الرياء
جيفة تتحاماها مسام القلوب ، وما يحفي المرآئي على مسانح الفطن ، لما

(١) من قصيدة قالها مفتخراً ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٥ .

(٢) في الديوان « الهواجم » .

(٣) في الديوان « تجوز » .

أخذ دود القز ينسج أقبلت العنكبوت تشبه وقالت : لك نسج ولي نسج
فقلت دودة القز : ولكن نسجي أردية للملوك ونسجك شبكة للذباب
وعند مس النسيجين يبين الفرق .

إذا اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكا

شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة وشجرة الدبا تصعد في أسبوعين
فتقول لشجرة الصنوبر إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة قد قطعتها
في أسبوعين ، فيقال لي شجرة ولك شجرة فتجيبها : مهلاً إلى أن
تهب ريح الخريف ، قال الدب للادمي : أنت تمشي على رجلين
وأنا أيضاً فقال الآدمي : ولكن صدمة تردك إلى أربع وكم أضدم وأنا
منتصف .

كان الأشياخ في قديم الزمان أصحاب قدم والمريدون أصحاب ألم
فذهب القدم والألم ، كان المريد يستل عن غصة والشيخ يعرف القصة
فالיום لا غصة ولا قصة ، كان الزهد في بواطن القلوب ، فصار في
ظواهر الثياب ، كان الزهد حرقة فصار اليوم خرقة ^(١) ويحك صوف
قلبك لا جسمك * وأصلح نيتك لا مرقعتك ، غير زيك أيها المرأئي
فهو يصيح خذوني، تحملن السيف وما تحسن القتال سيف ودرع لزمان
هتكة ، ولقعد فضيحة ، بهرج يتبين عند الحك إذا كان العلوى ثابت
النسب لم يحتج إلى ضفيرتين ولا يصير المخنث تركيا بلبس القباء ،
ولا المرأئي ولياً بلبس العباء ، هذه من النكت الخفايا وفي الزوايا خبايا
واعجباً ما للدواعي إلى الدعاوي ، الباطن ينطق لما علم الصالحون خطر
البيات ، أدجلوا بأحمال الأعمال في ليل الكتم ، كان البكاء إذا غلب
أيوب قال ما أشد الزكام .

هيبيني أستر البلوى ليس الدمع يفضخي
لساني فيك أملكه ودمع العين يملكني

(١) أشار إلى هذا المعنى قبلا القشيري (ت ٤٦٥) في رسالته ص ٢ - ٣ ، طبعة القاهرة

صام داود بن أبي هند أربعين سنة لم يعلم به أحد ، كان يأخذ
غداه ويخرج إلى الدكان فيتصدق به في الطريق فيظن أهل السوق أنه
قد أكل في البيت ويظن أهله أنه قد أكل في السوق .

(لخبار الحرمي) :

ومستخبر عن سر ليلي رددته فأصبح في ليلي بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن أخبرتهم بأمين

كان ابن سيرين يتحدث بالنهار ويضحك ، فإذا جاء الليل أخذ
في البكاء والعويل .

نهاري نهالناس حتى إذا بدا لي الليل هزني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبأمانى ويجمعني والهـم بالليل جامع

كان خوفهم من الرياء يوجب مدافعة النهار ، فإذا خلوا بالحبيب
لم يصبر المشوق .

أحن بأطراف النهار صباية وبالليل بدعوني الهوى فأجيب

لو قدروا على استدامة الكتمان ما أذاعوا « وكم يقدر المشتاق أن
يكنم الوجداء » إذا جن الليل وظلامه ، نار سجن المحب وسقامه ، ورمى
الوجد فأصابت سهامه ، واستطلق مزاد العين فأنهل سجامه ، وطال
بالخزين قعوده وقيامه .

كـم بذكراك ولوعـي يا جوى بسين الضلوع
هجع العاذل لكن من لعيني بالهجع
هي في شغل عن النوم بمرفض الدموع
اتغني بك في الحـي كورقـاء سجـوع

لو أبصرت طلائع الصديقين في أوائل القوم أو شاهدت ساقية
المستغفرين في أواخر الركب ، أو سمعت استغاثة المحبين في وسط الليل .

من رأى البرق بنجد إذ ترأى سلب النوم وأهدى البرحاء
فاض فيضاً كجفوني ماؤه والتظى وهناً كأنفاسي التظاء
نام سمار الدجى عن ساهر إتخذ الهم سميراً والبكاء
أسعدته أدمع تفضحه فإذا ما أحن الدمع أساءا

إذا رأيتم حزيناً فارحموه ، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه . وإذا رأيتم
باكياً فوافقوه .

الدمع يخون كل كاتم والحب يحلل العزائم
القلب بجكم لديغ ما أقلقني من الأرقام
والوجد يغالب المقاوي والسالم فيه من يسالم
هذا ولعين في هواكم سلمت لكم فما أخاصم
سالت بكم دموع عيني والدمع بمقلتي يزاحم
أبكى أثر الحبيب كرها والحزن تهبجه المعالم
يا مانع مقلتي كراها مر الليل ولست نائم
قد صمت عن الهوى لاحظي في الحب لكم بأجر صائم
هل يبذل وردكم لظام حيران على الورود حاتم
ناحت فزجرتها حمام ما لي تزعجني الحمام
يرقبن إلى ذرى غضون أنسى تحملك القوائم
تبكين وما شجاك شوق شكواك إذا من العظام
إن كنت صدقت فاسعديني لا نسمع لومة اللوام
طارت وبقيت في ضماني لا أبرح والزعيم غارم

الفصل الرابع والسبعون

أخواني : سار المتقون ورجعنا ووصلوا وانقطعنا ، وأجابوا الداعي
وامتنعنا ، ونجوا من الاشرار ووقعنا ، تعالوا ننظر في آثارهم وندرس
دارس أخبارهم ونبكي على التفريط ما نابنا، ونندب ما لحقنا، وأصابنا .
(للمصنف) :

ودعوا يوم النوى واستقلوا ليت شعري بعدها أين حلوا
يا نسيم الريح بلغ إليهم أن عقدي معهم لا يحل
لي من الريح الشمال انتهمال فإذا هبت سحيراً فعل
عرضوا قلبي لسقم طويل باطن يظهر منه الاقل
لو بكت عيني على قدر وجددي صار وادبهم دماً لا يحل

سافر القوم على رواحل الصدق ، فقطعوا أرض الصبر حتى وقعوا
برياض الأنس ، فعبقت قلوبهم بنشر القرب وتعطرت بنسيم الوصل ،
فغادت سكرى من صرف سلاف الوجد وعربدت على عالم الجسم ،
فكلما ربا الحب ذاب .

خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ضنا جسدي لكنني أتكنم

حمام أرواحهم مسجونة في أقفاص أشباحهم ، تصوت لشجو
شوقها وتقلق لضيق حبسها .

(للمهيار) : (١)

(١) في قصيدة كتبها إل صاحب أبي القاسم في عيد الفطر ، أنظر الديوان ١ / ٢٤٣ .

بالغور دارٌ وبنجد هوى يا لطفَ من غار بمن أنجدا
يا حبذا الذكرى وإن اسهرت بعدك والدمعُ وإن أو مدا

البكاء دأبهم والدمع شرابهم والجوع طعامهم والصمت كلامهم
فلو رأيتهم وعذالهم وقد زادوا بالعدل أنقالمهم .

سلمت مما عنائي فاستهنت به لا يعرف الشجو إلا كل ذي شجن
شتان بين خلي مطلق وشجج في ربة الحب كالمصفود في قرن
أمسيت تشهب باد من ضنى جسدي بداخل من جوى في القلب مكتمن
إن كان يوجب ضري رحمتي فرضي بسوء حالي وحل للضنى بدني
منحتك القلب لا أبغني به ثمنا الا رضاك وواقفري إلى الثمن

أعندك من حديثهم خبر ؟ ألك في طريقهم أثر ؟ .

(نخلد الكاتب) :

رقدت ولم ترث للمساهر وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقاد ما فعل الدمع بالناظر

نازلم الخوف فصاروا ولين ، وفاجأهم الفكر فعادوا متحيرين
وجن عليهم الليل فرآهم ساهرين ، وهبت رياح الاسحار فمالوا
مستغفرين ، فإذا رجعوا وقت الفجر بالأجر نادى منادي الهجر يا خيبة
النائمين .

ولما وقفنا والرسائل بيننا دموع نهاها الوجدان تتوقفا
ذكرنا الليالي بالعتيق وظلها الا نيق فقطعن القلوب تأسفا

جليت أوصاف الحبيب في حلية الكمال فقاموا على أقدام الشوق
يسبحون في فلوات الوجد فلو رأيتموهم لقلتم مجازين ، هيهات من لا
يعرف مناسك الحج ، نسب المحرمين إلى الخبل ، الناس يضحكون
وهم يبكون ، ويفرحون وهم يحزنون ، وينامون وهم يسهرون .

تركت ليلى أمد من نفسي وأسفي للفراق وأسفي

لما تمكنت المعرفة من قلوبهم أثرت شدة الحوف ، فارتفع ضجيج
الوجد .

رأى الصديق طائراً فقال : طوبى لك يا طائر ، تقع على الشجر .
وتأكل من الثمر ولا حساب عليك ، ليتني كنت مثلك . وقال عمر :
ليتني كنت تبنه ، ليت أمي لم تلدني . وقال ابن مسعود : وددت أني إذا
مت لا أبعث . وقال عمران ابن حصين : ليتني كنت رماداً . وقال أبو
الدرداء : ليتني كنت شجرة تعصد . وقالت عائشة : ليتني كنت نسياً
منسياً .

ودخلوا على عطاء السلمي وحوله بلبل ، فظنوه قد توضعاً فقالت
عجوز في داره : هذه دموعه .

(لصردر) : (١)

كلُّ سحابٍ أمطرتُ أرضكمُ حاملةٌ للماءِ من أدمعي
وكل ريحٍ زعزعتُ تُربكمُ فإنها الزفرةُ من أضلعي

أتاهم من الله وعيد وقدهم ، فباتوا على حرق ، وأكلوا على تنغيص
ف نومهم نوم الغرقى ، وأكلهم أكل المرضى عجزت أبدانهم عما حملت
قلوبهم (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) (٢) .

قال فرقد : دخلت بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف
والمسوح ، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعاً في مقام واحد .
قال أبو طارق شهدت ثلاثين رجلاً دخلوا مجالس الذكر يمشون بأرجلهم
صباحاً إلى المجلس ، وأجوافهم والله قرحة ، فلما سمعوا الذكر ،
انصدعت قلوبهم .

(١) في قصيدة كتبها إلى الرئيس ابن المطلب ، أنظر ديوان شعره ١٦٢ - ١٦٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

قصوا على حديث من قتل الهوى إن التآسي روح كل حزين

قال عبد الواحد بن زيد لو رأيت الحسن ، لقلت قد بث عليه حزن
الخلائق ، ولو رأيت يزيد الرقاشي لقلت مثكل ، أقبل ولد يزيد يوماً
يعاتبه على كثرة بكائه ، فجعل يصرخ ويبكي حتى غشي عليه . فقالت
أمه يا بني ما أردت بهذا ؟ فقال إنما أردت أن أهون عليه .

صحة الشوق أحدثت علة الصبر وبعد المزار زاد السهادا
كم عدول عليكم رام إصلاحي فكان الصلاح منه فسادا
كلما زاد عدله زاد وجددي فكللنا في أمره قد تمادى
من لقلب أصليتموه لظى الجمر وجنب أفرشتموه القتادا

المحب إن تذكر الربع حن وإن تفكر في البعد أن وإن جن عليه الليل
أظهر ما أجن . قطع عليه رضاع الوصال فلم يتهن .

(للمصنف) :

يا بريق الحمي حرمت المناما فانقضى الليل سهاداً وقياما
أترى ما قد أرى يا صاحبي كيف والشوق بروحي يترامى
يا سقى الله حماهم مزنة حلبت أشطرها أيدي النعامي
يا نسيم الريح بلغ واعد أن نفسي مع أنفاس الخزامي
آه لو عاد زماني بهم عند جرعاء الحمى عوداً لماما
يا ليالينا بذى الاثل ارجعي أسفاً لو أنه يشفي النداما
يا صاحبي بلغوا إن جزتم بنقي الرمل عن الجسم السلاما
إن قلبي يوم طفنا باللوى ورحلنا عنه بالوجد أقاما
يا غرامي إن شدت ورق وهل علم الورق سوى وجددي الغراما
قلقي في حرقى من أرقى يرتقي بل يتقي مني العظاما
طربي في كربي من حربي رجع الماء بواديهم حراما
لوجرت عيني على قدر الأسي رجع الماء بواديهم حراما

الفصل الخامس والسبعون

أخواني : الخلوة مهر بكر الفكر وسلم معراج الهمة ، حريم العزلة
مصون من عيب غيث عبث ، إذا خلت دار الخلوة عن الصور تفرغ
القلب للملاحظة المعاني .

أوحشتني	خلواتي	بك من كل أنيس
ونفردت	فعايتك	بالغيب جليسي
ودعاني الوجد والحب		إلى المعنى النفيس
فبدا لي أن مهر الحب		أنفاس النفوس
فكتبت العهد للحب		على طرس الرئيس

يا هذا ، إذا رُزقت يقظة فصنها في بيت عزلة ، فإن أيدي المعاشرة
نهاية ، إحذر معاشرة الجهال فإن الطبع لص ، لا تصادقن فاسقاً ، فإن
من خان أول منعم عليه لا يفي لك ، يا أفراخ التوبة لازموا أوكار
الخلوة فإن هر الهوى صيود ، إياك والتقرب من طرف الوكر والخروج
من بيت العزلة حتى يتكامل نبات الخوافي وإلا كنت رزق الصائد ،
الأنس بالأنس ربك ، المخالطة توجب التخليط وأيسر تأثيرها تشتيت الهم .
أقل ما في سقوط الذئب في غنم ان لم يصب بعضها أن ينفز الغنم

قطع العلائق أصل الأصول ، فرغ لي بيتاً أسكنه ، إن الطائر إذا
كان زاقاً لم يرسل في كتاب ، تأملوا إلى الفرس إذا قدم إلى الماء
الصافي كيف يضرب يديه فيه حتى يتكدر ؟ أتدرون لم ؟ لأنه يرى
صورة نفسه في الماء الصافي وصورة غيره فيكدره حتى لا تتبين فيه

الصور فيتهدى بالشرب ، لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق ، كان
أويس يهرب من الناس فيقولون مجنون . وصف الرسول صلى الله عليه
وسلم لأصحابه حلية حلته فقوي توق عمر وكان في كل عام يسأل عنه
أهل اليمن .

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديا

لما كانت آخر حجة حجها عمر قام على أبي قيس فنادى بأعلى
صوته أفيكم أويس ؟

(للشريف الرضى) : (١)

وإني للشوق من بعدهم أراعي الجنوب رواحاً ومغدى
وأفرح من نحو أوطانهم بغيث يُجلجلُ برقاً ورعدا
إذا طلع الركبُ يمتهم أحبي الوجوه كهولاً ومردا
وأسألهم عن عقيق الحمي وعن أرض نجد ومن حل نجدا
نشدتكم الله فليُخبرنَّ من كان أقرب بالرمل عهدا
هل الدارُ بالخرع مأهولة أنار الربيع عليها وأسدي
وهل جلب الغيث أخلاقه على محضرٍ من زرود ومبدا ؟

كان أويس يأتي المزابل إذا جاع فأناها يوماً فنجح عليه كلب فقال
يا كلب لا تؤذ من لا يؤذيك كل مما يليك ، وأكل مما يليني فإن دخلت
الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير مني .

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف

كان الصبيان يرمونه بالحجارة ، والعقلاء عند نفوسهم يقولون مجنون
والمحبة تنهاه أن يفسر ما استعجم .

(١) من قصيدة قالها يفتخر بقريش ونزار على قحطان واليمن ، أنظر ديوان شعره ١ / ٢٤٢

أبشهم وجددي وهم بي أعلم وأرجو شفائي منهم وهم هم
 وكم كدت من شوق أبين من هم ويمعني من ذاك خوفي منهم
 وكم عدلوني فيهم غير مرة فقلت لهم والله بالصدق أعلم
 إذا كان قلبي موثقاً في جبالكم وجسمي لديكم كيف أفهم عنكم
 فإن شئتم أن تعدلوا فتوصلوا إلى أن يعود القلب ثم تكلموا

صاحب أهل الدين وصافهم ، واستفد من أخلاقهم وأوصافهم ،
 واسكن معهم بالتأدب في دارهم وإن عاتبوك فاصبر ودارهم ، إن لم
 يكن لك مكنة البذر ولم تطق مراعاة الزرع فقف في رفقة (وإذا
 حَضَرَ القِسْمَةَ أولوا القُرْبَى) (١) أنت في وقت الغنائم نائم ، وقلبك
 في شهوات البهائم هائم ، إن صدقت في طلابهم فانهض وبادر ، ولا
 تستصعب طريقهم . فالعين قادر ؟ تعرض لمن أعطاهم وسل فمولوك
 مولاهم ، رب كثر وقع به فقير ، ورب فضل فاز به صغير ، علم
 الخضر ما خفي على موسى ، وكشف لسليمان ما غطي عن داود .

يا هذا ، لا تحتقر نفسك فالتائب حبيب ، والمنكسر مستقيم
 إقرارك بالإفلاس غنى ، إعرافك بالخطأ إصابة ، تنكيس رأسك بالندم
 رفعة ، عرضت سلعة العبودية في سوق البيع فبذلت الملائكة نقد (ونحن
 نُسَبِّحُ) (٢) فقيل ما تؤثر سكة دراهمكم ، فإن عجب الضارب
 بسرعة الضرب أوجب طمساً في النقش فقال آدم : ما عندي إلا فلوس
 إفلاس ، نقشها (ربنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) (٣) فقيل هذا الذي ينفق على
 خزانة الخصاص ، أين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين .

واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسرار حتى درت الاماق

يا معاشر المذنبين إن كان يأجوج الطبع ، وماجوج الهوى ، قد
 عاثوا في أرض قلوبكم (فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٢٣ .

(١) سورة النساء ، الآية ٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

رَدَمًا) (١) إجمعوا لي عزائم قوية تشابه زبر الحديد ، وتفكروا في خطاياكم لتثور صعءاء الأسف فلا أحتاج أن أقول (إنفُخُوا) شيدوا ببيان العزائم بهجر المألوف ، ليستحجر البناء فنستغني أن نفرغ عليه قطرا ، هكذا بناء الأولياء قبلكم ، فجاء الأعداء (فما استطاعوا أن يظهروه) (٢)

ليس عزمًا ما مرض المرء فيه ليس همًا ما عاق عنه الظلام

الجد الجدد فما تحتمل الطريق الفتور ، ضاقت أيام الموسم ، فجعجعوا بالإبل كذا أسيد الضبي إذا عوتب في كثرة بكائه يقول : كيف لا أبكي وأنا أموت غداً ؟ والله لا أبكين فإن أدركت بالبكاء خيرا ، فمن من الله علي وإن كانت الأخرى فما بكائي في جنب ما ألقاه ؟ . كانت عابدة لا تنام من الليل إلا يسيراً فعوتبت في ذلك : فقالت كفى بطول الرقدة في القبور رقادا .

أيها العذال لا تعذلوا إنما العذل لمن يقبل وأرى ليلي لا ينقضي طال ليلي والهوى أطول

تزوج رباح القيسي امرأة فرأته نائماً طول الليل فقالت : ليت شعري من غرني بك يا رباح ؟

يا عقيق الحمى حمى الله مغناك وروى ثراك من مزن دمع
من لصب يشوقه لامح البرق فيرتاح قلبه للجزع
يا خليلي ما أنت لي بخليل ورفيق إن لم تقف بالربع

هذه طريقهم فأين السالك ؟ هذه صفاتهم فأين الطالب ؟ .

هذي المنازل والعقيق فأين سلمى والحيام
لم يبق مذ صاحوا النوى لميتم فيها مقام

(١) سورة الكهف ، الآية ٩٥ . (٢) سورة الكهف ، الآية ٩٧ .

الفصل السادس والسبعون

أيها المقصر عن طلب المزداد ، كيف تدرك المعالي بغير اجتهاد ؟
 أين أهل السهر من أهل الرقاد ؟ أين الراغبون في الهوى من الزهاد ؟
 رحل المتيقظون مستظهرين بكثرة الزاد كل جواد لهم يعرف الجواد
 فساروا فزاروا والكسلان عاد .

(للشريف الرضى) : (١)

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه
 أهفوا إلى الركب تعلولي ركائبهم
 نفوح (٣) أرواحُ نجد من ثيابهم
 يا راكبان قفا لي فاقضيا وطري
 هل رُوِّضَتْ قاعة الوعساء أم مطرت
 أم هل أبيتُ ودارٌ عند كاظمة
 فلم يزالا إلى أن نمَّ بي نَفْسِي
 خلَّفتَ نجداً وراء المدلج الساري
 من الحمى في أُسْحَاقِ (٢) وإطمار
 عند القدوم (٤) لقرب العهد بالدار
 وحدثاني (٥) عن نجد بأخبار
 خميلة الطاح ذات البان والغاري
 داري وسمَّار ذاك الحي سماري
 وحدثَ الركبَ عني مدمعي الجار

لما صفت خلوات الدجى • نوذي آذن الوصول أقم فلانا وأنم فلانا
 خرجت بالأسماء الجرائد ، وفاز الأحباب بالفوائد ، قال أحمد بن أبي
 الحواري : قلت لامرأتي رابعة وقد قامت من أول الليل قد رأينا أبا

(١) قصيدة قالها متنزلاً ، أنظر ديوان شعره ١ / ٥١٧ .

(٢) اسحاق مصفر اسحاق وهي الثياب البالية .

(٣) في الديوان « تضرع » .

(٤) في الديوان « عند النزول » .

(٥) في الديوان « وخبراني » .

سليمان وتعبدا معه ، ما رأينا من يقوم من أول الليل . فقالت سبحان الله مثلك يقول هذا ؟ أما أقوم إذا نوديت . (للمتنبى) :

تقولين ما في الناس مثلك وامق جدي مثل من أحببته تجدي مثلي
ذريني أنل ما لا ينال من العلى فصعب العلى في الصعب والسهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

لما دارت كؤوس النوم على أفواه العيون ، فسكرت بالشراب
الألباب فطرحت الأجساد على فراش (يَتَوَقَّى) (١) صاحت فصاحة
الحب بالمحب « كل مسكر حرام » (٢) فلما نفخ في صور الإيقاظ في أبان
(ويرُسِلُ الأخرى) (٣) قام أموات النوم وقد رحل سفر الوصال .
فلم يروا إلا آثار القرب في مناخ الأحباب وأثا في (تتجافى) (٤) ستر
القوم قيامهم بالليل فستر جزاءهم أن يطلع عليه الغير (فلا تعلم نفس) (٥)
فلو عانيتهم وقد دارت كؤوس المناجاة بين مظاهر التلاوة فأسكرت قلب
الواجد ، ورقمت في صحائف الوجبات تعرفهم (بسيماهم) (٦) .
وتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

إشتهر بقيام الليل كله ، وصلاة الفجر بوضوء العشاء ، سعيد بن
المسيب وصفوان سليم ومحمد بن المنكدر المدنيون وفضيل ووهب المكيان
طاوس ووهب اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان
الداراني وأبو جابر الفارسيان وسليمان التيمي ومالك بن دينار ويزيد
الرقاشي وحبيب العجمي ويحيى البكاء وكهمس ورابعة البصريون .

قالت ام عمرو بن المنكدر : يا بني أشتهي أراك نائماً : فقال يا أماه
إن الليل ليرد علي فيهلوني فينقضني عني وما قضيت منه مأربي . وصحب
رجل رجلاً شهرين فما رآه نائماً فقال مالك : لا تنام ؟ فقال : إن عجائب
القرآن أطرن نومي ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى .

(١) سورة الزمر ، الآية ٤٢ .
(٢) رواه اصحاب الكتب الستة وآخرون .
(٣) سورة الزمر ، الآية ٤٢ .
(٤) سورة السجدة ، الآية ١٦ .
(٥) سورة السجدة ، الآية ١٧ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

لا تلحه إن كنت من سجرائه عدل المحب يزيد في إغرائه
 ودع الهوى يقضي عليه بحكمه ما شاء فهو مسلم لقضائه
 فشقاؤه فيما يراه نعيمه ونعيمه في ذاك عين شقاؤه
 كحلت مآقيه بطول سهاده وحتن أضالعه على برحائه
 دنف يبابل جسمه وفؤاده بالخيف واعجباً لطول بقائه

قال سفيان إن لله ريحاً تسمى الصبحية ، مخزونة تحت العرش تهب
 عند الاسحار فتحمل الأنين والإستغفار .

(للمهيار) : (١)

يا نسيم الريح من « كاظمة » شد ما هجت الاسا والبرحا
 الصبا إن كان لا بد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
 أذكرونا ذكرنا عهدكُم ربّ ذكرى قربت من نزحا
 وارحموا صبأ إذا غنى بكم شرب- اللمع وعاف القدحا

يا طويل النوم فانتك مدحة (تنجافي) (٢) وحرمت منحة
 (والمستغفرين) (٣) ولست من أهل عتاب « فإذا جنه الليل نام غني »
 ليس في ليل الهجر منام ومتى رأيت محباً بنام ؟

(للمتنبي) (٤) :

فإن نهاري ليلةٌ مدطمةٌ على مقلة من فقدكم في غياهب
 بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هذب بحاجب
 ثورت في الليل الحدادة وعكمت أحمال الأعمال وسارت رفقة
 المتجهدين وترنم كل ذي صوت بشجر ، وأنت في الرقدة الأولى بعد .

(١) من قصيدة كتبها إلى أبي المعمر بن الموفق علي بن إسماعيل في النيروز سنة ٤١٤ ، أنظر
 ديوان شعره ١ / ٢٠٢ - ٢٠٥ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٤) من قصيدة طويلة له ، أنظر الديوان ص ٢٠٩ .

لم يخل مرجان دمع من عقيق دم شوق بلا عبرة ساق بلا قدم

يا هذا ، كيف تطيق السهر مع الشبع ؟ كيف تزاحم أهل الغزائم
بمناكب الكسل :

دع الهوى لأناس يعرفون به بلوت نفسك فيما لست تجربه
فأقن اصطباراً وإن لم تستطع جلدأأ
أحنو الضلوع على قلب يحبرني تناوح الريح من نجد يهيجه
قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه والشيء صعب على من لا يجربه
فرب مدرك أمر عز مطلبه في كل يوم ويعيني تقلبه
ولا مع البرق من نعمان يطربه

الفصل السابع والسبعون

إذا هبت رياح المواعظ أثارت من قلوب المتيقظين غيم الغم على ما
سلف ، وساقته إلى بلد الطبع المنحرف برعد الوعيد وبرق الخشية ،
فتترقى دموع الأحزان من بحر قعر القلب إلى أوج الرأس فتسيل في
ميازيب الشئون على سطوح الوجنت فإذا أعشب السر إهتزاز فرحاً
بالإنابة .

محت بعدكم تلك العيونُ دموعها
رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائرُ
أتسى رياضَ الغور بعد فراقها
يجعده مر الشمال وتارة
الاهل إلى شم الخزامى وعرعر
ألا أيها الركب العراقي بلبغوا
إذا كتبت أنفاسه بعض وجدها
ترفق رفيقي هل بدت نار أرضهم
عد ذكرهم فهو الشفاء وربما
ألا أين أزمان الوصال التي خلت
سقى الله أياماً مضت وليالياً

فهل من عيون بعدها نستعيرها
إذا هب نجدي الصبا يستثيرها
وقد أخذ الميثاق منك غدیرها
يغازله كر الصبا ومرورها
وشيح بوادي الاثل أرض نسيرها
رسالة محزون خواه سطورها
على صفحة الذكرى محاه زفيرها
أم الوجد يذكي ناره ويثيرها
شفى النفس أمر ثم عاد يضرها
خلا ما حلا منها وجاء مريها
تضوع رباها وفاح عبرها

من تفكر في تفريطه أن ، ومن تذكر أيام وصله حزن ، من سمع
صوت الحمام ظنه لحسن الصوت ، كلابل لذكر ما مر من العيش ،
إذا نظر الأسير إلى نفسه في ضيق القد ولم يقدر على ضك القيد قطع
حزنه حيازيم القلب فتنفسه بالأسف في آخر نفس .

تيم إذا ربح الصبا نسمت لها وتبكي إذا الورقاء في الغصن غنت
إذا جذب الصبح اللثام تأوحت وإن نشر الليل الجناح أرنت

كان داود يؤتى بالإناء ناقصاً فلا يشربه حتى يتمه بالدموع .

يا ساقبي القوم إن ذارت علي فلا تمزج فإني بدمعي مازج كأسي

كان في خد عمر بن الخطاب خيطان أسودان من البكاء وكان في
وجه ابن عباس كالشراكين الباليين من الدمع .

(للمهيار) :

ألا من لعين من بكأها على الحمى تجف ضروع المزن وهي حلوب
بكت وغدير الحي طام وأصبحت عليه العطاش الحائمات تلوب
وما كنت أدري أن عيناً ركية ولا أن ماء الماقيين شروب

كان الحسن يبكي حتى يرحم . وكان الفضيل بن عياض يبكي في
النوم حتى ينتبه أهل الدار ببكائه . وكان عطاء يبكي في غرفة له حتى
تجري دموعه في الميزاب ، فقطرت يوماً إلى الطريق على بعض المارين
فصاح يا أهل الدار : اماؤكم طاهر ؟ فصاح عطاء : إغسله فإنه دمع
من عصي الله .

ومن لبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقالوا لعطاء السلمى : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن أبكي حتى لا
أقدر أن أبكي .

وإن شفائي عبرة مهراقسة فهل عند رسم دارس من معول

كان أشعث الحداني وحبيب العجمي يتزاوران فيبكيان طول النهار
وكان حزام وسهيل وعبد الواحد كل واحد في بيت يتجاوبون بالبكاء .

(للخفاجي) :

ركب هوى تجاذبوا حديثه فاترعوا من الغرام اكؤسا
واسبلوا من الجفون أدمعاً ظننتها ماءً وكانت أنفسا
لقد سمعت في الرحال أنه أظنها نشطة وجد حبسا

البكاء موكل بعيون الخائفين كلما همت بفتح طرف لتنظر إلى
طرف من طرف الدنيا طرفته دمة ، قال عليه السلام : « عينان لا تمسهما
النار ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله » (١) .
قال الحسن : لو بكى عبد من خشية الله لرحم من حوله ولو كانوا
عشرين ألفاً . وقيل لثابت البناني عالج عينيك ولا تبك . فقال : أي
خير في عين لا تبكي .

(لصدر) :

إذا لم أفر منكم بوعد ونظرة إليكم فمانعي بسمعي وناظري
متى غنت الورقاء كانت مداوتي دموعي وزفراقي حنين مزاهري

البكاء لأجل الذنوب مقام المرید ، والبكاء على المحبوب مقام
العارف .

روحي إليك بكلها قد أجمعت لو كان فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي عليك بكلها عن كلها حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف فلطالما متعتها فتمتعت

أخواني : حر الخوف صيف الذوبان وبرودة الرجاء شتاء الغفلة .
ومن لطف به كان زمانه كله فصلا :

عين تسر إذا رأتك وأختها تبكي لطول تباعد وفراق
فاحفظ لواحدة دوام سرورها وعيد التي أبكىتها بتلاق

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس وهو صحيح لشواهد ،
أنظر مشكاة المصابيح ٣٨٢٩ طبع المكتب الإسلامي .

سبحان من روح أرواح الخائفين بريح الرجاء الضعيف ، إذا لم يتلاف تلف لا بد للمكروب من نسيم بارد :

بالله يا ريح الشمال إذا عزمت على الهبوب
فتحملي شكوى المحب المستهام إلى الحبيب
قرب الضنى من مهجتي لما بعدت عن الطيب

وقف عتبة الغلام ليلة على ساحل البحر إلى الصباح يقول : إن
تعذبني فلاني لك محب ، وإن ترحمني فلاني لك محب . يا قومنا المحب مع
بذل روحه يرتاح إلى المنى وإلى لعل لأنه لا يرى ما بذل ، يصلح
ثمناً لما طلب :

بقلبي منهم علق ودمعي فيهم علق
وبي من جهم حرق لها الأحشاء تحترق
وما تركوا سوى رمقي فليتهم له رمقوا

كان عبد الواحد يقول لعبته : أرفق بنفسك فيبكي ويقول : إنما
أبكي على تقصيري .

قالوا تصبر فما هذا الجنون بهم فقلت يا قوم ليس القلب من قبلي
واعجباً ، أو يقدر المحب على التصرف في قلبه ؟ كلا دين المحب
الجبر (لأبي الشيص الخزاعي) :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليمني اللوم

دخلوا على رابعة فقالت : لقد طالت عليّ الأيام بالشوق إلى لقاء
الله تعالى ، ودخلوا عليها مرة أخرى فقالوا : أنتشاقين إليه ؟ فقالت :
هو حاضر معي ، قالوا : يا رابعة هذا ضد الأول . أجابت بلسان الحال :
هكذا تحير المحب .

ومن عجب أني أحزن إليهم وأسأل عنهم من أرى وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي
 إذا بدت رابعة في القيمة مختمرة وقعت طيبة خمارها طيالة العلماء،
 كان سفيان يتأدب لرابعة كان هو صاحب مخزن العلم فتردد إلى
 القهرمانة لأن لها دخولاً أكثر منه رحل الملاك وبقي المدعون ، أتري
 أي طريق سلكوا ؟ نحن ملكنا والقوم ملكوا .

(للشريف الرضى ، وللمهيار) : (١)

يا صاحبي رَحَلِي قَفَا	فَسَائِلًا لِي الدِّمَنَّا
وامطرا دمعكاً (٢)	ذاك الكئيبَ الایمنا
ما الدار عندي سكن	إذا عدت السكنا
كان فؤادي وهُمُ	فظعنوا فَظِعِنَا
مُنَى لِعَيْنِي أَنْ تَرَى	تلك الثلاث من « منى »
ويوم « سلع » لم يكن	يومي « بسلع » هيننا
ويوم « ذي البان »	تبايعنا فحزتُ الغبنا
كان الغرامُ المشتري	وكان قلبي الثمنا
وبارق اشيمه	كالطرف أغضى ورننا
ذكرني الأحباب	والذكرى تهيج الحزنا
من بطن مر والسرى	تؤام عسфан بنا
وبالعراق وطرى يا	بعد ما لاح لنا

(١) من قصيدة قالها الشريف الرضى خلال ذهابه إلى المدينة عام ٣٩٤ ، أنظر ديوان شعره

٤٨٠/٢ ، وفي قصيدة قالها المهيار يهنيء كمال الملك أبا المعالي ، أنظر الديوان ١٤٢/٤ .

(٢) في الديوان للمهيار « من سائل لي بالحمى »

الفصل الثامن والسبعون

المحب يتعلق بكل شيء وبهم في كل واد، على القلق يمشي وعلى
الحرق يمسي :

بقيت على الأطلال من بعدكم ملقى أهيم بكم غرباً وأطلبكم شرقاً
واسأل أنفاس الرياح إذا جرت يمانية عنكم واستنبؤ البرقا

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء ويبدو إلى
التلاع (١) . مقاساة الخلق ظلمة ، والحبيب لا يتجلى إلا في خلوة .

وأخرج من بين البيوت لعلي أحدث عنك النفس في السرخاليا

المحب مقتول بلا سيف ملقى في منى المنى لا عند الحيف ، إذا
سمع صوت منشد قد غرد خلع بلجام الصبر وتشرذ .

ولما غرد الحادي وسار القوم في الوادي
وراح القلب يتبعهم بلا ماء ولا زاد
رأيت قتيل بينهم صريعاً ما له فاد

أول علامات المحبة دموع العين وأوسطها قلق القلب ونهايتها
احتراقه .

(لقيس ذريح) :

(١) التلاع : سيل الماء في الصحاري .

هل الحب إلا زفرة بعد زفرة وحر على الأجساد ليس له برد
وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

قال ذو النون: لقيت امرأة متعبدة فوعظتني فبكيت فقالت : لم
تبكي ؟ قلت لها : أو العارف لا يبكي ؟ قالت : إذا بكى استراح ولا
راحة للمؤمن دون لقاء ربه .

لا وحيك لا أصافح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا
كبدي في هواك أهون من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى في السقم موضعا

المحبة نزالة وقوتها المهج . كانت أضلاع عمر بن عبد العزيز تعد ،
وكان جسد سري كالشن . وقف أبو يزيد في المحراب فكبر فتمتععت
عظامه .

وإني لتعروني للذكراك روعة لها بين جلدي والعظام ديب
فما هو إلا أن أراها فجأة فأبته حتى لا أكاد أجيب

إذا رأيت محباً ولم تدر لمن ؟ • فضع يدك على نبضه . وسم كل
من تظنه المحبوب • فإن النبض لا يتزعج إلا عند ذكره (إنما المؤمنون
الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (١) .

(للمهيار) : (٢)

الا فتى يسألُ قلبي ماله يتزو إذا برق الحمى بداله
فهب يرجو خبراً من الحمى يسنده عنه فما روى له
أراد نجداً معه فانتقضت إرادة هاجت له بلباله
وانتمس الريح الصبا ومن له بنفحة من الصبا طوبى له

(١) سورة الإنفال ، الآية ٢ .

(٢) مطلع قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز ، أنظر ديوان شعره ٣ / ٢٢٧

المحب في قلق لا سكون • والعجب أنه يتكلف الثبات .

الوجد يحركه والليل يقلقه والصبر يسكته والحب ينطقه
ويستر الحال عن ليس يعذره وكيف يستره والدمع يسبقه

المحب يباليغ في كتمان وجده • غير أن الدمع تمام .

آفة السر من جفو ن دوام دوامع
كيف يخفى من الدموع الهوامى الهوامع

كان أكثر القوم ، إذا جائه البكاء دافعه • اتقاء اللاحى له • فيغلبه
فلا حيلة .

(للمتنبي) : (١)

حاشى الرقيب فخائته ضمائره وغيبضَ الدمع فأنهلت بوادره
وكانتُ الحب يوم البين مفتضح وصاحبُ الوجد لا تخفى سرائره

إذا أقلقه الحب ضج ، وإذا أرقه الشوق عج ، وكلما حبس دمه
ثج ، وإذا استوحش من الخلق هج ، فالهموم تنوبه من كل فج ،
حشيت قلوب القوم بالغموم ، حشو الورد في قوارير الزور ، وكلما
التهبت نار الخذر جرت عيون الدمع في جداول العيون فرشت على
الحدود ماء ، ما ماء الورد عنده بطيب .

(لابي المعتز) :

أسر القلب فأسمى لديه فهو يشكوه ويشكو إليه
عذب الأحباب بالهجر حيناً فهم يكون بين يديه

واعجباً لضعف بدن العارف كم يحمل ؟ وآسفا لقلب المحب كم
يصبر .

(١) ما قاله في صباه ، أنظر الديوان ص ٣٦

نعم تحمل الأشواق والعيس ظلم ويمشي الهوى والناقلات تعود

ما أقوى جلد جلد القلب على نار الحب ، كأنه قد ألبس ريش
السمندل على أنه لا بد من لدغ يبين أثره في صعود الصعداء دلالة تدل
على الحريق ، إشتط اللهب فشاطت القلوب لولا أن القوم على شواطئ
بحر الدموع نزول ؟

(للشريف الرضي) : (١)

خُذني حديثك في نفس من النفس وَجَدُ الْمَشُوقِ الْمُعْنَى غير ملتبس
الماء في ناظري والنار في كبدي إن شئت فاغترني أو شئت فاقتبسي

أشد ما على المحب من مقاساة الحب سماع اللوم، واعجباً من خلي
يعذل ذا شجى ويحك خل شأنه وشانه .

فيا جهم زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعذك الحشر

لما أسلم سعد بن أبي وقاص قالت له أمه : والله لا آكل ولا
أشرب ولا يظلني سقف بيت حتى تكفر بمحمد . فقال : إسمعي يا
أماه ، والله لو كان لك مائة نفس فخرجت واحدة بعد واحدة لسم
أكفر بمحمد . ويجهها ما خبرت خبر المحبة ؟ متى وقع السلو في حب
صادق ؟ (للمتني) :

عذل العواذل حول قلبي التائه وهوى الأعبة منه في سودائه
القلب أعلم يا عدول بدائه وأحق منك يجفنه وبمائه
فومن أحب لأعصينك في الهوى قسماً به وبحسنه وبهائه
أحبه وأحب فيه ملامة ان الملامة فيه من أعدائه
لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى تكون حشاك في أحشائه

واعجباً لعاذل في حب ما ذاقه ، وأمر بهجر حبيب ما شاقه .

(١) مطلع قصيدة قالها في شكوى الزمان ، أنظر ديوان شعره ١ / ٥٥٧ .

وماذا على مفرد بالعراق تذكر بالرمل عهداً فحنا
وإني لكل شج عاذر إذا ناح من طرب أو تغنى

كانت أم الربيع بن خيثم إذا رأت قلقه بالليل . قالت : يا بني لعلك
قتلت قتيلاً فيقول يا أماه قتلت نفسي ، قيل لعابد كان ينتحب : إنك
تفسد على المصلين صلاتهم بارتفاع صوتك . فقال : إن حزن القيامة
أورثني دموعاً غزاراً فأنا أستريح إلى ذرفها أحياناً .

مهلاً عذول صليت نار جوانحي وغرقت في تيار دمعي المسبل
هذي حشاي لديك فانظر هل ترى قلباً فإن صادفت قلباً فاعذل

غاية العاذلين إيصال اللوم إلى الأسماع ، فأما القلوب فلا سييل
إليها .

سيان إن لاموا وإن عذروا ما لي عن الأحباب مصطبر
لا غرو إن أغرى بجهم إذ ليس لي في غيرهم وطر
لا بد لي منهم وإن تركوا قلبي بنار الهجر يستعر
وعلي أن أرضى بما صنعوا وأطيعهم في كل ما أمروا

لو رأيت المحب يهرب من العذل إلى فلوات الخلوات، فإذا ناوله
الوجد كأس الدموع اقترح عليه غناء الحمام .

ذكر الأحباب والوطنا والصبا والألف والسكنا
فبكى شجواً وحق له مدنق بالشوق حلف ضنى
أبعدت مرمى به رجمت من خراسان به اليمنا
من لمشتاق تميله ذات سجع ميلت فتنا
لم تعرض في الحنين بمن مسعد إلا وقتل أنا
لك يا ورقاء أسوة من لم تذيقي طرفه الوسنا
بك أنسي مثل أنسك بي فتعالى نبذ ما كنا
نتشاكى ما نجن إذا بحت شكوى صحت واحزنا

أنا لا أنت البعيد هوى
أنا فرد يا حمام وها
اسرحا رآد النهار معاً
وابكيا يا جارتى لما
أين قلبي ما صنعت به
كان يوم النسر وهو معي
أبه حادي الرفاق حدا
أنا لا أنت الغريب هنا
أنت والألف القرين ثنا
واسكنا جنح الدجى غصنا
لعبت أيدي الفراق بنا
ما أرى صدري له وطنا
فأبى أن يصحب البدنا
أم له داعي الفراق عنى

الفصل التاسع والسبعون

يا هذا : قد سمعت أخبار المتقين فسر في سربهم ، وقد عرفت
جدهم فتناول من سربهم ، ثم سل من أعانهم يعنك (فما كان بهم) .

(لابن هندو) :

لا يؤيسنك من مجد تباعُدُهُ فإن للمجد تدريجاً وترتياً
إن القناة التي شاهدت رفعتها تنمي وتنبت أنبوباً فأنبوباً

إستغنى القوم بطبيهم عن مدح خطيبهم فاسلك طريقهم تكن رفيقهم .

(لابن الرومي) :

وسائل عنهم ماذا يقدمهم فقلت فضل به عن غيرهم بانوا
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتدلوا منهن في سبل العلياء ما صانوا
المنعمون وما منوا على أحد يوماً بنعمي ولو منوا لما مانوا
قوم يعزون إن كانت مغالبة حتى إذا قدرت أيديهم هانوا

أطار خوف النار نومهم وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم
يحسبهم الناظر مرضى الأبدان وإنما بهم سقام الأحران .

مكتئب ذو كبد حرى تبكي عليه مقلة عبرى
يرفع يمناه إلى ربه يشكو وفوق الكبد اليسرى
يبقى إذا حدثته باهتاً ونفسه مما به سكرى
تحسبه مستمعاً ناصتاً وقلبه في أمة أخرى

إذا ذكروا العفو طاب العيش ، وإذا تصوروا العذاب جاء الطيش .

أمد بإحدى مقلتي إذا بدت إليها وبالأخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ولم يدر أنني أخذت لعيني من حبيبي نصيبها

قال صالح المري : كان عطاء السلمي قد اجتهد حتى انقطع ،
فصنعت له شربة سويق فلم يشرب . فقال : إني والله كلما هممت
بشربها ذكرت قوله تعالى (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) (١) فلم أقدر *
فقلت : أنا في واد وأنت في واد .

أطلت وعذبتني يا عدول بليت فدعني حديثي يطول
أبيت أراقب نجم الدجى إلى الصبح وجدي ودمعي يسيل

إنبعثت غيوم الغيوم من أودية القلوب ، فاستمتت قبيل الصبح
فهطلت ، فلها مع الشئون شئون فجرت الأرواح في موتى العيدان ،
فقدحت فحسرت ، فارتقت ورق الشوق منابر الشدو ، فأطربت
فصدحت بلابل المحبة بين مشور مشورها قبلت .

يا نفحات الريح مري سحراً فبلبي طرة أرض بابل
صفي لأهل بابل بلا بلي وبلغيم في الهوى رسائلي
كم من دم طاح بغير نائر وكم قتيل كلف بالقاتل

قلب المحب تحت فحمة الليل جمرة كلما هب النسيم التهيت .

يمر الصبا صفحاً بساكن ذي الغصنا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

سهر القوم يقع ضرورة ، لأن القلق مانع من النوم وليس لهم في
تلك الشدائد راحة سوى جريان الدموع .

(للسري) :

(١) سورة المزمل ، الآية ١٣ .

بلاني الحب فيك بما بلاني فشأني أن تفيض غروب شاني
أبيت الليل مرتفقاً أناجي بصدق الوجد كاذبة الأمانى
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجن الفرقدان
فيا ولع العواذل خل عني ويا كف الغرام خذي عناني

من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ، شيمة المحبة لا تخفى وصحائف
الوجوه يقرؤها من لم يكتب ، « خذي حديثك في نفسي من النفس »
قطعت نياق جدهم بادية الليل ولم تجد مس تعب ، الطريق إلى المحبوب
لا تطول .

بداها من بعدما بداها روض الحمى أن تشتكي كلاها
فخلها تمرح في زمامها فإنها قد سمّت عقالها
اذكرها مر النسيم سحراً مراتاً تفيات ظلالها
رنحها الشوق الممض والسرى فسحبت من وجدها جلالها
تحسبها سكرى وما ذاك بها وإنما شوق الحمى أمالها

يا رب ، قرب أرض كنعان من مصر فقد نفذ صبر يعقوب ،
كان أبو زيد يقول : إلهي إلى متى تجبس أعضاء محبيك تحت التراب ؟
أحشرهم واجعلني جسراً ليعبروا إليك واويلاه أنا أشرب وأنا أطرب ،
يتركوني أسير وجدي أسير وحدي هلا سعت معي رجل رجل ، أو
أعاني ساعد مساعد ، أين شرط الرفقة ؟ أو ما الغزاء للكل .

لو عدلتن تساهمنا جوى مثل ما كنا اشتر كنا نظرا

يا حاضرين عندنا بنية التنزه لستم معنا ، عودوا إلى أوكار الكسل
فالحرب طعن وضرب ، يا مودعين ارجعوا فقد عبرنا العذيب دعونا
نخل بالوجد في صحراء نجد ، ستأتيكم أخبارنا عن قريب بعد فيد ، وأنت
أبها الحادي عرض المازمين والخيف تعلمك الدموع كيف ترمي حصى
الخدف .

الاغنياني بالديار فإني
ووين النقي والأنعمين محلة
ونعمان يا سقياً لنعمان ما جرت
وللقب عند المازمين وجمعها

أحب . زروداً ما أقام ثراها
حبيب لقلبي قاعها وربها
عليه النعamy بعدنا وصباها
ديون ومقضى خيفها ومناها

الفصل الثمانون

يا مقيماً في دائرة دار الغير كم حضرت فيها محتضر . كم عاينت
عينك قبراً يحضر . لقد ألانت مواعظها كل صلد حجر ، عجباً لفرخها
ما عيد حتى نجر .

إن في نأي زماني عظة تشغل العاقل عن نأي زنام
ومدام الفكر فيمن قد مضى مسكر يغنيك عن شرب مدام
عرس القوم وغربان الدجي إنما صاحت بتقويض الخيام
وحمامات الضحى صادحة نوحها ينذرها صرف الحمام
ومطايا الخيف قد زمت لكم ودعوا يا قوم وامضوا بسلام
ودعوا عنكم أباطيل المنى ليست الدنيا لنا دار مقام
أقسم الساقى بكاسات الردى ليدورن على كل الأنام

يا من إذا عامل خان وظلم ، يا من أمر بما ينفعه فلم • هذا القدير
في الرأس كالعلم ، أبقى بعد نوره يا ظالم ظلم * ألم يقل لك ألم
الضعف انتبه ، ألم ، أين رفيقك ؟ ادلج وقد عرفت المنهج والرحيل
قد أزعج وهذا فرس مسرج والبضاعة كلها بهرج .

ويحك تعاهد قلبك فإذا رأته قد مال إلى الهوى ، فاجعل في الجانب
الآخر ذكر العقاب ليستقيم ، فإن غلبك الهوى فاستغث بصاحب القلب ،
وإن تأخرت الإجابة فابعث رائد الإنكسار خلفها « تجدني عند المنكسرة
قلوبهم » .

يا هذا ، أما علمت أن اللطف مع الضعيف أكثر . لما كانت الدجاجة

لا تمنحو على الولد أخرج كاسياً ، ولما كانت النملة ضعيفة البصر أعينت بقرة الشم فيها تجد ربح المطعوم من بعيد فتطلب ، لما كان التمساح مختلف الأسنان صار كلما أكل حصل بين أسنانه ما يؤذيه فيخرج إلى شاطئ البحر فاتحاً فاه ، طالباً للراحة فيأتي طائر فينقر مسا بين أسنانه فيكون ذلك رزقاً للطائر وترويحاً عن التمساح ، هذه الخلد دويبة عمياء قد أهمت وقت الحاجة إلى القوت أن تفتح فاهها فيسقط الذباب فيه فتناول منه، هذه الأطيوار تترنم طول النهار . فيقال للضفدع ما لك لا تنطقين ؟ فتقول : مع صوت الهزار يستبشع صوتي * فيقال : هذا الليل بحكمك « أنا عند المنكسرة قلوبهم » لما خلق الأخرس لا يقدر على الكلام سلب السمع لثلا يسمع ما يكره ، ولا يمكنه الجواب فكل أخرس أطروش، لما تولع الجذام بأظفار أصحابه ، صعب عليهم الحك فمنع منهم القمل فليس في ثياب المجذومين قملة ، سبحان من هذا لطفه، سبحان من لا يعطف عنا عطفه ، ثكلت خواطر أنست بغيرك عدمت قلباً يجب سواك :

لا أذاق الله عيناً أبصرت غيركم يا قوت روحي وسنا
لا ولا كانت قلوب سكنت عند ذكراكم ولا نالت مني

إلهي ، ادلنا من نفوسنا التي هي أقرب اعدائنا منا وأعظمهم نكايه فينا ، إلهي تلاعبت خوادع آمالنا ببضائع أعمارنا فصرنا مفاليس، أغارت علينا خيول الهوى فاستأسرتنا بأسرنا وأوثقتنا من أسرنا ورمتنا في مطامير طردنا. فيا مالك الملك إنقذ حبيسنا وخلص أسيرنا وسير أوبتنا من بلاد غربتنا، كم عدنا مريضاً ؟ وما عدنا، كم رأينا الألحاد تبني، وما تبنا، كم أبصرنا ؟ وما أقصرنا وانتهينا وما انتهينا يا ملاذ العارفين يا معاذ الخائفين، خذ بيد من قد زلت قدم فطنته في مزلق فتنته أقم من قعد به سوء عمله :

كم كم أشكو وأين نفع الشكوى قد قل تصبري وحل البلوى
ما لي جلد على جفاهم يقوى أهوى قلتي إذا جفا من أهوى

يا من أصلح السحرة فجعلهم بررة ، جاؤا يحاربون وخلع الصلح

قد خيبت، وتيجان الرضى قد رصعت ، وشراب الوصال يروق . فمدوا
أيدهم إلى ما اعتصروا من خمر الهوى فإذا به قد استحال خلا ،
فافطروا عليه .

واعجباً لسكارى من شراب الحب عربدت عليهم المحبة ، فصلبوا
في جذوع النخل ارتقى سلطان عزمهم إلى سماوات قلوبهم (فأوحى
في كل سماء أمرها) (١) واعجباً لعزم صلب ما هاله الصلب ، لا
تعرض بنار المحبة إلا أن يكون لقلبك جلد السمندل أو صبر الفراش .

يا هذا ، الإحتراق على قدر الإشتياق لما اشتد شوق الفراش إلى
النار ، تعجل احتراقه وهجم يتغني الوصال فصال عليه المحبوب :

لاذ بهم يشتكي جواه فلم يجد في الهوى ملاذا
ولم يزل ضارعاً إليهم تهطل أجفانه رذاذا
فقرّبوه فحادثوه واتلفوه فكان ماذا

لما علم المحبون أن الصبر محبوب شمروا لحمل البلاء ، ثم حلّى هم
فعدوه نعمة .

سقي في الحب عافيتي ووجودي في الهوى عدمي
وعذاب ترتضون به في فمي أحلى من النعم

كان الربيع بن خيثم يقول في شدة مرضه ، ما أحب أن الله تقصي
منه قلامة ظفر .

مرض الحب شفائي في الهوى كلما أكرمني طربني
فبقائي من فنائي فيكم وسروري منكم في حزني
وشربتم بوصول مهجتي وأنا منتظر للثمن
كيف أرجو البرء من داء الهوى وطيبني في الهوى أمرضني
وإذا البلوى أفادت قربكم فمن النعمى دوام المحن

(١) سورة فصلت ، الآية ١٢ .

أخواني ، لسنا من رجال البلاء فسلوا الله العافية ، يفضيق الخناق
على المحب ويمنع من التنفس « لئن قلت آه لأمحونك »

الحب يقول لا تشع أسراري والدمع يسيل هاتكأ أستاري
فالشوق يزيدني على المقدار وأناري إذن من الهوى وأناري

الفصل الحادي والثمانون

يا من أنفاسه عليه معدودة وأبواب التقى في وجهه مسدودة ،
وأعماله بالرياء والنفاق مردودة ، غير أن محبة التفريط معه مولودة :

حياتك أنفاس تعد فكلما مضى نفس منها انتقصت به جزء
فتصبح في نقص وتسمي بمثله أمالك معقول تحس به رزء
يمتلك ما يحبك في كل ساعة ويحدوك حاد ما يريد بك الهزء

كم أسرع فيما يؤدي دينك ودأبت ؟ كم خرقت ثوب إيمانك
وما رأبت ؟ كم فرقت شعب قلبك وما شعبت ؟ كم فاتك من خير وما
اكتأبت ؟ يا كاسب الخطايا بنس ما كسبت ، جمعت جملة من حسناتك
ثم اغتبت ، وحصن دينك ثلمت لما ثلبت ، وأنت الذي بددت ما حلبت ،
إن لاح لك أخوك عبته وإن لاجى سببته .

يا عقرب الأذى كم لدغت ؟ كم لسبت ؟ تعلم أن مولاك يراك
وما تأدبت ، تؤثر ما يفنى على ما يبقى ما أصبت ، تصبح تائباً فإذا
أمسيت كذبت ، تمشي مع اليقين فإذا قاربت انقلبت ، تعمر ما لا يبقى
وما يبقى خربت ، تأنس بالدنيا وغرورها وقد جربت كأنك بك في
القبر تبكي ما كسبت ، لقد حسبت حساباً كثيراً وهذا ما حسبت .

يا وادي الشيخ كيف يقال لو أعشبت ؟ يا هذا أكثر الانعام عليك
كف كف فضول الدنيا عنك إذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص ، فاعلم
أنه قد لطف بك لأن المنعم لم يقلصه عليك بخلاً أن يتمزق لكن
رفقاً بالماشي أن يتعثر ، أحرم عن الحرام بتزع مخيط الهوى لعل
جذب القدر يقارن ضعف كسبك :

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

يا تائهاً في فلات الغفلات ، اعل بأقدام الذهن نشر الفكر تلح لك
البلد، ويحك ، تركب البحار في طلب الدنيا فإذا أمرت بخير ، قلت إن
وفقني ، أصم الله سمع الهوى فما يسمع إلا ما يريد .

يا ملولاً كلما ثقف بالعدل التوى
عنتا تطلب في فالودج الهوى نوى

ما أحسن قولك ، وما أقبح فعلك ، كم يشكو حزينان ؟ نطقك
من كانون عزمك، ويحك، بادر در الأرباح ما دام ينثر ، فسينا دي عن
قليل (يا سماءُ أقليعي) (١) أتحسب تحصيل المعالي سهلاً ؟ نيل سهيل
أسهل من أدلج في ليل الصبر فات المكاس ، يا من يتعب في التعب ولا
يجد له لذة ، أنت بعد في سواد البلد أخرج إلى البادية تجد نسيم نجد ،
الإعتبار عندنا بالأعمال القلبية ، غلبت حرارات الخوف قلب داود
فصار كفه كبيراً (وألنا له الحديد) (٢) وقويت روحانية محمد فنبع
الماء من بين أصابعه :

لولا مدامع عشاق ولوعتهم لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت وكل ماء فمن طرف لهم جار

أيها المصلي طهر سرك قبل الطهور ، وفتش على قلبك الضائع قبل
الشروع ، حضور القلب أول منزل فإذا نزلته انتقلت إلى بادية العمل ،
فإذا انتقلت عنها أنخت بباب المناجى ، وأول قرى ضيف اليقظة كشف
الحجاب لعين القلب ، وكيف يطمع في دخول مكة منقطع قبل الكوفة ،
همك في الصلاة متشبث ، وقلبك بمساكنة الهوى متلوث ، ومن كان
متلطحاً بالأفئدة لا يغلف ، أدخل دار الخلوة لمن تناجي واحضر قلبك
لفهم ما تتلو ففي خلوات التلاوة ترف أبكار المعاني ، إذا كانت مشاهدة

(١) سورة هود ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ١٠ .

مخلوق يسوم (أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ) (١) إستغرقت إحساس الناظررات
(فَتَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) (٢) فكيف بالباب عقلت ؟ فعقلت على الباب .

لها بوجهك نور تستدل به ومن نوالك في أعقابها حاد
لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لو أحببت المخدم لحضر قلبك في الخدمة : ويحك ، هذا الحديد
يعشق المغناطيس فكيف ما التفت التفت ، إن كنت ما رأيت هذا الحجر
فانظر إلى الحرابي تواجه الشمس ، فكيف مالت قابلتها .
(للشريف الرضى) : (٣)

وإني إذا اصطكت رقابُ مطيكم وثورَ حادٍ بالرفاقِ عجولُ
أخالفُ بين الراحتين على الحشى وانظرُ أنى ملثم فأميل

قبل لعامر بن عبد قيس أما تسهو في صلاتك ؟ قال أو حديث أحب
إليّ من القرآن حتى أشغل به ، هيهات ! مناجاة الحبيب تستغرق
الإحساس . كان مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته ولقد أنهدمت ناحية
من المسجد فرع لها أهل السوق فما التفت . وكان إذا دخل منزله
سكت أهل بيته فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا علماً منهم أن قلبه
مشغول . وكان يقول في مناجاته : إلهي ، متى ألقاك وأنت غني
راضي ؟ .

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك يامنتهى شغلي
فمن لي بأن ألقاك في ساعة الرضا ومن لي بأن ألقاك والكل لي من لي

كان الفضيل يقول أفرح بالليل لمناجاة ربي وأكره النهار للقاء الخلق .

الموت ولا فراق من أهواه هذي كبدي تذوب من ذكراه
ما أشوقني له متى ألقاه ما مقصودي من المنى إلا هو

(١) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

(٣) من شعره في النسب ، أنظر الديوان ٢ / ٢٢٠ .

كان أبو يزيد يقول : وددت أن الله تعالى جعل حساب
الخلق علي . قيل لماذا ؟ قال : لعله يقول في خلال ذلك يا عبدي .
فأقول : لبيك ، ثم ليصنع بي ما شاء .

هل الطرف يعطي نظرة من حبيبه أم القلب يلقي روحة من وجيبه
وهل لليالي عطفة بعد نفرة تعود فيلهي ناظر عن غروبه
أحنُ إلى نور اللوى في بطاحه واضماً إلى ريا اللوى في هبوبه
وذاك الحمى يغدو عليلاً نسيمه ويمسي صحيحاً مأؤه في قلبه
هو الشوق مدلول على مقتل الفتى إذا لم يعد قلباً بلقيا حبيبه

يا واقفاً في صلاته بجسده والقلب غايب ، ما يصلح ما بذلته مسن
التعبد مهراً للجنة فكيف ثمناً للجنة ، رأت فأرة جملاً فأعجبها فجرت
خطامه فتبعها فلما وصل إلى باب بيتها وقف ونادى بلسان الحال ، إما
أن تتخذي داراً يليق بمحبوبك أو محبوباً يليق بدارك ، خذ من هذه
إشارة إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك أو تتخذ معبوداً يليق بصلاتك .

الفصل الثاني والثمانون

عجباً لمن رأى فعل الموت بصحبه ثم ينسى قرب نجبه ، واستبداله
ضيق المكان بعد رحبه من لم ينتبه بوكزه فسيتنبه بسحبه :

أهل ضلال وغمه	أهل الدنيا غدوا
كأنه حلف كره	بصيرهم من جهله
فلا تقل لم ولمه	أنت مقيم سائر
في غير بر كلمه	ولا تكلم أحدا
أوقاته منصرمه	فكل معطى مهل
شؤونه المنتظمه	ولا تدوم للفتى
وما عليها نسمة	يأتي على الأرض مدى
حاجاتنا المزدحمه	ضاق رحيب العمر عن

أين الأقران وأين سلكوا ؟ تالله لقد فنوا وهلكوا إجتماع ، الأضداد
في الاحقاد واشتركوا ، وخانهم حبل الأمل بعدما امتسكوا ، ونوقشوا
على ما خلفوا وتركوا وصار غاية الأمانى أن لو تركوا ، تالله لقد
سعد من تدبر وسلم من الأذى من تصبر ، وهلك مؤثر الحرى وأدبر
فكأنكم بالفراق يا ركاب المعبر . يا نائماً في طوه وما نام الحافظ لاحظ
نور الهدى فلا حظ إلا للاحفظ ، ولا تغتر ببرد العيش فزمان الحساب
قائظ ، يا مدبراً أمر دنياه ينسى أخراه فخفف النداء اللافظ ، وعجائب
الدهر تغني عن وعظ كل واعظ ، يا من رأينا يد التفریط قد ولعت به
فأتينا للومه ولعبته أما مصير السلف نذير الخلف ، أما مهد الطفل عنوان
اللحد . يا من لمع له سراب الأمل فبدد ماء الإحتياط أترك ما علمت

أن الأمازي قمار . مد نهر الهوى وقلبك على الشاطيء ، فمر به صم
مسمع اليقظة فصممت على الزلل أكل الزمان (وهم بها) أما تقع في
يوم (واستعصم) الورع عن الذنوب . يوجب قوة قلبية .

قال بعض السلف: ارتكبت صغيرة فغضب علي قلبي فلم يرجع إلي
إلا بعد سنة . أخواني : إطلاق البصر سيف يقع في الضارب :

يا للرجال لنظرة سفكت دماً ولحادث لم ألفه مستسلماً
وأرى السهام تؤم من يرمي بها فعلام سهم اللحظ يصمي من رمى

المحرمات حرم ونظر المملوك إلى حرم المالك ، من أقبح الحيانة *
يا بني آدم تلمحوا تأثير (وعصى) لقمة أثرت إن عثرت ، فعري
المكتسي ونزل العالبي وبكى الضاحك ، وقام المترفة يخدم نفسه فاشتد
بكاؤه فنزل جبريل يسليه فزاد برؤيته وجده . (للشريف الرضى) : (١)

رأى على الغور وميضاً فاشتاق ما أجلبَ البرق لماء الآماق
ما للوميض والفؤادُ الخفّاقُ قد ذاقَ من بين الخليطِ ما ذاقُ
داءُ غرامٍ ما له من إفراقٍ قد كلَّ آسيهٍ وقد ملَّ الراقُ
قلبي وطرفي من جوى وإملاقٍ في غرق ما ينقضي وإحراقُ (٢)
يا ناقَ أذاك المؤدي يا ناقُ ماذا المقامُ والفؤادُ قد تاقُ
هل حاجة المأسور الا الاطلاق

كان آدم كلما عابن الملائكة تصعد إلى السماء وجناحه قد قص
زاد قلقه .

وأصبحت كالبازي المنتف ريشه يرى حشرات كلما طار طائرا
يرى خارقات الجويخرقن في الهوى فيذكر ريشاً من جناحيه وافرا
وقد كان دهرأ في الرياض منعماً على كل ما يهوى من الصيد قادرا

(١) مطلع قصيدة يهني فيها ملك الملوك قوام الدين بالنيروز سنة ٤٠١ أنظر ديوان شعره

. ٤٢ / ٢ - ٤٥ .

(٢) هذا البيت لم يذكر في القصيدة الواردة في الديوان .

إلى أن أصابته من الدهر نكبة فأصبح مقصوص الجناحين حاسرا
أعظم البلايا تردد الركب إلى بلد الحبيب يودعون عند فراقهم
الزمن :

ولم يبق عندي للهوى غير أنبي إذا الركب مروا بي على الدار أشهق
كانت الملائكة إذا نزلت إليه * استنشق ريح الوصال من ثياب
الواصلين وتعرف أخبار الديار من نسيمات القاصدين .

خبراني عن العقيق خبيراً أنتما بالعقيق أحدث عهدا
يا ناقضي العهود دوموا على البكاء فمن أشبه أباه فما ظلم .

كانت عابدة من أحسن النساء عينا فأخذت في البكاء فقيل لها :
تذهب عينك ، فقالت : إن يكن لي عند الله خير فسيبدلني خيراً منهما
وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزن عليهما :

(للمتنبى) : (١)

قد علمَ الينُ منا الينَ أجفانا تدمى وألّفَ في ذا القلب أحزانا
قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليومَ كلّ عزيز بعدكم هانا
تُهدي البوارق أخلافَ المياه لكم وللمحبّ من التذكار نيرانا

من سعى إلى جناب العز بأقدام المسكنة ، ووقف بباب الكرم على
أخمص المسئلة ، ووصف ندمه على الذنب بعبارة الذل لم يعد بالحياة .

ملكتم قلبي فما لي عنكم منصرف
فودكم منه مكأ ن كبدي أو الطف
فلا برى وجددي بكم ولا أفاق الشغف
لست وإن أعرضتم أيأس من أن تعطفوا
وصبر يعقوب معي حتى يعود يوسف

(١) مطلع قصيدة يمدح بها أخاه أبا سهل ، أنظر الديوان ١٦٧ .

يا معاشر المذنبين إسمعوا وصيبي، إذا قمتم من المجلس فادخلوا دار
 الخلوة وشاوروا نصيح الذكر وحاسبوا شريك الحياة وتلمحوا تفريط
 التواني في بضاعة العمر، ويكفي ما قد مضى فليحذر الأعور الحجر،
 إذا نقي خاطر المذكر من ذل هوى، وصفى معين معنى كلامه مسن
 كدر طمع، إنكشف الغشاء عن عينه فرأى بالفطنة موضع قطنة مرهم
 العافية فربى حشائش الحكم وركب فيها معاجين الشفاء ففتحت سد
 الكسل واستفرغت أخلاط الشواغل، فأما مجتلب الدنيا بنطقه فإنه كلما
 حفر قلبه قلبه فأمعن، لاستنباط معنى، طم الطمع إذا صدر العلم من
 عامل به كان كالعربية ينطق بها البدوي، وأحلى أبيات الشعر ما خرج
 عن أبيات الشعر جمعت بين الكتاب والسنة ففتحا لي هذه المغاني فهي
 تنادي السامعين « ولدت من نكاح لا من سفاح » ومن جمع بين الجهل
 والبدعة هذى الهذيان فكلامه في مرتبة ابن زانية، إذا فتحت الورد
 عينها رأت الشوك حولها فلتصبر على مجاورته قليلاً فوحدها تجتني وتقبل،
 واعجباً لألفاظي وعملها بطل السحر عندها كل المذكرين رجالة وأنا
 فارس اخرج إلى المعاني في كمين فأصيدها لا بأجولة إذا حضرت
 ملكت العيون، وإذا غبت استرهننت القلوب.

(للمهيار) : (١)

طرفُ نجدية وظرفُ عراقي أي كاس يديرها أي ساق
 سنحت والقلوبُ مطلقةٌ ترعى وثابت وكلها في وثاق (٢)
 لم تزل تخدع العيونَ إلى أن علقَت دمعاً على كل مآق

(١) مطلع قصيدة قالها في تهنتة نقيب النقباء أبا القاسم بن مامق نكاح ، أنظر ديوان شعره

. ٢٩٠ / ٢

(٢) في الديوان « وعاشت » .

الفصل الثالث والثمانون

أخواني : أعجب العجائب أن النقاد يخافون دخول البهرج في أموالهم والمبهرج آمن ، هذا الصديق يمسك لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ، وهذا عمر ، يقول : يا حذيفة هل أنا منهم ^(١) ؟ والمخلط على بساط الأمن :

الناسكون	يحاذرو	ن وما	بسيئة	الموا
كانوا	إذا راموا	مطلقا	خطموا	وزموا
إن قبلت	الفحشاء أو	ظهرت	عموا عنها	وصموا
فمضوا	وجاء معاشر	بالمكرات	طموا	وطموا
فقم	لطمم	ويد	على مال	تضم
عدلوا	عن الحسن الجميل	وللخنا	عمدوا	وأموا
وإذا هم	أعيتهم	شعأؤهم	كذبوا	وأموا
فالصدر	يغلي بالهوا	جس مثل	ما يغلي	المحم

لله در أقوام شغلهم حب مولاهم عن لذات دنياهم ، اسمع حديثهم إن كنت ما تراهم ، خوفهم قد أزعج وأقلق وحذرهم قد أتلف وأحرق وحادى جدهم مجد لا يترق ، كلما رأى طول الطريق نص وأعنت ، وكيف يحسن الفتور ؟ وأوقات السلامة تسرق دموعهم في أنهار الحدود تجري وتندفق ، يشتاقون إلى الحبيب والحبيب إليهم أشوق ، يا حسنهم في الدجى ونورهم قد أشرق ، والحياة فائض والرأس قد أطرق ،

(١) أي من المنافقين ، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين ، فلم يكن غيره يعرفهم .

والأسير يتلظى ويترجى أن يعتق ، إذا جاء الليل تغالب النوم والسهر ،
والخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة والكسل والتواني في كتيبة
الغفلة ، فإذا حمل الصبر حمل على القيام فانهزمت جنود الفتور ، فما
يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهمان ، سقر الليل ، لا يطيقه إلا مضمر
المجاعة. النجائب في الأول وحاملات الزاد في الأخير ، قام المتجهدون
على أقدام الجلد تحت ستر الدجى ليكون على زمان ضاع في غير الوصال :

سقوا بمياه أعينهم هناك الضال والرندا
يا نفاس كبرق في أنين يشبه الرعدا

إن ناموا توسدوا أذرع الهمم وإن قاموا فعلى أقدام القلق، لما امتلأت
أسماعهم بمعاتبة « كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام غني »
حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

إن كان رضاكم في سهري فسلام الله على وسني

ما زالت مطايا السهر تذرع بيد الدجى ، وعيون آمالها لا ترى إلا
المنزل ، وحادي العزم يقول في إنشاده : يا رجال الليل جدوا إلى أن
نم النسيم بالفجر . فقام الصارخ ينعي الظلام فلما هم الليل بالرحيل ،
تشبثوا بذيل السحر .

فاستوقف العيس لي فإن علي خلب فؤادي تشد أرحلها
إن دثرت دارها فما دثرت منازل في القلوب تترلها

قال علي بن بكار، منذ أربعين سنة ما أحزنتني إلا طلوع الفجر، لو
قمت في السحر لرأيت طريق العباد قد غص بالزحام لو وردت ماء
مدين ، وجدت عليه أمة من الناس يسقون :

بانوا وخلفت أبكي في ديارهم قل للديار سقاك الراح الغادي
وقل لأطعانهم حيت من ظعن وقل لواديهم حيت من واد

يا بعيداً عنهم يا من ليس منهم ألك نية في لحاقهم ؟ أسرج كيتك

واجبر زمامك يقف بك على المرعى، يا من يستهول أحوال القوم تنقل
في المراقبي تعل . قال أبو يزيد : ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي
تبكي حتى سقتها وهي تضحك .

(للمتنبي) : (١)

ما زلتُ أضحكُ لبلي كلما نظرتُ إلى من اختضبت اخفافها بدم
من اقتضى بسوي الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

قال أبو يزيد : كنت إثني عشرة سنة حداد نفسي ، وخمسين
سنة مرآة قلبي ، ولقد أحببت الله حتى أبغضت نفسي .

(للخفاجي) :

ثورها ناشطة عقالها	قد ملأت من بدنها جلالها
فلم تزل أشواقه تسوقها	حتى رمت من الوجي رحالها
ماذا على الناقة من غرامة	لو أنه أنصف أو رثى لها
أراد أن تشرب ماء حاجر	أريها تطلب أم كلالها
إن لها على القلوب ذمة	لأنها قد عرفت بلبالها
كانت لها على الصبا تحية	أعجلها السائق أن تنالها
وامتدت الفلاة دون خطوها	كأنها قد كرهت زوالها
فعللوها بحديث حاجر	ولتصنع الفلاة ما بدا لها

(١) من قصيدة قالها بعد خروجه من مصر عام ٣٥٢ ، الديوان ٥١٠ - ٥١٣ .

الفصل الرابع والثمانون

أخواني : دنا رحيلكم وقد بان سبيلكم وسيهجركم خليلكم ،
وقد نصحكم دليلكم :

يا مقيمين ارحلوا للذهاب بشفير القبور حط الركاب
نعموا الاوجه الحسان فما صونكموها إلا لعفر التراب
والبسوا ناءم الثياب فسي الحفرة تعرون عن جميع الثياب
قد نعتك الأيام نعيماً صحيحاً بفراق الأخوان والأصحاب

تذكر يا من جنى ركوب الجنازة ، وتصور ما من مأوى في طول
المفازة ، ودع الدنيا مودعاً للحلاوة والمزازة ، أرقم من قلبك ذكر
الجزاء على جزازة ، كم ظالم تعدى وجار فما رعى الأهل ولا الجار
حل به الموت فحل الأزرار ، وأدبر عن الأوامر فأحاط به الأدبار ،
ودار عليه بالدوائر فأخرجه من الدار ، وخلا بعمله (ثاني إثنين) ولكن
لا (في الغار) فانتبهوا فإنما هي جنة أو نار :

تعلقت	بآمال	طوال	أي	آمال		
واقبلت	على	الدينا	ملحاً	أي	إقبال	
فيا هذا	تجهر	لفر	اق	الأهل	والمال	
فلا بد	من	الموت	على	حال	من	الحال

يا من يحدثه الأمل فيستمع ويخوفه الأجل فلا يرتدع ، وصل
الصالحون إلى المنى يا منقطع ، وجوزوا على صبرهم أي والله لم يضع ،
تلمح العواقب فتملحها للعقل وضع ، كأنه ما جاع قط من شبع إذا
تلاقت غروس المجاهدة تلاحت ثمار المدائح :

أفلح قوم إذا دعوا وثبوا لا يحسبون الأخطار إن ركبوا
سارون لا يسألون ما فعل الفجر ولا كيف مالت الشهب
عودهم هجرهم مطالبة الراحة أن يظفروا بما طلبوا

اشراف الأوصال أوصاف الأشراف ، سادات العادات عادات
عادات السادات، أحرار الشيم شيم الأحرار ، أقدموا على الفضائل
وتأخرت وقدموا الأهم وأخرت ، الشجاع يلبس القلب على الدرع ،
والجبان يلبس الدرع على القلب .

(للمتنبي) : (١)

وتكساد الظبأ لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
وإذا أشفق الفوارس من وقع القنا أشفقوا من الإشفاق
ومعال لو ادعاها سواهم لزمته جناية السراق

لوح للقوم فأجابوا وكرر الصباح بك وما تلتفت ، إذا سمعوا موعظة
غرست في قلوبهم نخيل العزائم ونبات عزمك عند الزواجر كنبسات
الكشوثا (٢) كم بين الثالثة الأثاني وسادسة الأصابع . بع باعاً
من عيشك بفر من حياتهم ؟ لو صدق عزمك قذفتك ديار الكسل إلى
بيداء الطلب ، كان سلمان أعجيباً فلما سمع بنبي عربي صار بدوي
القلب .

(للمهيار) : (٣)

ولقد أحنُّ إلى « زرود » وطنيني من غير ما فطرت عليه « زرودُ »
ويشوقني عجف الحجاز وقد ضفا ريفُ العراقِ وظلُّه الممدودُ
ويطربُّ الشادي وليس يهزني وينال مني السائقُ الغريدُ

(١) من قصيدة يمدح بها أبا المشائر ، الديوان ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٢) بالقصر وبالمد . نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض .

(٣) من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي ، أنظر ديوان شعره ١ / ٣٢٦ -

أين وصفك من هذه الأوصاف ؟ أين شجرة الزيتون من شجر
الصفصاف ؟ صعد القوم ونزلت وجدّوا في الجذ وهزلت .

شم العرائن في انافهم أنف من القبيح وفي أعناقهم صيد
إن تلقهم تلق منهم في مجالسهم قوما إذا سئلوا جادوا بما وجدوا
نالوا السماء وحطوا من نفوسهم إن الكرام إذا انحطوا فقد صعدوا

إن بينك وبين القوم كما بين اليقظة والنوم، أين مسك من حماة ؟ *
وبخور من بخار ؟ . وصفوة من قذى ؟

دخلوا على عابد فقالوا له : لو رفقت بنفسك فقال : من الرفق
أنت . إسمع يا كسلان كانوا في طلب العلى يجتهدون ولا يرضون
بدون، على أنهم يعانون فيما يعانون القوم مع الحق حاضرون ، عن الخلق
غائبون ، فقولوا لعاذلهم لمن تعذبون .

(١) : (للمهيار)

كثّرَ فيك اللومُ	فأين سمعي منهم ؟
قلبي واللومُ عليك	منجدٌ ومتهمٌ
قالوا سهرتَ والعيونُ	الساهراتُ نومٌ
وليس من جسمك	إلا جلدةٌ وأعظمٌ
وما عليهم سهري (٢)	ولا رقادي لهم
وهل سماتُ الحب	إلا سهرٌ وسقمٌ
خذ أنت في شأنك	يا دمعي واخل عنهم (٣)

كان بشر لا ينام الليل ويقول أخاف أن يأتي أمر وأنا نائم :

رقد السمار وارقه هم للبين يرزده
فبكاه النجم ورق له مما يرعاه ويرصده

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالمهرجان، أنظر ديوان شعره

٣ / ٣٢٢ - ٣٢٦ .

(٣) في الديوان « وخذ ودعهم » .

وغدا يقضي أو بعد غد هل من نظر يتزوده
يهوى المشتاق لقاءكم وصروف الدهر تقيده

بقي بشر خمسين سنة يشتهي شهوة ، فما صفا له درهم ، وبضائع
أعماركم كلها منققة في الشهوات من الشبهات ، أبشروا بطول المرض يا
مخاطين :

واويلاه من ضياع كل العمر قد مر جميعه بمر الهجر
ضاعت حيلي وضل عني صبري يا قوم عجزت من تلافى أمري

يا من فاتوه وتخلف بل تراهم من دمع الأسف .

دع شأنَ عينِكَ يا حزين وشأنها وضع اليدين على الحشا وتململ
هذا وإن فراقهم ولقل ما يُغني وقوفك ساعة في المنزل

جز بنادي المحبة وناد بالقوم تراهم كالفراش تحت النسيان .

(للشريف الرضي) : (١)

يا دارُ من قتَلَ الهوى بعدي وجدَّوا ولا مثلَ الذي عندي
لو حركتُ ذاك الرماد يدُ لرأت بقايا الجمرِ والوقدِ

تشتد عليهم نار الخوف فيشرفون على التلف « لولا نسيم بذكراهم
يروحني » ينسطون انبساط المحب ، ثم ينقبضون انقباض الخائف *
هذا اللينوفر ينشر أجنحة الطرب في الدجى ، فإذا أحس بالفجر جمع
نفسه واستحى من فارط فإذا طلعت الشمس نكس رأسه في الماء خجلاً
من انبساطه :

أبسطه على جزع	كشرب الطائر الفرع
رأى ماءً فاطمعه	وخاف عواقب الطمع
فصادف فرصة فدنا	ولم يلتذ بالجرع

(١) مطلع قصيدة قالها في أبي سعيد بن خلف ، أنظر ديوان شعره ١ / ٣٢١ .

كلما جاء كلامي صعد ، كلما زادت الوقود فاحت ريح العود ،
أفيكم مستنشق ؟ أو كلكم مزكوم ؟ « إني لأجد نفس الرحمن من قبل
اليمن » (باح مجنون عامر بهواه) .

وما بحت حتى أستنطق الشوق أدمعي واذكرني عهد الحمى المتقادم

أتجدون يا أخواني ما أجد من ريح النسيم ؟

ألا يا نسيم الريح مالك كلما تجاوزت ميلاً زاد شرك طيباً
أظن سليمي خبرت بسقامنا فأعطتك رباها فجئت طيباً

الفصل الخامس والثمانون

يا من كل يوم يقدم إلى القبر فارط ، لا تغتر بالسلامة فربما قبض
الباسط ، إنهض للنجاة بقلب حاضر وجأش رابط ، قبل أن يلقيك على
بساط العجز خابط ، ونفس النفس تخرج من سم إبرة خائط .

قل للمؤمل أن الموت في أترك وليس يخفى عليك الأمر من نظرك
فيمض مضى لك إن فكرت معتبر ومن يموت كل يوم فهو من نذرك
دار تسافر عنها من غد سفرأ فلا تؤب إذا سافرت من سفرك
تضحى غداً سمرأ للذاكرين كما صار الذين مضوا بالأمس من سمرك

إخل بنفسك في دار المعاقبة ، واحضرها دستور المحاسبة وارفعل
عليها سوط المعاقبة وإن لم تفعل خسرت في العاقبة :

خلقت جسماً ثرياً ثم زرت ثرى فصرت خطأ وطالت مدة فمحي
قف بالمنازل من عاد وغيرهم فما ترى ثم من شخص ولا شبح
كل مجازى بما اسداه من حسن وسيء فاهجر سوء آت وانتزح

لقد وعظك أمس واليوم وأنت من سنة إلى نوم، أين العشائر ؟ أين
القوم؟ إشرأهم البلى بلا سوم، لا فطر عندهم ولا صوم، بلى بلابل العتاب
واللوم هذا رشاش الموج ينذر بالعويم وينجر بالحداثات أشمامها والروم .

إغتم صفو الليالي إنما العيش اختلاس
تلبس الدهر ولكن متعة ذلك اللباس

يا جامع الحطام ولا يدري ما جنى ، كلما نقض الواعظ أصلاً

من حرصك بنا ، بادر القوت فإن الموت قد دنا ، هذا بشير القبول :
إياك عني النثار كثير . فما هذا الوقوف والوني ؟ أمدد يد الصدق وقد
نلت المنى ، « هذه الخيف وهاتيك منى » أما تهزك هذه المواعظ ؟ أيها
المهزوز أما يوقظك الصريح ؟ ولا الرموز أما كل وقت عود الهلاك ؟
مغموز أما كل ساعة غصن ؟ مقطوع ومحزوز ، أما تراهم بين مدفوع
وموكوز كل أفعالك إذا تأملت ما لا يجوز ، أين أرباب القصور ؟ أين
أصحاب الكنوز ؟ هلك القوم وضاع المكنوز وحيز في حفرة البلى من
كان للمال يحوز، بينما تغرهم الإناءة وقعت النواة في الكوز أين كسرى
أين قصير أين فيروز ؟ عروا عن الأكفان وما كانوا يرضون الخروز،
وأبرز الموت أوجهاً عز عليها البروز وساوى بين العرب والعجم والنبط
والخوز ، ونسخ بحسرات الرحيل لذات النيروز ، وكشف لهم نقاب
الدنيا فإذا المعشوقة عجوز ما رضيت إلا قتلهم وكم تدلت بالنشوز،
لقد أذاقتهم برد كانون الأول فأذاهم في تموز وإنما قصدت غرورهم
لتقتلهم في كالوز .

واعجباً، بجز الوجود قد جمع الفنون: العلماء جوهره ، والعباد غيره
والتجار حيتانه والأشرار تماسيحه والجهال على رأسه كالزبد، فيا من يجري
به على هواه وهو عليه كالقنفا قف يا قنيا ، كم تحضر مجلساً وكم
تردد ؟ وكم تخوف عقبى الذنوب وكم تهدد ؟ يا من لا يلين لواعظ
وإن شدد ، يا راحلاً عن قريب ما عليها مخلد، تلمح قبرك لا قصرك
المشيد وتعلم أن المطلق إذا شاء قيد، أترى تقع في شركي ؟ فإني جثت
أنصيد ، يا من يسأل عن مراتب الصالحين مالك ولها ؟ تساوم في راحلة
وما تملك ثمن نعل تجمع من جوانب الحافات خبازى وتريد أن تطعم
أخضر ، تطلب سهماً من الغنيمة وما رأيت الحرب بعينك .

يحاول نيل المجد والسيف مغمد ويأمل إدراك العلى وهو نائم

البلايا تظهر جواهر الرجال * وما أسرع ما يفتضح المدعي .

تنام عينك وتشكو الهوى لو كنت صباً لم تكن نائماً

رأى فقير في طريق مكة امرأة فتبعها فقالت : مالك ؟ فقال : قد
سلب جبك قلبي . قالت : فلو رأيت أخي ؟ فالتفت فلم ير أحدا .
فقالت : أيها الكاذب في دعواه ، لو صدقت ما التفت :

والله لو علمت روحي بمن علقت قامت على رأسها فضلاً عن القدم

إذا كنت تشغل اليوم عنا بسوداء فكيف تذكرنا إذا أعطيناك الحور؟
يا مؤثراً ما يفنى على ما يبقى هذا رأى طبعك هلا استشرت عقلك لتسمع
أصح النصائح ، من كان دليله اليوم كان مأواه الخراب * ويحك، إعزم
على مجنون هواك بعزيمة فرب شيطان هاب الذكر * تلمح بجنب الخطايا
لعله يكف الكف * لا تحقرن يسير الطاعات فالذود إلى الذود إبل ،
وربما احتجج إلى عويد منبوذ ، لا تحقرن يسير الذنب فلإن العشب
الضعيف يقتل منه الجبل القوي فيختنق به الجمل المغتلم أو ما نفذت في
سدسبا ؟ حيلة جرد من عرف شرف الحياة اغتتمها ، من علم أرباح
الطاعات لزمها ، العمر ثوب ما كف، والأنفاس تستل الطاقات ، كم
قد غرقت في سيف سوف ، سفينة نفس .

يا هذا: أنت أجبر وعليك عمل فإذا انقضى الشغل فألبس ثياب الراحة،
قال رجل لعامر بن عبد قيس : كلمني فقال : أمسك الشمس . دخلوا
على الجنيد عند الموت وهو يصلي فقبل له في هذا الوقت ؟ فقال الآن
تطوى صحيفتي :

حشوا المطى فهذه نجد بلغ المدى وتجاوز الحد
يا حبذا نجد وساكنه لو كان ينفع حبذا نجد

يا ديار الأحباب أين السكان ؟ يا منازل العارفين أين القطان يا
أطلال الوجد أين ؟ أين البنيان ؟ .

تعاهدتكم العهد يا طلل خبر عن الظاعنين ما فعلوا
فقال ألا اتبعتم أبدا إن نزلوا متزلاً وإن رحلوا
تركت أيدي النوى تقودهم وجثثي عن حديثهم تسل

رحل القوم يا متخلف وسبقوك بالعزائم يا مسوف * فقف على
الآثار وقوف متلهف ، وصح بالدمع سر يا متوقف .

(للشريف الرضى) : (١)

يا قلبِ جددُ كَمَدَا فموعِدُ البَيْنِ غدا
لم أَرَّ فرقاَ بعدهمُ بينَ الفِراقِ والردي
يا زفرةٌ هيجها حادٍ من الغورِ حدَا
أرعى الحُمُولَ ناظراً أو أُلزِمُ القلبَ يدا
وأطردُ الطَّرْفَ على اثارِهِم ما انطردا
مُدَّ أوقدوا بأضلعي حر الجوى ما بردا (٢)
ومذ إذا أبوا ماء عيني لالأسى ما جمدا
كنتُ أداوي كبدي لو تركوا لي كبدا

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٣٥٣ - ٣٥٧ .

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان « جمر الغضا ما خمدنا » .

الفصل السادس والثمانون

أخواني : المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه، وبقدر الإلتذاذ يكون التأسف ، ومن فعل ما شاء لقي ما ساء .

مال ما كان المني ما آلا صار ما أوصلته قد صارما
بينما أضحك مسروراً به سال ماء العين إذا ما سالما

الدنيا فلاة فلا تأمن الفلا ، بل تيقن أنها مارستان بلا ، ولا تسكن إليها وإن أظهرت لك الولا ، على أنها تخفض من علا ، فلينظر الإنسان بمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ ، أما الربيع العامر فقد درس وأما أسد الممات فدرس وأما الراكب فكبت به الفرس وأما الفصيح فاستبدل الخرس وأما الحكيم فما نفعه إن احترس ، ساروا في ظلام ظلمهم ما عندهم قبس ووقفت سفينة نجاتهم لأن البحر يبس ، وانقلبت دول النفوس كلها في نفس وجاء منكر بآخر نبأ ، ونكير بأول عبس أفلا يقوم لنجاته ؟ من طال ما جلس .

آه ، لنفس رفلت من الغفلة في أثوابها فتوى بها الأمر إلى عدم ثوابها ، آه لعيون أغشاها الأمل فسرى بها إلى سراها . آه ، لقلوب قلبها الهوى عن القرآن إلى أربابها فربا بها ، آه لمرضى علم الطيب قدر ما بها ، وقد رمى بها . (لأبي العتاهية) :

يا نفس ما هو إلا صبر أيام كأن مدتها أضغاث أحلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة واخل عنها فإن العيش قدامي

يا مغرورين بحجة الفخ ناسين خنق الشرك ، تذكروا فوات الملتقط
مع حصول الذبح (فلا تَغْرَتَكُمْ الحياةُ الدنيا) (١) الحذر الحذر
من صياد يسبق الطير إلى مهابطه بفخاخ مختلفة الحيل ، قدروا أنكم لا
ترون خيط فحة ، أما تشاهدون ذبائحهم ؟ في خيط (كَمَا أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ
مِنَ الْجَنَّةِ) (٢) .

(للشريف الرضى) : (٣)

يا قلب كيف علقت في اشراكهم ولقد عهدتك تفلت الاشراكا
لا تشكون إلى وجدا بعدها هذا الذي جرّت عليك يداكا

ألا يصبر طائر الهوى عن حبة مجهولة العاقبة * وإنما هي ساعة *
ويصل إلى برج أمنه . وفيه حبات :

فإن حننت للحمى وطيبه فبالغضا ماء وروضات اخر

واعجباً أن يكون حامل الكتاب من الطير أقوى عزيمة منك ، لعل
وضعت على غير الاعتدال ، الخلق يدل على الخلق ، لا تكون الروح
الصفية إلا في بدن معتدل ولا الهمة الوافية إلا لنفس نقيسة ، لا يصلح
لحمل الرسائل إلا الطير الأخضر أو الأتمر ، لأنه إذا كان أبيض ،
كان كالغلام الصقلاني ، والصقلاني فطير خام لم ينضج في محل الحمل ،
وإذا كان الطائر أسود دل على مجاوزة خد النضج إلى الإحراق ،
فإن اعتدل اللون دل على نفاسة النفس وشرف الهمة * فحينئذ يعرف
الطائر سر الجناح فيقول بلسان الحال : عرفوني الطريق بتدريج ثم
حملوني ما شئتم ، فإذا أدرج فعرف حمل فحمل فصابر الغربية . ولازم
بطون الأودية وسار مع الفرات أو دجلة فإن خفيت الطريق تنسم الرياح
وتلمح قرص الشمس وتراه مع شدة جوعه يجذر الحب الملقى خوفاً من

(١) سورة لقمان ، الآية ٢٣ / سورة فاطر ، الآية ٥ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٢٧ .

(٣) أنظر ديوان شعره ٢ / ١٠٩ .

دفيئة فُخ ، يوجب تعرقل الجناح وتضييع المحمول فإذا بلغ الرسالة ،
أطلق نفسه في أغراضها داخل البرج .

فيا حاملي كتب الأمانة إلى عبادان العبد أكثركم على غير الجادة
وما يستدل منكم من قد راقه حب حب فتزل ناسياً ما حمل فارتهن
بفخ قد نفخ فذبح ، ومنكم من بان لتعرقل جناحه ، وما قصده الذابح
بعد فلا الحبة حصلت ولا الرسالة وصلت .

قطاة غرهما شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
فلا في اغيل نالت ما تمننت ولا في الصباح كان لها براح

لو صابرتم مشقة الطريق لانتهى السفر ، فتوطنتم مستريحين في جنات
عدن ، فيا مهملين النظر في العواقب سلفوا وقت الرخص فما يؤمن
تغير السعر ، سلسلوا سباع الألسن فإن انحلت افرستكم ، لا ترمسوا
بأسهم العيون ففيكم تقع ، رب راعي مقلة أهملها فأغبر على السرح ،
من رأى الحقائق رأى عين غض طرفه عن الدارين ، لو حضرتم حضرة
القدس لعقبتم بنشر الأنس .

أطلبوا	لأنفسكم	مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكنا	ليس في هواه عنا	
إن بعدت قربي	أو قربت منه دنا	

يا هذا أعرف قدر لطفنا بك وحفظنا لك ، إنما نهيناك عن المعاصي
صيانة لك لا لحاجتنا إلى امتناعك ، لما عرفتنا بالعقل حرمتنا الخمر لأنها
تسره ، ومثل يوسف لا ينجأ ، يا متناولاً للمسكر لا تفعل يكفيك سكر
جهلك فلا تجمع بين خليطين ، اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه ، وشكرك
لمن تعينك نعه ، وطاعتك لمن لا ترجو خيراً إلا منه ، وبكائك على قدر
ما فاتك منه ، وارفع إليه يد الذل في طلب حوائج القلب تأتي وما تشعر .

يا هذا عندك بضائع نفيسة دموع ودماء . وأنفاس وحركات
وكلمات ونظرات فلا تبدلها فيما لا قدر له ، أ يصلح أن تبكي لفقد ما لا

يبقى ؟ أو تتنفس أسفاً على ما يفنى ، أو تبذل مهجة لصورة عن قليل
 تمحى أو تتكلم في حصول ما يشين ويتوى ، واعجباً . من مجنون بلا ليلى
 ويحك دمعة فيك تظفي غضبنا ، وقطرة من دم في الشهادة تمحو ذلك ،
 ونفس أسف ينسف ما سلف وخطوات في رضانا تغسل الخطيئات ،
 وتسيحة تغرس لك أشجار الخلد ونظرة بعبرة تثمر الزهد في الفاني
 ولكن تصحيح النقد شرط في العقد سلع (وإني لغفار) لا تباع إلا بدينار
 (لمن تاب) إذا كان خارجاً من سبيكة (وامن) عن سكة (وعمل
 صالحاً) من دار ضرب (ثم اهتدى) (١) .

يا هذا : لو استشعرت زمانة الزهد تحت مطرف « رب أشعث
 أغبر » وسحت في بادية (بدفعون) لأفضنا عليك خلع (إذا رأوا
 ذكر الله) يا هذا إن لم تقدر على كثرة العمل فقف على باب الطلب
 تعرض يجذبة من جذبات الحق ففي لحظة أفلح السحرة .

لا تجزعن من كل خطب عرا ولا ترى الأعداء ما تشمت
 يا قوم بالصبر ينال المنى إذا لقيتم فئة فاثبتوا

طريق الوصول صعبة وفي رجلك ضعف ، ويحك دم على السلوك
 تصل ، أول النخلة السحوق^(٢) فسيلة ، بداية الآدمي الشريف مضغة ،
 ثم المعالي جد الطلب والفتور داء مزمن ، بلد الرياضة سحيق (لم تكُونُوا
 بالغيه إلا بشق الأنفس) (٣) سحابة الصيف أثبت من قولك والخط على
 الماء أبقى من عهدك .

من السلوة في عينيك آيات وآثار
 أراها منك بالذهن وفي الألباب أبصار
 إذا ما برد القلب فما تسخنه النار

يا هذا ، إذا حضر قلبك فنسيم الريح يذكرك ، وإن غاب فمائة ألف
 نبي لا يوصلون التذكرة إليك ، تالله لقد ألمعنا المعنى وما أئزمتنا الزمنى .
 ولي ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

(١) سورة طه ، الآية ٨٣ ، ص وما قبلها . (٢) سورة النحل ، الآية ٧ .

(٢) السحوق : الطويلة .

الفصل السابع والدمانون

يا من يرحل في كل لحظة عن الدنيا مرحلة ، وكتابة قد حوى حتى
قدر خردلة ، كن كيف شئت ؟ فبين يديك الحساب والزلة ، يا عجباً
من غفلة مؤمن بالجزاء والمسئلة أيقين بالنجاة ؟ أم غرور وبه .

تبنى وتجمع والآثار تندرس
ذا اللب فكر فما في الخلد من طمع
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
ومن سيوفهم في كل معترك
أضحوا بمهلكة في وسط معركة موتى
وعمهم حدث وضمهم جدث
كأنهم قط ما كانوا ولا خلقوا
والله لو نظرت عينك ما صنعت
من أوجه ناظرات حار ناظرها
وأعظم باليات ما بها رمق
والسن ناطقات زانها أدب
ثلثهم السن للدهر فاغرة
عروا عن الوشي لما ألبسوا حلالاً
حتام يا ذا النهي لا ترعوي سفهاً
وتأمل اللب والأرواح تختلس
لا بد ما ينتهي أمر وينعكس
كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
تحشى ودونهم الحجاب والحرس
وماشى الورى من فوقهم يطس
باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا
ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
يد البلى بهم والدود يفترس
في رونق الحسن منها كيف تنطمس
وليس تبقى لهذا وهي تنتهس
ما شأنها شأنها بالافة الحرس
فاها فاها لهم إذ بالردى وكسوا
من الرغام على أجسادهم وكسوا
ودمع عينك لا يهمي وينبجس

أيها المطمئن إلى الدنيا وهي تطلبه بدخل * قد مرضت عين بصيرته
فيها ، فما ينفع الكحل ، يتبختر في رياضها وما يصبح إلا في الوحل ،

إنته للرحيل . ثم أشدد الرجل ، واستبدل خصب المراب . عن قحل المحل ،
وتأمر على نفسك . فلنخلل فحل .

أترك الشر ولا تأمن بشر وتواضع إنما أنت بشر
هذه الأجسام ترب هامد فمن الجهل افتخار وشر
جسد من أربع يلحظها سبعة من فوقها في إثني عشر
في حياة كخيال طارق شغل الفكر وخلاك ومر

تالله لقد كشفت الغير ما انسدل . فلم يبق مرآء ولا جدل ،
هذا حمام الحمام قد هدل . فكم صرخ صوته وكم جدل ، يا
جائرين احذروا ممن إذا قضى عدل . واعلموا أن الآخرة ليس منها
بدل . هذا هو الصواب ، لو أن المزاج اعتدل ، يا من عمره كزمان
الورد ، إلتقط واعتصر لا في زور ، يا شمس العصر على القصر ، قد
بلغ مركبك ساحل الأجل . ووقف بعيرك . على ثنية الوداع . وقاربت
شمس عمرك الطفل . وبقي من ضوء الأجل . شفق . فاستدرك باقي
الشعاع . قبل غروب الشمس .

أَيُنْفَقُ العَمْرُ فِي الدُّنْيَا مَجَازِفَةً وَالْمَالُ يُنْفَقُ فِيهَا بِالْمَوَازِينِ

البدار البدار . قبل القوت ، الحذار الحذار . قبل الموت ، ما في
المقابر من دفين . إلا وهو متألم من سوف .

يا هذا متى تبت بلسانك . وما حلت عقد الاصرار من قلبك .
لم تصح التوبة . كما لو سكنت الأمراض بغتة من غير استفراغ . فإن
المرض على حاله .

يا هذا : إذا لم يتحقق قصد القلب . لم يؤثر النطق باللفظ ، إن
المكره على اليمين . لا تنعقد يمينه . « إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ » (١) وقلبك
كله مع الهوى . « إن في البدن مضغة . إذا صلَّحت صلَّح البدن .

(١) رواه البخاري ومسلم عن عمر .

وإذا فسدت فسد البدن • الا وهي القلب • (١) أكثر الأمراض . أمراض
الهوى • وأكثر القتلى بسيفه • أرباب الهوى ، أطفال في حجور العادات
وإن شابوا ، إنحدرت عزيمتك . في جريان نهر الهوى • فاصبر صبر
مداد . لعلك ترددها .

ويحك . إنته لإصلاح عبوبك ، لعل المشتري يرضى ، تالله . إن
المشتري ما يجب بطاء زحل ، أكفف ثوب الكلام بالصمت . والات تسل ،
أطف حراق الهوى . وإلا عمل ، أرفق بزجاج العمر . فما ينشعب إذا
انكسر .

واعجباً ، الظاهر غير طاهر • والباطن باطل • الامل بخار فاسد •
الرعوثة علة صعبة • منام المنى أضغاث ، رائد الآمال كذوب ، مرعى
المشتهي هشيم ، العجز شريك الحرمان ، التفريط مضارب الكسل ،
ديجور الجهل معتم ، سؤر الهوى مغرق ، روض اللهو وبى ، غديسر
اللذات غدر .

ظَلَلْتُ أَكْرُ عَلَيْهِ الرَّقِيَّ وَتَابَى عَرِيكَتُهُ أَنْ تَلِينَا
كم قد لمتك وما نفع ، كم قد نصبت لك شركاً وما تقع ، قفل
قلبك رومي . ما يقع عليه فش .

يا هذا: المجاهدة حرب . لا يصلح لها إلا بطل • متى تغير من جنود
عزمك على الإنابة قلب واحد • لم أمن قلب الهزيمة عليك .

وإذا كانَ في الأنايبِ خلفٌ وقع الطيشُ في رؤسِ الصعَادِ

أيها المريد . تلتطف بنفسك في الرياضة تضل ، مشي القطا بدبير •
ومشى العصفور نقران ، العنكبوت الفطن ينسج في زاوية • والمغفل
ينسج على وجه الارض ، كن قيماً على جوارحك ، وقفها الحظوظ •
واستوف منها الحقوق ، أما ترى حاضن البيض يقلبه بمنقاره • لتأخذ

(١) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ولفظه « وان في الجسد مضغة ..
وإذا فسدت فسد الجسد » .

كل بيضة حظها من الحظن ، ثم أكثر ساعات الحظن على الأنثى *
 لاشتغال الذكر بالكسب * فإذا صار البيض فراخاً كان أكثر الزرق
 على الأب ، (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (١) ما لقيت
 حواء عشر ما لقي آدم * لأنها وإن شاركته في العلم بفقد صورة
 النعيم * فهو منفرد عنها بملاحظة المعنى * بعد عز (أُسْجِدُوا
 لِآدَمَ) (٢) يقبض جبريل على ناصيته للإخراج * والمدنف يقول
 أرفق بي :

ياسائق البكرات استبق فضلتها على الغوير فظهر الفكر معقور
 كان يتوقف في خروجه لو ترك * ويتشبث بذيل لو نفع *
 ولسان الأسى * يصبح بمن أسا :

تزود من الماء النقاخ فلن ترى بوادي الغضا ماءً أنقاخاً ولا برداً
 ونل من نسيم البان والرند نفحة فهبها واد ينبت البان والرندا
 وكر إلى نجد بطرفك إنه متى تسر لا تنظر عقيقاً ولا نجداً
 ما زال مذ نزل * يرفع قصص الغصص ، على أيدي أنفاس الأسف *
 فتصعد بها سعداء اللهف :

ألا يا نسيم الريح من أرض بابل تحمل إلى أهل الحجاز سلامي
 وإني لأهوى أن أكون بأرضهم على أنني منها استفدت سقامي
 واعجباً من فاق آدم ، بلا معين على الحزن * هوام الأرض
 لا تفهم ما يقول * وملائكة السماء عندها بقايا (أتجعل) فهو في
 كربة * وحيد بدار غربة :

ألا راحم من آل ليل فاشتكي غرامي له حتى يكل لسانيا

(١) سورة طه ، آية ١١٧ .

(٢) سورة طه ، آية ١١٦ .

الفصل الثامن والثمانون

أخواني : أيام العافية غنيمة باردة ، وأوقات السلامة لا تشبهها
فائدة ، فتناول ما دامت لديك المائدة ، فليست الساعات الذاهبات بعائدة .

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً واتبعه يوم عليك شهيد
فإن تك بالأمس اقترفت اساءة فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فعل الصالحات إلى غد لعل غداً يأتي وأنت فقيد
إذا ما المنايا اخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

• كأنكم بالقيامة قد قامت • وبالنفس الأمانة بالسوء ، قد لامت •
وانفتحت عيون . طال ما نامت • وتنجرت قلوب العصاة وهامت •

غداً توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن اساءوا فبئس ما صنعوا

شبكة الحساب ضيقة الأعين . لا يعبرها شيء * وكيل المطالبة
خصم ألد * أينطق بأقل عذرك بين يدي سحبان المناقشة * كلا أيقن
بالسجن * يا هذا ، إنك لم تزل في حبس * فأول الحبوس صلب الأب *
والثاني بطن الأم * والثالث القماط * والرابع المكتب * والخامس الكد
على العيال * والسادس الموت * والسابع القبر فإن وقعت في الثامن . نسيت
مرارة كل حبس .

يا هذا ، إدخل حبس التقوى باختيارك اياماً . ليحصل لك الإطلاق
في الأغراض على الدوام * ولا تؤثرن إطلاق نفسك فيما تحب * فإنه
يؤثر حبس الأبد في النار * إلى متى تسجن عقلك في مطمورة هواك ؟ *

أو يحبس طاوس في ناووس ؟ . ويحك . تفكر فيما بين يديك *
وقد هان الصبر عليك ، لما خفيت العواقب على المتقين * فزعوا إلى
القلق * وأكثروا من البكاء * فعذبهم من يشفق عليهم ، وما يدري
العاذل . إن العذل على حمل الحزن علاوة .

قيل لبعض العباد : لم تبكي ؟ قال : إذا لم أبك فما أصنع ؟ :

ما كان يقرأ واش سطر كتماني لو أن دمعي لم ينطق بتبيان
ماء ولكنه ذوب النفوس وهل ماء تولدُه من حر نيران
ليت النوى إذ سقتني سُمَّ أسودها سدت سبيل امرئ في الحب يلحان
قد قلتُ بالجزع لما انكر واجزعي ما أبعد الصبرُ ممن شوقه دان
عجنا على الربع نستسقي له مطراً وفاض دمعي فأرواه وأظماني

قوي حصر الخوف فاشتد كرب القوم * فكل ما هب نسيم
من الرجاء ولوا وجوههم شطره :

يا طرباً لنفحة نجدية اعدلُ حرَّ القلب باستبرادها
وما الصبا ريحي لولا أنها إذا جرت مرّت على بلادها

عبارة النسيم لا يفهمها إلا الأحباب . وحديث البروق . لا يروق
إلا للمشتاق :

ومرنح فطنَ النسيمُ بوجدِه غروى له خبَرَ العذيب معرضاً

العارف غائب عند ذكر الدنيا * وحاضر عند ذكر الأخرى
وطائش عند ذكر الحبيب * يحضر المجلس موثقاً بقيود الهم * فإذا
ذكر الحبيب قطع الوجد السلاسل ، إن مداراة قيس تمكن * ولكن
لا عند ذكر ليلي (للخفاجي) :

رمتُ بالحمى أبصارها مطمئنةً فلما بدت نجدٌ وهبت جنوبها
بخلنا عليها بالبرى فتقطعت وقل لنجد لو تفرت قلوبها

لو برزت ليلي ليلاً * لصار الظلام عند قيس * أوضح من ضحي :

إذا ما ونت نادى بها الشوق فانبرت تجد ومن نادى به الشوقُ أسرعاً
من سمع ذكر الحبيب . ولم يثر قلبه عن مستقره فهو مدع .
(للمهيار) :

إذا ذُكِرَ المَجِيبُ عند مُحِبِّهِ تَرَنَّحَ نشوانٌ وِجَن طُروبُ
إذا قِيلَ مي لما يَسْعَى لذكْرها خباء ولم يحبس بكاي رقيبُ

كلامي صحيح المزاج * خفيف الروح * أنا صايغ صانع * بابلي
لفظي بيلبل * أنا ماشطة القوم * أنا لسان الوقت :

فكأنَّ قِيساً في عكاظ يَحْطُبُ وكأَنَّ ليلي الأَخيلية تَنْدُب
وكثير عزة يوم بين يظنّب وابن المقفع في اليتيمة يُسْهِبُ

أنا طيب لبيب . أمزج التحذير بالتشويق للعاملين * وأجعل كأس
التخويف . صرفاً للغافلين * وأجتهد في التلطف . جهدي بالعارفين ،
الحام يعجب البدوي * وأما الحضري فدق مصر ، الأدوية الحادة .
تؤذي الأبدان النحيقة ، الزاهد ملاح الشط * والعارف ناتاني المركب .
الزاهد مقتب * والعارف في محمل ، نفس الزاهد تسير به * وقلب العارف
يطير به ، العارف حال في الرحمة * غريب في الوطن * خلوته بمعرفه
طوره * متى تقاضاه الشوق . حضر لا عن ميعاد * إذا وطى بساط
الإنبساط . قال (أرني)^(١) فإذا سمع صاعقة الهيبة . قال (تبت إليك)^(٢)
ويأبى الجوى أن اسر الهوى إذا امتلأ القلب فاض اللسان

إذا رأيتم ناطقاً بالحكمة قد طرب ، فاعذروه * وإنه قد صدر ولم
تردوا بعد ، العالم المحتمق . قد اعتصر من كروم المعارف * خندر
يس المعاني * فشرّب منها حتى غلب ، فإذا عربد بالطرب . فلم يعذره
الصاحي . أمر ساقى النطق . أن يدور بكأس اللفظ . على أرباب الألباب
فإذا القوم . نشاوى من الثمل * فيصبح حينئذ واقف (تراود فتاها)^(٣)

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٣٠ .

(فذلكن الذي لمتنني فيه) (١) عبرناكم يا منقطعين • وعلينا أن نرد ،
لا بد للأمر أن يقف للساعة • عودوا إلى أوكار الكسل • فنحن على
نية دخول الفلاة ، إسمعوا وصايانا . يا مودعين • إذا جن الليل ،
فسيروا في بوادي الدجى • وانيخوا بوادي الذل • واجلسوا في كسر
الإنكسار • فإذا فتح الباب للواصلين ، دونكم فاهجموا هجوم الكذابين
وابسطوا كف (وتصدق علينا) (٢) لعل هاتف القبول يقول (لا تريب
عليكم اليوم) (٣) .

وإذ جثم ثنيات السوى فاجروا ربع الحمى في خطري
وصفوا شوقي إلى سكانه واذكروا ما عندكم من خبري
واحنيي نحو أيام مضت بالحمى لم أقض منكم وطري
كلما اشتقت تمنيتكم ضاع عمري بالني واعمري

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٨ .
(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٢ .
(٣) سورة يوسف ، الآية ٩٢ .

الفصل التاسع والثمانون

آه لئنفس أقبلت على العدو وقبلت ، وبادرت إلى ما يؤذيها من
الخطايا وعجلت ، من لها إذا سئلت عن قبيحها ؟ فنجلت . وسل
عليها سيف العتاب . فقتلت .

أتراها نسيت ما فعلتُ	ما لنفسي عن معادي غفلت
كل نفس سترى ما علمتُ	أيها المغرور في هو الهوى
كم عزيز في هواها خذلتُ	أف للدنيا فكم تخدعنا
ثم ما إن لبثت أن سكنت	رُبَّ ريح لأناس عصفت
قدمٌ زلت وأخرى ثبتت	فكذاك الدهر في تصريفه
في سرور ومرادات خلت	أين من أصبح في غفلته
وديبار لهو قد خربت	أصبحت آماله قد خبيبت
ثم قل يا دار ماذا فعلت	جز على الدار بقلب حاضر
وشموساً طال ما قد أشرقت	أوجه كانت بدوراً طلعاً
وكذا كل مقيم إن ثبت	قالت الدار تفانوا ومضوا
فسل الأجداد عما استودعت	عابنوا أفعالهم في تربهم
أو كأحلام منام ذهبت	إنما الدنيا كظل زائل

يا من هو في هوة الهوى قد هوى ، كم مسلوب بكف النوى
عما نوى ، أين المستقر عيشه ؟ أدركه التوى فالتوى ، أين الجبار الذي
إذا علق بالشوى شوى ، أين شعبان اللذات أدركه الطوى لما طوى
ليته لما ذهب الأصل ، تيقظ الفرع ، فارعوى ، إلى متى خلف وواعد
الدنيا كله خلف .

يا متعباً نفسه بالحرص ، والتدر ما يتغير * الراضي صرفه * كم
 غرقت سفينة مهجة في لجة حرص ، الطمع يخنق العصفور قبل
 الفخ * لما قنعت العنكبوت بزاوية البيت ، سيق لها الحريص وهو
 الذباب ، فصار قوتاً لها ، وصوت به لسان العبرة . رب ساع لقاعد *
 ترسل قلبك مع كل مطلوب من الهوى * ثم تبعث وراه وقت الصلاة
 ولا يلقاه الرسول * فتصلي بلا قلب .

خلفت قلبك في الاطعان إذ نزلت بالملزمين زمان النفر بالنفر
 ورحت تطاب في أرض العراق ضحى ما ضاع عند منى فاعجب لذا الخبر
 لما طرقتا النقي كان الفؤاد معي فضل غني بين الضال والسمير
 يا أرجل العيس تهنيك الرمال فما أغدو بوجدي غداً إلا على الأثر

على تفصيل الأمور والحمل * ما يرضى للقبر ، بهذا العمل ، يا
 من قد حمل الخطايا ، وبنس ما حمل ، أفي سكر أنت أم في نمل ؟
 لو علمت أن مكاوي الحديد ، قد أحميت للسمل * لم تفرق من اللباس
 بين الحديد والسمل ، يا ثقيل الطبع كالرمل * فما يطربه الثقيل ولا
 الرمل ، تعصي ثم تصر ، فتضيف إلى صفين الحمل ، يا من قد فقد قلبه
 لا تياس من عوده .

فقد يجمعُ اللهُ الشيتين بعدما يظنُّان كل الظن ألا تلاقيا

الهوى قاطن ، والصواب خاطر ، وقلع القاطن صعب * وإمساك
 الخاطر أصعب ، الهوى متدير * والمواعظ نزالة ، ومع مداراة الحمل
 تصل ، لما تزينت زخارف الدنيا * توائبت جهال الطبع لاتباع الهوى
 فبعث العقل كافاً لهم ، فأقام عندهم ، موكلاً بهم ، وكلما زاد
 في قيودهم فكوا السلاسل ، وكلما تلا عليهم النصائح * أسمعوه
 القبائح .

فواعجباً لمعرف ، بلى بمقاساة أنزال * ما يزال العقل يضرب الأمثال *
 ويشرح العواقب * ولكن من يسمع ؟ * أحضر معه في خلوة ، واستحضر
 صديق الفكر فإنه ثقة ، فإن خرجتم إلى المقابر قوي دليل النصيح *

مروا بثُصور المذنبين ، مُجدوا أُخبارهم مرأً * وجوزوا على قُبور
الصالحين * فقد جوزوا في العاجل ذكراً ، إذا مات المؤمن بكى عليه
مصلاه من الأرض ، ومصعد عمله من السماء ، أربعين صباحاً * واعجباً
للبقاع ، تبكي عليهم * وتبكي منهم .

أما الوقوفُ فقد وقتُ بدارهم وسألتها لو أن داراً تفهمُ
وإذا رأيتُ طولَهم أبصرتها طرساً ^(١) يخط به البلى وينمُّ
نحلت لبينهم ولم الكُ عارفاً أن الديار بهم تصح وتسقمُ

يا له من عدل ، لو كان للمعاتب فهم * لحم منه والله لو كان فحم
(للشريف الرضى) ^(١) .

والحرُّ من حدَّر الهَوانِ يُزائلُ الأمر الجسيما
والعاجز المافون اقعُدُ ما يكون إذا أقيما

العبارات حظ النفوس * والإشارات قوت القلوب ، نزل بعض
أرباب المعرفة ، إلى الشط فصاح : يا ملاح تحملني ، فقال : إلى أين ؟
قال إلى دار الملك * فقال : معي ركاب إلى القطيعة ، فصاح الفقير .
لا بالله لا بالله * أنا منذ سبعين سنة . أفر منها ، دخل ذو فطنة إلى
دار قوم * فرأى حياً . وإلى جانبه مركان . قد زرع فيه صبر * فتواجد
فقال حب إلى جانبه صبر *

يا نازلين الحمى رفقاً بقلب فتى إن صاح بالبين داع باح مضمرة
وقد يميل إلى المغنى يسائله أخو الغرام ولكن من يخبره
وما ذكركم إلا وهمت جوى وافة المبتي فيكم تذكره
ولا عزمت على سلوان حبكم إلا ويخذلني قلبي وينصره

أين الذين كانوا نجوم الدنيا وأقمار الآخرة * قياماً كالأعلام .

(١) الطرس بالكسر : الصحيفة التي محبت ثم كتبت .
(٢) من قصيدة عاتب فيها الوزير البرقومي ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٤٢٨ .

على جواد الهوى * تقوى بأنفاسهم : نفوس أنفاس أهل التقوى *
يصوتون بالمنقطع * ويرشدون المتحير * ما بقي في الديار ديار .

نسيم الصبا إن زرت أرض أحبتي فخصهم عني بكل سلام
وبلغهم أني رهين صباية وأن غرامي فوق كل غرام
وإني ليكفي طروق خيالهم لو أن جفوني تمتع بمنام
ولست أبالي بالحنان وباللظى إذا كان في تلك الديار مقامي
وتد صممت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

رحل القوم وتحلفنا * وبادروا أيامهم وسوفنا * وعرفنا طريقهم
لكننا انقطعنا * فسيروا بنا ، فإن لحقنا وإلا تأسفنا .

يا صاحبي إن كنت لي أو معي فعد إلى روض الحمى نرتع
حي كتيب الرمل رمل الحمى وقف وسلم لي على لعلع
وسل عن الوادي وأربابه وأنشد فؤادي في ربي المجمع
وابك فما في العين من فضله ونب فدتك النفس عن مدمعي
واسمع حديثاً قد روته الصبا تسنده عن بانه الاجرع
وانزل على الشيخ بواديهم واشمم عشب البلد البقع
بلغ تحياتي إلى ربهم وقل ديار الظاعنين اسمعي
رفقاً بنضو قد براه الأسي يا عاذلي لو كان قلبي معي
لهفي على طيب ليل خلت عودي تعودني مدنفاً قد نعي
إذا تذكرت زماناً مضى فويح أجفاني من أدمعي
أراجع لي وصلهم بعدها يا نفس إن لم يصلوا ودعي
يا نفس كم أتلو حديث المنى ضاع زماني بالني فاقطعي
يا قلب لا تسكن على بعدهم وأنت يا عين فلا تهجعي

الفصل التسعون

أخواني الا ذو سمع وبصر يعلم أن الأعمار فيها قصر ، إلا متلمح
ما في الغير من العبر إلا ذاكر بيت التراب والمدر .

تنبه فإن الدهرَ ذو فجعاتٍ وشملُ جميعِ صائرِ لشتاتِ
نخلف مأمولاتنا وكأننا نسيرُ إليها لا إلى الغمراتِ
هل المرءُ في الدنيا الدنية ناظرٌ سوى فقد حب أو لقاء ممتِ
وما حركاتُ الدهرِ في كل طرفةٍ بلاهيةٍ عن هذه الحركاتِ
سيُسقى بنو الدنيا كؤوس حنوفهم إلى أن يناموا لا منام سباتِ
وما فرحتُ نفسٌ ببلوى وقدراتِ عظاتٍ من الأيام بعد عظاتِ
إذا بغتتُ أشياء قد كان مثلها قديماً فلا تعتدها بَعَثاتِ
واعقب من النوم التيقظ راشداً فلا بد للنوام من يقظاتِ

يا من يحول في المعاصي ، قلبه وهمه ، يا معتقداً صحته ، فيما هو
سقمه ، يا من كلما طال عمره ، زاد إثمه ، أين لذة الهوى ؟ رحل
المطعموم وطعمه .

يا من سيجمعه اللحد عن قليل ، ويضمه • كيف يوعظ من لا
يعظه عقله ولا فهمه ؟ كيف يوقظ من قد نام قلبه لا عينه ولا جسمه ؟
ويحك تدارك أمرك قبل الفوت • أتتفع الإستغاثة ؟ والسلم قد وصل إلى
القلب . إن الدرياق يصلح قبل اللسع ، ومذهب ابن سريج يستعمل
قبل الطلاق .

لمن أحدثتُ والقلب غائب ، لمن أعاتبُ والفكر ذاهل ، وآسفاً من

ضرب الختراج ، على بلد خراب ، ويحك ، أجماد أنت أم حيوان ؟
 هذا الفهد على خساسة خلقه يصاد بالصور الحسن * ومتى وثب
 على الصيد . ثلاث مرات ولم يدركه ، غضب على نفسه ، كم قد
 وثبت على هواك مرة فلم تقدر عليه * فأين غضبك على التقصير ،
 هيهات ليس عند الطاوس إلا حسن الصورة ، تفيق في المجلس لحظة
 ثم تذكر الشهوات فيغمي عليك ، إن الغراب إذا سكر بشراب الحرص
 تنقل بالحيث ، فإذا صحا من خماره ندب على الطلل ، لما عزت نفس
 البيغاء زاحمت الآدمين في النطق ، وهي تتناول بكفها من جنس
 مطاعمهم .

واعجباً لبهيم يتشبه بالناس * ولإنسان يتشبه بالبهيم * كل هذا
 سببه الهمة * لا يطمعن البطل في منازل الأبطال ، إن لذة الراحة
 لا تتناول بالراحة ، من زرع حصد ومن جد وجد .

وكيف ينال المجد والجسم وادع * وكيف يحاز الحمد والوفر وافر *

أي مطلوب ينال من غير مشقة ؟ وأي مرغوب لم تبعد على مؤثره
 المشقة ؟ المال لا يحصل إلا بالتعب ، والعلم لا يدرك إلا بالنصب ،
 وإسم الجواد لا يناله بخيل ، ولقب الشجاع بعد تعب طويل (للمتنبى) :
 لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعّال
 لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفتقر والأقدام قتال

يا أعجمي الفهم ، متى تفهم ؟ * يا فرحاً بلذة عقباها جهنم *
 ستدري متى تبكي ومتى تندم * إذا جثا الخليل ، وتزلزل ابن مريم *
 يا عاشق الدنيا كم قتلت مقيم ؟ * ما للفلاح فيك علامة ، والله أعلم *
 إن كان ثم عذر ، فقل وتكلم * غاب الهدهد من سليمان ساعة
 فتواعده * فيا غائباً عنا طول عمره * أما تحذر غضبنا ؟ * خالف
 موسى الخضر ، في طريق الصحبة ثلاث مرات * فحل عقدة الوصل

بِكف (هذا فراقُ بيبي وبينك) (١) أما تخاف يا من لم يف لنا قط ،
أن نقول في بعض زلاتك (هذا فراقُ بيبي وبينك) .

أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب * لو صحت معرفتهم
بالمالك * لما استغاثوا يا مالك * وقع بينهم شخص ، ليس من الجنس *
كانت في باطنه ذرة من المعرفة * فكلما حملت عليه النار ، اتقاها بدرع
« يا حنان يا منان » كان موته في المعاصي سكرته * فقبر في جهنم * فلما
تحرك الروح في الباطن أخرج * رأى الأسباب بيد المسبب * فتعلق
بالاصل ، أخواني ، اليوم رجاؤنا للرحمة قوي * فكيف نصنع غداً ؟
إن ضعف *

هذا جزعي وما خلا مغناكم ما أصنع بعد بعدكم حاشاكم
أقسمت بكم لكم وحسبي ذاكم لا أذكر غيركم ولا أنساكم

أزعجتموني بتقلقلكم ، يا تائبين * أخرجتموني عن الحد ، يا
خائفين *

يا صبا نجد ويا بان الحمى أرفقا بي في الشني والهوب
يتقومون بمقالي * ويقومون على حر المقالي * ويخرج عاطل البطالة،
وهو خالي * وأنا أدري ما حالي (إنما أشكو بي وحزني إلى الله) (٢) .

يا غادياً نحو هضاب الحمى بلغ رسوم الدار ما عندي
كم لي بتلك الدار من وقفة أشكو من الهجران والصد

يا ركب التوبة إن تزودتم فالتقوى وسرتم إلى الله فاحملوا معكم
رسالة مثلها يحتوي على حسرة محصر .

يا حادي العيس ترفق واستمع مني وبلغ إن وصلت عني
وقف بأكتاف الحجاز ناشداً قلبي فقد ضاع الغداة مني
وقل إذا وصلت نحو أرضهم ذلك الأسير موثق بالحزن

(١) سورة الكهف ، الآية ٩٨ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٨٦ .

عرض بذكرى عندهم عساهم إن سمعوك سائلوك عني
قل ذلك المحبوس عن قصدكم معذب القلب بكل فن
يقول أملت بأن أزورك في جملة الوفد فخاب ظني

يا معاشر التائبين بجرمة الصحبة ، لا تنسوني غداً بعثكم أغلى الملك
فلا تنسوا كرامة الدلال ، أعوذ بك يا إلهي أن تجعل حظي لفظي وآسفي
أصف واصفي ويشرب غيري .

فعندي زفير ما ترقى إلى الحشى وعندي دموع ما بلغن المآقيا

واحسرتا ، أأكون كالقوس رفعت السهم فمر ولم تبرح ؟ أأصير
كالإبرة تكسو غيرها وهي عريانة ؟ أشبه حال الشمعة أضاءت غيرها
باحترق نفسها ؟ .

أترى يرجع لي دهر مضي أترى ينفعني قولي تسرى
ويك يا عين أعيني قلقي إن توانيت فلا ذقت الكرى

إلهي أيقظني في الصبا ؟ وأقمتني أدل الخلق عليك ومزجت كأس
نظمي بعذوبة وجعلتني في اخباري معروفاً بالأمانة فركن إلي أهل المعاملة
ولو عرفوا إفلاسي ما عوملت ، إلهي طال ما اجتذبت العصاة بعد أن تهافتوا
في النار أفيصدرون واردة ؟ سيدي إن لم أصلح للرضا فالعفو العفو .

الفصل الحادي والتسعون

أخواني : أما ينبه على استعداد الزاد ؟ سلب الآباء وأخذ الأجداد
أما يحرك إلى التيقظ ؟ ونفي الرقاد عكس المشتبه ورد المراد .

(للشريف الرضى) : (١)

لنا كل يوم رنةٌ خلف ذاهبٍ ومستهلكٍ بين النوى والنوابِ
ونأمل من وعد المني غير صادق ونأمن من وعد الردى غير كاذبِ
نُراعُ إذا ماشيكَ اخمصُ بعضنا وأقدامنا ما بين شوكِ العقاربِ
نعمُ إنما الدنيا سمومٌ لطاعمٍ وخوفٌ لمطلوبٍ وهمٌ لطالبِ
وإنا لنهواها مع الغدرِ والقيلِ ونمدحُها مع علمينا بالمعائبِ

أي مطمئن لم يزعج ؟ أي قاطن لم يخرج ؟ فرس الرحيل لنا سرج
وما جرى على الأقران أنموذج ، يا مختالاً في ثوب الصبا معجباً بمرطه ،
شرط المقام الرحيل وقد تقاضى بشرطه أما لك نبرة في رفع الزمان وحطه ،
أما ترى رقوم المنايا مكتوبة بخطه ، أما أعرب المسطور بشكل المرض
ونقطه * هلا تصور العاصي ساعة إنزاله إلى القبر وحطه ، أفلا يتذكر
الغني أخذ ماله على رغمه ومن أصل قرطه .

يا من قد قاده الهوى بلا خزامة ، لو قبلت مشورة العقل لم تتجرع

(١) من قصيدة قالها يرثي خاله أحمد بن الحسين الناصر عام ٣٩١ ، أنظر ديوان شعره ١ /

مر لو وليت قدر . إن الزلل يخفى على الخلق (ألا يعلم من خلق) (١)

صور إنه قد عفا عنك فأين الحياء مما جنيته ؟ .

هب البعث لم تأتينا رسله وجاحمة النار لم تضم
أليس من الواجب المستحق حياء العباد من المنعم

أقل نعمه أن أوسع عرصة الوجود لئلا يضيق نفس النفس بالحصر
وأجرى مجرى الهواء في جو الفضا يقتسم بمكاييل الحياشيم فيصل بالعدل
إلى ذوات الذوات . واعجباً للغافلين عن هذا المنعم بماذا اشتغلوا ؟
أجهلاً بوجوده ؟ فهو أوضح من ضحى أم ميلاً إلى الدنيا ؟ فهي أغدر
من تاء بتمتام إن سلمت فنتت وإن تلفت قتلت ، وقع نخل على لينوفر
منتشر الورق فأحب ريحه فأقام فلما تقبض الورق وغاص ، هلك
العاشق .

أخواني : إياكم والذنوب فإنها أذلت عزيزسز (إسجدوا) (٢)
وأخرجت مقطوع (اسكن) (٣) لولا لطف (فتلقى) (٤) كان العجب ،
استراح آدم إلى بعض العناقيد ، فإذا به في العناقيد ، جاءه جبريل فسلم
عليه فبكى وبكى جبريل ثم قال يا آدم ما يبكيك ؟ قال : كيف لا
أبكي وقد حولني من دار النعيم إلى دار البؤس ، واعجباً بمجيء جبريل
زاد المريض ألماً .

آه لبرق لمعا	ماذا بقلبي صنعنا
أيقظ مني للغرام	مستهاماً موجعا
فبت من إيماضه	أسكب دمعي دفعا
يا برق أما تريني	للصنيع موضعا
فجيتني عني أربعا	أكرم بهن أربعا
يا ناظراً أقسم من	بعد النوى لا هجعا

(١) سورة الملك ، الآية ١٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٤ .

كبر	مسد	فارقهم	على	الرقاد	أربعاً
كم	كبد	قطعها	بين	الحبيب	قطعا
حمل	وجدي	جلدي	أكثر	مما	وسعا

خرج آدم يوم الكعبة فلما وصل طاف أسبوعاً فما أتمه حتى خاض في دموعه .

دموع عيني مزجد بين مثل الدوالي وهي الدوالي

فشمت به إبليس حين نزل وما علم أن نزوله إلى دار التعبد صعود كنزول الغائص خلف الدر صعود . رأى في بدايته طيناً قد صلصل وبذراً قد عفن ونسي أنه ستهتز طاقاته في ربيع (فتلقى) ^(١) ويملك يا إبليس ما جرى على آدم وهو المراد من وجوده * (لو لم تذنبوا) ^(٢) قدح أريد كسره فسلم إلى مرتعش .

فلولا غليل الشوق أو لوعة الأسي لما خلقت لي أعين وجفون

لا يهولنك قوله (إهبطوا منها) ^(٣) فلك خلقتها وإنما أخرجت إلى مزرعة المجاهدة فإذا حصدت فعد إن قيل لك مرة (إهبط) ^(٤) ففي كل يوم تنادي ألف ألف مرة (والله يدعُو إلى دار السلام) ^(٥) إن تعذرت عن الحضرة مرة فزيارة الحبيب ما تنقطع (هل من سائل) ^(٦) الكرة تلتقى من صاحب الصولجان بالطرد ثم هو يطلبها .

ترجو في المحب عتق من أنت له إن كان كذا الحب فما أعدله

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٢) ولفظه (لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ليغفر لهم) رواه ابن حنبل (٢٨٩ / ١) عن ابن عباس مرفوعاً وهو حديث صحيح لغيره فقد ورد في عدة طرق وبعده ألفاظ ، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للإلباني ، حديث ٩٧٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٩ .

(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٣ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٢٥ .

(٦) أنظر البخاري ٣ / ٢٥ ، ٢٦ ، مسلم ١ / ٥٢١ / ١ الموطأ ١ / ٢١٤ .

هيهات الحب يعتربه وله من حكمه قضى عليه وله

يا آدم ؛ قد ذقت حلاوة الذنب وتطعمت مرارة الندم ، فهل
وفت بتلك ؟ أين لذاتك ؟ إذا نزل الموت كيف حسراتك ؟ إذا وقع
الفوت :

ما أسرع ما انقضى زمان الوصل هل يرجع ماضى برد الشمل
من لي بهم وهل مفيد من لي يكفي ما بي فلا تزد في عذلي

يا صبيان التوبة اشكروا من نجاكم بالإجابة (وكنتم على شقا
حفرة من النار) (١) تذكروا عظمة من عاهدتم (ولا تنقضوا
الأيمان بعد توكيدها) (٢) لا تزدروا أثواب الفقر فعلها أنوار
المهابة (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) (٣) لا
يصعبن على الخليل تضميرها فستفرح به يوم السباق إن قال لك رفاؤك :
إمش معنا ساعة فقل : أفعدي الخوف .

يا نديمي صحا القلب صحا فاطردا غني الصبا والمرحا
شمرا بردى للنسك ولا تعجبا من فاسد إن صلحا
زجر الحلم فؤاداً فارعوى ولحا الدهر امرأاً فيمن لحا

أيها 'تائب قل لقلبك الراعي في رياض الهدى ، إحذر من لفته إلى
خضراء دمن الهوى ، فمرعاك أطيب ، وشرابك أعذب (ولئن لم
يفعل ما أمره لیسجنن) (٤) نسيم الريح يقوي الروح ما لم
يختلط به بخار ردى كذلك كلام المذكورين إذا سلم من بدعة كان قوتاً
للنفس وإن مزجه هوى هوى بصاحبه إلى العلل .

كلامي نهر يأخذ من بحر الكتاب والسنة ، صاف ما تغير قط ، يسقي
قلوبكم سيحاً بلا كلف وقد قنع من الخراج بالدعا هل في مجلسي نقص ؟

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ . (٢) سورة النحل ، الآية ٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٩١ . (٤) سورة يوسف ، الآية ٣٣ .

فيقال لو أنه أو عيب، فيقال إلا أنه أو رأيتم مثله؟ فيقال كأنه، آه لو كان من أعجمي ولكنه أبلغ بلفظي منزل المعنى وما طال سفر العبارة، المعاني واسعة الفيافي والألفاظ ضيقة العراض وما يقدر على حشو العرصة فوق ما تسع إلا مهندس لآيء هذه المعاني لطاف، فأبي سلك فهم دق إنتظمت فيه وإنما ينظم اللؤلؤ في خيط لا في حبل، كلامي ثوب فصل على قدر أسماعكم فهو لا يصلح إلا لكم، لا تنكروا مدحي لأهل بغداد فهم فهم، لهذا البلد بدل؟ إذا مرضت الأفهام السليمة من وباء طعام العبارات الركيكة عمل لفظي في شفاؤها ولا رقي الهند كالم تداوى كل كالم ظلم، قياسها بعذوبة الظلم.

جواهر كلها ينمى توجد مفقودة المثال
تجنب الغائصون عنها عجزاً وجاشت بحارها لي

الفصل الثاني والتسعون

يا ديار الأحباب أقوى جديدها ، أين أسودها ؟ أم أين غيدها ؟
أين ظباء الهوى؟ مرت ومن يصيدها، تساوي في القبور موالها وعبيدها،
قف يا حبيبي بالرسوم وانظر نسخ النسيم بالسموم وتبديل الأفراح
بالغموم ، هيهات إن الدنيا لا تدوم إنها على قتلك تحوم . إثثار مثل هذه
لوم .

(للخفاجي) :

سل بعمدان أين ساكنه أو قل لنعمان أين أين السدير
أيها الظاعنون لا زال للغيث رواح عليكم وبكور
قد رأينا دياركم وعليها أثر من عفاكم مهجور
وسألنا أطلالكم فأجبت ومن الصمت واعظ ونذير
عجبا كيف لم نمت في مغانيها أسي ما القلوب إلا صخور
يا ديار الأحباب غيرك الدهر وكانت بعد الأمور أمور

أيها الباكي على أقاربه الأموات ، إبك على نفسك فالماضي قد فات
وتأهب لتزول البلايا وحلول الآفات وتذكر قول من إذا ذكرك قال
مات ، كأنك بما أتى الماضين قد أتاك . ولقد صاح بك نذيرهم ،
أنت غداً كذاك ، وليخرسن الموت بسطوته فاك ، إذا وافاك إنما اليوم
لهذا وغداً لذاك ، قرىء على قبر .

أنا في القبر وحيد قد تبرأ الأهل مني
أسلموني بذنوبي خبت أن لم تعف عني

يا هذا : لاحث الغاية لعين الشيب فصيح بخيل البدار مرحلة الشيب
تحط على شفير القبر « وقد أنجد من رأى حضناً » أنحمل مشاق السفر
من وراء النهر وتحاطر بالوقفة من نخلة .

يا هذا إذا ركبت مركب الهوى فاجعل باتاني المركب لمحاسبة النفس
فإنه يشم كل يوم ريح ثرى الأرض فيعلم هل هو على خطأ أو صواب ؟
ومتى لم يعلم الطريق صدمه حجر ففرق .

يا من يحدث وكأنه ما يسمع ، متى لم ينصت سمع القلب ضاع
الحديث ، أترى ينطبع في شمع سمعك من هذا حرف ، تحضرون
المجلس فرجة ؟ وتجعلون رجاء النفع حجة ولا تسلكون إلى العمل بحجة
(وما أبرئءَ نَفْسِي) ^(١) واعجباً ، تجتمع العزائم في المجلس اجتماع
الثريا فإذا خرجنا صارت كينات نعش لو تألمت عيب الدنيا لهان طلاقها :

سرور الدهر مقسرون بجزن فكن منه على حذر شديد
ففي يمناه تاج من نضار وفي يسراه قيد من حديد
آه للدينا ملكت القلب حين ملكت وأبقت الغم ثم أبقت .

ترودن منا كل قلب ومهجة وزودنا للوجد عض الأباهم
كم تألفت بجلو مذاقها ثم أتلفت بمر فراقها .

فليت عهدك إذ لم يبق لي أبداً لم يبق عندي عقابيلاً من السقم

لما كان الصانع غائباً عن الإحساس سطرت قدرته في ألواح التكوين
عجائب الكائنات ثم وضعت الألواح في حجور العقول ليقرأها أذهان
أطفال الطباع فإذا أحذق الصبيان وحفظ المكتوب محا السطور (إذا الشمس
كُوِّرَتْ وإذا النُجُومُ انْكَدَّرَتْ) ^(١) .

(١) سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة التكوين ، الآية ١ .

أخواني : عيون يقينكم رمدة والفكر تبريد، من أيقن بالموت كيف
يفرح ؟ من علم قرب الحساب كيف يلهو ؟ من عرف تقلب القلوب
كيف يأمن ؟

كان سفيان الثوري من شدة خوفه يبول الدم فحمل ماؤه إلى الطبيب
فقال هذا ماء رهبان هذا ماء رجل قد فتت الحزن كبده ، وحمل ماء
سري إلى الطبيب فلما نظر إليه قال هذا بول عاشق قال حامله فسقطت
ثم غشي علي ثم رجعت إلى سري فأخبرته فقال قاتله الله ما أبصره :

إذا أنا واجهت الصبا عاد بردها ومن حر أنفاسي عليه هيب
وقد أكثرت في الأطباء قولهم ومالي إلا أن أراك طبيب
قيل لبعض عقلاء المجانين لم سميت مجنوناً ؟ قال لما طال حبسي
عنه في الدنيا سميت مجنوناً لخوف فراقه :

قلبي بجبك ما يفيق وجفن عيني ما ينام
قد طال فيك الليل حتى ما يقال له انصرام
والنجم فيه راكد والفجر يمنعه الظلام
ليل بغير نهاية ولكل مفتاح ختام
في وصلك العيش الهني وهجرك الموت الزؤام

إن لم تكن مع القوم في السفر تلمح آثار الحبيب عليهم وقت
الضحى ، ترى في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار « وجوه
زهاها الحسن أن تتبرقعا » .

قال بعض السلف : لقيت غلاماً في طريق مكة فقلت له : أما
تستوحش ؟ فقال إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة قلت : فأين ألقاك؟
قال : أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي وأما في الآخرة فإنها مجمع
المتقين . قلت : فأين أطلبك في الآخرة ؟ قال : أطلبني في جملة الناظرين
إلى الله تعالى . قلت : وكيف علمت ؟ قال : بغض طرفي عن كل
محرم واجتنائي فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه
ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري .

(للشريف الرضي) : (١)

إلا وقلبي إليكم شيقٌ عَجِلُ
إليكم الحافزانِ : الشوق والأملُ
وإن قعدتُ فمالي غيركم شُغْلُ
يستأذنون على قلبي فما وصلوا

وما تَلَوَّمْ جِسمي عن لقاءكمُ
وكيف يَقَعْدُ مشتاقٌ يحرْكُهُ
فإن نهضتُ فمالي غيركم وطْرُ
وكم تعرّضَ لي الأَقوامُ بعدكم

(١) شعر كتبه إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة ، أنظر الديوان ٢ / ٢٢٨ .

الفصل الثالث والتسعون

سبحان من فاوت بين القلوب فمنها ما لا يصلح إلا لخدمة الدنيا
ومنها ما لا يصلح إلا للتعبد ومنها روحاني مشغول بمحبة الخالق (للمتنبى) :

أروح وقد ختمتُ على فؤادي بجزك أن يحل به سواك
فلو أني استطعت غضضت طرفي فلم أبصر به حتى أراك
أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراك
ويقبح من سواك الفعلُ عندي فتفعله فيحسنُ منك ذاك
وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعي معه اشتراك
إذا اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكى
فأما من بكى فيذوب شوقاً وينطق بالهوى من قد تباكى

النهار يزيد في كرب المحب والليل يروحه السحر روضة نجدية يجد
فيها المحب ضالة وجده ، شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق ، لو رأيت
المحب في الليل يتقلقل ويناجي حبيبه ثم يتململ وكلما أزعجه الشوق تحير
وتبليل ، وما ألد ما يصف حاله ويتعمل .

أحباي أما جفن عيني فمقروح وأما فؤادي فهو بالشوق مجروح
يدكرني مر النسيم عهدكم فأزداد شوقاً كلما هب الريح
أراني إذا ما الليل أظلم أشرقت بقلبي من نار الغرام مصابيح
أصلي بذكراكم إذا كنت خالياً إلا أن تذكرك الأوبة تسبيح
يشح فؤادي أن يخامر سره سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح

لو لبس أحد المحبين حلة علم أنه من الزهاد ، كيف يخفي الليل
بدرأ طالماً « كم بالغوا في كتم الحال ؟ وستر الحب محال :

اسائل عمن لا أريد وإنما أريدكم من بينهم بسؤال
فيعثر ما بين الكلام ورجعه لساني بكم حتى يتم بحالي
وأطوي على ما تعلمون جوانحي وأظهر للعذال أني سال

كلما قوي حامل المحبة « زيد في حمله » نحن معاصر الأنبياء أشد
الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل «^(١) فوران قدر القلب من قدر شدة الإيقاد ،
كان يسمع لصادر الخليل أزيز من بعيد خوفاً من الله تعالى وكذلك نبينا
صلى الله عليه وسلم يصلي والخوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء ،
كان الوحي إذا نزل عليه وهو على ناقته أثر فيها فربما وتدت يديها
في الأرض وربما بركت لثقل الوحي .

(للشريف الرضى) .

أحست بناري في ضلوعي فأصبحت يحب بها حر الغرام ويوضع
تحنين إلا أن بي لأبك الهوى ولي لالك الألف الخليط المودع
وباتت تشكي تحت رحلي ضامراً كلانا إذن يا ناق نضو مفتح

أماعت قلوبهم بالخوف فهاتبهم الجوامد فالحجر يسلم على الرسول
صلى الله عليه وسلم والسكين لا تعمل في الذبيح ، مالك أيتها المدينة
وعادتك القتع ؟ قالت بلسان الحال : أخواتي تحز رقاب الكفار ،
وأنا قد ابتليت بقطع عنق إسماعيل فقد وقفت مدهوشة بالبلوى فعندي
شغل ، قطع يد زليخا يجوز فأما يد يوسف فمشكل أتراك تحلو لك
عباراتي ؟ أو تفهم إشاراتي ، كم أجلو عليك عرائس المحبة ؟ ولست
كفوأ ، وإنما يحل النظر لمن يعتقد ، أقل أحوال القوم رفض الهوى

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ٢ / ٦٤ ، وابن ماجه ٤٠٢٣ ، والدارمي ٢ / ٢٢٠

والطحاوي ٣ / ٦١ وابن حبان ٦٩٩ والحاكم ١ / ٤٠ ، وأحمد ١ / ١٧٢ ،

١٧٤ ولفظه (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ..) الحديث .

وهذا كالمستحيل عندك ، كانوا إذا ابتلوا صبروا ثم صاروا إذا ابتلوا
شكروا ، ثم رأوا في البلى المبتلى ، فسكروا ، أين الذين أصفهم ؟ مروا
وعبروا .

ليس بالصب من يحرك بالشكوى لساناً ويودع الدمع خدا
أيها الواثق الذي جعل الكتمان بين الوشاة والحب سدا
صاح لولا صوفي الغرام لأجريت دموعاً توفى على البحر مدا
قل لحي على اللوى والكثيب الفرد جاد الحيا الكثيب الفرد
قد وقفنا من بعدكم نسأل البان ضلالاً عنكم ونشكو الرندا
أين تبغي يا حادي الركب أفنيت المطايا سيراً ذميلاً ووخدا
قف قليلاً في الربع وارفق فما أبقيت منها إلا عظماً وجلدا
فلدار الهوى علينا حقوق إن تركنا اداءها كان ادا
يا بني الورد والوفاء وما أسمع إلا قولاً وفاءً وودا
لم نقضتم من غير جرم عهداً ما نقضنا منها على الرمل عهدا

كم أنشر بز المحبة ولا أرى إلا مفلسا ، تزهوا في السلع فسهل
على طي المنشور ، ما أحلى ذكر الأحباب ما أطيب حديث أولى الألباب
(لصردر) : (١)

أيه أحاديث « نعمان » وساكنه إن الحديث عن الأحباب أسمارُ
أفتشُ الريحَ عنكم كلما نفحتُ من نحو أرضكم نكبَاءَ معطارُ
تمكن الحب من حبات قلوبهم فأخرجهم إلى الوله فلو رأيتموهم
لقلم مجانين .

قد لج بني الغرام حتى قالوا قد جن بهم وهكنا البلبال
الموت إذا رضيتم سلسال في مثل هواك ترخص الآجال
كانت زابعة تقول : لقد طالت علي الأيام والليالي بالشوق إلى الله
تعالى .

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير ابن فسنجس ، أنظر الديوان ص ٢٧ .

أمرت عنك بصبر وليس لي عنك صبر
يا آمري بالتسلي ما لي مع الشوق أمر

قال الشبلي : رأيت جارية حبشية فقلت من أين ؟ قالت من عند
الحبيب قلت : ولإي أين ؟ قالت : إلى الحبيب قلت : ما تريد من
الحبيب ؟ قالت : الحبيب .

وجدي بكم وصفو ودي لكم والقلب فمذ نأتم عندكم
عيني عين لبعدكم بعدكم لو شقوا قلبي لما رأوا غيركم

الفصل الرابع والتسعون

يا هذا اشتغلت بفنون تعليك عن ذكر تحويلك وستسلب من أخيك
وخيلك وعلى تخييطك وتخيلك .

كأنك بالمضي إلى سبيك وقد جد المجهز في رحيلك
وجيء بغاسل فاستعجلوه بقولهم له أفرغ من غسيلك
ولم تحمل سوى كفن وقطن إليهم من كثيرك أو قليلك
وقد مد الرجال إليك نعشاً فأنت عليه ممدود بطولك
وَصَلُّوا ثم أنهم تَدَاعَوْا لحملك في بكورك أو أصيلك
ولما أسلموك نزلت قبرك ومن لك بالسلامة في نزولك
أعانك يوم تدخله رحيم رؤف بالعباد على دخولك
فسوف تجاور الموتى طويلاً فدعني من قصيرك أو طويلك
أخي إني نصحتك فاستمع لي وبالله استعنت على قبولك
ألست ترى المنايا كل يوم تصيبك في أخيك وفي خيلك

أخواني : ما من الموت بد، باب البقاء في الدنيا قد سد كم قد في
القبر قد قد ؟ كم خد في الأخلود خد ؟ يا من ذنوبه لا تحصى إن
شككت عد ، يا من أتى باب الإنابة كاذباً فرد لقد حملت على نفسك
ما يثقلها ، فحسبك ما قد مضى أتقتلها ؟ يا طول سفرة الموت أولها أين
جزع النفس ؟ أين تملمها ؟ كأنها بالمرض قد نزل يزلها وبعث إليها
رائد الأسف يستعجلها ، الحذر الحذر فقد فوق السهام مرسلها ،
الدروع الدروع فقد جلى السيوف صيقلها ما هذه الحصال المذمومة ؟
اتؤثر العقول لذة مسمومة ؟ ما هذا الحرص ؟ والأرزاق مقسومة ،

أنسيت يوم تنشر الصحف المختومة ؟ أما تعلم أنها ستظهر قبائح مكتومة ؟
يا لها لوعظة بين المواعظ كالأيام المعلومة أحسن من الأليء المنثورة
وأعجب من العقود المنظومة العلم والعمل تويمان أهمها علو الهمة .

أيها المعلم تثبت على المبتدى (وقدّر في السرد)^(١) فللعالم رسوخ
وللمتعلم قلق ويا أيها الطالب تواضع في الطلب فإن التراب بينا هو تحت
الأخمص صار ظهور للوجه ، السهر مرقى إلى أطيب مرقد :
المون في طلب الهوينا كامن وجمالة الأخطار في الأخطار

قلب العالم بحر ما للجنة قرار ، إذا نزل غواص الفكر ترقى إلى
ساحل اللسان قدر الامكان ، مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تفتح
لسزرع قلبه . سيعاً بعد سيع ، ويدخر أصفها قوتاً للروح ، فإذا
تكاثرت عليه صاح السيل العالم ينفخ في صور فيه بعبارة التخويف فيموت
هوى المعاصي ، ثم ينفخ في صور التشويق فيحيي روح المعرفة فيخرج
الثاب من قبر غفلته في كفن يقظته وقد بدلت الأرض غير الأرض فيفتح
له رضوان الرضا باب جنة الوصل .

لا تظنوا العالم شخصاً واحداً، العالم عالم تصانيف العالم أولاده
المخلدون دون أولاده ، من خلق للعلم شف جوهره من الصغر فقرأه
ينفق في الجدد بضاعة الشيبية ويسابق سائق العجز ، يصل الكدود ليليه
بنهاره ، كدود القز في زمان الشدة فإذا امتلاً وعاء قلبه
بما وعى نسج الفهم في زوايا الذهن من المعاني المستنبطة نسج القز فإذا
رأى عرباناً من العلم فأراد كسوته بعث الفكر فسل من لطائف اللطف
طاقات ثم أرسلها إلى صانع القوة فبالغ في تحسينها وتأنق في تلوينها ثم
ينسجها اللسان على منوال البلاغة فتظهر رقوم نقوشها عن شذود عقدها
الفظن الباطنة فإذا الثوب نسج وحده ومثل تلك المطارف الطرائف لا
تبتذل إلا في عيد مجلس الذكر، ليس كل من ربي دود القز سلالا ولا
كل قرزاز سقلا طونيا .

(١) سورة سبأ ، الآية ١١ .

آه ، من اشترك الأسماء وتلقيب القصدير بالبيع ، ليس كل معدن
عرق الذهب ، ولا في بطن كل غزال مسك ، ليس من عام في قرار
البحر حتى وقع بالدر اليتيم كمن قعد على الساحل يجمع الصدف ، أمراء
العبارات رعية لفصاحتي ، ويك إنه كيل بلا ثمن سقى فصاحتي سيح
فقد تضاعفت علي زكاة الشكر ، سافر لفظي ببضائع فكري من أرض
قلبي إلى بادية فمي فسلم سلع النطق إلى منادى لساني هيهات فواكه
الألفاظ اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة ليس لها ثمن * فهو يعرضها في
موسم النصح على تجار الإرادة ، فمن منكم يشترى حكمة بقبول ؟
قد يرى علو مكاني وينسى الدرج كم قد خضت بجرأ ملحاً ؟ حتى
وقعت بعذب ، كم قطعت مهمها وحدي ؟ حتى سميت بالدليل أنضيت
مركب الجسم ورفضت شهوات الحس وواصلت الليل بالنهار في الجدد
وأنقذت في دجى الهوى نار الصبر فإن وثقت بأمانتي فهذا تخيير الشراء :

شربت لأغلاي ، رحيقاً بسلسال من الشاهق العالي على غير تصريح
فأصبحت نشوانا من الشرب سكرانا وأطرب أحياناً بلا نغمة العود
وكم جبت من واد وسرت بلا حاد وبت بلا زادسوى ذكر معبودي

الفصل الخامس والتسعون

كم تنذر الدنيا وما تسمع ! وكم تؤنس مجبها من وصلها ويطمع !
فالعجب من فطن غره سراب يلمع .

يأتي على الناس اصباح وامساء وكلنا لصروف الدهر نساء
خسست يا دار دنيانا وربتما يرضى الحسيمة أوباش أخساء
إذا تعطفت يوماً كنت قاسية وإن نظرت بعين فهي شوساء
وقد نطقت بأصناف العظاات لنا وأنت فيما يراك الناس خرساء
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت لهم عزة في الملك قعساء
نالوا يسيراً من اللذات وارتحلوا برغمهم فإذا النعماء بأساء

الدنيا دار كدر بذلك جرى القدر فإن صفا عيش لحظة ندر ، ثم
عاد التخليط فيذر الورود فيها كالصدر ودم قتيها هدر .

المرء من دنياه في كلف ومآله فيها إلى التللف
ولكل شيء فائت خلف وحياتنا فوت بلا خلف

يا لاحقاً بآبائه وأمهاته لا بد أن يصير الطلا إلى مهاته ، يا من جل
همته شغل خياطه وطهاته يغلبه الهوى وهو غالب دهاته ، إن كان لك
عذر في تفريطك ، فهاته .

أخواني : مر الزمان وعظ الألباب ويكفي في الانذار موت
الأصحاب ، كم ترى في التراب من أتراب ؟ أغمدت تلك السيوف
في شر قراب تناولتهم يد البلى من كف استلاب ، ويحك ضياء الدنيا
ضباب ، وشراب الهوى سراب ، أترضى أن يقال قد خاب ؟ أما لهذا
عندك جواب ؟ كلما دخلنا من باب خرجت من باب .

(للشريف الرضى) :

أذكر تصاب والمشيبي نقاب وغير الغواني للمشيبي صحاب
أومل ما لا يبلغ العمر بعضه كان الذي بعد المشيب شباب
وطعم لبازي الموت لاشك مهجتي اسف على رأسي فطار غراب
وانقل محمول على العين ماؤها إذا بان أحباب وعز إياب

لله در أقوام علموا قرب الرحيل فهبثوا آلة السفر وهونوا بالدنيا
فقتنوا منها مما حضر واستوثقوا بقفل التقوى من أذى النطق والنظر ؟
ما لك خبر بجالمهم ولا عندك منهم خبر ، قاموا في الجد وقعدت وسهروا
في الدجى ورقدت طالما نصبوا في خدمة المالك ، وناقشوا أنفسهم مناقشة
مماحك ، وآثروا بالزاد فزادوا على البرامك ، واختبروا بالبلى كالتبر عن
السابك ، هذه طريقهم فأين السالك ؟ أترضى بالتأخر عنهم ؟ هذا برائك
كأنك بهم وقد دخلت على الملاء الملائك ، كل يا من لم يأكل هذا
بدلك لما أريدوا أفيدوا لما شكروا المنعم زيدوا ولو فترواعن التبعيد قيدوا .
نام العلاء بن زياد ليلة عن ورده فجذب في نومه بناصيته وقيل له قسم
إلى صلاتك فما زالت الأخبار قائمة في حياته (نحنُ جعلناها
تذكيرة) (١) .

قال أبو سليمان : غلبتني عيني ، فإذا أنا بالخوراء قد ركضتني
برجلها وهي تقول : أترقد عينك ؟ والملك يظان ؟ قال : ونمت ليلة
أخرى وإذا بها توقظني وتقول : أتنام ؟ وأنا أرتي لك في الحدور منذ
خمسمائة عام .

(للنابغة الذبياني) : (٢)

أقول والنجم قد مالت أواخره
المسححة من سنا برق رأى بصري
أنبت نعمة على الهجران عاتبة
إلى المغيب تبين نظرة حار
أموجه نعم بدالي أم سنا نار
سقياً ورعياً لذلك العاتب الزاري

(٢) أنظر ديوان النابغة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(١) سورة الواقعة ، الآية ٧٣ .

قلوب القوم في الدجى قلقة وافئدتهم من الخوف محترقة والنفوس
من هجر الحبيب فرقة وجفونهم من البكاء غرقة ، وعروق المحبة في
سويدائهم علقة وشفاههم بكأس المناجاة مصطحبة مغتبكة والآمال إليه
كل وقت منطلقة وما عادت قط إلا وهي بالرجاء عبقة .

قل للمقيمين على وادي الحمى غني إذا أتيتهم مسلما
قد صار طيب العيش مذ فارقتكم على من بعدكم محرما
وكل شهد ذقته في وصلكم قد عاد من بعد الفراق علقما
لا عيش لي إن غبتم عن ناظري وإن حضرتم ربما وربما
إن سألوك عن سقام قد رثي لي فيه أهل الأرض مع أهل السما
فقل لهم ما يشتكي من سقم لأنه يذكر فيه المسقما

واحسرة من مضوا وخلفوه، لقد استبدل بالعسل الخل فوه، آه على
عيش ولي ولا عودة وعلى حاد سرى ولا وقفة تالله لو ضارت العين
عيناً ما وفّت .

(للمهيار) : (١)

يا لنسيم سحرٍ « بحاجز » ردت به عهد الصبا ريح الصبا
سل من يدلّ الناشرين « بالفضا » على الطريق ويرد السلبا
أراجع لي والبي هلهلة وطلع نجم زمان غربا
إذا اطمأنت أضلعي تذكرت نواك فاهزت جوى لا طربا

تالله ما تعشق الأماكن لذاتها ، بل لسابق لذاتها « لك يا منازل في
القلوب منازل » للمعاهد عهد عند المعاهدة كلما تذكره الصب صب
الدموع .

(للمتنبي) : (٢)

(١) من قصيدة كتب بها إلى صديقه أبي المنصور الحسن بن علي بن المزرع ، أنظر ديوان شعره .

١٢٠/١ - ١٢٥ .

(٢) من قصيدة قالها عام ٣٤٢ ، الديوان ٣٤٧ - ٣٥٢ .

وما شَرَقِي بالماء إلا تذكراً
وما عشتُ من بعد الأجابة سلوةً
أما في النجوم السائرات وغيرها
لعمري على ضوء الصباح دليل
لما به أهل الحبيب نزولُ
ولكنني للنائبات حمول

أعرف الناس بالطريق من قد سلك إذا ذكرت منازل مكة حن
الحاج .

(للمهيار) : (١)

وإذا هب صبياً أرضكم
رُدَّ لي يوماً على « وادي مني » (٢)
عجباً لي كيف أبقى بعدهم
حملتُ تُربَ الغضى باناً ورنداً
إن قضى الله لأمر فات رداً
غير أن قد خلق الإنسان جَلداً

(١) من قصيدة كتبها للوزير أبي المعالي هنته بالنيروز، أنظر ديوان شمسه ١/ ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٢) في الديوان « كاظمة » .

الفصل السادس والتسعون

يا من قد ملكته نفسه وغلبه حسه وقد دنا حبسه وستكف خمسه ولقد
أنذره جنسه ، عاتب نفسك لعلها ترعوي وسلمها إلى راض العلم عساها
تستوي أحضر دستور المحاسبة وحاسبها وانديها إلى الخير فإن أبت فانديها.

(للمصنف)

يا ويحّ نفسٍ رضيت بالسقم
تستر باللهو وتنس حفتها
وكلما أصبحت أبكي فعلها
تفرح بالفاني فما تطلب ما
أقول يا نفس اتقي من لم يزل
كم من ذنوب لك قدسترها
وكم له من نعمة جاد بها
كم واعظ في كل يومٍ زاجر
وكم يناديك لسانُ عبرة
أين الذين شيدوا واحترسوا
مضى الجميع هل ترى من أثر
تبدلوا بالترب تربا كلهم
تفصلت عظامهم وحصلت
وباشروا التراب بعد ترف
وسرر ودرى وطرف
ولذة في شهوة لذيدة
لو قيل قولوا ما مناكم طلبوا

وفرطت في عمر منصرم
وتوثر البعد على التقدم
أضحت عناداً لي في تبسم
يبقى لها فمن يكون حكيم
معروفه فوق وكف الديم
وعاد بالفضل وبالتكرم
وكم وكم أولاك طيب أنعم
وكم نذير زائر مسلم
وأنت عن قول الهدى في صمم
وأين من كان كثير النعم
لهم وصاروا في بيوت الظلم
في قعر لحد ضيق منهدم
أعمالهم وأصبحوا كالعدم
وشرف وحجب وخدم
وتحف ووصولة وكرم
وعزة في عزمة وهمم
حياة يوم ليتوبوا فاعلم

ويحك يا نفسُ ألا تيقظ
مضى الزمان في توان وهوى
لانتظري الموت سيأتي بغتة
وحرق وفرق وحسرة
وترحلين عن ديار الفة
من لي إذا نزلت لحداً مظلماً
من لي إذا قرأت ما أملتته
من لي إذا أزعج قلبي حسرة
كيف الخلاص والكتاب قد حوى
يا نفس فاز الصالحون بالتقى
يا حسنهم والليلُ قد جنهم
ترنموا بالذكر في ليلهم
قلوبهم للذكر قد تفرغت
أسحارهم بهم لم قد أشرفت
سار وأوعدت عن طريق واضح
دعي أبكي ما حيت أبداً

ينفع قبل أن نزل قدمي
فاستدركي ما قد بقي واغتني
وأنت بين أسف وندم
وفيض دمع العين في تسجم
فانتبهي من رقعات النوم
هذا وكم من نازل لم يسلم
أصبح مسطور جرى بالقلم
وهل ترى يشفى بفوزي ألمي
كلّ فعالي وجميع كلمي
فأبصروا الرشد وقلبي قد عمي
ونورهم يفوق نور الأنجم
فعيشهم قد طاب بالترنم
دموعهم كلؤلؤ منتظم
وخلع الغفران خير القسم
دل على الرشد دليل العلم
فحق لي أبكي فلا لا تلم

يا عجباً لك تسمى باسم تاجر، وتخاصم على الدرهم وتشاجر،
وتصابر لربح القيراط الهواجر^(١) وتغضب لأجل الجبة وتهاجر وترضى
في أفعالك باسم فاجر أما لك من عقلك ناه ولا زاجر؟ يا من نومه كثير
وانتباهه نادر إن دعيت إلى التوبة سوفتها وإن قمت إلى الصلوة سففتها
وإن لاح وجه الدنيا ترشفتها، أما هي دار بلغة لضيئها، تضيفتها أوليس
قد شبت وما عرفتها كم بادية في أرباح غير بادية تعسفتها؟ لقد استشعرت
محبته أي والله والتحفتها، تالله لو علمت جنبايتها لعفتها، أنسيت تلك
الذنوب التي أسلفتها؟ آه لبضائع عمر بذرت فيها وأتلفتها، كم تعدد
بالإنابة؟ وكل الوعود أحلفتها فما تلين قناتك لغامز ولا ترى ما تشتهي
فتجاوز ويحك، بين يديك أهوال وهزاهز كم تقوم ولا تستوي؟ من

(١) المهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس، أي وقت اشتداد الحر.

يغير الغرائز إبتك لما بك واندب في شيبك على شبابك وتأهب لسيف
المنون فقد علق الشبابك .

قد كان عمرك ميلا فأصبح الميل شبرا
وأصبح الشبر عقدا فاحفر لنفسك قبرا

عجباً للطرف كيف اغتمض ؟ ولمكلف ما أدى المفترض، يا من
كلما بنى على أن يلوذ بنا نقض ، يا من إذا أدى حقاً ، فعلى مضض ،
يا من إذا لاح له صيد الفاني جد وركض ، يا من إذا قدر على جيفة
الهوى جثم وربض ، يا مشغولاً عن الجوهر بفاني العرض إثار ما
يفنى على ما يبقى أشد المرض :

ألا يا غافلاً تخصى عليه من العمل الصغيرة والكبيرة
يُصاحُ به ويُنذر كل يوم وقد أنسته غفلته مصيره
تأهب للرحيل فقد تدانى وأندرك الرحيل أخ وجيره
وكم ذنب أتيت على بصيره وعينك بالذي تأتي قريره
تحاذر أن تراك هناك عين وإن عليك للعين البصيره
وكم من مدخل لومست فيه لكنك به زكالا في العشيره
وقيت السوء والمكروه منه ورحت بنعمة فيه ستيره

هذا حادي الممات قد أسرع ، هذه سيوف الملمات تلمع ، هذه
قصور الأقران بلقع ، إن وصلت الدنيا فعلى نية أن تقطع: وإن بذلت
فعلى عزم أن تمنع، أفيها حيلة أم في وصلها مطمع ؟ يا معرقاً في البلى قل
لي لمن تجمع ؟ إذا خلوت وتخلت فكيف تصنع ؟ أترى أنت عندنا ؟ أو
ما تسمع ؟ يا محبوساً في سجن هواه متى تتخلص ؟ لو عرفتنا ألفتنا لنا
أحباب لهم ألباب هم اللباب شغلهم على الدوام المحراب حاضرون معكم
بالأبدان وبالقلوب غياب :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك فإنه شغلي
وأديم نحو محدثي نظري إني قد فهمت وعندكم عقلي

ما نال الصالحون ما نالوا إلا بترك ما نطلبه وما نالوا ، كانت همهم في طلب الفضائل تغلي في القلوب غليان ما في القدور، تخايل القوم للذة الثواب فسهلت عليهم مرارات الصبر وتصوروا خلود الأبدان فهان عليهم بذل النفوس ، جدوا في الجهد فما سكنوا حتى سكنوا الجنة ، وراحة المؤمن في الدنيا صفر من راحة ، فلو رأيتهم في الجنان يسرحون منطلقين في أغراضهم يمرحون لا يدرون بأي مطلوب يفرحون ، أبالنجاه من الذبران ؟ أم بالخلود في الجنان ؟ أم بالخيرات الحسان ؟ أم برضى المليك الديان ؟ لقد نالوا بالمراد ، ما لم يكن في الحسبان ، من تلمح جولان مضر الصبر في لذيذ العافية * وفرحة المفطر بعد انصاب الصوم وتناول العذب بعد عذاب الظما ، وسلامة الغريق بعد الإغراق في أذى الأذى، وخلص التجر من مصر ماصر المكس وتلاقي الأحباب على باب الطول بعد طول الفراق رأى من قوة قرّة العين ما لا يدخل تحت قياس بعد أن حذق ياس، وقد وصفنا ما حصل للقوم وجملة المبدول من الثمن (بما صَبَرْتُمْ) (١) .

قف بالمحصب واسئل أيها الرجل تلك الرسوم عن الأحباب ما فعلوا
فما اسائل عن آثارهم أحدا إلا أجاب غراب البين قد رحلوا

الفصل السابع والتسعون

من ركب الهوى هوى به والنفس إذا استعملت التقوى تقوى به •
إن كنت يا صاح لبياً حازماً فكن لأسباب الهوى مُراغماً
لا تهو دنياك فإن جبهها رأس الخطايا تكسب المآتما
غرارة فكل من حلت له لا بد أن تذيقه العلاقما
وإنما تخدم من أهاتها كما تهين من أتاها خادما
فكن بها مثل غريب مصلح أزواده على الرحيل عازما
وبادر الأيام قبل فوتها مخاصماً للنفس أو مسالما
فإنما عمر الفتي سوق له يروح عنها خاسراً أو غانماً

يا من يخطي على نفسه ويقترف متى تندم وتتعترف ؟ يا من بحب
العاجل قد كلف ستعلم غداً جفن من يكف، يا محبوساً في سجن الهوى
لو ارعوى أنف ، يا متردداً في التوبة سارع ولا تقف إلى متى أعمالك
كلها قباح ؟ إلى كم فساد ؟ متى يكون الصلاح ؟ ستفارق هذه الأجساد
الأرواح أما في غدو وإمسا في رواح ، سيفنى هذا المساء والصبح
وسيخلو البلى بالوجوه الصباح أفي هذا شك ؟ والأمر صراح ، أين شارب
الراح ؟ راح إلى قبر تسفي عليه الرياح، خلى للبلى والدود مباح لهما
اغتياب به ثم اصطباح، عليه نطاق من التراب ووشاح عنوانه لا يزال مفهومه
لا براح، مشغول عمن بكى عليه وناح ، أما هذا لنا عن قليل ؟ إنا لوقاح
كأنك بملك الموت قد صوت بالروح وراح فتأهب للنقلة على غفلة :

لم لادر بالبين حتى أزمعوا ظعنأ كل الجمال قبيل الصبح مزوم

هَذَا حَادِي الرِّحِيلِ قَدْ اسْتَعْجَلَكُمْ فَالْبِدَارِ الْبِدَارِ خَلَوْا كَسَلِكُمْ وَدَعُوا
التَّوَانِي فَالتَّوَانِي قَدْ قَتَلَكُمْ، وَأَسْفِي سَبَقَ الصَّالِحُونَ فَمَاذَا شَغَلَكُمْ (فَسْتَدْكُرُونَ
مَا أَقُولُ لَكُمْ) :

مَا عَلَى حَادِي الْمَطَايَا لَوْ تَرَفَّقَ رِيثَمَا أَسْكَبَ دَمْعِي ثُمَّ أَعْتَقَ
يَا فُؤَادًا كَلِمًا قَلْتَ خَبِثَ نَارُهُ أَهْبَهُ الْوَجْدَ فَأَحْرَقَ
ذَلِكَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِهِ سَائِقُ الدَّهْرِ فَوَلَّى أَيْنَ يَلْحَقُ
زَالَ إِلَّا خَطْرَةٌ مِنْ ذَكَرَهُ كَادَ إِنْسَانِي لَهَا بِالْدمَعِ يَشْرُقُ
يَلْدَعُ الْقَلْبَ إِذَا غَنَى عَلَى فَنِّ أَوْ نَاحِ قَمْرِي مَطْوُوقٌ

يَا مَعْدُودًا مَعَ الشَّيْبِ فِي الصَّبِيَّانِ يَا مَجْبُوسًا مَعَ الْبَصْرَاءِ فِي الْعَمِيَّانِ ،
يَا وَاقِفًا فِي الْمَاءِ وَهُوَ ظَمَانٌ ، يَا عَارِفًا بِالطَّرِيقِ وَهُوَ حَيْرَانٌ ، أَمَا وَعَظْتَ
بِآيِ الْقُرْآنِ ؟ أَمَا زُجِرْتَ بِنَايِ الْأَقْرَانِ ؟ أَمَا تَعْتَبِرُ بِصُرُوفِ الزَّمَانِ ؟
أَتَعْمُرُ الْمَنْزَلَ وَعَلَى الرِّحِيلِ السَّكَّانِ ؟ أَمَا يَكْفِي وَعَظٌ ؟
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهِمَا فَانٌ) ^(١) تَسَافِرُ بِيضَائِعِ الْأَمَانَةِ وَمَا تَنْزِلُ
إِلَّا فِي خَانَ مِنْ خَانَ ، أَفَعَالِكَ كُلُّهَا مَكْتُوبَةٌ فَيَا لَيْتَ مَا كَانَ مَا كَانَ ؛ تَدْفِنُ
الْمَيْتَ وَلَا وَعَظَ كَالْعِيَّانِ ، ثُمَّ تَعُودُ غَافِلًا يَا قَرِيبَ ذَا النِّسْيَانِ ، وَيَحْكُ
أَمَا تَدْرِي أَنَّ الْهُوَى هَوَانٌ (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) ^(٢)

نَرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَنَسْكُنُ حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتُ
كُرُوعَةٍ ثَلَاثَةٌ لظَهُورِ ذَنْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتِ رَاتِعَاتُ

يَا مُسْتَأْنَسًا بِظِلِّ مُتَقَلِّصٍ يَا حَرِيصًا عَلَى الْهُوَى وَالْمَوْتِ عَلَيْهِ يَجْرُصُ ،
يَا مِنْ إِذَا كَالِ فَمُطْفَفٍ وَإِنْ وَزْنَ فَمُتَلَصِّصٍ ، مَا تَتَخَلَّصُ مِنْ مُعَامِلٍ
وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مُتَخَلِّصٌ ، تَفَكَّرَ فِيمَنْ أَصْبَحَ مُسْرُورًا فَأَمْسَى وَهُوَ مُتَنَغِّصٌ ،
وَمَتَى أَزْدَدْتَ لَذَّةً فَادْكُرْ قَبْلَهَا الْمُنَغِّصَ ، حَاسِبٌ نَفْسَكَ وَخَذَ عَلَى يَدَيْهَا ،
لَا تَرْتَخِصُ حَائِطَ الْبَاطِنِ خَرَابٍ فَلَمَّاذَا تَجْبِصُصُ ؟ .

(٢) سُورَةُ يَسٍ ، آيَةُ ٦٠ .

(١) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ، آيَةُ ٢٦ .

يا بن آدم أنت بين ذنب لا تدري أغفر؟ وحسنه لا تدري
أقبلت؟ فأين الإنزعاج؟ لما سرت عن الصالحين العواقب إستراحوا إلى
الأحزان وفزعوا إلى البكاء، كانوا يتزاورون فلا تجري في خلوة الزيارة
إلا دموع الحذر * كان أشعث الحراي يزور حبيب العجمي فيبكيان
طول النهار .

باحث بسري في الهوى أدعي ودلت الواشي على موضعي
يا قوم إن كنتم على مذهبي في الوجد والحزن فنوحوا معي
يحق لي أبكي على زلتي فلا تلوموني على أدمي

أخواني : أتدرون ما أقبل هذا التائب؟ أعلمتم ما أقدم هذا الغائب؟ .
سرى نسيم الصبا من حاجر فصبا فبات يشكو إلى أنفاسه الوصبا
ما يبرح البارق والتجدي يذكره نجداً ويلهبه وجداً إذا التهبأ
يحق لمن رأى الراحلين إلى الحبيب وهو قاعد أن يبكي ولمن سمع
بأخبار الواصلين وهو متباعد أن يقلق .

أبصر الركب على الجزع ضحى فتوالى دمعه منسفا
يا خليلي بجرعاء الحمى سائلاً من حل ذلك الابطحا
ونذا عني أحاديث الغضا بنخل الراوي بها أو سمحا
واستملاها بدمعي واكتبا عن أخي الشوق إذا ما شرحا
وإذا هب الصبا قولاً له عد فقد هيجت قلباً ما صحا
يا أهل الحسي من كاظمة عاد مستور الهوى مفتضحا

إذا رأيتم قلقاً فارحموه وإذا شاهدتم باكياً فوافقوه وإذا عاينتم
واجداً فاتركوه .

خلني من العذل ما الفؤاد من قلبي
لا تسل ففي كبدي شعلة من الشعل

يا أطفال الهوى أين أنتم والرجال؟ :

كم من حث وما أرى غير بطا لو حركت العزم نحونا فضل خطأ
تعصى قصداً وتدعيه غلطاً تصمي عمداً وتزعم القتل خطأ

يا هذا إذا هممت ببحر فبادر لثلا تغلب، وإذا هممت بشر فسوف
هواك لعلك تغلب ، ثقف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك فإن سياسة
الأخلاق مراقبي المعالي .

قال بزرجمهر : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتى من الكلب
والهر والغراب : قيل ما أخذت من الكلب ؟ قال : ذبه عن حريمه وإلفه
لأهله قيل : فما أخذت من الهر؟ قال : رفقها عند المسئلة ولين صياحها،
قيل : ومن الغراب ؟ قال : شدة حذره .

لولا سخط نفس أبي بكر عليه لفارقة هواها ما نال مرتبة
« أنا عنك راض » لولا عرى أويس ما لبس حلة « يشفع مثل ربيعة
ومضر » يا كثير الذنوب متى تقضي ؟ يا مقيماً وهو في المعنى يمضي،
أترك الهوى محموداً قبل أن يتركك مذموماً، إن فانتك قصبات السبق في
الزهد فلا تفوتك ساعات الندم في التوبة ، يا من كلما حرك إلى الجدد
الجدد سوف ، يا من شدد عليه الوعيد وما تخوف ، يا مريض الهوى بل
يا مدنف إن كنت لا تعرف الدواء فالطبيب قد عرف، هذا ممكن النصائح
ثم أنت بنفسك أعرف .

الفصل الثامن والتسعون

أخواني : من عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ولم يلتفت إليه، ومن تفكر في رحيل من كان لديه صار النهوض للترود متعيناً عليه .

رحل الأجرة عن ديارهم أهون بما أخذوا وما تركوا
وعلمتُ أين مضى الخليل فما أنا بالمبالي أية سلكو
ونفوسنا كحماهم وقفت للصائدين ودونها الشبك
متضربات في حبالها وهي جناح ضمه الشرك
أن الملوك إذا هم احتضروا ودوا هنالك أنهم نسكوا

كم فرح بشهر وإهلاله متهلل لرؤية هلاله إختطفه الموت في خلاله ،
كم مائل إلى جمع ماله تركه تركة ومسر بائقاه ، هل رحم الموت
مريضاً لضعف أوصاله ؟ هل ترك كاسباً لأجل أطفاله ؟ هل أمهل ذا
عيال من جرا عياله ؟ كم راع قصراً ؟ وما راعى عن ابطاله كم أشرف
على شريف فلم ينظر في خلاله ؟ كم خرق درعاً نبيلاً بوقع نباله ؟ كم
أبتم طفلاً صغيراً ولم يباليه ؟ كم شد نفساً في سعة نعاماه وشماله ؟ كم
بعث عليلاً إلى البلى ؟ بعد التراقي إلى إبلاله فرقى روحه إلى التراقي
ولم ينظر في حاله .

أليس إلى الآجال نهوى وخلفنا من الموت حاد لا يغيب عجول
دع الفكر في حب البقاء وطوله فهمك لا العمر القصير يطول
ومن نظر الدنيا بعين حقيقة تيقن أن العيش سوف يزول
وما هذه الأيام إلا فسوارس تطاردنا والنائبسات خيول

بينما محب الدنيا في اختيال ومرح، وكلما جاء باباً من أبوابها فتح ،
وكلما عانى أمراً من أمرها صلح ، فبينما هو في لذاته يدير القدح، قدح
زناد العمر في حراق القدح فمن يستدرك ما فات ؟ ومن يداوي ما
جرح ؟ .

بينما المرء غافل إذا أتاه من يد الموت سالب لا يصد
فتأهب لماله كل نفس عرضة الأسر إنما الأمر جد

إلى كم تعصي وتتمرّد ؟ وأقبح من قبحك أنك تتعمد، يا ردي العزم
يا سيء المقصد يا نقي الثوب والقلب أسود، ما هذا الأمل ولست بمخلد ؟
يا مستوراً على القبيح أم تجحد أما الطريق طويلة ؟ فمتى تترود ؟ تخلص
من أسر الهوى فإنك مقيد أتشري لذة ساعة بعذابٍ سرمد ؟

سيبك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد للإنسان من حمل عدة ولا سيما إن خيف صولة قاهر

يا مدمن الذنوب منذ كان غلاماً علام عولت قل لي علاماً ؟
أتأمن مأتى من أتى حراماً ؟ قد ترى ما حل بهم ، إليك قد ترامى أين
المجتمعون على خمورهم والندامى ؟ كل القوم في قبورهم ندامى ، أما
ما جرى على العصاة يكفي اماماً ؟ لقد ضيعنا حديثاً طويلاً وكلاماً ما
أرى ذلك إلا داء عقاما :

يا ليت شعري ما أدرتَ ليوم بؤسك وافتقارك
فلتزلن بمنزل تحتاج فيه إلى إدخارك
أفنيّتَ عمرك باغترارك ومناك فيه بانتظارك
ونسيتَ ما لا بد منه وكان أولى بادكـارك
ولو اعتبرت بما ترى لكفـاك علماً باعتبارك
لك ساعة تأتيك من ساعات ليلك أو نهارك
فتصير محضراً بها فتتهي من قبل احتضارك
من قبل أن تقلي وتقصي ثم تخرج من ديارك
من قبل أن يتناقل الزوار عنك وعن مزارك

متى تفتيق من هذا المرض المراض ؟ متى تستدرك هذه الأوقات
الطوال العراض ؟ يا عرض المنون كيف تبقي الأعراض ؟ أما الأعمار
في كل يوم في انقراض ؟ لقد نبت قبل شكة السهم صكة المعراض ،
أما ترى الراحلين ماضياً خلف ماض ؟ كم بنيان ماتم حتى تم ماتم ؟
وهذا قد استفاض ، إن الموت إليك كما كان إلى أبويك في ارتكاض ،
إن لم تقدر على مشاريع الصالحين فرد باقي الحياض ، إن لم يكن لك
ابن لبون فلتكن بنت مخاض ، إلى متى ؟ وحتى متى ؟ أتعبت الرواض ،
كلما بنينا نقضت ولا بناء مع نقاض ، يا من قد باع نفسه بلذة ساعة بيعاً
عن تراض ، لبئس ما لبست أتدري ما تعناض ؟ يا علة لا كالعلل ويسا
مرضاً لا كالأمرض ۞

لقد أخبرتك الحادثات نزولها ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا ونفسك لا تبكي وأنت على الإثر

يا محالفاً من نهاء وأمره ، يا مضيعاً في البطالة عمره ، الزمان صولجان
والعمر كرة الدنيا بحر ، والساحل المقبرة إحذر نوابها فإن مشاربها كدره ،
على أنها مزرعة يحصد كل ما بذره فلا تحتقر معصية فر بما أحرقت شررة ،
أما عرفت سر (ولا تقرباً هذه الشجرة)^(١) ، لو اقتنع اكتفى ولكن
المحنة الشرة .

أخواني : كل مقاتل ليس معه سلاح عزم مغلوب ، إذا برز شجاع
اليقظة بسلاح الجدهشم وجه الأمل وهزم جيوش الزلل ، إذا استشعرت
النفس زرمانقة الزهد ودخلت مرهبة دير العزوف وجدت أنيس (أنا
جليس من ذكريني) الخلوة شرك لصيد الموانسة فأخفى الصيادين شخصاً ،
وأقلهم حركة أكثرهم التقاطاً للصيد ما صادهر صاح ، وحل المخالطة
يلزم المتهدب المتمذهب رفع أذيال قميص الدين .

قيل للحسن ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوها ؟
قال لأنهم : خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره :

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٩ .

أبدا نفوس الطالين	إلى طولكم نحن
وكذا القلوب بذكركم	بعد المخافة تطمنن
جنت بجنبكم ومن	يهوى يحن ولا يحن
بجياتكم يا سادتي	جودوا بوصلكم ومنوا

رحم الله أعظما طالما نصبت وانتصبت ، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت، وثبت إن ذكرت عدله رهبت وهربت، وإن تصورت فضله فرحت وطربت ، عرفت أذنبت عن خدمته إنها قد أذنبت ، هبت على قلوبهم عقيم الحذر فاقشعرت وندبت ، فبكت عليها سحب الرجاء فاهتزت وريت ، حسبك إن قوماً موتى تحيي بذكرهم النفوس وإن قوماً أحياء تقسو برؤيتهم القلوب، سلام الله على تلك القبور ورضوان الله حشو تلك اللحود :

طلول إذا دمعي شكى البين بينها شكى غير ذي نطق إلى غير ذي فهم

أماكن تعبدهم باكية ومواطن خلواتهم لفقدهم شاكية، زال التعب وبقي الأجر وذهب ليل النصب وطلع الفجر ، جاء في الحديث: تحت شجرة طوبى مستراح العابدين ، إنما يطيب مكان الإستراحة بإجراء حديث التعب وإنما يلذ الظل البارد لمن تأذى بحر الهجير .

أخواني : مثلوا الإستراحة تحت شجرة طوبى يهون عليكم السفر لإدبوا في السير . فقد لاح العلم :

لما وردنا القادسية	حيث مجتمع الرفاق
وشمت من أرض الحجاز	نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولن أحب	يجمع شمل واتفاق
وضحكت من طيب الوصال	كما بكيت من الفراق
ما بيننا إلا تصرم	هذه السبع البواقى
حتى يطول حديثنا	بصنوف ما كنا نلاقى

الفصل التاسع والتسعون

يا هذا : هون بأمر الدنيا تن ، وقدر أنها قط لم تكن ، واحفظ دينك من مكرها وصن ، فمتى وفى ومتى لم تخن ؟
(للمتنبى) :

لا تلق دهرَكَ إلا غير مكرثُ
فما يديم سروراً ما سررت به
فما أضر بأهل العشق أنهم
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم
تحملوا حملتكم كل ناحية
ما في هوداجكم من مهجتي عوض
سهرتُ بعد رحيلي وحشةً لكمُ
ما دام يصحبُ فيه روحك البدنُ
ولا يرد عليك الفاتتُ الحزنُ
هووا وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا
في أثر كل قبيح وجهه حسنُ
فكل بين على اليوم مؤتمنُ
إن مت شوقاً ولا فيها لها ثمنُ
ثم استمر مريري وارعى الوسنُ

إنما الدنيا حلم نائم، وقائلة راقدة، ومعبّرٌ معتبرٌ وضحكة مستعبر،
تالله ما أعجب بما لها من نظر في ما لها ، ولا بنى قصورها من عرف
غرورها ، ولا مد باع الأمل فباع وشرى بها من تذكر مر شرابها ،
لأنها إذا طغت على الطعام تطنى وإذا بغى نكاحها على العفاف تبغى ،
وكأنها تقصد هلاك محبتها وتبغى ، وكم عدلت في فتكها بالفتى الفتى ؟
وتلغى ، أما دردرها فغرت ؟ فلما فرغت فغرت فاهما
فرغت للظعن ، أما سحبت قرون قارون مع أقرانه إلى القرار في
قرن ، أما كفكفت بكفها كف مكفوف جها فأرتك فن ما يكون
فيك في كفن ، تالله لقد لقي الغبي غب غباوته فلما انجلى غيهب عيبته
رأى الغبن والغبن .

يا أرباب اللطم الشماط الموت بكم قد أحاط هذا العدو منازل فالزموا الرباط ، ما هذه الفتور ؟ ومهر الحور الجد والنشاط ، إياكم والزلل فكم من دم أشاط ؟ أما سمعتم منادي (وتلك القرى أهلكناهم) (١) أما ينذركم أعلام (وكذلك آخذ ربك) (٢) أما يفصم عزائمكم (وكم قصصنا من قرية) (٣) أما يقصر من قصوركم (وبئر معطلة وقصر مشيد) (٤) أما سمعتم هاتف العبر ينادي (فكلاً آخذنا بذنبه) (٥) إذا رأيتم المبارزين بالخطأ قد اتسع لهم مجال الإمهال فلا تستعجل لهم (إنما نملي لهم) (٦) بينا القوم على غرور سرورهم (آخذناهم بغتة) (٧) يا سالكي سبيلهم إنحرفوا عن هذه الجادة .

يا هذا: ظلمك لنفسك غاية في القبيح ، إلا أن ظلمك لغيرك أقبح ، ويحك إن لم تنفع أخاك فلا تؤذ ، وإن لم تعطه فلا تأخذ منه ، لا تشابهن الحية فإنها تأتي إلى الموضع الذي قد حفزه غيرها فتسكنه ، ولا تتمثلن بالعقاب فإنه يتكاسل عن طلب الرزق ويصعد على مرقب عال . فأبي طير صاد صيداً اتبعه ، فلا تكون له همة إلا إلقاء صيده والنجاة بنفسه، في الحيوانات أختيار وأشرار كبني آدم فالتقط خير الحلال . واخل خسيسها ، ولا تكن العصافير أحسن منك مروة ، إذا أوذى أحدها صاح فاجتمعن لنصرته ، وإذا وقع فرخها طرن حوله يعلمنه الطيران .

يا هذا: تخلق في إعانة الأخوان بخلق النملة فإنها قد تجد جرادة لا تطيق حملها فتعود مستغيثة بأخواتها فترى خلفها كالحيط الأسود قد جنّ لإعانتها ، فإذا وصلن بالمحمول إلى بيتها رفهنه عليها، هيئات إن الطبع الردي لا يليق به الخير ، هذه الخنفساء إذا دفنت في الورد لم تتحرك فإذا أعيدت إلى الروث رتعت ، وما يكفي الحية أن تشرب اللبن حتى تمج سمها فيه وكل إلى طبعه عائد ، إلا أن الرياضة قد

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة الكهف ، الآية ٥٩ . | (٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ . |
| (٢) سورة هود ، الآية ١٠٢ . | (٦) سورة آل عمران ، الآية ١٧٨ . |
| (٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧١ . | (٧) سورة الإنعام ، الآية ٤٤ . |
| (٤) سورة الحج ، الآية ٤٥ . | |

نزيل الشر جملة وقد تخفف ، كما أن غسل الأثر إن لم يزله خفف ،
إن دمتَ على سلوك الجادة رجونا لك الوصول وإن طال السرى .

يا هذا : الفيل والحمل يسبحان ولكن الفيل ملبح السباحة • والحمل
يسبح على جنب فيفتضح عند سباحة الفيل ، ثم كلاهما يعبر ، إذا لم
تطق منزلة الحرب فكن من حراس الخيم إذا رأيت الباب مسدوداً في
وجهك فارض بالوقوف خارج الدار مع السؤال إذا لم تظفرك الحروب
فسالم ، أترى يصلح هذا القلب بعد الفساد ؟ أترى يتبدل بالبياض هذا
السواد ؟ كم أقول عسى أصلح ؟ ولعل وكلما استوى قدمي زنى ، كم
تتغير الأحوال ؟ وما أتغير كم نصح لي الطريق وأتحول :

لله أمر من الأيام أطلبه هيهات أطلب شيئاً غير مطلوب
وحاجة أتقاضاها وتمطلني كأنها حاجة في نفس يعقوب
إلى كم تقول سأتوب ؟ • ألم ينجل اللسان الكذوب :

كلما أملت يوماً صالحاً عرض المقدور لي في أملي
إقطع الدهر بظنٍ حسن واجلي غمرة ما تنجلي
وأرى الأيام لا تدني الذي ارتجى منك وتدنى أجلي

إذا كانت كرة القلب بحكم صولجان الثقليل بطلت الخيل . لما
قرب جبريل وميكائيل إهترت الملائكة فخرأ بقرب جنسها من جناب
العزة ، فقطع من بين أغصانها شجرة هاروت وكسر فن ماروت ،
وأخذ من لبها كرة (وَإِنْ عَلَيكَ لَعْنَتِي) (١) فترودت الملائكة في
سفر العبودية بزد الحذر ، وقادت في سبل معروفها بخت التطوع
للمنقطعين (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) (٢) نودي من نادى
الأفضال (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) (٣) فسارت نجائب
الأعمال إلى باب الجزاء فصيح بالدليل (وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ) (٤) فقال
« ما منكم من ينجيه عمله » (٥) .

(١) سورة ص ، الآية ٧٨ .

(٢) سورة الإنعام ، الآية ١٦٠ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٥ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٧٤ .

(٥) ولغظه « لا يدخل احدكم الجنة بعمله .. » الحديث رواه البخاري ومسلم وابن
ماجه وابن حنبل .

فيا لسان القلق تكلم بعبارة الدمع لعله يقع في سمع القبول، فمراد
المرضى أنين المبتلي . النظر في هذه الأمور قلقل قلوب العارفين ، فكانوا
يكونون الدماء، إجتمعوا اخوان القوم على القلوب فأوقدت نار الحذر ،
فكان الدمع صاحب الخبر فتم ، أقلقهم الخوف والفرق أطافت بقلوبهم
الحرق ، لباسهم ملفقات الحرق طعامهم ما حضر وانفق . يا نورهم إذا
جن الغسق يا حسن دمهم محققاً بالحدق إنقطع السلك . فسالت على نسق ،
فكثبت عذرها في الحد لا في الورق، ذابت أجسامهم فلم يبق إلا رمق،
فلاحظهم العفو لطفاً بهم ورفق، لو رأيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون
بنوح الحمام ويهربون إلى الفلوات وغاية لذاتهم الحلوات .

نوح الحمام مسخر للمشتاق لا يريد منه إجرة بينهما أنس ممزوج

بمنافرة :

إن كنت تنوح يا حمام البان للبين فأين شاهد الأحزان
أجفانك للدموع أم أجفاني لا يقبل مدع بلا برهان

يا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة ، أينفق العمر النفيس في
نيل الهوى الحسيس ؟

جدّ الزمانُ وأنت تلعبُ والعمرُ لا في شيء يذهبُ
كم تقول غداً أتوبُ غداً غداً والموت أقربُ

أما عمرك كل يوم ينتهب ؟ أما المعظم منه قد ذهب ؟ في أي شيء ،
في جمع الذهب ؟ تبخل بالمال والعمر تهب ، يا من إذا خلا تفكر
وحسب ، فأما نزول الموت فما حسب ، لك نوبة لا تشبه النوب بين
يديك كربة لا كالكرب ، تطلب النجاة ولكن لا من باب الطاب ،
تقف في الصلوة إن صلاتك عجب ، الجسم حاضر والقلب في شعب ،
الجسد بالعراق والقلب في حلب ، الفهم أعجمي واللفظ لفظ العرب ،
أنا أعلم بك منك حب الهوى قد غلب ، ومتى أسرّ الهوى قلباً لم يفلح
وكتب .

يا آدمي أتدري ما منيتَ به أم دون ذهنتك سترٌ ليس ينجابُ
يوم ويوم ويفنى العمر منظوياً عام جديب وعام فيه اخصاب
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها فأريها أن بلاها عاقل صاب
والخزم يجني أموراً كلها شرف والخرق يجني أموراً كلها عاب

كأنكم بالدنيا التي تولت قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانت
وذلت ، وبكؤوس الأسي قد انهلت وعلت ، وبمحمول الظاعنين على
الأسف قد استقلت ، متى يقال لهذه الغمرة التي جلت قد تجلت ؟

واعجباً لنفس ما تنتبه وقد زلت ، كلما عقدنا عقدة تنفعها حلت ،
كم مستيقظ وقد فات الوقت ينظر إلى نفسه بعين المقت ، ويصيح
بنصيحه لقد صدقت ، وينادي الكسل أنت الذي عوقت فيجيبه أنت
من سيترك ما أفقت ، كم قدم إلى القبور قادم ؟ كلهم على فراش
الندم نادم .

أطاعوا إذا الخداع وصدقوه وكم نصح النصيح فكذبوه
ولم يرضوا بما سكنوا مشيداً إلى أن فضضوه وأذهبوه
ألظوا^(١) بالقبيح وتابعوه ولو أمروا به لتجنبوه
نهامهم عن طلاب المال زهد ونادى الحرص ويلكم اطلبوه
فألقاها إلى أسماع غشر إذا عرفوا الطريق تنكبوه
وحبل العيش متكت ضعيف ونعم الرأي أن لا تجذبوه
حسبتم يا بني حواء شيئاً فجائكم الذي لم تحسبوه
أدبل الشر منكم فاحذروه ومات لخير فيكم فاندبوه

إلى كم بالهوى تغري وتلهج ؟ أنسيت أنك عن محبوبك تزعج ؟
تفكر في حلة من البلى لك تُنسج ، يا من بضاعته كلها بهرج ، ضيقت
على نفسك . فلا مخرج ، إنتهه سريعاً فانحول تسرح :

ولم يبق من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أماني

يا عبيد فلسه يا عدو نفسه تعانق الدنيا بيد الحرص عناق اللام للألف ،
وتترل الدرهم من القلب منزلة البرء من الدنف ، ترش ماء العيش حول
الحانوت وتنظر إلى الدرهم لا فيه ، وتنصب ميزان البخس ومكيال
التطفيف « والغدر ثلاثة الأثافي » ويحك أتبحث عن حفتك بظلفك ؟
وتجدع بسيفك مارن أنفك ، ما أكرم نفسه قط من لم يهنا ، فاحذرها
فكل ما يجري عليك منها ، حاسبها قبل يوم الحساب وزنها ، وخف
شين شينها إن شئت عزاها وزنها ، واحفر لها زبية العزلة وإن أبت فادفنها ،

(١) رضوا .

واحضرها على الرغم في رغام مسكها ومسكنها ، دنها بما التدت آلاتها
لا تهادنها .

هذه قصص النجاة ، قد أملتُها فمنونها ، هذه جوار شنات المواعظ
قد جمعتها فاعجنها ، يا موثق الأقدام بقيد العوائق ، أجود ما للعصفور
قطع السباق ، لو تفكر الطائر في الذبح ما حام حول الفخ ، من طلب
المعالي سهر الليالي ، لولا صبر المضمّر على قنة العلف ما قيل سباق :

هون في الليل عليها الغررا إن العلى مقيدات بالسرى
فركبت بسوقها رؤوسها حتى تخيلنا الحجول الغررا
علمها النوم على رباطها ذليلة ان تستطيب السهرا
قد تركت مطعمها لشوقها تقول كل الصيد في جوف الفرا

سينشع غيم التعب عن فجر الإجر ، كم صبر بشر عن شهوة
حلاوة ، حتى سمع كلمة خلوة ، كل يا من لم يأكل ما مد سحاف
نعم العبد على قبة (ووهبنا له) حتى جرب في أمانة (إنا وجدناه
صابراً) (١) من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه .

كان بعض النجارين يبيع الخشب وكان عنده قطعة بنوس ملقاة
تحت الخشب فاشترت منه فدخل دار الملك بعد مدة فإذا بها قد جعلت
سريراً للملك فوقف متعجباً وقال : لقد كنت لا اعبأ بهذه فكيف
وصلت إلى هذا المقام ؟ فهتف به لسان المفهم نائباً عنها ، كم صبرت
على ضرب الفوس ونشر المناشير ؟ حتى بلغت إلى هذا المقام :

جئت أشكو فاستوقفتني إلى أن كلمتني من قبل ان كلمتني
وفدتني من السقام ولكن انقدتني هما إلى أن فدتني

لمن أصفى واصف ؟ أي عزمك اتباعي فاقف ؟ الليل يضح من
طول نومك والنهار يستغيث من قبح فعلك :

(١) سورة ص ، الآية ٤٤ .

يا أيها الراقد كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد
ونخذ من الليل وساعته حظاً إذا ما هجع الرقد
من نام حتى يتقضي ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة الأرض لكم موعد

.....

آخر الفصول المائة قال المنشئ : ولما أتممت المائة التي ضمنتها
رأيت الثلاثة الأول كالحارج عن الوعظيات لمشايتها القصص ، ففرمت
ها هنا ثلاثة عوضها لتخلص مائة وعظية والله الموفق .

الفصل الاول

أخواني : الموتُ مقاتلٌ يقصدُ المقاتل ، فما ينعمك أن تقا تل .
(للمتنبى) :

نعد المشرففة والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات وما ينجن من خبب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
يدفن بعضنا بعضاً وتمشي أواخرنا على هام الأوالي
وكم عين مقبلة النواحي كحيل بالخنادل والرمال

لقد وعظ الزمان وما قصر وتكلم الصامتُ وما أقصر ، ولاح
الهدى فإنما الشأن فيمن أبصر ، ونطقت المواعظ بزجرٍ لا يُحصر ،
هلكت ثمودا بصيحة وعادُ بريح صرصر ، وكسر كسرى وقصر
قيصر ، تالله ما يبالي ميزانُ الجزاء أربح أم أخسر ؟ ولا حاكم العدل
من أفلس وأعسر هذا أمر مجمل ، وفي غد يفسر .

أيها المتحرك في الدنيا ، لا بد من سكون ، لا يغرنك سهلها فبعده
السهل حزون . كم سبتك من حبيب ؟ وبعض القبح يهون ، ما فرحها
مستقيم ولا ترحها مأمون إنها لدار الغرور ودائر الهون كم تلون ؟
ولكن أين العقل من مجنون ، فهلا أضعنا الحديث قلب هذا مفتون :

أيها السكران بالآمال قد حان الرحيل
ومشيب الرأس والقو دين للموت دليل

فانته من رقدة الغف لمة والعمر قليل
وأطرح سوف وحتى فمها داء دخيل

كانك بما يزعج ويروع وقد قلع الأصول وقطع الفروع ، يا نائماً
في انتباهه كم هذا المهجوع ؟ أينفعك حين الموت جرّي الدموع ؟ إذا
رشق سهم التلف فطاحت الدروع وأتى حاصد الزرع وأين الزروع ؟
وخلت المنازل وفرغت الربوع ، وناب غراب البين عن الورقا السجوع .

قرن مضى ثم نعى غيره كأنه في كل عام نبات
أقل من في الأرض مستيقظ وإنما أكثرهم في سبات
حول خصيب أثره مجذب فاذاخر من المخصب للمجذبات

أما علمت أن الدنيا غدا إمارة ؟ أما برد لذاتها يتقلب حرارة ؟
أما ربحها على التحقيق خسارة ؟ أما ينقص الدين كلما زادت عمارة ؟
أما قتلت أحبابها وإليك الإشارة ؟ إذا قال محبها هي لي ومعها أهلكته
وقالت « اسمعي يا جارة » .

إنما الدنيا بلاء	ليس لدينا ثبوت
إنما الدنيا كبيت	نسجته العنكبوت
إنما يكفيك منها	أيها الراغب قوت

يا من عاهدنا على الطاعة في الإعلان والإسرار ، كيف استحل حل
عقد التوبة وعقد الإصرار ؟ متى يخرج العاصي من هذه الدار ؟ شيب
وعيب ونهاية الإدبار ، ضدان بعيدان تلج ونار ، كم بينكم وبين
المتقين الأبرار ؟ ملكم الدنيا وملكوها فالقوم أحرار ، كانت لهم إنفة
فاحتسوا من العار ، وعرفوا قدر الزمان فانتهبوا الأعمار ، فلو مددتم
أبواعكم ما كانت منهم كأشبار، لو اطلعتم عليهم في أوقات الأسحار
لرأيتهم نجوم الهدى لا بل هي أقمار ، قاموا جميع الدجى على قدم الإعتذار
ثم تساندوا إلى رواحل البكاء والإستغفار ، وقوي كربهم فهبت لهم
نكباء لطف معطار، رفعوا رسائل الجوى فعاد جواب الأبرار :

لا توقدوا في القلب ناراً الجحيم كفى سقامي لفؤادي غريم
ما زلت عن حبكم لحظة وحقكم إني عليه مقيم
وكلما هبت نسيم الصبا من نحوكم عشت بذاك النسيم

وأسفي ، متى رحلوا ؟ ليت شعري ، أين نزلوا ؟ .

أنجذت الدار بهم وأتهم الوجد معي

مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجرة بالأغصان ، فهز منهم الخوفُ
أفنانَ القلوب ، فانتثرت الأفنان . فاللسان يتصرع . والعين تدمع ،
والوقت بستان ، خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم وزعمان ، سورهم
أساورهم ، والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم فما در ومرجان ؟
أخذوا قدر البلاغ وقالوا نحن ضيفان ، باعوا الحرص بالقتاعة فما ملك
أنو شروان ؟ رفضوا حتى زمام المبيع وما باعوا بثنيان ، طالت عليهم
أيام الحيوة والمحب ظمآن ، اطلع من خوخة التيقظ بعين التأمل تسر
البرهان ، أين أنت منهم ؟ ما نأتم كيفظان ، كم بينك وبينهم ؟ أين
الشجاع من جبان ؟ ما للمواعظ فيك موضع القلب بالهوى ملان .

يا هذا : قف على باب النجاح ولكن وقوف لطفان ، واركب سفين
الصلاح فهذا الموت طوفان ، أ يكون بعد هذا إيضاح ؟ أو مثل هذا
تبيان ؟ يا لها من موعظة سحبت ذيل الفصاحة فحار سحبان ، بغداديسة
امامية مستفتية لا تعرف ضرب خراسان .

الفصل الثاني

أخواني : أين الذين سلبوا ؟ سلبوا طال ما غلبوا فغلبوا ، عمروا ديارهم فلما تمت خربوا ، وديقت لهم كؤوس المنايا فأكرهوا وشربوا :

سير الليالي إلى أعمارنا خَبَبٌ (١) فما تبين ولا يعتاقها تعبُ
وهل يؤملُ نيلُ الشمْلِ ملثماً سفر لهم كل يوم رحلة عجب
وما إقامتُنَا في منزلٍ هتفتُ فيه بنا قد سكنا ربعة النوب
وآذنتنا وقد تمت عمارته بأنه عن قليل دائرٌ خربُ
ليست سهام قسى الموت طائشة وهل تطيش سهام كلها صيب
ونحن أغراض أنواع البلاء بها قبل الممات فمرميٌ ومرتقبُ
أين الذين تناهوا في ابتنائهم صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا

أين أرباب الأمانى والأمل ؟ * أخذوا بين سكر الهوى والثلمل .
والذي علا على علي العلا نزل ، وكأنه في الدنيا لم يكن وفي القبر
لم يزل .

كل حي فقصاراه الأجل ليس للخلق بذا الموت قبل
نوب (٢) أبدت لعاد قبلنا إن من ذات العماد المرتحل
فانشوا عن ذلك الشرب الذي صار علا لسواهم ونهل
ألبست قوماً سواهم حليهم ثم بزته فعادوا بالعطل

(٢) نزول الأمر .

(١) ضرب من المشي السريع .

فاسئل الإيوان عن أربابه كيف جدت بهم تلك الرجل
 نقلتهم عن فضاء واسع يمرح الطرف به حتى يمل
 نحن أغراض خطوب إن رمت عادت الأدرع لنا كالحلجل
 وإذا ما أخلفت أسهما فأصابت بطل القوم بطل

جز على القبور بقلب حاضر ، وسلها ما فعل الوجه الناضر ؟ ثم
 افتح ناظر ناظر ، وخاصم نفسك على التواني وناظر .

ومسندون تعاقروا كأس الردى ودعا بسيرهم الحمام فأسرعوا
 خرسٌ إذا ناديت إلا أنهم وعظوا بما يرضي اللبيب فأسمعوا
 والدهر يفتك بالنفوس حمامه فلمن تعد كريمة أو تجمع
 عجباً لمن تبقى ذخائرُ ماله ويظل يحفظهن وهو مضجع
 ولعاقل ويرى بكل ثنيسة يلقي له بطن الصفائح مضجع
 أثره يحسب أنهم ما أسأروا من كأسهم أضعاف ما يتجرع

كم صاح بك واعظ ؟ وما تسمع وكم حصلت ما يكفي ؟ وما
 تقنع . لقد استقرضك مولاك مالك فمالك تجمع ؟ وضمن أن نبت
 الحبة سبع مائة وما تزرع ؟ تشغل عن القرآن المنزل وتستمع من مغن يتغزل ؟
 تمشي إلى نجاتك مشي أقزل ^(١) وتخرج إلى الحرب وأنت أعزل ؟ ويحك
 إن والي الحياة عن قليل يعزل كأنك بالسماء تمور وبالأرض تزلزل ،
 تنصب ولا تدري أي الكفتين أنزل .

إخواني : غرقت السفينة ونحن نيام ، أبوكم لم يسامح في لقمته
 وداود عوتب على نظره .

يا مظهرين ضد ما	به الكتابُ	وارد
إلى متى تبهرجو	ن والبصيرُ	ناقد
كيف يكون حالكم	وهو عليكم	شاهد
عجبت من مستيقظ	والقلب منه	راقد

(١) مشية الأتزل : مشية المقطوع الرجل .

مضجع	لدينه	واللذنب	رائد
كانه	على مدا	ه مهمل	وخالد
فحسنوا	أعمالكم	فهي لكم	قلائد
ولا تضيعوا	واجباً	واجتهدوا	وجاهدوا

إخواني : أفياكم عازم على الصلح ؟ أمنكم محب يضح من الهجر ؟
أفياكم ذو وجد قلق من الين ؟ الوقت يقتضيك يا عاص ، منادي القبول
على منازل الوصول يقول (وسارعوا) (١) .

الغيم	رطب	ينادي	يا غافلين	الصباح
فقلت	أهلاً	وسهلاً	ما دام في	الجسم روح

قد قيّد الطردُ قدميك وغل الابعاد يديك ، أفا لك عين تبكي
عليك ؟

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

على نوح نَحَتْ السفينة ، وأن يصيح اركبوا ، فما ذنبه إن تخلف
كنعان ؟ • إذا وقعت عزيمة العاصي على فراق دار المعاصي ، هياً
مركب القصد وزود سفر العزم وقام على أقدام الجد ، وسعى على
طريق الرجاء خائفاً من عارض رد ، فيصيح به حينئذ هاتف القبول :
لئن قدمت من سفرة الهجر عيسكم تلقيتها بالوصل من كل جانب

إخواني : ما تعودكم وقد سار الركب ؟ إلحقوهم في المنزل ، النجاء
النجاء من شر الخلاف ، ألوحا الوحا قبل لحاق الأسلاف ، الحذر الحذر
من خطوات الخطايا ، ألهرب الهرب قبل بث الأمانى بالمانيا ، قبل أن
تنزلوا الكفات وتلحقوا الرفات ، وبين ماذا حل من آفات آفات إلا
أن تعابنوا الوفاة وفات .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٣ .

الفصل الثالث

عباد الله إنما الأيام طروق الجد ، والساعات ركائب المجد ، وأيام العافية أوقات تستدرك ، وأحيان السلامة تنادي « من جدّ أدرك »

كم للمنية من ضروب بين الحوادث والخطوب
تدع الحبيب بلا محب والمحب بلا حبيب
لا والذي هو قاذف بالحق علام الغيوب
وبحكمه يملي لمن يملي القبيح على الرقيب
ما للنفوس مع المنية في السلامة من نصيب
هيات أين يفوتها لا بد من سهم مصيب
من دب فوق الأرض أصبح دارجاً بعد الدبيب
فإذا تغيب تحتها فكفاه بعداً بالمغيب
ولكم طويل العمر ليس لعيشه بالمستطيب
ولربما انتزع القصير العمر من سعة وطيب
لا تياسن من البعيد وخف مباعدة القريب
فلكم حملت مع المريض إلى الشرى نعش الطيب

إخواني : إحدروا دنياكم فإنها خادعة ، وانظروا حتوفها فهي لا ريب واقعة ، أيها العبد إلى متى تشتغل بها عن مولاك وهو غيور ؟ وكيف تغتر بغرير هوى يغري ويغور ؟ وكم عدلت عن العدل وحاضرت المحظور ؟ أنظن البقاء وقلائد الفراق كالأطواق في النحور ؟ أما تعتبر بأقران قرنوا بقران أعمالهم في القبور ؟ أما مواضعهم تضللك عل وضع الوضائع والفتور ؟ أما حلوا اللحود ؟ فحالت حل تلك البدور

أما متنازلتهم إذ نازلهم مُتَنَزِّلُهُمْ زال عنهم السرور ؟ أبالى بفخرهم الموت ؟ لا بل بلبل تلك القصور أين هم الآن قل لي ؟ خلا خاليهم بالثبور ، مال بهم عن المال ما لا يرد وصرفهم صرف الدهور ، جرى بهم وما جار كما جرى الجار ، جرى المقدور ، أصبحت وجوههم الصبيحة مصطبحة شراب الدثور ، مبانيهم أبيت فلو أُبَيِّت لم تبين الأناث من الذكور ، انفصمت عرى الأوصال وحلوا بالخصال فذو الوصال منهم مهجور ، سكنوا بعد الودود مع الدود في اللحد كأمسور تكدر صافيتهم فمصافيتهم يخافيتهم وما فيهم معذور ، علا أعلاهم ، علا تراب كثير موقور ، وسكن المكين في كمين إمكانه فاستكان في مكان محفور ، بينا مترفهم قد اطمأن (وظنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ) (١) إذا الأذى كالحذا ، وكذا كل محتذ الغرور ، وكم قال واعتذر فلما لم يذر قيل هذا الهذر زور صب الصاب في من صبا ، فالصبا تسفي على منصبه والديور ، وسيأتيك يا فتى ما أتى من عتا حتى في الرواح أو في البكور ، فانتبه فإن الموت يدور على ساكني الدور ، ويلتقط أرباب القصور بلا فتور ولا قصور ، وكأنك بالأمر قد فصل (وحُصِّلَ ما في الصُدُور) (٢) فمن جار قنطرة الهوى آب بتجارة لن تبور (ومن لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (٣) .

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وشمود
بينما القوم في النمارق والدياج أفضت إلى السراب الخلود
وأطباء بعدهم لحقوهم ضل عنهم سعوطهم واللذود
وصحيحٌ أضحى يعودُ مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعود

يا قليل البضاعة بل يا مفلس ترجو النجاة بالمعاصي؟ لقد وسوس،
أتلبس ثوب الشيب؟ ثم تلبس ، جاء الصباح فنسخ حكم الخلدس (٤)

(١) سورة الإنشاق ، الآية ١٤ .

(٢) سورة العاديات ، الآية ١٠ .

(٣) سورة النور ، الآية ٤٠ .

(٤) الليل المظلم .

وأطرق النيلوفر لما حلق الرجس، يا من يقوم من المجلس كما يجلس ،
كن كيف شئت فإنما تجني ما تغرس ، ألك عذر قل لي ؟ الباطل يخرس :
كيف الرحيل بلا زاب إلى وطن ما ينفع المرء فيه غير تقواه
من لم يكن زاده التقوى فليس له يوم القيمة عذر عند مولاه

يا رب إليك منا نتظلم أحوالنا تنطق عنا وما نتكلم وقلوبنا من
ذنوبنا تبكي وتتألم ، وأنت العالم الذي تعلم ، أتركنا للجهل ؟
وأبونا منك تعلم يا من آخر ما شاء كما شاء وقدم ، لا نجعلنا ممن إذا
رحل تَدَمَّ ، يا من نبه الفضيل وابن أدهم ، قد تركتنا الذنوب لا
نشترى بدرهم :

يا عمادي في شدتي ورجائي عند فقري وكوكبي في المعامي
ساعتي إن نأيت يوم ويومي مثل شهر والشهر مثل العام

يا صاحب الخطايا لست معنا، يا مقبلاً على الهوى ما أنت عندنا،
ضاعت حيلتي في تحصيل قلبك ، إشتدت حيرتي في تلافي أمرك ،
واعجباً ، أخوفك عواقب الأمور وما تتوب ، وأشرح لك أحوال
الصالحين وما تؤب ، ومتى سقطت شهوة الليل دنا الموت ، قد أوقدت
نارَ المواعظ إلى جانب كَسَلِكِ ونفسُ عَزِيمَتِكَ شديدُ البرودة *
وقد اتفق الأطباء على أن النفس البارد في المرض الحاد دليل الهلاك :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
كان ما قد رأينا في أحببنا من الرحيل ونادي الدارليس لنا

والله ما فاز سوى الزاهدين ، ولا نال الربح غير العابدين ، ونهاية
الكمال للمحيين كان همُّ القوم طلب النجاة ، وكانت لذتهم في
المنجاة ، فارتفع لهم القدر وعلا الجاه ، لو رأيتهم في الاسحار وقد
حار الخائف بين اعتذار واستغفار ولطائف ، يتخلل ذلك دمع غزير
ذارف ، يرمز إلى شوق شديد متكاثف، كانت عابدة تقوم من أول
الليل وتقول تشاغل الناس بلذاتهم وقد جثت ، إليك يا محبوب :

سروري من الدهر لقياكم ودارُ سلامي مغناكم
وأنتم مدى أملي ما حييت وما طابَ عيشي لولاكم
جنابكم الرحب مرعى الكرام فلا صوح الدهر مرعاكم
حشا البين يوم رحلم حشايَ بنار الهموم وحاشاكم
فيا ليت شعري ومن لي بأن أعيشَ إلى يوم ألقاكم
إذا ازدحمت في فؤادي الهمومُ أعلل قلبي بذكراكم
وأستنشقُ الريحَ من أرضكم لعلي أحظى برياكم
فلا تنسوا العهد فيما مضى فلسنا مدى الدهر نساكم

تالله لقد حصل للقوم فوز الدارين ، ورضيتم أنتم بالبين من البين ،
تنبهوا يا نيام كم ضيعتم من عام ؟ ، الدنيا كلها منام ، وأحلى ما فيها
أحلام ، غير أن عقل الشيخ بالهوى غلام ، علام قتلُ النفوسِ علام ؟
هل هو إلا ثوب وطعام ؟ ثم يتساوى خز وخام ، ولذات طيبات
ووخام ، إنما يعرف الفطناء لا الطغام ، آه للغافل إلى كم يلام ؟ أما
توقفك الليالي والأيام ؟ أين سكان القصور والحيام ؟ دارت على الكل
كأس الحمام (ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام) (١) إلى
متى مزاحمة الانعام ؟ ردوا هذه الأنفس بزمام ازجروا هذه القلوب
عن الآثام اقرؤا صحائف العبر باللسنة الأفهام ، موت الخيران شكل
وأخذ الآفة ان اعجاب ، يا من أجلكه خلفه وأمله قدام ، رب يوم له
مفتاح ، ما له ختام ، يا مقتحماً على الحرام أي اقتحام ، ستعلم من
يبكي في العقبى ؟ عقبى الإجرام ، ويشارك الندامى على الندامى والمدام ،
يا طويل المرض متى يبرى السقام ، يا من إن قعد فللدنيا وكذا إن قام
أول الدنيا هم وآخرها موت زؤام ، حل لها الفراق وحرم عليها الدوام
سحابها لا يمطر وسماؤها قنাম ، كلها عيب في عيب وذام في ذام ،
أنعيبها عند محبها ؟ متى يسمع العدل مستهام ؟ خلها واخرج عنها بسلام
إلى دار السلام فالجنة رخيصة ثم ما تغلو على مستهام ، خذها إليك نصيحة

(١) سورة الرحمن ، الآية ٢٧ .

من طب يداوي الأَسقام ، يضع الهناء موضع النقب ويعرف أصل الآلام
ويركب المرهم عن خبر ويدبر كيف شاء الكلام ، ما بعدها نصيحة
نكفي والسلام .

آخر كتاب المدهش .

قد بلغ التمام والنهاية

وفرغ منه منشيه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم
الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين
وخمسمائة حامداً لله سبحانه ومصلياً على محمد وآله
وصحبه ومسلماً آمين .

فهرست

() كتاب المدحش ()

الصفحة

الموضوع

٥	المُصَنَّفُ والمُصَنَّفُ
١٤	خطبة الكتاب
١٥	الباب الأول - في علوم القرآن
١٥	فصل في ذكر الخطاب بالقرآن
١٦	فصل في ذكر أمثال القرآن
١٨	فصول في عيون المتشابه
١٨	فصل في الحروف المبدلات
٢٠	فصل في الحروف الزوائد والنواقص
٢١	فصل في المقدم والمؤخر
٢٣	أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر مرتبة على الحروف
٢٣	باب أو
٢٣	باب أدنى
٢٣	باب الإنزال
٢٣	باب الأرض
٢٤	باب الأمر
٢٥	باب الإنسان
٢٦	باب الباء
٢٧	باب الحق
٢٧	باب الخير
٢٨	باب الدين
٢٨	باب الذكر

٢٩	باب الروح
٢٩	باب الصلاة
٣٠	باب عن
٣٠	باب الفتنة
٣٠	باب في
٣١	باب القرية
٣١	باب كان
٣٢	باب كلا
٣٢	باب اللام
٣٣	باب لولا
٣٤	باب من
٣٥	باب الواو
٣٥	باب الهدى
٣٦	الباب الثاني - في اللغة
٣٦	فصل في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها
٣٨	فصل منه في كلمات منفصلة كالمتصلة
٢٨	فصل منه في رد الكلام إلى ما يليق به
٣٩	فصل منه في تبيين الكلام متصلاً مرة ومنفصلاً أخرى
٤٠	فصل منه في الجواب المقارن والبعيد
٤١	فصل منه في إقامة الحركة مقام معنى : وفي القلب
٤٢	فصل منه في تكثير أسماء لمسمى واحد
٤٣	فصل منه في اختلاف الأسماء باختلاف المحل وغيره

٤٧	فصل منه في العام والخاص
٤٨	فصل منه قريب له
٤٩	الباب الثالث - في علوم الحديث
٤٩	فصل في ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم
٤٩	ذكر نسبه
٤٩	ذكر اسمائه
٥٠	ذكر عماته
٥٠	ذكر أزواجه
٥٠	ذكر أولاده
٥٠	ذكر مواليه
٥١	ذكر مؤذنيه
٥١	ذكر كتابه
٥١	ذكر نقباء الأنصار
٥١	تسمية من جمع القرآن حفظاً
٥١	تسمية من كان يفتي على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
٥٢	تسمية من تأخر موته من الصحابة
٥٢	تسمية فقهاء المدينة السبعة
٥٢	منتخب من ذكر الاوائل
٥٢	فصل منه
٥٣	فصل منه

٥٣	فصل منه
٥٣	فصل منه
٥٤	منتخب في ذكر المنسوين إلى غير آبائهم
٥٤	فصل في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء
٥٥	فصل في المتشابه خطأ
٥٥	فصل في المشترك بين الرجال والنساء
٥٦	فصل منه قريب له
٥٧	منتخب من الأسماء المفردة
٥٧	منتخب من مشتبه الأسماء
٥٨	فصل من مشتبه النسبة
٥٩	أحاديث أهمل فيها تبيين الأسماء (أنس - عطاء)
٦٠	(عمرة - حماد)
٦٢	منتخب من المتفق والمفترق
٦٤	الباب الرابع - في ذكر عيون التواريخ
٦٤	فصل منه في الأقاليم
٦٥	فصل منه في الجبال
٦٥	فصل منه في الأرض
٦٥	فصل منه في أعمار الأنبياء
٦٥	فصل منه في تسمية الحواريين
٦٦	فصل منه في الملوك
٦٦	فصل منه في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً
٦٧	فصل منه قريب له

٦٨	فصل منه قريب له
٦٨	فصل منه في عجائب النساء
٧٠	فصل في الجدوب وعموم الموت
٧١	فصل في الزلازل والآيات
٧٦	الباب الخامس - في المواعظ وهو قسمان .
٧٦	القسم الأول في القصص وفيه فصول
٧٦	الفصل الأول في قصة آدم عليه السلام
٧٩	الفصل الثاني في بناء الكعبة
٨١	الفصل الثالث في قصة نوح عليه السلام
٨٢	الفصل الرابع في قصة عاد
٨٤	الفصل الخامس في قصة ثمود
٨٥	الفصل السادس في قصة الخليل عليه السلام .
٨٦	الفصل السابع في قصة الذبيح عليه السلام
٨٨	الفصل الثامن في قصة ذي القرنين
٩١	الفصل التاسع في قصة قوم لوط
٩٤	الفصل العاشر في قصة يوسف عليه السلام
٩٨	الفصل الحادي عشر في قصة أيوب عليه السلام
١٠٠	الفصل الثاني عشر في قصة شعيب عليه السلام
١٠١	الفصل الثالث عشر في ذكر بداية موسى (ع)
١٠٣	الفصل الرابع عشر في تكليم الله عز وجل موسى (ع)
١٠٦	الفصل الخامس عشر في قصة الخضر عليه السلام
١٠٨	الفصل السادس عشر في قصة بلعام وموسى (ع)
١١٠	الفصل السابع عشر في قصة قارون

- ١١٢ الفصل الثامن عشر في قصة داود عليه السلام
- ١١٤ الفصل التاسع عشر في قصة سليمان مع بلقيس
- ١١٦ الفصل العشرون في قصة مريم وعيسى عليهما السلام
- ١١٩ الفصل الحادي والعشرون في قصة يحيى بن زكريا (ع)
- ١٢١ الفصل الثاني والعشرون في قصة أهل الكهف
- ١٢٣ الفصل الثالث والعشرون في بداية أمر نبينا (ص ع) ورضاعه
- ١٢٦ الفصل الرابع والعشرون في قصة الغار وانصديق
- ١٢٧ الفصل الخامس والعشرون في قصة أهل بدر
- ١٢٨ ذكر من شهد بدرأ مرتباً على الحروف
- ١٣٤ الفصل السادس والعشرون في تزويج علي بفاطمة عليهما السلام
- ١٣٧ القسم الثاني في المواعظ وفيه مائة فصل
- ١٣٧ الفصل الأول في قوله تعالى (هو الأول والآخر)
- ١٤١ « الثاني في قوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله ...) الآية
- ١٤٥ « الثالث في قوله (وأذن في الناس بالحج)
- ١٥٠ « الرابع موعظة أولها أخواني قد نمي إليكم أمر من نما
- ١٥٤ « الخامس موعظة أولها أيتها النفس تدبري أمرك وتألمي
- ١٥٩ « السادس موعظة أولها إخواني إنتهبوا من رقعات الاغمار
- ١٦٣ « السابع موعظة أولها أخواني ذهب الأيام
- ١٦٧ « الثامن موعظة أولها الشهوات نغر وتعر
- ١٧٠ « التاسع موعظة أولها الزمان أنصح المؤدبين
- ١٧٤ « العاشر موعظة أولها أخواني الدنيا غرارة غدارة

- الفصل الحادي عشر موعظة أولها أيتها النفس أقلمي عن الجناح ١٧٨
وتوبي
- « الثاني عشر موعظة أولها عجباً لذاكر الموت كيف ياهو ١٨٣
- « الثالث عشر موعظة أولها كم أخرج الموت نفساً من ١٨٧
دارها
- « الرابع عشر موعظة أولها لقد خوفنا الموت بمن أخذ منا ١٩٠
- « الخامس عشر موعظة أولها أخواني الدنيا دار الآفات ١٩٤
- « السادس عشر موعظة أولها يا من نسبه معرق في الموتى ١٩٨
- « السابع عشر موعظة أولها الدنيا دار المحن ٢٠٢
- « الثامن عشر موعظة أولها أيها المشغول باللذات الفانيات ٢٠٦
- « التاسع عشر موعظة أولها عجباً لراحل مات وما تزود ٢١١
للرحنسة
- « العشرون موعظة أولها يا من يمشي على ظهور الحفر ٢١٦
- « الحادي والعشرون موعظة أولها يا ساعياً لنفسه في المهالك ٢٢٠
- « الثاني والعشرون موعظة أولها أيها الحاطب على أزرد إلخ ٢٢٤
- « الثالث والعشرون موعظة أولها أخواني شمروا عن سوق ٢٢٨
الأدب
- « الرابع والعشرون موعظة أولها يا طويل الأمل ٢٣٢
- « الخامس والعشرون موعظة أولها يا من يعظه الدهر إلخ ٢٣٦
- « السادس والعشرون موعظة أولها يا مخدوعاً قد فتن ٢٤٠
- « السابع والعشرون موعظة أولها أن الدنيا مذ أبانت حجبها ٢٤٤
إلخ
- « الثامن والعشرون موعظة أولها تبتظ لنفسك يا هذا وانتبه ٢٤٨

- الفصل التاسع والعشرون موعظة أولها أخواني تفكروا في
مصارع إلخ ٢٥٢
- « الثلاثون موعظة أولها أخواني البدار البدار ٢٥٦
- « الحادي والثلاثون موعظة أولها يا جامعاً المالك لغيره ٣٥٩
- « الثاني والثلاثون موعظة أولها يا هذا لو عاينت قصر أجلك ٢٦٢
- « الثالث والثلاثون موعظة أولها يا من بين يديه الأهوال ٢٦٦
- « الرابع والثلاثون موعظة أولها أخواني رحيل من رحل عنا ٢٧٠
- « الخامس والثلاثون موعظة أولها يا هذا إنما خلقت الدنيا
لنجوزها ٢٧٤
- « السادس والثلاثون موعظة أولها أيها المغتر بالدنيا ٢٧٨
- « السابع والثلاثون موعظة أولها أخواني جدوا فقد سبقتم ٢٨١
- « الثامن والثلاثون موعظة أولها ألا يعتبر المقيم منكم بمن
رحل ٢٨٥
- « التاسع والثلاثون موعظة أولها أيها الغافل في إقامته ٢٨٩
- « الأربعون موعظة أولها أخواني إعتبروا بالذين قطنوا ٢٩٢
- « الحادي والأربعون موعظة أولها ما هذا الحب للدنيا ٢٩٥
- « الثاني والأربعون موعظة أولها يا من قد أسره الهوى ٣٠٠
- « الثالث والأربعون موعظة أولها يا هذا من اجتهد
وجد ٣٠٤
- « الرابع والأربعون موعظة أولها أخواني شحم المنى هزال ٣٠٨
- « الخامس والأربعون موعظة أولها أخواني البدار البدار ٣١٢
- « السادس والأربعون موعظة أولها يا مجتنباً من الهدى إلخ ٣١٥
- « السابع والأربعون موعظة أولها واعجباً لنفس تدعى إلى
الهدى ٣١٨

- ٣٢٣ الفصل الثامن والأربعون موعظة أولها من علم أن هبابة الدنيا هباء
- ٣٢٦ « التاسع والأربعون موعظة أولها عجباً لراحل عن قليل
- ٣٣٠ « الخمسون موعظة أولها أخواني من تفكر في ذنوبه بكى
- ٣٣٤ « الحادي والخمسون موعظة أولها أين اللاهون بالمزاح
زاحوا
- ٣٣٨ « الثاني والخمسون موعظة أولها العزلة حمية البدن
- ٣٤٢ « الثالث والخمسون موعظة أولها يا طويل الأمل
- ٣٤٦ « الرابع والخمسون موعظة أولها أيها القائم على سوق
الشهوات
- ٣٥٠ « الخامس والخمسون موعظة أولها يا من شاب ومات
- ٣٥٣ « السادس والخمسون موعظة أولها يا من أيام عمره في حياته
معدودة
- ٣٥٦ « السابع والخمسون موعظة أولها أخواني قد كفت
الكفات إلخ
- ٣٦٠ « الثامن والخمسون موعظة أولها ما زالت المنون ترمي إلخ .
- ٣٦٣ « التاسع والخمسون موعظة أولها يا من سيب قلبه في مراعي
الهوى
- ٣٦٧ « الستون موعظة أولها أخواني تفكروا في الذين رحلوا
- ٣٧١ « الحادي والستون موعظة أولها يا من أيامه تعظه
- ٣٧٥ « الثاني والستون موعظة أولها يا من قد غلبته نفسه
- ٣٧٩ « الثالث والستون موعظة أولها يا هنر عاتب نفسك على
تفريطها
- ٣٨٣ « الرابع والستون موعظة أولها يا مشغولاً بتلفيق ماله

- ٣٨٦ الفصل الخامس والستون موعظة أولها أخواني اعرفوا الدنيا
وقد سلمتم
- ٣٩٠ « السادس والستون موعظة أولها يا مشغولاً بأمله
- ٣٩٣ « السابع والستون موعظة أولها أخواني المستقر يزول
- ٣٩٧ « الثامن والستون موعظة أولها أخواني من عامل الدنيا خسر
- ٤٠٢ « التاسع والستون موعظة أولها يا من قد أرخى له في الطول
- ٤٠٥ « السبعون موعظة أولها يا تأثماً في بوادي الهوى
- ٤١٠ « الحادي والسبعون موعظة أولها أخواني ألا ناظر لنفسه
- ٤١٤ « الثاني والسبعون موعظة أولها يا من كانت له معنا معاملة
- ٤١٨ « الثالث والسبعون موعظة أولها واشوقاه إلى أرباب
الإخلاص
- ٤٢٢ « الرابع والسبعون موعظة أولها أخواني سار المتقون ورجعنا
- ٤٢٦ « الخامس والسبعون موعظة أولها أخواني الحلوة مهر
بكر الفكر
- ٤٣٠ « السادس والسبعون موعظة أولها أيها المقصر عن طلب الزاد
- ٤٣٤ « السابع والسبعون موعظة أولها إذا هبت رياح المواعظ
- ٤٣٩ « الثامن والسبعون موعظة أولها المحب يتعلق بكل شيء
- ٤٤٥ « التاسع والسبعون موعظة أولها يا هذا قد سمعت
أخبار المتقين
- ٤٤٩ « الثمانون موعظة أولها يا مقيماً في دائرة دار الغير
- ٤٥٣ « الحادي والثمانون موعظة أولها يا من أنفاسه عليه معدودة
- ٤٥٧ « الثاني والثمانون موعظة أولها عجباً لمن رأى فعل
الموت بصحبه

- ٤٦١ الفصل الثالث والثمانون موعظة أولها أخواني أعجب
العجائب لسخ
- ٤٦٤ « الرابع والثمانون موعظة أولها أخواني دنا رحيلكم
- ٤٦٩ « الخامس والثمانون موعظة أولها يا من كل يوم يقدم
إلى القبر فارط
- ٤٧٣ « السادس والثمانون موعظة أولها أخواني المفروح به من
الدينيا هو المحزون عليه
- ٤٧٧ « السابع والثمانون موعظة أولها يا من يرحل في كل لحظة
- ٤٨١ « الثامن والثمانون موعظة أولها أخواني أيام العافية غنيمة
- ٤٨٥ « التاسع والثمانون موعظة أولها آه لنفس أقبلت على العدو
- ٤٨٩ « التسعون موعظة أولها أخواني الا ذو سمع وبصر
- ٤٩٣ « الحادي والتسعون موعظة أولها أخواني أما ينبه على
استعداد الزاء
- ٤٩٨ « الثاني والتسعون موعظة أولها يا دار الأحباب
- ٥٠٢ « الثالث والتسعون موعظة أولها سبحان من فاءت بين
القلوب
- ٥٠٦ « الرابع والتسعون موعظة أولها يا هذا إشتغلت بفنون تعليقك
- ٥٠٩ « الخامس والتسعون موعظة أولها كم تنذر الدنيا وما تسمع
- ٥١٣ « السادس والتسعون موعظة أولها يا من قد ملكته نفسه
- ٥١٧ « السابع والتسعون موعظة أولها من ركب الهوى هوى به
- ٥٢١ « الثامن والتسعون موعظة أولها أخواني من عرف ما
بين يديه
- ٥٢٥ « التاسع والتسعون موعظة أولها يا هذا هون بأمر الدنيا تنهن

- ٥٢٩ الفصل المائة موعظة أولها يا من أنفاسه محفوظة
- ٥٣٢ آخر الكتاب وختمه بنصول ثلاثة بدل الثلاثة الأول
- ٥٣٣ الفصل الأول موعظة أولها أخواني الموت مقاتل
- ٥٣٦ الفصل الثاني موعظة أولها أخواني أين الذين سلبوا سلبوا
- ٥٣٩ الفصل الثالث موعظة أولها عباد الله إنما الأيام طرقا الحد